مـــع وقـــف التـنـفـيـذ

دعاء عبد الرحمن

مشاعر غالية



الفصل الأول

في أحد أحياء القاهرة المزدحمة بالطبقة المتوسطة وما تحتها ، حيث نرى سلاسل البنايات المتراصة دون تناسق، ملتحمةً بعضها ببعض وكأنها تشد أزرها وتهون عليها أثر هذا الزحام الغير مقصود من التكتلات العائلية والأسرية البسيطة، حيث تختلف العقيدة واللون والمستويات الأجتماعية منذ سنوات وسنوات ، ولكن اجتمعوا على حب هذه الجيرة القديمة

والآثار المترتبة عليها من ود وشهامة وتقارب روحى وصلة لا تنفك أن تنقطع أبدًا، ففيها يطيب السمر وتجتر الذكريات الجميلة وتحلو سنوات الطفولة بكل تفاصيلها التى تأبى الذاكرة على محوها يوما ما، والتى انطلق من خلفيتها شباب وفتيات فى عمر الزهور فى مجالات التعليم والعمل المختلفة، كلٌ له هدف واتجاه وطريق يتخذه سبيلاً لتحقيق طموحاته ، ومن بين هؤلاء الشباب ، شاب فى مقتبل العمر ذات ملامح مصرية هادئة جذابة تتميز بالرجولة والبساطة ، وقف فى ساحة الجامعة ينتظر شخصٌ ما فى قلق واضح ، يدور بعينيه باحثاً عنه وسط التجمعات الشبابية الكبيرة التى تتهافت متلهفة لمعرفة نتيجة اختبارات نهاية العام الدراسى وبالأخص نتيجة الليسانس التى ينبرى من أجلها منذ أربع سنوات جهد ودراسة كخطوة على طريق حلمه الكبير.

وأخيرًا ظهرت " دنيا " من وسط الزحام مبتسمة وأقبلت عليه فى لهفة تهتف به فى سعادة واضحة بعينين لامعتين:

- نجحنا يا فارس ..نجحنا نجحنا

أتسعت ابتسامته وخفق قلبه بشدة وهو يخطو نحوها بخطوات واسعة مضطربة و يبادلها الهتاف:

- بتكلمى جد.. قوليلى بسرعة تقديرى أيه وتقديرك ايه

عقدت ذراعيها أمام صدرها قائلةً بابتسامة واسعة :

- تدفع كـام

أمسكها من ذراعيها بتوتر هاتفاً:

- قولى بقى أنا خلاص أعصابى باظت

أبتسمت فى شغف قائلة:

- مبروك يا سيدى جيد جدًا زى كل سنة .. وانا طبعا مقبول زى كل سنة

ضحك فى سعادة كبيرة وهو يفرك كفيه فى بعضهما البعض قائلا:

- الحمد لله.. أنا كده حطيت رجلى على أول سلمة

ضحكت دنيا بينما أقبلت عليهما فتاة أخرى تمشى نحوهما وعينيها مثبتة على فارس وعلى السعادة التى تبدو على وجهه وما أن اقتربت حتى قالت بمرح:

- مبروك النجاح من غير ما اعرف النتيجة

ألتفت إليها فارس بمرح قائلا:

- الله يبارك فيكى يا عزة ..الحمد لله جيد جدًا

قالت بسعادة بالغة:

- الحمد لله انا كنت متأكدة

أمسكت دنيا بكف فارس ونظرات الغيرة مطلة من عينيها وهى توجه حديثها لـ عزة قائلة:

- الله يبارك فيكى يا عزة عقبال ما تباركيلنا على الخطوبة قريب إن شاء الله

أطرقت عزة برأسها وقالت بهدوئها المعتاد :

- مبروك مقدماً عن أذنكم

ألتفتت لترحل ولكن تذكرت شيئًا مهماً فاستدارت مرة أخرى وقالت له:

- أنا هروح دلوقتى وأكيد مامتك هتقابلنى وهتسألنى على النتيجة .. تحب اقولها ولا انت عاوز تكون أول واحد تبلغها ؟

نظر لها فارس بامتنان قائلا:

- قوليلها طبعا.. وهى أصلا منبهة عليا أول ما اعرف النتيجة اكلمها على طول ..

وأردف مبتسمًا :

- أنتِ عارفة بقى خالتك ام فارس مش هتستنى لما اروحلها

أبتسمت عزة قائلة :

- طبعا عارفاها زمانها قاعدة مع ماما فى البلكونة مستنين اللى يوصل فينا الأول

ضحك فارس وضحكت وهى تلوح مودعة لهما، لوح لها فأمسكت دنيا يده وهى تقف أمامه وتنظر إليه بشك قائلة:

- طبعا لو قلتلك انا مبحبش البت دى هتقولى دى جارتى ومتربين مع بعض ومينفعش مكلمهاش..مش كده

قبض على كفها ببطء وهو يقول:

- بقولك إيه سيبك من الكلام الفاضى ده وتعالى نروح نقعد فى أى حتة

أستقلت معه أحد سيارات الأجرة وهى تهمس بتذمر واضح:

- كده يا فارس بتركبنى ميكروباص ده انا عندى أخدها مشى احسن

أشار لها أن تصمت حتى يترجلا من السيارة ، ترجلت دنيا من السيارة بمعاونة فارس وقفت أمام الحديقة عاقدة ذراعيها أمام صدرها بحنق قائلة:

- هى دى المفاجأة جايبنى جنينة زى دى

أختفت الأبتسامة من محياه وهو ينظر إليها بحزن قائلا:

- ما انتِ عارفة يا دنيا انا مقدرش على غير كده .

أنتظرها تجيبه ولكنها ظلت عاقدة حاجبيها حانقة فاردف قائلا:

- يعنى هتضيعى علينا الساعة اللى خارجينها مع بعض ..أمشى يعنى؟!

قالت وهى تلوح بعدم رضى :

- لا متمشيش.. أمرى لله يلا ندخل

جلسا إلى مقعد أمام النيل مباشرةً والتفت إليها ونظر لها بحب قائلا:

- دنيا ..أنا عاوز آجى اتقدم بقى

ألتفتت إليه قائلة:

- لالا مش دلوقتى لما مرتبك يزيد شوية

- يا حبيبتى الدكتور حمدى وعدنى أول لما اتخرج هيزود مرتبى على طول يبقى نستنى ليه بقى

دنيا:

- برضة نصبر شوية

نظر لها باستنكار والتفت إلى النيل مرة أخرى ولم يتحدث ، شعرت دنيا بغضبه واستنكاره فهو دائما يظهر فى عينيه ما لا يريد البوح به فقالت مستدركة:

- يا حبيبى افهمنى انا عاوزاك تصبر لما تشوف تعينات النيابة .. مش جايز حلمك يتحقق وتبقى وكيل نيابة قد الدنيا.. وساعتها تتقدم بقلب جامد لبابا

أستدار إليها بجسده دفعة واحدة وقال بعصبية:

- أنتِ كمان عاوزانا نستنى تعينات النيابة .. يعنى ندخل فى سنة كمان.. ويمكن أكتر الله أعلم

قالت دنيا بتوتر:

- طب وفيها أيه يا حبيبى فات الكتير ما بقى الا القليل

هز رأسه حانقا وهو يقول:

- غريبة أوى .. أى بنت مكانك هى اللى تحب ترتبط بالراجل اللى بتحبه .. مش عارف ليه عمالة تطولى فى المدة وانا اللى مستعجل ..المفروض العكس يا دنيا.. وبعدين كده هتطلعينى عيل قدام مامتك .. أنتِ ناسية انى وعدتها اتقدم أول ما اتخرج على طول

قالت دنيا بابتسامة تريد بها امتصاص غضبه :

- ملكش دعوة بماما.. أنا هفهمها إن التأجيل مني أنا مش منك انت ..خلاص يا سيدى ارتحت

حرك رأسه نفيا وقال باعتراض:

- مرتحتش طبعا .. مش فاهم ليه مصممة على التأجيل.. أنتِ عاوزانى وانا وكيل نيابة وبس يعنى غير كده لاء

أخذت دنيا حقيبتها بتردد وهى تقول:

- أنت عارف كويس أوى انى بحبك ومقدرش استغنى عنك

أبتسم بسخرية وقال هامسا:

- آه ماهو باين...

ثم نهض واقفاً وهو يقول بضيق:

- يلا بينا .. زمان ماما مستنيانى بفارغ الصبر

***

أقترب فارس من الحى الذى يقطن به وهو ينظر للأعلى فى تساؤل وهو يشاهد الزينة والكهرباء المعلقة فى تناغم بين ألوانها المبهجة ، أستقبله صديقه عمرو وهو يفتح ذراعيه فى الهواء مداعبا:

- فارس باشا ..ألف مبروك النجاح ... عقبال النيابة وتبقى باشا رسمى وتشرفنا فى كل حتة ونتفشخر بيك كده

ضحك فارس لصديقه ورفيق طفولته وصباه عمرو ، وبادله المداعبة قائلا:

- نتفشخر !! ... ده انت بيئة صحيح

صفق عمرو بمشاغبة وقال:

- أيوه هنبدأ بقى من أولها ..ماشى ياعم بكره هنقابلك بالحجز وبدفتر المواعين قصدى المواعيد

وضع فارس ذراعه على كتفه وهو يقول:

- ده انت يابنى فضيحة بجد.. الناس بتتفرج علينا .. قولى بقى هو فرح مين النهاردة

قال عمرو وهو يلوح بذراعه :

- فرحك انت يا عريس ..أمك أول ما سمعت الخبر مسكتتش وقعدت تزغرد والحبايب بقى صمموا يعلقوا الكهربا دى علشانك...

ثم رفع يديه بالدعاء قائلا:

- عقبالى يارب لما اتخرج كده وابقى مهندس قد الدنيا

ثم همس فى أذنه :

- أم عزة قاعدة مع امك وشاكلهم كده عاوزين يدبسوكوا فى بعض

نظر له فارس باستنكار قائلا:

- هما ايه مبيزهقوش .. قلت لماما مية مرة انا بحب دنيا وهجوزها ومش هتجوز غيرها

وقف عمرو ونظر إليه بتفحص قائلا:

- يعنى عزة مش على بالك خالص

فارس:

- انت صاحبى يا عمرو يعنى المفروض عارف كل حاجة عنى.. بتسألنى سؤال زى ده برضة

وبمجرد ظهورهما عند بداية المنعطف الذى يجاور منزلهما بدأ شباب الجيران فى التهافت عليه وتهنئته ، وبمجرد ولوجه إلى بوابة منزلهم المتواضع استمع إلى صوت زغاريد الجارات من النساء وأقبلت عليه والدته تقبله وتحتضنه بسعادة بالغة وهى تقول:

- مبروك يا حضرة وكيل النيابة المحترم

ضحك فارس وعمرو وقال الأخير:

- شكله بالكتير أوى بشكاتب

ضربته أم فارس على كتفه وهى تقول :

- بس يا واد يا عمرو.. طب بكره تشوف فارس ده هيبقى أيه

أنتهت الإحتفالية البسيطة وما أن أغلق الباب على فارس ووالدته وحدهما حتى قالت له مؤنبة:

- كده برضة تحرجنى قدام ام عزة

أقترب فارس من والدته وقبل رأسها قائلا:

- ليه بس يا ست الكل هو انا عملت ايه

نظرت له بعتاب وقالت :

- بقى اقولك عقبال ما نفرح بيك انت وعزة ترد تقولى لاء عزة الأول.. لازم اطمن على اختى الأول.. بتستعبط يا فارس

جلس فارس على أقرب مقعد وهو يبتسم لوالدته قائلا:

- يا حجة ما انتِ عارفة من الأول ان عزة زى اختى وعارفة انا ناوى اتجوز مين

قالت والدته بانفعال وهى تجلس على الأريكة بجواره:

- انت عارف انى مبطقش البت دى يا فارس هتجيبها تعيش معايا هنا ازاى

تقدم نحوها وقبل كفها عدة قبلات سريعة وقال برجاء:

- ياماما انا بحبها وهى كمان بتحبنى وبعدين يا ست الكل مش انتِ يهمك سعادتى برضة.. وانا مش هبقى سعيد مع واحدة تانية..علشان خاطرى يا ماما حاولى تتقبليها علشان خاطرى

ربتت على رأسه وقالت بحنان:

- يابنى والله يهمنى سعاتك.. بس انا قلبى مش مرتحلها أبدًا

رفع عينيه إليها وقال مؤكدا:

- لا والله يا ماما انتِ ظلماها .. وبعدين بقى فى حاجة متعرفيهاش

قالت والدته باهتمام:

- حاجة أيه

تلفت حوله وكأنهما ليسا وحدهما فى المنزل وقال بصوت خفيض:

- عمرو حاطط عينه على عزة بس مستنى لما يشوف موقفى أيه

نظرت له تتفحصه بركيز وهى تقول:

- بتكلم جد يا فارس .. هو اللى قالك كده؟

أومأ فارس برأسه وأغمض عينيه فى حركة مسرحية وقال بثقة:

- مش لازم يقولى يا حجة.. أنا بلقطها وهى طايره فى الهوا

ضربته على كفه وهى تقول:

- تصدق انا غلطانة انى قاعدة معاك .. هقوم ألحق صلاة العشاء..

لم تلبث أن نهضت واقفة حتى سمعت طرقات خفيفة على الباب فغيرت مسارها إليه وهى تقول :

- ياترى مين

فارس :

- أستنى يا ماما هفتح انا

اشارت إليه أن يجلس مكانه وهى تفتح الباب وقالت:

- أم يحيى.. تعإلى اتفضلى يا حبيبتى

أرتبكت جارتها أم يحيى وهى تقول بخجل واضح:

- والله آسفه انى رجعت تانى يا ست ام فارس ...

ثم قالت وهى تشير لابنتها الصغيرة:

- بس البت المضروبة دى صممت أجيبها علشان تبارك للأستاذ فارس .. ورأسها وألف سيف لازم تيجى دلوقتى وعمالة تعيط وتصرخ .. مقدرتش عليها ياختى

نظرت أم فارس إلى الطفلة الصغيرة فى يد والدتها وهى تفرك عينيها من آثر النوم وتتثائب وهى تقول بصوت مرتفع :

- فين فارس يا طنط

وكزتها أمها فى يدها وهى تقول :

- يابت قولى أبيه فارس ...

دخلت الصغيرة دون استئذان وهى تجذب يد أمها قائلة بمشاغبة:

- أحنا متفقين على كده.. وهو مش بيزعل

وقف فارس ينظر إليها وهى تحاول ترتيب شعرها الأشعث وعينيها التى انتفخت من اثر البكاء والنوم وهى تقول:

- مبروك يا فارس

ضحك وقال مداعبا:

- بقى ده منظر تيجى تباركيلى بيه برضة

جذبتها أمها مرة أخرى بشدة من يدها وهى تقول لفارس باعتذار :

- معلش يا أستاذ فارس ..عيله متقصدش

قال بتفهم :

- ولا يهمك يا ام يحيى.. مُهرة صاحبتى وتقولى اللى هى عاوزاه

نظرت مُهرة إلى والدتها فى انتصاربينما اقترب فارس منها ونزل على أحدى ركبتيه وهو يتصنع الحزن قائلا:

- بس انا زعلان منك يا مُهرة .. لسه جاية تباركيلى دلوقتى

قالت باندفاع طفولى:

- وانا مالى .. ماما سابتنى نايمة وجات لوحدها ولما صحيت صممت اجيلك..

ثم نظرت لوالدتها مؤنبة وهى تقول:

- ماشى يا ماما بكرا لما اكبر وانتوا تصغروا هسيبكوا نايمين وهاخرج لوحدى

ضحكت أم فارس وهى تربت على شعر مُهرة وتحاول عبثاً أصلاح غرتها المبعثرة على جبينها وتمسح عليه قائلة:

- معلش يا مُهرة .. ماما مرضيتش تصحيكى علشان عندك مدرسة الصبح بدرى

نظرت إليها مُهرة بعين مفتوحة والأخرى مغمضة:

- أحنا فى الأجازة يا طنطتى

جذب فارس وجهها إليه قائلاً:

- بمناسبة المدرسة يا لمضة درجات سنة رابعة معجبتنيش .. أعملى حسابك السنة الجاية سنة خامسة .. وزى ما سمعنا كده هتبقى خامسة وسادسة مع بعض .. يعنى مش هقبل أقل من الدرجات النهائية ..ها هاتذاكرى ولا هتقضيها كارتون

لوحت فى الهواء بطفولية وهى تقول:

- طبعا هذاكر وهجيب درجات أكبر من السنة اللى فاتت وماما هتعملى حفلة كبييرة ..

وأشارت له محذرة :

- وعارف لو مجتش

قاطعتها والدتها وهى تقول لها:

- يابنتى عيب كده ..

ثم نظرت إلى أم فارس قائلة:

- البت لسه مكملتش العشر سنين ومفترية أومال لما تكبر هتعمل فينا ايه

ضحك فارس قائلا لها:

- يا ستى انجحى انتِ بس وليكى عندى هدية معتبرة

قالت وهى تمسك بيد والدتها:

- ماشى لما نشوف يلا يا مامتى..تصبحوا على خير كلكوا

***

دخلت دنيا فراشها وتدثرت وهى تتذكر ملامح فارس وكلماته الحانية فابتسمت وهى تغمض عينيها، ولكن الأبتسامة سرعان ما تلاشت ،عندما تذكرت لقائهما الأخير، طرقت والدتها الباب وأطلت برأسها وهى تقول:

- نمتى يا دنيا ولا لسه

أدارت رأسها تجاه الباب وهى تقول لوالدتها:

- لا لسه يا ماما .. فى حاجة ولا ايه

دخلت والدتها وجلست على طرف فراشها وهى تقول:

- عاوزه أتكلم معاكى فى موضوع مهم وكنت مستنية لما باباكى ينام

أعتدلت دنيا فى فراشها باهتمام فقالت والدتها:

- الكلام اللى قولتيه لفارس النهاردة ده ولا هيقدم ولا هيأخر

زفرت دنيا بضيق وهى تقول:

- أنتِ كمان يا ماما وانا اللى فاكراكى فاهمانى

والدتها:

- أنا مش فاهمة تمسكك بيه ده كله ليه .. ده فى الآخر هيتجوزك مع امه فى شقتها فى مكان مش من مقامك .. أنتِ لسه فى أول العمر والدنيا فتحالك أيديها ليه تدفنى نفسك معاه

تنهدت دنيا وهى تنظر للفراغ وكأنها تنظر للمستقبل قائلة:

- يا ماما فارس عنده عزيمة قوية ..هيفضل يحارب لحد ما يبقى وكيل نيابة

ثم ابتسمت وهى تقول:

- وانا هبقى مرات البيه وكيل النيابة

مطت والدتها شفتيها وقالت بعدم رضا:

- ولحد ما يبقى وكيل نيابة .. هتقبلى انك تعيشى معاه عند امه

رفعت دنيا كتفيها وهى تقول:

- لاء طبعا .. أنا قولتله كده بس فى الأول لكن انا عمالة اهو أأجل الارتباط على قد ما اقدر لحد ما ياخد وضعه .. حتى الخطوبة عاوزه أأجلها لحد ما يتعين

ثم نظرت لوالدتها فى ثقة قائلة:

- ياماما متخافيش عليا.. أنا مش مراهقة .. أنا أه بحبه بس برضة مش هارتبط بيه غير لما احس ان المستقبل بقى مضمون.. وهيجيبلى شقة تانية فى مكان تانى .. وساعتها كل حاجة هتتغير للأحسن

قالت والدتها بعدم تصديق:

- عموما متخطيش خطوة إلا لما تتأكدى الأول

عادت الأبتسامة إليها مرة أخرى وهى تقول بعينين لامعتين:

- متخافيش عليا.. أنا عارفة انا بعمل ايه

الفصل الثانى

فى الصباح أستيقظ فارس على صوت والدته وهى توقظه وتهتف به:

- قوم يا فارس تليفون علشانك

نظر إليها بصعوبة وهو يحاول فتح عينيه قائلا:

- مين يا ماما

والدته بتأفف:

- السفيرة عزيزة بتاعتك

أبتسم وهو ينهض من فراشه واتجه مباشرة إلى الهاتف ليجيبها فقالت:

- صباح الخير يا حبيبى

- لسه فاكرة.. سايبانى طول اليوم وانتِ عارفة انى مضايق منك وجاية تتصلى تانى يوم

- خلاص بقى يا حبيبى متبقاش حمقى كده.. يالا بقى البس وانزل عاوزه اشوفك

أبتسم ولكنه صبغ صوته بنبرة جدية قائلا:

- لا مش قادر انزل

- كده برضة يعنى موحشتكش

- طيب خلاص نتقابل فى المكان بتاعنا بعد ساعة

زفرت بقوة وهى تقول:

- يا حبيبى مش هنغير بقى المكان ده.. أكيد مامتك ادتلك حلاوة النجاح

قال بحدة:

- جرى أيه يا دنيا.. هو انا عيل .. أيه حلاوة النجاح دى

- طب خلاص متتعصبش كده.. ساعة وهكون هناك.. يلا مع السلامة

أغلق فارس الهاتف واتجه إلى الحمام توضأ صلى الظهر ، بدل ملابسه واتجه إلى المطبخ وجد والدته تعد طعام الغذاء ، عندما رأته قالت بعبوس:

- يعنى مقولتش انك خارج النهاردة.. أنا بعمل الغدا ده لمين ان شاء الله

قبلها على وجنتها وهو ينظر للأوانى ويلتقط منها بعض الطعام ليأكله فى سرعة وهو يقول:

- معلش يا ماما مش هتأخر.. ساعتين وهتلاقينى هنا .. بس اتغدى انتِ متقعديش جعانة لحد ما ارجع

ضربته على ظهر يده وهو يعبث بالطعام وتقول:

- قولتلك قبل كده متحطش أيدك فى الأكل .. أستنى احطلك فى طبق

تناول كوب مياة مثلج ثم قال:

- لالا لما آجى بقى

ثم طبع قبلة اخرى على رأسها وغادر على الفور

هبط الدرج قفزًا كما يفعل دائما وخرج من باب البيت ، وما أن خطى خطوتين حتى سمع صوت طفولى من الأعلى يصيح به :

- فاااااارس يا فاااااارس

نظر للأعلى مبتسما وقال بهتاف وهو يلوح :

- عارف عارف مش هنسى العسلية

ضحكت مُهرة بينما نهرتها والدتها التى كانت تقف بجوارها فى الشرفة:

- يابت عيب كده .. هو خلفك ونسيكى

أخذت مُهرة دميتها ولم تجيبها ودخلت لتكمل لعبتها تارة وتضايق أخيها يحيى تارة أخرى

خرج عامر من ورشته عندما سمع صوت فارس واتجه إليه فى خطوات واسعة مهنئا:

- مبروك يا أستاذ فارس .. معلش ملحقتش اكلمك امبارح كان عندى زباين واتحرجت اطلعلك فوق

أبتسم فارس متفهما وقال:

- الله يبارك فيك يا عم عامر ويارب عقبال مريان ومينا ما يتخرجوا وتفرح بيهم

قال عامر مبتسما:

- طيب مش هاعطلك بقى يا سعادة المستشار

ضحك فارس بعذوبة قائلا:

- يسمع من بؤك ربنا يا عم عامر ..عن أذنك انا بقى علشان مستعجل

وقبل أن يتحرك سمع جلبة من خلفة وهتاف يعرفه جيدًا:

- يا أستاذ فارس.. أستنى

ألتفت وهو يرفع حاجبيه بمرح للحاج عبد الله الذى أقبل عليه بجلبة كبيرة قائلا:

- مبروك يا أستاذ فارس يابنى.. والله والله انا فرحان زى ما يكون ابنى هو اللى اتخرج وبقى باشا قد الدنيا

ضحك فارس مداعبا:

- لسه مابقتش باشا يا حاج عبد الله.. أدعيلى انت بس

وضع الحاج عبد الله يده على كتفه وتكلم بهتاف كعادته :

- داعيلك يابنى والله.. ربنا يكتبلك الخير ماطرح ما تروح يابنى

ربت فارس على يده بامتنان قائلا:

- ربنا يتقبل منك يا حاج عبد الله..

ثم تنحنح واعتذر منه ليلحق بموعده الهام مع دنيا وتابع طريقه بصعوبة ، فكلما خطى خطوة أوقفه أحد جيرانه مهنئا وداعيا له بالتوفيق.

وقفت دنيا تنتظر ظهور فارس وهى تنظر لساعتها اليدوية فى قلق حتى ظهر أخيرًا قادما من بعيد بابتسامته المشرقة الجذابة ، وعندما رآها أسرع الخطى نحوها ووقف معتذرًا وهو يقص عليها ما حدث له مع جيرانه بمجرد خروجه من المنزل وحاول استرضائها مرارًا وعندما جلسا أخيرًا قالت:

- فارس انا ليا عندك طلب

أومأ برأسه قائلا:

- أؤمرينى يا حبيبتى

قالت بجدية:

- أنا عاوزه آجى اشتغل معاك فى المكتب

زفر بضيق قائلا:

- مش احنا اتفقنا قبل كده ان انا بس اللى هشتغل..أنتِ عارفة يا دنيا شغل المحاماة متعب ازاى.. وبصراحة كده بحس انه بهدله للبنات

قالت بعناد:

- بس انا عاوزه اشتغل.. وبعدين مانا هبقى معاك أيه اللى هيبهدلنى

رفع حاجبيه بدهشة قائلا:

- ياسلام يعنى لما تيجى تشتغلى والأستاذ حمدى يديكى شغل تعملية.. هتقوليله طب آخد فارس معايا ولا أيه مش فاهم يعنى... أنا مش حابب يا دنيا كل يوم تقعدى تتنططى ما بين الاقسام والنيابات والمحاكم .. والموظف ده يرزل عليكى والموظف ده يبصلك..لاء انا مش موافق

قالت بعناد أكبر:

- بص يا فارس أنا كده ولا كده هشتغل.. أنا مخدتش الشهادة علشان افضل قاعدة فى البيت.. فقولت اشتغل معاك احسن ما اروح اشتغل فى مكتب تانى

نظر إلى النيل متأملا وقال بهدوء:

- يعنى رأيي مش مهم عندك للدرجة دى

لمست كتفه وقالت بخفوت:

- ياحبيبى ازاى بس تقول كده .. بس انت عارف يا فارس انى لازم اساعد فى تجهيز نفسى وبابا مش هيقدر على الحمل ده كله لوحده

مط شفتيه متبرمًا وشعر بالإختناق وهو يقول:

- أنا لو عليا مخليكيش تجيبى قشاية.. لكن مفيش فى أيدى حاجة غير مرتبى وانتِ عارفة

قالت بهدوء:

- عارفة .. وبكره الدنيا هاتتغير وحياتنا هاتتغير وهانبقى من طبقة الهاى كلاس وبكره تقول دنيا قالت

***

وقف الأستاذ حمدى مهران أمام فارس وهو يربت على كتفه قائلا:

- بس كده يا سيدى خلاص.. أعتبرها اشتغلت ..خإليها تيجى من بكره لو تحب

قال فارس بامتنان:

- متشكر أوى يا دكتور

عاد الأستاذ حمدى إلى مقعده وهو يقول باهتمام:

- بس انا عاوزك بقى تسعى فى الماجيستير من دلوقتى.. يا فارس ده هيخدمك جامد فى المستقبل.. وعندك يا سيدى المكتبة بتاعتى هنا فى المكتب استعين بيها زى ما انت عايز يعنى مش هتحتاج تشترى كتب من بره

قال فارس فى تفكير:

- إن شاء الله يا دكتور بس انا دماغى مشغول دلوقتى بحكاية النيابة دى ..عاوز استنى لما اعرف راسى من رجلى فيها

قال الأستاذ حمدى بنظرة حاول أن يخفيها:

- فكر تانى فى الموضوع ده.. النيابة دى لسه قدامها وقت ..وانت لسه هتاخد دبلومتين قبل الماجيستير .. أستغل الوقت ده

بدا عليه التفكير فى الأمر وهو ينظر للأمام قائلا:

- خلاص يا دكتور انا حطيت الموضوع فى دماغى وان شاء الله هابتدى فيه على طول

أومأ الأستاذ حمدى برأسه مبتسما فانصرف فارس إلى مكتبه وجلس إلى مقعده وأخرج بعض الملفات وبدأ فى العمل ، ولكن عقله مازال يدور ويبحث الأمر ولا يجرؤ أبدًا أن يتطرق إلى احتمال عدم قبوله فى النيابة ، هو ليس حلمه وحده، أنما هو حلم والدته ووالده قبل أن يتوفاه الله، بل وجيرانه وأصدقائه ، ودنيا ، دنيا التى تحلم بأن تصبح زوجة وكيل نيابة وأن تصعد من طبقتها إلى طبقة أخرى ، دنيا التى لا تتوقف عن أحلامها ولا تقف أمامها أى حدود من أجل تحقيقها.

فى اليوم التالى وعند السادسة مساء كانت دنيا تقف أمام باب مكتب الأستاذ حمدى مهران وتخطو فيه أول خطواتها، تمت المقابلة معه بنجاح وبدأت فى الاطلاع على القضايا وملفاتها فى المكتب المجاور لمكتب فارس وفى نفس الغرفة، ثم حدثته وهى تنظر له قائلة:

- أنا ماكنتش فاكره الشغل العملى كده

قال بجدية:

- متقلقيش .. أنتِ هتنزلى معايا بكره المحكمة والشهر العقارى.. وواحدة واحدة هتتعلمى

مطت شفتاها وهى تقول :

- بس المجهود ده كله على المرتب ده بس

نظر لها باستنكار قائلا:

- المرتب ده ميحلمش بيه حد لسه متخرج .. ده الدكتور كرمك علشان خاطرى

قالت بحدة:

- اه هو ياخد على قلبه الألوفات واحنا الملاليم

تعجب فارس من طريقة حديثها وهى التى لم تبذل أى جهد حتى الآن ، قرر أن يخبرها بحماسه لفكرة التحضير للماجيستير فقالت بدهشة:

- دبلومة ؟! .. طب والنيابة

عاد إلى الأوراق التى بيديه وقال ببساطة:

- ياستى النيابة لسه قدامها سنة ويمكن اكتر.. وانا زى ما انتِ عارفة مابحبش اضيع وقت.. أنا هاستغل الوقت ده واخلص الدبلومة ولو النيابة جات مش هاتخسر بالعكس دى هاتزيدنى خبرة فى شغلى

أومأت برأسها بتفكير قائلة:

- أى حاجة تخلينا نقب بسرعة معنديش فيها مانع

قاطعهم دخول باسم أحد المحامين العاملين فى المكتب وهو ينادى على فارس بصخب ، ولكنه توقف عندما وقع بصره على دنيا الجالسة خلف مكتبها، نهض فارس واقفا وهو يقدمها له قائلا:

- الأستاذه دنيا .. أول يوم معانا النهاردة

أبتسم باسم ابتسامة واسعة وهو يتقدم نحوها وقال مرحبا وهو يمد يده ليصافحها:

- اهلا وسهلا نورتى المكتب

صافحته بابتسامة رقيقه فبدأ فى تقديم نفسه قائلا:

- أنا باسم صفوت .. مدير المكتب هنا وابن خالة الدكتور حمدى

نظر لها فارس نظرة حادة لتسحب يدها من يده فارتبكت وهى تسحب يدها بهدوء قائلة:

- أهلا بحضرتك

لاحظ فارس نظراته المتفحصة لها والتى اشعلت مصافحته لها بداية فتيل الغيرة فى قلبه فلم يعد يحتمل نظراته فقال بعصبية واضحة:

- خير يا أستاذ باسم حضرتك كنت عاوز حاجة

ألتفت إليه باسم متعجبا من عصبيته المفاجأة ولكن الموقف لم يكن يحتاج الكثير من الذكاء فعلم على الفور أن دنيا تخصه بشكل أو بآخر

فقال بهدوء:

- خلصت الملف اللى اديتهولك امبارح قبل ما تمشى

كان يحاول السيطرة على أعصابه ولكنه لم ينجح ،فكانت كل خلجة من خلجات وجهه تنطق بالغيرة فاستدار ليتناول الملف من فوق سطح مكتبه وناوله أياه قائلا:

- أيوا خلصته اتفضل

قلب باسم صفحاته سريعًا وأشار إليه ليتبعه قائلا:

- طب تعالى معايا مكتبى ..عاوز اناقشك فى شوية نقط فيه

ألقى عليها فارس نظرة حادة قبل أن يترك الحجرة وتبع باسم إلى حجرة مكتبه، فركت يدها فى توتر فهى تعلم ماذا ينتظرها من شلال جارف من الغيرة الساخطة يجرفها بحدة لتصبح وحيدة لا يراها غيره ولا يلمسها غيره ، هكذا هو دائما

فى هذه الأثناء دخل محاميًا آخر كانت قد التقت به من قبل دخولها لمقابلة الأستاذ حمدى فابتسم لها قائلا:

- ها أخبار المقابلة أيه..أنا شايف اهو بدأتى شغلك

قالت بارتباك :

- اه الحمد لله متشكره أوى يا استاذ حسن

جلس إلى أحد المكاتب وأشار إلى المكتب الرابع والخاوى بجواره :

- ده بقى مكتب الأستاذه نورا..هى مجاتش النهاردة بس لما هاتتعاملى معاها هتحبيها أوى

قالت بفضول:

- هى شغالة معاكوا من زمان

أومأ برأسه قائلا:

- أه .. أصلها بتشتغل من وهى لسه بتدرس زى فارس كده

تصنعت الامبالاة وهى تنظر للملفات أمامها قائلة:

- واضح ان الأستاذ باسم قديم هنا فى المكتب

قال على الفور:

- ده بقالوا عشر سنين هنا.. ده غير أنه ابن خالة الدكتور حمدى وهو اللى ماسك أدارة المكتب تقريباً

تابعت حديثها بتسائل:

- طب وده أيه خلاه ميفتحش مكتب خاص بيه

أعجب حسن بفضولها الذى يشبع رغبته فى الحديث فى شئون زملاءه ، نظر نحو باب حجرتهم وقال بصوت خفيض:

- ده ذكاء منه.. لو فتح مكتب هيضطر يجيب محامين وموظفين ويديهم مرتبات ده غير النور والإيجار وخلافه.. لكن كده بيشتغل فى القضايا الخاصة بتاعته واللى بياخد أتعابها كاملة لافى ضرايب ولا يحزنون

حركت رأسها بفهم بينما خرج فارس من مكتب باسم فوجدها تتحدث مع حسن فاتجه إلى مكتبه وجلس خلفه وهو ينظر إليها بتوعد مما جعلها تخفى وجهها بين أوراقها حتى لا تنظر إليه ، لم يستطع حسن كتم فضوله أكثر فقال :

- هى الأستاذة دنيا تقربلك يا أستاذ فارس

نظر له فارس بحدة وقال:

- خطيبتى.. ليه؟

أرتبك حسن بسبب عصبية فارس الواضحة وقال:

- لا أبدا مفيش مجرد سؤال ..ألف مبروك

وبعد انتهاء مواعيد العمل فى المكتب انصرفت دنيا بصحبة فارس الذى ظل صامتاً وهو يمشى بجوارها وهى تحاول اللحاق بخطواته الكبيرة، فقالت وهى تحاول جاهدة ألتقاط أنفاسها :

- يا فارس براحة شوية أنا بجرى علشان الحقك

أبطء من سرعته قليلا وظل محتفظا بصمته فقالت :

- أنت مش ملاحظ انك مكبر الموضوع شوية يا فارس

توقف فجأة والتفت إليها وضغط أسنانه بغضب وهو يقول:

- يعنى انتِ مش شايفة انك عملتى حاجة غلط؟

أرتبكت وقالت بتلعثم :

- يعنى كنت اقوله ايه.. هو اللى سلم وفضل ماسك أيدى

حاول كتم غضبه بقوة وهو يقول:

- خلى بالك انتِ مبتراعيش مشاعرى ولا وجودى خالص .. وانا مش هستحمل كده كتير

حاولت أن تدافع عن نفسها مرة أخرى ولكنه لم يعطيها الفرصة ، أوقف سيارة أجرة لتستقلها لمنزلها.

***

الفصل الثالث

كان فى طريقه إلى المنزل شارداً غارقاً فى تفكيره ، لا يجد حصى أمام قدميه إلا وركلها يمينا أو يساراً وكأنها كرة يسددها فى أحضان مرماها ، المشوار طويل والجهد ليس قليل ، يا ترى يا فتاتى هل تستطيعين الصبر، ماذا سيكون مذاقه على لسانك، هل سيحلو لكِ أم ستنفرى منه ومني، أنا لست برجل كسول أو قليل الطموح ولا آبه بالمصاعب، بل تحلو لي وأتسلقها فى هدوء دائما وثبات حتى أصل لمرادى ، ولكن عندما أصل إلى القمة هل سأجدك فى انتظارى ، هل تعشقينى بما يكفى ، لست متأكداً مع الأسف

مر بالمنعطف المؤدى إلى بيته واتجه إليه فى بطء وهو يحاول أخفاء مشاعره حتى لا تقرأها والدته فى عينيه فهى تجيد ذلك ، ولم يلاحظ الفتاة التى كانت تقف فى نافذة حجرتها الصغيرة ترمقه وتتفحصه وكأنها كانت تنتظره وقد جفاها النوم واستعصى عليها ورفض التسلل إلى عينيها حتى تطمئن بعودته ، تنهدت فى قوة وهى تراه يلج باب منزله والتفتت للداخل لتطمئن أن أختها مازالت غارقة فى نومها كما كانت تظن، فأغلقت نافذتها وأسدلت أستارها وأتجهت لفراشها، وما أن سكنت رأسها إلى وسادتها وأغمضت عينيها حتى سمعت أختها تقول بخفوت:

- خلاص اطمنتى أنه رجع

فزعت عزة وحدقت فى أختها فى سريرها المجاور تحاول اكتشاف عينيها فى الظلام وقالت:

- أنتِ لسه صاحية يا عبير

نهضت عبير وفتحت المصباح الصغير والذى ينبعث منه أضاءة ضعيفة وضعت الوسادة على قدميها واستندت إليها وقالت:

- أنتِ بتعذبى نفسك على الفاضى وهو ولا هو هنا

زفرت عزة بضيق وهى تقول:

- بطلى الأوهام اللى فى دماغك دى يا عبير.. أنا مكنتش مستنية حد..أنا كنت واقفة بتهوى شويه فى الشباك

شبكت عبير أصابع كفيها وقالت:

- على فكرة أنا أختك والله .. يعنى هترتاحى لما تتكلمى معايا

نهضت عزة وأغلقت المصباح الصغير وعادت لفراشها وهى تقول:

- نامى يا عبير نامى ..وياريت تشيلى الأوهام دى من دماغك

وضعت عبير وسادتها مكانها واسترخت على فراشها وهى تقول بهمس:

- ياريت يا عزة تكون أوهام فعلاً

***

وصل فارس الشارع الذى يقطن به وقت أذان الظهر فغير وجهته إلى المسجد الذى يبعد قليلا عن منزله توضأ ووقف يصلى السنن وبعد أن انتهى وجد شخصاً يربت على كتفه بحنان قائلا:

- أيه يا عم انت مخاصمنا ولا ايه

ألتفت فارس إلى صاحب الصوت والأبتسامة تعلو شفتيه ليصطدم بأحب الوجوه إلى قلبه منذ سنوات كثيرة ، فهو صديق قديم له ، صافحه بحرارة مرددًا:

- مش معقول.. شيخ بلال واحشنى جدا

نهض الرجلين وتعانقا طويلاً ثم قال فارس بشغف:

- أنت كنت فين كل ده يا شيخ .. ده انا روحت سألت عليك فى بيتك.. والدتك قالتلى انك مسافر

أنحنى بلال على أذنه قائلا بمرح:

- كنت فى ألمانيا

أتسعت عينيى فارس لبرهة ، فضحك بلال بصوت خفيض قائلا:

- أيه مالك اتخضيت كده ليه

أقترب منه فارس هامساً:

- ليه يا بلال .. ده انت يا أما فى المسجد يا أما فى شغلك يا أما فى البيت ياخدوك ليه

رفع بلال كتفيه قائلا:

- ما انت عارف بقى يا فارس طالما ملتحى وبتخطب فى مسجد لازم يتحط تحتيك مليون خط أحمر ويبقى ليك ملف عندهم

قطب فارس جبينه فابتسم بلال وهو يقول مردفاً:

- سيبك مني انا خلاص جسمى نحس .. ها قولى بقى انا سمعت انك اتخرجت .. أولا ألف مبروك .. ثانيا ناوى تعمل أيه بعد التخرج .. هتكمل فى المكتب ولا هتستنى حلمك الكبير

كاد فارس أن يتحدث ولكن الأمام أقام الصلاة فوقفا فى الصف وكبرا ليدخلا فى الصلاة

بعد أنتهاء الصلاة خرجا سويًا من المسجد فأخذ فارس ينظر لبلال بحب وهو يقول:

- والله انا مش مصدق انى شوفتك تانى يا بلال .. واحشنى جدا والله

قال بلال مداعباً:

- وأنت والله يا فارس .. ها ياعم مش هتبقى وكيل نيابة بقى علشان تبقى تحقق معايا انت أهو بدل الغريب برضة

لم يستطع فارس أن يضحك أو حتى يبتسم وهو يقول:

- أنا لو ربنا كرمنى عمرى ما هبقى ظالم زى اللى بيحققوا معاك ومع غيرك يا بلال

قال بلال بهدوء:

- يبقى انت لسه على عهدك يا فارس وبتحلم بالنيابة ..

كانا قد اقتربا من منزل فارس كثيراً وهما يتحدثان ويتذكرا أيامهما السابقة بينما وقف العم عامرعلى باب ورشته ينظر إليهما فى ترقب وخرج من ورشته واقترب منهما وهو يتفحص بلال ثم وقف على مقربة منهما ونادى فارس قائلا:

- أستاذ فارس.. يا أستاذ فارس

ألتفت له فارس بابتسامة فقال عامر:

- تعالى لحظة بس

قال بلال وهو يصافح فارس :

- طب اسيبك انا بقى يا فارس واشوفك بعدين

أوقفه فارس بلهفة قائلا:

- لا والله لازم تطلع معايا ونشرب الشاى مع بعض.. ثوانى أشوف عم عامر وارجعلك

توجه فارس إلى عامر ووقف أمامه متسائلاً :

- خير يا عم عامر ؟

قال عامر بقلق:

- مين ده يابنى

قال فارس بابتسامة:

- ده صاحبى من زمان بس كان مسافر

تابع عامر بنفس القلق:

- تعرفه كويس يعنى

- أه طبعا بقولك صاحبى من زمان بس مكنش بيجى الشارع هنا كتير كنا بنتقابل فى المسجد

لاحظ بلال نظرات القلق فى عينيى عامر فنظر له وابتسم ابتسامة ودودة ، وبرد فعل تلقائى وجد عامر نفسه يبتسم هو الآخر بدون سبب واضح من وجهة نظره وقال لفارس :

- شكله طيب صاحبك ده

ضحك فارس وهو يربت على كتف عامر قائلا :

- و انت كمان طيب يا عم عامر

والتفت إلى بلال وناداه فاقترب بلال منهما محتفظاً بابتسامته فقال فارس:

- عم عامر بيسأل عليك يا بلال.. أصل عم عامر ده بقى زى شيخ الحارة كده.. لازم يعرف اللى داخل واللى خارج

أومأ بلال برأسه قائلا:

- طبعا عارفه من زمان يا فارس .. أنا أه مكنتش باجى كتير.. بس انا مبنساش الوشوش بسرعة وخصوصًا وشوش الناس الطيبة

ومد يده ليصافحه، فصافحه عامر بود وقد زال قلقه بسرعة وقال :

- تعالوا بقى اشربوا معايا الشاى

قال فارس على الفور:

- لا الشاى ده عندى المرة دى .. إن شاء الله هنبقى نعدى عليك بعدين يا عم عامر

بحث بلال فى جيبه عن شىء ما ووجده أخيراً ، أخرج من جيبه زجاجة مسك صغيرة وقبل أن ينصرف مد يده بها إلى عامر قائلا:

- أتفضل يا عم عامر دى هدية بسيطة كده

نظر لها عامر بدهشة قائلا:

- ايه ده.. ريحه

أبتسم فارس قائلا:

- ده أسمه مسك يا عم عامر.. بس حلو أوى هيعجبك

قال عامر وهو يتفحص بلال:

- بس بمناسبة أيه ده

قال بلال بهدوء وعينين يشعان صدقاً:

- بمناسبة انى اتعرفت على راجل طيب زيك يا عم عامر.. وبعدين الرسول عليه الصلاة والسلام قال تهادوا تحابوا ..وانا نفسى تحبنى زى فارس كده

أبتسم عامر وهو يتناول زجاجة المسك من بلال قائلا :

- متشكر يابنى ربنا يحميك لشبابك ...هديتك مقبولة

طرق فارس باب شقته ففتحت والدته وهى تقول :

- بتخبط ليه ما انت معاك مفتاح يا فارس

- معايا واحد صاحبى يا ماما

وضعت والدته حجابها على شعرها وهى تقول ببساطة:

- أهلا وسهلا يابنى اتفضل

تنحنح بلال وهو غاضاً لبصره قائلا:

- أهلا بيكى يا حجة .. معلش أزعجناكى

أفسحت الطريق وهى تقول بابتسامة طيبة:

- لا يابنى البيت بيتك اتفضلوا..

أخذه فارس إلى غرفته وأغلق الباب خلفه وجلس أمامه مبتسما وهو يقول:

- والله زمان يا بلال ...ها أحكيلى بقى

تنهد بلال وقال:

- أحكيلك أيه بس ربنا ما يكتبها عليك ولا على حد أبدا ..أحكيلى انت وصلت لحد فين فى الدنيا

بدت علامات التوتر على فارس وكأنه يبحث عن بداية مناسبة لحديثه ويختارها بعناية وبدأ يقص على بلال ما يشعر به قائلا:

- مش عارف يا بلال من ساعة ما اتخرجت لحد دلوقتى .. فى حلمين مش متأكد انهم هيتحققوا .. النيابة ودنيا

رفع بلال حاجبيه باهتمام قائلا:

- طب النيابة وعرفناها .. مين دنيا

قال فارس بحرج:

- دى بنت اتعرفت عليها فى الكلية و.. وحبيتها

أبتسم بلال وهو يقول:

- طب ومحرج كده ليه.. أنت فاكرنى هقولك الحب حرام يعنى

زاد حرج فارس وخجله من صديقه وهو يقول:

- لا أصل أنا مش بحبها من بعيد لبعيد يعنى ..أنا بقابلها وبنخرج سوا

ثم بدأ فى الدفاع عنه نفسه على الفور قائلا:

- بس والله انا قابلت والدتها ووعدتها انى هتقدملها بعد التخرج لولا دنيا هى اللى رفضت وقالت نأجل الحكاية لبعد النيابة

أطرق بلال لحظات ثم رفع رأسه بهدوء وقال:

- كمان هى اللى رفضت وطلبت التأجيل

نظر له فارس بصمت ولم يتكلم فتابع بلال حديثه:

- وانت فاكر لما تخطبها هتبقى خلاص تحللك يا فارس

ظهرت علامات عدم الفهم على وجه فارس وهو يقول:

- يعنى أيه يا بلال

دلك بلال لحيته وهو يتفحص علامات التوتر على وجه فارس ثم قال بهدوء:

- التوتر اللى على وشك ده حاجة كويسة.. ده دليل على أنك متأكد ان فى حاجة غلط .. فارس يا حبيبى لو بتحبها سيبها

رفع فارس رأسه إليه باستنكار قائلا:

- أسيبها ازاى ..أنا بحبها يا بلال وناوى على الجواز مش بلعب بيها ولا بعمل حاجة غلط معاها

قال بلال بتساؤل:

- وهو انت بتعمل معاها أيه صح يا فارس؟

- مش فاهمك

نهض بلال واقفا وجلس بجوار فارس وقال بجدية:

- أنت بتقابلها يا فارس .. يعنى بتبصلها مش كده ؟ .. ولا بتكلمها وانت باصص الناحية التانية

قال فارس بارتباك:

- ايوا ببصلها

بلال:

- طب ربنا سبحانه وتعالى قال:

- قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ .. يبقى انت كده بتعمل حاجة غلط ولا لاء

أطرق فارس برأسه فاستطرد بلال حديثه قائلا:

- هسألك سؤال كمان.. طبعا بتمسك ايدها

تنحنح فارس بحرج فتابع بلال قائلاً:

- مع أنك يا فارس أكيد سمعت حديث النبى عليه الصلاة والسلام

"لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له " .. فاضل أيه تانى يا فارس؟.. وانتوا بتحكوا سوا وبتضحكوا.. ضحكتها مش بتحرك مشاعرك؟ .. وهى بتكلمك وبتحكى معاك مش ممكن تقولك كلمة بصوت ناعم شوية؟.. ليه يابنى تحط نفسك فى الفتن دى كلها وتشق على نفسك بالشكل ده .

أطرق فارس وقد شعر بكل كلمة قالها بلال ورغم صعوبتها إلا إنها كانت حقيقية فقال :

- معاك حق يا بلال ..لكن

قاطعه بلال:

- لكن بتحبها ومش عارف تعمل ايه

أومأ فارس برأسه موافقا وقال :

- بالظبط كده اعمل ايه

أبتسم بلال وهو يربط على يده قائلا:

- كلمها بصراحة .. وقولها انك مش هتخلف وعدك معاها لكن فى نفس الوقت مش هينفع تغضب ربنا بالحب ده .. لحد ما ربنا يكرمك وتتقدملها وتعقد عليها وتبقى مراتك

وأشار له محذرا:

- وانا بكررها تانى يا فارس .. وتعقد عليها .. يعنى تكتب كتابك .. مش تروح تلبسها دبلة وتقول خطيبتى بقى أخرج واعمل اللى كنت بعمله .. لا يا فارس الخطوبة دى كأنها لسه غريبة بالظبط

أومأ فارس برأسه فى سكون وصمت وهو يستشعر كلماته وسمع بلال يقول له مرةأخرى:

- سيبها مؤقتا وعرفها انت هتسيبها لأمتى وهتسيبها ليه ..سيبها علشان ربنا يكرمك بيها فى الحلال يا فارس بدل ما ربنا يغضب عليكم ويحرمكم من بعض طول العمر..ده لو كنت بتحبها فعلا..تخيل يا فارس لو ماتت وهى قاعدة جنبك بتغضب ربنا هتروح تقول لربنا ايه ولو انت مت وانت قاعد جنبها وماسك ايدها هتروح تقول لربنا ايه ..هو حد ضامن عمره هيخلص أمتى يا فارس.

***

دخل فارس المكتب بعد صلاة المغرب وألقى التحية على الجميع ثم توجه إلى حجرة مكتبه هو وزملائه وجد دنيا ونورا يتحدثان ويتعرفان إلى بعضهما البعض وسمع دنيا تسأل نورا عن باسم قائلة:

- وأستاذ باسم متجوز من زمان ولا لسه قريب

نورا:

- لا من زمان وعنده ولد وبنت

بمجرد أن رأته نورا نهضت واقفة بابتسامة قائلة:

- حمدلله على السلامة.. أزيك يا أستاذ فارس

حاول فارس أن يتجنب النظر إليها هى ودنيا وهو يقول بود واحترام:

- الله يسلمك يا أستاذة حمد لله على السلامة
أقتربت دنيا خطوات منه قائلة :

- أيه مفيش أزيك يا دنيا ولا أيه

وضع عينيه فى الأوراق وهو يقول:

- أزيك يا أستاذة دنيا

أتكأت على المكتب وهى تقول بخفوت:

- أنت عارف انى مبقدرش على زعلك .. أنا آسفة يا سيدى فكها بقى

هز رأسه نفيا وهو يقول:

- مش زعلان من حاجة.. وياريت نأجل الكلام ده لبعدين

خرج باسم من حجرته وهو يقول لدنيا :

- من فضلك يا أستاذة دنيا عاوزك شوية

ودخل حجرته مرة أخرى وهو يقلب عدة ملفات بين يديه بلا مبالاة ، نهض فارس واقفا بحدة وقال لها:

- لما تدخلى متقفليش الباب وراكى

تركتهم دنيا ودخلت حجرة مكتب باسم وتركت الباب كما أمرها فارس فنظرت نورا إليه قائلة:

- مالك يا أستاذ فارس .. قلقان من حاجة؟

هز رأسه نفيا وهو يقول:

- أبدا يا أستاذة مفيش حاجة.. دنيا خطيبتى وانا محبش يتقفل عليها باب أوضة مع أى حد حتى مع الدكتور حمدى نفسه

ابتسمت قائلة :

- هى برضة لسه كانت بتحكيلى عنك وعن غيرتك عليها ..ربنا يتتملكم على خير

أخذ فارس يقلب الصفحات فى شرود تام ، لا يدرى من أين يبدأ معها وكيف سيكون وقع كلماته عليها، وكيف سيستمر هكذا ، يراها ويتعامل معها وهى زميلته فقط وكيف سيستطيع كتم مشاعره تجاهها، هل سيستطيع الصبر عليها وكبح جماحها ام ستتفلت من بين أصابعه دون أن يدرى لتندفع إلى منسوبها الأول كما كانت .. بل وأقوى

كانت كل تلك التساؤلات تموج بها رأسه بعنف ويخفق قلبه لها بقوة ، ولم تتركه إلا وعينيه كانت تنطق بالحيرة فى وجوم تام تنتظر ما سيحدث ولا تملك غير ذلك وفقط .. أيها الأنتظار لو كنت رجلا لقتلتك.

***

الفصل الرابع

أشار باسم إلى دنيا بالجلوس فى المقعد المقابل له دون أن ينظر إليها وهو يتأمل الورقة فى يده ، ثم مد يده بها إلى دنيا وهو مازال ينظر للورقة ويقول باهتمام:

- عاوزك تقرأى المذكرة دى كويس وتكتبيلى ملحوظاتك عليها

مدت يدها لتمسك بها وهى تقول:

- أيوا بس أنا لسه ..

بترت عبارتها عندما شعرت بيده وهى تتلمس أصابعها من أسفل الورقة وهو يبتسم لها بهدوء وكأنه شيء عادى ، تلعثمت حروفها وجذبت يدها فى ارتباك ولم تتكلم ، ألتفتت إليه فوجدته يتفحصها ويتأمل ردود أفعالها الصامتة على محاولته التى كانت عينة اختبار لها ليس إلا ، والنتيجة كانت مشجعة ، فنهض واقفاً ودار حول مكتبه وتلمس ظهر مقعدها وهو يقول:

- معلش كل حاجة فى الأول صعبة.. بكره تتعلمى

شعرت بأصابعه تتلمس ظهرها وكتفها، فنهضت فى ارتباك وقد احمرت وجنتيها ، أستدرك قائلا :

- هو الأستاذ فارس خطيبك فعلا زى ما سمعت .. مش شايفك يعنى لابسه دبلة

تنحنحت وقد زاد توترها وهى تقول:

- أيوا أحنا مخطوبين بس لسه ملبسناش دبل

رفع حاجبيه فى تصنع وقال بسخرية :

- مممم يعنى لسه مش رسمى

ثم أردف بمكر:

- يا شيخة سيبك .. جواز أيه وبتاع أيه

رفعت رأسها إليه وقالت :

- ليه بقى هو حضرتك مش متجوز برضة وعندك أولاد

أتسعت ابتسامته وكاد أن يضحك وهو يقول:

- أيه ده وكمان متابعة أخبارى

قالت على الفور:

- أنا عرفت صدفة

ثم تناولت الأوراق وهى تقول:

- طيب حضرتك انا هقرأها وهحاول افهم الموضوع

سحبها منها ببطء وهو ينظر لعينيها بجرأة قائلا:

- لا خلاص خليها بعدين

زاغ بصرها وقالت وهى تتجه نحو الباب:

- طب عن أذن حضرتك

شعرت بنظراته تخترق ظهرها وهى تدلف للخارج ، فهى مثلها مثل كل أنثى تستطيع أن تشعر بنظرات الرجل وتلميحاته والأمر يعود إليها ، إما تصده بقوة وإما أن تعطيه الضوء الأخضر ! .

أما هو فقد علم طبيعة الفتاة التى أعجب بجمالها ،هى مرتبطة عاطفيا ورغم ذلك لا تريد أن ترسم حدودا قوية لا يتعداها الرجال معها ، تمسك العصا من منتصفها وكأنها تبحث عن فرصة أخرى أيسر وأفضل .

جلست خلف مكتبها وهى تختطف نظرات شعواء بين الحين والآخر إلى فارس القابع خلف مكتبه فى شرود تام ، وقبل انتهاء العمل بحوالى الساعة، استأذن فارس لينصرف مبكرا هو ودنيا ، خرج معها من المكتب وسارت بجواره فى سكون وكأنها تشعر أنه رآها ورأى ردود فعلها المتهاونة مع باسم وانتظرته ليتحدث.

صمت قليلا ليستجمع كلماته والمنطق الذى سيتحدث به ، كان لا يريد فقدها أبداً لذلك فكر فى تأجيل الحديث فيما بعد ولكنه استجاب لطبيعته التى تكره التسويف والتأجيل فى الأمور الحاسمة فقال قبل أن يتراجع:

- دنيا عاوز اتكلم معاكى فى موضوع مهم

ألتفتت إليه وقد أنتشلها من شرودها قائلة:

- موضوع أيه؟

أخذ نفساً عميقاً وقال:

- تفتكرى ربنا راضى عن علاقتنا بالشكل ده كده

توقفت فجأة عن السير وكأنه أفرغ عليها دلو من المياة الباردة، شعرت بمشاعر مختلطة بين الحيرة ومحاولة الإستنتاج وقالت:

- تقصد ايه بالكلام ده يا فارس

هربت الكلمات منه ، حاول جمع شتاتها مرة أخرى وقال بصدق:

- دنيا ...أنا عاوز ربنا يبقى راضى عن علاقتنا.. وانا عرفت ان علاقتنا بالشكل ده تغضب ربنا وممكن يعاقبنا ويحرمنا من بعض بسبب الحاجات الحرام اللى بتحصل.. أنا عرفت أن نظرى ليكى وكلامى معاكى حرام .. وعلشان متفهميش غلط .. أنا عاوز اتقدم رسمى ونكتب الكتاب على طول

أتسعت عينيها بدهشة وقالت :

- أفندم تكتب الكتاب.. بس احنا متفقين تستنى لما نشوف التعين بتاع النيابة وبعدين نتخطب

زفر بضيق وهو يقول:

- بصى بقى أنا مش عارف انتِ عاوزانى انا ولا عاوزه فارس وكيل النيابة ..لو بتحبينى وعاوزانا نكمل مع بعض باقى حياتنا زى ما بتقولى دايما توافقى انى اتقدم دلوقتى وقدامك أختيارين.. يأما نتخطب بس وده لحد ما تيجى تعينات النيابة ومش هينفع برضة لا نتكلم ونخرج مع بعض ولا أى حاجة من اللى كانت بتحصل.. يا أما أتقدم ونكتب الكتاب على طول وساعتها مش هيبقى فى حاجة حرام فى علاقتنا وفى كل الأحوال هنستنى النيابة .. خلى بالك دلوقتى الكورة فى ملعبك علشان نحدد بقى مين اللى عاوز يتهرب من التانى

أربكها ، لا تستطيع أن تختار ثالثا لأنه لم يكن هناك ثالث ، إن كانت تريد الإبقاء عليه ، لكن بالتأكيد هناك أختيارمنهما ستكون فيه الخسائر أقل، حاولت أن تماطل ولكن هيهات لم يكن هناك مجالاً ، هو يريد معرفة رأيها فى الحال ، تنفست بعمق وهى تحاول رسم السعادة على وجهها وقالت:

- طب ممكن يا حبيبى تستنى لما أخد رأى ماما .. مش دى الأصول برضة.

قال وبجدية:

- هستناكى تردى عليا النهاردة.. مش هنام غير لما تكلمينى ..ولو متكلمتيش النهاردة هعرف انك مش عاوزانى أصلا.

رأت الجدية والحسم فى عينيه وهو يتحدث ، تعلمه جيدًا إنه لا يحب المزاح فى الأمور الجدية ولا يخلط بينهما، وهذا ما يزيده رهبة فى عينيها وهو يتحدث بمثل هذا الحسم

أومأت برأسها وهى تقول:

- حاضر ..هتكلم مع ماما وهرد عليك النهاردة

قال وهو يشير لسيارة الأجرة:

- مش هنام ..هستناكى ان شاالله للفجر

***

ضربت والدتها كفاً بكف وهى تقول بغضب:

- وبعد سنة يجى يقولك عاوز اكتب الكتاب ويمكن عاوز نعمل دخلة وتروحى تقعدى فى الحارة مع امه مش كده.. وساعتها برضة هتعملى زى دلوقتى وتقوليلى هعمل ايه يا ماما ماهو مش سايبلى اختيارات تانية

عقدت دنيا ذراعيها وقالت بحنق:

- طب قوليلى اعمل ايه ..وقبل ما تقولى أى حاجة لازم تعملى حسابك انى بحبه ومش ناوية اسيبه .. أنا بس كنت بأجل لما ياخد وضعه مش أكتر

تفحصتها والدتها برهة ثم قالت:

- انا أمك وعارفاكى كويس.. أنتِ مش متمسكة بيه علشان بتحبيه.. أنتِ بس شايفاه أحسن واحد لغاية دلوقتى ومتأكدة ان لو حد غيره عجبك هتسبيه وترميه ورا ضهرك

رفضت دنيا حديث والدتها بشدة وقالت:

- لا يا ماما .. أنا بحبه وعارفة طموحه كويس ممكن يوصله لفين.. وانا عاوزه أوصل معاه يا ماما للى هيوصله .. ومش عاوزه أخسره وبعدين دى خطوبة ولا هتقدم ولا هتأخر

قالت والدتها بحنق:

- وبعدين خلاص تبقى خطيبته وتدخلوا وتخرجوا مع بعض وأى حد أحسن منه تعجبيه يقول بس يا خسارة دى مخطوبة خلاص.. وسوقك يقف على كده ..صح

ابتسمت بسخرية وقالت:

- لا متقلقيش ولا خروج ولا دخول هو أصلا مش عاوز كده.. ده داخلى فى موال حلال وحرام .. ومينفعش ابصلك ومينفعش اقابلك والكلام ده .. هو بس عاوز يطمن انى عاوزاه وموافقة على الارتباط بيه قبل ما يبقى وكيل نيابة

زفرت والدتها بضيق وهى تقول:

- استغفر الله العظيم ..أعملى اللى انتِ عاوزاه

*****

كان يقف فى شرفته الصغيرة يحتسى القهوة ببطء ويدور فى عقله ألف سؤال وسؤال حين سمع رنين الهاتف ورأى والدته تخرج من غرفتها فقال على الفور :

- خليكى يا ماما التليفون ده ليا

وقفت والدته أمام باب غرفتها وهى تراه يلتقط سماعة الهاتف بلهفة ويجيبها ، صمت قليلا وأرتسمت على وجهه ابتسامة صغيرة وهو يقول:

- يعنى والدتك وافقت على الخطوبة بس

كانت دنيا على الطرف الآخر تنظر لوالدتها وهى تقول له عبر الهاتف :

- ايوا يا حبيبى معلش بقى حاولت معاها كتير توافق على كتب الكتاب بس رفضت جدا وقالت لاء خطوبة بس فى الأول كده زى كل الناس وبعدين بقى لما نجهز نبقى نكتب الكتاب

أبتسم فارس وهو يقول :

- خلاص نعمل الخطوبة زى ما كنا متفقين قبل كده.. حدديلى معاد مع باباكي

أغلق الهاتف وقد علت وجهه ابتسامة رضا كبيرة والتفت ليجد والدته تقف خلفه تنظر له بحزن وقالت:

- برضة هتخطبها يا فارس

تغيرت ملامحه وقد شعر بحزن والدته الذى يطل من عينيها وأقبل عليها يقبل رأسها قائلا بخفوت:

- والله يا ماما دنيا بتحبنى مش زى ما انتِ فاكره .. وبكره تعرفى كده لما تلاقينى سعيد معاها

أومأت برأسها باستسلام وهى تقول:

- خلاص يابنى اللى يريحك

قبل يدها وهو يقول برجاء:

- مفيش حاجة هتنفع من غير رضاكى يا ماما

حاولت أن تبتسم لكنها فشلت وقالت :

- أنا عمرى ما غضبت عليك وانت عارف كده .. وربنا يوفقك فى حياتك ويخلف ظنى يارب

ضم رأسها فى صدره برفق وطبع قبلة عليها وهو يدعو لها بطول العمر ووافر الصحة والعافية

فى اليوم التالى طرقت دنيا باب غرفة والدها دخلت وانتظرته حتى ينهى صلاة العصر وما أن انتهى من صلاته حتى ابتسم لها وهو ينهض ، فاقتربت منه قبلت كتفه فقال وهو ينظر إليها بابتسامة حانية :

- والدتك قالتلى على حكاية العريس ..هو محامى ولا وكيل نيابة ولا ايه بالظبط

قاطعهم دخول والدتها تدعوهما لتناول الغذاء ، ألتف ثلاثتهم حول مائدة الغذاء حيث قال والدها:

- ها أحكيلى بقى

وضعت دنيا الملعقة وهى تقول:

- هو بيشتغل فى مكتب الأستاذ حمدى مهران من قبل ما نتخرج وان شاء الله سنة ويبقى وكيل نيابة

أومأ برأسه وهو يقول:

- ممتاز .. يعنى شاب مكافح

قاطعته والدتها وهى توجه حديثها لزوجها:

- بقولك أيه أحنا معندناش غيرها.. يعنى مش هنرميها كده وخلاص..عاوزاك تشد عليه شوية لما يقابلك وتطلب براحتك .. أحنا بنتنا حلوة وألف مين يتمناها

ألتفت إلى زوجته وقال:

- الموضوع مش موضوع حلاوة .. أنا بدور لبنتى على راجل يشيل مسؤليتها وابقى مطمن عليها معاه.. ولو الولد جد ومكافح وأخلاقه كويسة زى ما سمعت يبقى الطلبات دى تيجى بعدين وعلى مهلة

قالت بغضب:

- يعنى ايه الكلام ده .. أنت ناوى تتساهل معاه ولا أيه

تدخلت دنيا وقالت على الفور :

- يا ماما مش أحنا اتفقنا هتبقى خطوبة بس كده .. لما نشوف هنعمل ايه

نظر إليها والدها بتساؤل:

- يعنى ايه الكلام ده .. يعنى ايه خطوبة بس كده

ارتبكت دنيا وقالت:

- قصدى يعنى يا بابا هنعمل خطوبة لحد ما يكون نفسه يعنى مش أكتر

هز رأسه وقال وهو يكمل طعامه:

- خلاص خليه يجى بكره بعد العصر .. اللى فيه الخير يقدمه ربنا

بعد الغذاء هاتفته وأبلغته بميعاد مقابلة والدها ، تلقى منها الخبر بسعادة كبيرة وهو يشعر بمشاعر مختلفه بين القلق والسعادة ، رفضت والدته الذهاب معه ولكنه أصر بشدة أن تصحبه فى هذه الزيارة.. وقد كان

توقفت والدته تحت البناية التى تسكن بها دنيا ووقفت تنظر حولها وتقول :

- تصدق انا كنت فاكرة ان فى فرق كبير بينكم ..طريقة كلامها لما شوفتها أول مرة خلتنى افتكر انهم ياما هنا ياماهناك .. لكن طلعوا أهو ناس عادية

أبتسم فارس وهو يحثها على دخول البناية وقال :

- شوفتى بقى علشان تعرفى انها مش هتتكبر عليا زى ما كنتِ فاكره يا ست الكل

كان استقبال والدة دنيا لهما بارداً، شعرت به والدته منذ اللحظة الأولى التى وطأت بها باب بيتهم بينما أقبل عليهما والدها فى ترحاب شديد وبعد لحظات من الحديث مع فارس ووالدته شعر بالأرتياح تجاهه وبمدى احترامه لوالدته وتوقيره لها وهنا اقبلت دنيا بكامل زينتها ورحبت بهما ، تشجع فارس عند حديثه مع والدها وهو يرى علامات الأرتياح على وجهه وبكلماته المشجعة الداعمة له ، أنتهى اللقاء بتحديد موعد بعد ثلاثة أيام ينهى فيهم والدها سؤاله عن فارس ويعلمه بالنتيجة

مرت الأيام الثلاث وهاتفه والدها كما وعده وأخبره بأنه ينتظره لمقابلة أخرى للأتفاق على ميعاد الخطبة وبقية التفاصيل، لم تكن المقابلة بأقل توترًا من المقابلة السابقة ، بل على العكس زادت عن المرة الأولى لما فيها من تفاصيل مادية ، ولقد كان فارس يتوقع ذلك ، لذلك لم يأخذ معه والدته حتى لا تسمع كلمة تحرجها أو تشعر معها بقلة الحيلة ولقد كان محقاً ، فلقد استشاطت والدتها غضباً عندما علمت المبلغ الذى حدده فارس للذهب المطلوب للشبكة وكادت أن ترفض الأرتباط من قبل أن يبدء لولا تدخل والد دنيا بالموافقة فى اللحظة الأخيرة.

وتم تحديد موعد نهائى للخطبة بشكل رسمى بعد أسبوع وانتهت معركة الذهب وهو يحمد ربه على عدم حضور والدته مثل هذا المزاد الرباعى، عاد ليخبر والدته بالموعد النهائى الذى تم الأتفاق عليه ، لم تكن تعلم هل تشعر بالسعادة لخطبة ولدها أم تشعر بالأسى لأجله فقلبها ينبأها بفشل هذه الزيجة من قبل أن تبدأ ، قامت توضأت وصلت وسجدت لربها وهى تدعو بحرارة قائلة :

- يارب لو فيها خير يسرله أمره ولو غير كده ابعدها عنه ومتكسرش قلبه يارب

***

الفصل الخامس

كانت عزة تعد الطعام فى المطبخ بصحبة عبير أختها وهما يتضاحكان ويمزحان حين دخلت والدتهما وقالت:

- أعملوا شاى يا بنات لخالتكوا أم فارس

قالت عزة بهمة :

- هعملوا انا يا ماما حاضر ..ثوانى

ضحكت عبير وهى تقول :

- النشاط حل عليكى دلوقتى

نظرت لها عزة بارتباك وهى تضع براد المياة على الشعلة ، أقتربت والدتها منهما وهى تقول بتردد :

- فارس هيخطب يوم الخميس اللى جاى

أرتعشت يدها وسقطت المياة على الشعلة فأطفأتها

على الفور أقتربت منها أختها بلهفة وهى تنظر ليدها وتقول:

- الحمد لله المية كانت باردة لسه

زاغت نظرات عزة وهى تشعر بحريق حقيقى ، حرارة مرتفعة ليست بيدها وانما بقلبها ، حرارة مرتفعة ستطفىء فى النهاية النبتة التى كانت تنبت بداخلها من مشاعر يتيمة من طرف واحد ، قاومت دمعة كانت ستقفز من عينيها وقالت بأنفاس متقطعة :

- معلش يا ماما هعمل غيرها حالاً

أخذت عبير براد المياة من يدها وقالت بشفقة :

- أستنى يا عزة انا هعمل الشاى

جاهدت عزة لترسم ابتسامة مصطنعة وهى تقول:

- أنا نسيت اصلى العصر هروح اصلى

توجت إلى الحمام ، دخلت بسرعة وأغلقت الباب خلفها، توضأت فاختلطت الدموع بماء الوضوء ، خرجت وتوجهت لغرفتها وبدأت فى الصلاة ، وقفت وركعت وسجدت بغير هدى لم تنتظرها العبرات للسماح لها بالقفزعلى وجنتيها بل انسابت بانهمار وبهدوء لا يشعر بها أحد ولا تستطيع أن توقفها كلمات العزاء و المواساة.

كانت تعلم أنها ستسمع هذا الخبر إن آجلا أو عاجلاً ، ولكنها كانت تمنى نفسها بأنه لن يحدث ، بل كان الأمل لديها يزداد كلما تذكرت شخصية دنيا المختلفة تماما عن فارس ، لماذا تمنيت ونسجت خيوط الأمل حول أمنية بعيدة لا يراها سواى ، ألقى قلبى فى بحر الأحلام فأستيقظ لأجد نفسى وقد غرقت قدماى فى لجة مظلمة ، أصرخ فلا يسمعنى أحد، أستغيث ولا مغيث لى إلا الله ، أمن الممكن أن يكون عقابا من الله ؟!.. هل ملك علي قلبى أكثر مما يجب ونسيت ربى ، قفزت المزيد من العبرات على وجنتيها ولكن هذه المرة كانت دموع من نوع آخر لها مذاق آخر.. مذاق محبب

****

وقف فارس أمام المرآة يتأنق ويتألق فى حلته السوداء وهو لا يصدق نفسه ،أخيراً سيزين أصبعها بخاتم الخطبة ، ألتفت ليجد والدته تقف على باب غرفته مبتسمة فى حنان وهى تقول:

- ماشاء الله زى القمر ... ياما كان نفسى أشوف اليوم ده من زمان

وبدموع الأمهات الحاضرة دائما اختلطت ابتسامتها بدموع سعادتها به ، توجه فارس إليها مسرعاً وقال بلهفة وضم رأسها وهو يقبله فى حب قائلا:

- ربنا يخليكى ليا يا ست الكل

أبعدها عنه برفق وهو يقول ببهجة:

- الواد عمرو جه ولا لسه

أنتبهت فجأه وكأنها قد نسيته فى خضم مشاعرها المختلطة وقالت:

- صحيح والله ده انا نسيته.. ده بره مستنيك

خرج فارس ليجد عمرو جالسا أمام التلفاز يقلب قنواته واضعاً ساقاً فوق الأخرى فهتف به وهو يضربه على كتفه:

- أيه يابنى انت قاعد على القهوة.. يلا اتأخرنا

ضحك عمرو وهو ينظر لوالدة فارس:

- مستعجل أوى على أيه .. بكره تندم يا جميل

ضربه فارس على كتفه وقال:

- طب بكره نتفرج عليك يوم خطوبتك يا أمور

ثم تابع بمكر :

- اه صحيح ساعتها مش هتبقى مستعجل.. ده البيت لزق فى البيت

ضحكت أم فارس بينما لكزة عمرو فى يده وهو يقول :

- خفيف أوى ياخويا

وما أن فتح الباب وكأنه قد فتح شلال ضرب وجوههم فجأة ، أندفعت مُهرة تجاههم تدفعهم تارة وتختبأ خلف فارس تارة أخرى وتتعلق بقدمه حتى كاد أن يسقط وهى تصيح:

- ماليش دعوة هاجى معاكوا الفرح

ووالدتها تجرى خلفها مسرعة وهى ممسكة بعصا صغيرة وتهتف بها بغضب:

- والله هتضربى يا مُهرة لو ابوكى عرف بعمايلك دى هيكسر عضمك

وضع فارس يديه بين مُهرة والدتها وهو يقول :

- فى أيه بس أيه الحكاية

قالت أم يحي بأحراج شديد :

- البت دى مش عارفة مالها كده.. مجننانى من يومها معلش متزعلش انا هقول لابوها

صرخت مُهرة من خلف فارس :

- أنا معملتش حاجة .. انا عاوزه اروح الفرح بس

تدخلت والدة فارس قائلة بحنان:

- خلاص علشان خاطرى يا ام يحيى متضربيهاش .. خليها تيجى معانا مفيهاش حاجة

قالت أم يحيى بخجل من مظهر ابنتها:

- مينفعش ام فارس مش شايفة منظرها

ألتفت عمرو وفارس ووالدته ليروها بوضوح لأول مرة منذ دخولها عليهم كالعاصفة ، هى كما هى بشعرها الأشعث دائما وغرتها المبعثرة على جبينها بغير هدى ولكن زاد عليها شىء واحد جعلهم يضحكون بغير توقف ، كانت تضع أحمر شفاه على شفاهها بطريقة جعلتها كمهرجين السيرك ، وقفت تضع يديها فى خصرها وتقول بحنق:

- بتضحكوا على ايه

قال عمرو وهو مازال يضحك:

- ايه اللى انتِ حاطاه على بؤك ده

تلمست مُهرة أحمر الشفاه بزهو وهى تقول بثقة كبيرة فى مظهرها:

- ده روش .. أنت متعرفش المكياش ولا أيه

ضحك الجميع وهم ينظرون إلى بعضهم البعض وقال فارس لعمرو :

- كسفتنا يا جاهل .. فى حد ميعرفش المكياش

هجمت والدتها عليها وأخذت بشعرها وجذبتها منه وهى تقول :

- والله ما هسيبك يا مُهرة لازم تضربى النهاردة

أبعدتها أم فارس عنها وخلصت شعر مُهرة من بين يدى والدتها وقالت بحسم:

- والله لتسبيها انا حلفت بالله .. وأيه رأيك بقى هتيجى معانا.. يالا خديها ولبسيها حاجة كويسة وسرحيلها شعرها

هتفت مُهرة بسعادة وهى تحتضن أرجل أم فارس، حاولت والدتها الإعتراض ولكن أم فارس حسمت الإمر بالقسم ، خرجت أم يحيى بصحبة مُهرة لتبدل لها ملابسها بينما نظرعمرو إلى فارس مداعبا وقال:

- بقولك ايه احنا ممكن نهرب من مُهرة ولا دى محدش بيعرف يروح منها فين

ضحكت أم فارس وقالت:

- طب والله البنت دى زى العسل محدش يعرفها أدى.. أنا هدخل اعملكوا شاى لحد ما تنزل

جلس فارس أمام التلفاز وهو يقول :

- وادى قاعدة ..منك لله يا مُهرة هتبقى السبب فى طلاقى فى يوم من الايام

ضحك عمرو وهو يقلب قنوات التلفاز فقال له فارس هامساً:

- مش ناوى بقى تتقدم انت كمان ولا ايه يا عم المهندس انت

جلس عمرو وظهرت علامات الشرود على وجهه قائلا:

- مش عارف يا فارس .. أولاً لسه فاضلى سنة فى الكلية ..ثانيًا مش متأكد منها .. خايف ترفضنى

ربت فارس على كتفه وقال بابتسامة :

- خلاص كلها السنة دى وتتخرج وهتبقى مهندس قد الدنيا وبعدين احنا جيران ومحدش يعرف عنك غير كل طيب هترفضك ليه بقى

زفر عمرو بضيق وهو يقول:

- مش عارف يا فارس قلقان بس مش أكتر

هتف فارس مداعباً:

- أنت هتعملى فيها بقى عندك دم وبتحب وكده

قفز عمرو من مكانه ووضع يده على فم فارس ليسكته قائلا:

- اسكت يابنى انت ..انت ايه عاوز تسيحلى وخلاص

خرجت أم فارس من المطبخ تحمل أكواب الشاى فتصنع عمرو انه يهندم ملابس فارس قائلا:

- لالا مظبوط متقلقش

بعد نصف ساعة كانت مُهرة تطرق باب الشقة بقوة وأزعاج أنتفض فارس ليفتح الباب وهو يقول:

- ايه يا بنتى ده.. ده انتِ خبطتك ولا خبطت المخبر

نظرت أم فارس لها بأعجاب وهى تقول :

- ماشاء الله.. أيه الفستان الحلو ده وايه الشعر الحلو ده

دارت مُهرة حول نفسها بأعجاب ليدور معها ذيل فستانها الوردى الرقيق وهى تقول:

- ده فستان العيد يا طنطى

وأشارت إلى حذائها بشغف وهى تقول:

- ودى جزمة العيد

قاطعها عمرو مداعبا :

- وطبعا ده شعر العيد مش كده

ضحك فارس ووالدته التى قالت :

- أخيرا شفتك مسرحة شعرك يا مُهرة ..

هتفت مُهرة بصياح:

- يلا بينا بقى أتأخرنا على الفرح

ثنى فارس ركبتيه بمرح وهو يمد يده إليها قائلا :

- يلا بينا يا عروستى

ضحكت بسعادة وهى تضع يدها فى يده بيد وتمسك بطرف فستانها باليد الأخرى وتقول:

- يلا يا عريسى

كان حفل الخطبة صغيرة وبسيطة وكأنها مقابلة عادية باستثناء صخب الموسيقى المرتفعة فى البيت وبعض باقات الورود فى أركان المنزل، ودنيا بفستانها الزهرى وزينتها الكاملة مما جعل فارس يشعر بالحرج بسبب وجود عمرو ورؤيته لها بهذا الشكل، كان فارس يجلس فى المنتصف بين والد دنيا ومُهرة وكان يلتفت إلى والد دنيا ويتحدث معه باهتمام بينما نهضت دنيا وجلست بجوار مُهرة وقالت بابتسامة صفراء:

- قومى يا حبيبتى اقعدى جنب ماما

رفعت مُهرة رأسها ونظرت لدنيا وهزت رأسها نفياً ولم ترد ، حاولت دنيا كتم غيظها وهى تعيد أمرها مرة أخرى:

- بقولك قومى يا شاطرة

هذه المرة لم تنظر لها مُهرة من الأصل وقالت ببرود:

- مسميش شاطرة

شعرت دنيا بالدماء تغلى فى رأسها وصاحت بعصبية:

- بقولك قومى

ألتفت فارس على صوت دنيا وقال بتساؤل:

- فى ايه يا دنيا

قالت بعصبية :

- البنت دى بتعند معايا ومبتسمعش الكلام انا كنت فاكراها مؤدبة زى ما كنت بتقول عنها

صاحت مُهرة بصوت يشبه البكاء :

- انا مؤدبة والشتيمه حرام.. واللى بيشتم الكلمة بتلف تلف وترجعله

والتفتت إلى فارس وهتفت به :

- مش انت قولتلى كده يا فارس

لف فارس ذراعه حول كتف مُهرة وهو يقول:

- ايوا يا حبيبتى صح بس وطى صوتك شوية.. ممكن؟

صاحت دنيا :

- أنت بتنصرها عليا يا فارس وكمان بتستأذنها

نظرت أم دنيا لمُهرة بحدة وقالت بغضب:

- أسمعى الكلام يا بنت

فركت مُهرة عينيها وهى تصيح :

- كده حرام.. ماما قالتلى عيب نشخط فى الضيوف

نهضت أم فارس وأخذت بيد مُهرة وهى تقول لدنيا:

- معلش يا دنيا هى متقصدش

ونظرت لمُهرة وهى تجذبها إليها بلطف قائلة:

- تعالى يا مُهرة اقعدى جنبى يا حبيبتى

تشبثت مُهرة بذراع فارس وقالت ببكاء :

- عاوزه اقعد جنب فارس

نهض والد دنيا ليحل المشكلة ويفض النزاع وأخذ بيد ابنته قائلا:

- تعالى اقعدى مكانى يا دنيا

جلست دنيا بجوار فارس على الجهة الأخرى وهى ترمق مُهرة بنظرات نارية

نهض عمرو وجلس بجوار مُهرة وانحنى على أذنها قائلا:

- تيجى نتفرج من البلكونة شوية

حركت كتفيها برفض وهى تمد شفتاها بغضب وتتشبث بذراع فارس أكثر فأمسك فارس بأصبعها المحطية بيده وبدأ فى تدليكها لتسترخى وتطمأن ، ظلت على هذا الوضع فترة من الوقت ومن الحين للآخر يربط فارس على شعرها أو يدها حتى وضعت رأسها على ذراعه المتشبثة بها وأغمضت عينيها ونامت.

****

حدث أول تنازل منه ووافق على طلب دنيا التى هاتفته وطلبت منه التنزه سويا قليلا ، رفض فى البداية ولكنه لم يستطع مقاومة ألحاحها المتكرر وحزنها الذى ظهر فى كلماتها وهى تتهمه بالتقصير تجاهها وعدم سعادته بارتباطهما أخيراً

ألتقى بها فى أحدى المتنزهات التى أعتادا اللقاء فيها وجلسا على المقعد المعتاد لهما أمام النيل مباشرة ، ألتفتت إليه وهى مبتسمة وقالت برقة:

- متقدرش تتصور وحشتنى ازاى

أبتلع ريقه وهو يتذكر كلمات بلال ، حاول السيطرة على مشاعره وهو يقول :

- علشان كده يا دنيا كنت عاوز أكتب الكتاب علشان اعرف اعبرلك عن مشاعرى براحتى

نظرت إليه بجرأة وتفحصت ملامحه التى تحبها وكأنها لم تسمعه وقالت برقة وهى تتلمس ذراعه بأطراف أصابعها :

- يعنى انا موحشتكش

أختلج قلبه للمستها وشعر بحراره تسرى فى جسده، غلبه شيطانه وهواه وهو يستمع لكلماتها الرقيقة التى تلقيها بدلال :

- ياه لمستك وحشتنى أوى

قالت عبارتها الأخيرة بطريقة لم يتحملها، أنهار معها كما تنهار أبواب السدود لتغمر الأرض العطشة بالمياة ونسي كل ما كان يحذره منه بلال، كان محقاً ، هو بشري وقدرته على الأحتمال محدودة ، فكانت النتيجة الحتمية هى التنازل واتباع هواه.

أمسك كفيها ببطء وهو ينظر لعينيها وتعانقت أصابعهما بعضها ببعض وذابت ما بقى بداخله من مقاومة... ومـر عـام

الفصل السادس

ومر عام يحمل فى طياته الكثير ، تتقلب فيه أمزجة البشر وأحوالهم وأحزانهم وأفراحهم ، كما تتقلب فصوله بين رعد الشتاء وحرارة صيفه وكآبة خريفه ونسيم الربيع وشذى عبير أزهاره ، هكذا هى الحياة لا تدوم على حال ، لا تعطى إلا وأخذت ، ولا تأخذ إلا وتمنح ، يشوبها دائما بعض الملل ، بعض الألم، بعض الوجوم ، بعض التنحى عن الحياة ، ولهذا هى دنيا ، متقلبة ، متجمدة ، تعلو وجهها ابتسامة مودعة، أو باقية، أوقد تكون ساخرة.

و فى نهاية العام ، كان الأنتظار هو أصعب شىء حقاً ، بل كان جبلاً يجثو على الصدور، يكاد يزهق الأرواح ، أنتظار القرار النهائى بعد مقابلات اختبارات وظيفة النيابة ، والتى كانت تنبأ عن التفاؤل أحيانا ، واليأس غالباً ، ولكن يشوبه بعض الأمل.

وبعد ظهر أحد الأيام عاد فارس إلى بيته ليجد الباب مفتوحاً وسمع من الخارج صوت جارتهم أم يحيى وهى تطلق الزغاريد ، قرع الجرس ودخل على أثره ليجد مُهرة فى استقبالة هاتفةً بسعادة وهى تسرع إليه مقبلة عليه :

- أنا نجحت يا فارس وجبت درجات كبيرة أوى .. هروح أولى أعدادى

لم يكن يستطيع أن يتفاعل معها كما عهدته فى هذه المناسبات ، أبتسم ابتسامة باهتة وهو يقول:

- ألف مبروك يا مُهرة

توقفت عن القفز وهى تنظر إليه بعينين حائرتين ووقفت والدته وقد تملكتها الدهشة هى الأخرى من رد فعله وقالت :

- مالك يا فارس؟

ثم قالت بتردد:

- هى نتيجة التعين طلعت؟!

أبتسم فارس وهو يقول بأجهاد:

- متقلقيش يا ماما لسه مطلعتش ..

ثم التفت إلى مُهرة وهو يحاول استعادة روحه السابقة معها قائلا:

- ها يا ستى عاوزه هدية ايه

أخفضت نظرها عنه وقالت بحزن:

- مش عاوزه حاجة

وخرجت مطأطأة رأسها تتبعها ووالدتها التى أغلقت الباب خلفها بهدوء ، شرع فارس فى الذهاب إلى غرفته ولكن والدته استوقفته قائلة:

- أنت متخانق مع خطيبتك

أستدار إليها بنفس الأبتسامة الباهتة وقال:

- ولا متخانق ولا حاجة .. بس تعبان شوية ومحتاج ارتاح

أم فارس:

- مش عادتك يعنى تعامل مُهرة كده.. ده انت كنت بتذاكرلها فى الامتحانات كأنها فى ثانوية عامة

أتجه إلى غرفته مرة أخرى وهو يقول:

- هنام شوية وقبل ما اروح المكتب هصالحها ان شاء الله

دخل غرفته وأغلق الباب خلفه وهى تنظر إلى الباب المغلق بدهشة ، أبدل ملابسه وألقى بجسده المرهق على فراشه وأغمض عينيه يطلب الأسترخاء قليلا ، ولكن من أين تأتى الراحة فقلبه غير مستقر، والقلب المجهد يجهد معه البدن دائما ، لا ينفك إلا فى التفكير فى حياته بعد يومين أو ثلاثة عند ظهور النتيجة ، كيف ستكون ، وماذا سيحدث إن تم رفضه

يجافيه النوم دائما عند الوصول لهذه النقطة الصماء، لا يريد التفكير فيما بعدها بل لا يريد التفكير فيها من الأصل، فى المساء وهو يغادر لعمله ذكرته والدته بمُهرة فأومأ برأسه موافقا ولكنه لم يكن لديه أى حماس للصعود إليها او مداعبتها كما كان يفعل، فتوجه للمكتب على الفور ، أنهى دبلومته التى عكف عليها والتى أهلته للدبلومة الثانية ولكنه لم يكن متحمسا بالشكل المطلوب ، فهو لم يحلم يوما بهذه الدرجات العلمية، بل كان حلمه الوحيد هو النيابة فإلى متى ستظل أحلامه كما هى أحكام القضاء أحيانا، مع وقف التنفيذ.

مرت شهور آخرى وبدأ فى دبلومته الثانية والحال هو الحال ، النتيجة لم تظهر بعد ، وهو يكاد يكون منفصلاً عن واقعه تماما ، حتى حانت اللحظة الفارقة واستدعاه الدكتور حمدى إلى حجرة مكتبه ، بمجرد وصوله للمكتب مساءاً طرق الباب ودخل بعد الأستأذان ، نظر إلى الدكتور حمدى نظرة متفحصة وهو يقول ببطء:

- فى حاجة يا دكتور

نهض الدكتور حمدى ووقف قبالته وتنحنح قائلا:

- نتيجه النيابة طلعت يا فارس .. أنا عرفتها النهاردة الصبح بس قلت لما اشوفك بالليل ابقى ابلغك

خفق قلب فارس وزادت نبضاته بقوة وشعر بألم فى جميع أجزاء جسده ومرت الثوان عليه ساعات وهو ينظر فى عينيى الدكتور حمدى اللتان كانتا خاليتان من أى علامات البشرى وهو يقول:

- كل شىء نصيب يا فارس .. وان شاء الله تلاقى نفسك فحاجة تانية

أصابه التبلد وعدم التصديق للحظات وهو يكرر:

- يعنى قبلونى ولا لاء

ربت الأستاذ حمدى على كتفه مشجعاً داعماً له وهو يقول:

- أنت أنجزت الدبلومة الأولى بسهولة ومشيت شوط كبير فى التانية وهتكمل الماجيستير ان شاء الله وبعدها الدكتوراة ومش هتحتاج النيابة دى خالص.. أنت ليك مستقبل كبير فى المحاماة وانا أصلا كنت مستخسرك فى حكاية النيابة دى

هوى فارس إلى أقرب مقعد وهو يشعر بأنه يهوى من فوق سبع سموات ، وكأن روحه فارقت جسده ، حلم جميل واستيقظ على واقعه المرير، زاغت عيناه بدون هدى، هتف بداخله ولكن هتافه أصاب شفتاه وهو يقول:

- طب ليه.. ليه .. أنا جايب التقديرات المطلوبة وجاوبت كل الأسئلة اللى اتسألتها فى المقابلات من غير ولا غلطة.. يبقى ليه طيب ليه

جلس الأستاذ حمدى بجواره وهو يشعر بالأسى لأجله وقال بشفقة:

- يابنى انت مش عايش فى البلد دى ولا أيه.. بصراحة يا فارس انا من الأول وانا متأكد من النتيجة حتى من غير ما تدخل الامتحانات.. مفيش حد بيتعين فى المهنة دى إلا اذا كان ليه واسطة جامده .. عم أو خال أو قريب وكيل نيابة .. وكمان مش أى وكيل نيابة.. ده لازم يبقى وكيل نيابة مرضى عنه يابنى

ألتفت إليه فارس بحدة قائلا:

- مرضى عنه من مين

نظر إليه الأستاذ حمدى قائلاً:

- يعنى مش عارف يا فارس !

واستدرك قائلا:

- وانا يابنى لو كان مرضى عنى كنت اتوسطلك .. بس انت عارف انى طول عمر راجل دوغرى ومش تبع حد .. وهما عاوزين حد تباعهم ..علشان كده كانت وسطتى هتضرك مش هتنفعك

وضع فارس وجهه بين كفيه وهو غير مصدق ما يسمع ، ها قد انهارت أحلامه على صخرة الفساد المتفشى فى المجتمع والذى توارثناه جيلاً بعد جيل حتى أصبح شىء طبيعى للغاية، فالعين عندما تعتاد على القبح لم تعد تراه قبيحًا بل لو رأت جمالاً بعده نفرت منه واستنكرته وقبحته ، بدون أرادة منه وجدت العبرات طريقها لعينيه أخيراً فزفر زفرة ساخنة يائسة وقال بصوت متحشرج:

- ليه يا دكتور مفهمتنيش كده من زمان

قال الأستاذ حمدى وهو يتطلع للفراغ بحزن:

- كان عندى أمل يابنى .. ومكنتش عاوز احبطك .. كنت فاكر ان ممكن حاجة تتغير لكن مع الأسف بالعكس ده الفساد بيزيد يوم عن يوم

ثم أردف قائلا:

- أتعمل عليك تحريات فى مكان سكنك..وكان من ضمن أسباب الرفض أنك ساكن فى مكان شعبى وليك صديق ملتحى

توقفت الدموع دفعة واحدة ونظر إليه مندهشاً قائلا باستنكار :

- طب وده يخليهم يرفضونى حتى لو كنت كفأ

أبتسم الدكتور حمدى ابتسامة خلت من أى تعبيروقال بسخرية مريرة:

- هو انت فاكر ان التعين بالكفاءة.. ده انت غلبان أوى.. يالا يابنى قوم وانسى كل حاجة وابدأ حياتك من جديد.. وأيه يعنى حلم يضيع ووراه أحلام تانية كتير.. يمكن تكون أفضل منه .

نهض فارس واقفاً بوهن وقال بصوت بعيد:

- ممكن أخد باقى اليوم أجازة يا دكتور.. أنا مش هعرف اركز فى شغل النهاردة

أومأ الأستاذ حمدى وهو يربت على كتفه بعطف قائلا:

- طب خلاص روح انت ارتاح ومتشلش هم

خرج فارس من حجرة الدكتور حمدى واجماً يتحاشى النظر لزملاءه فى مكتبه وهو يجمع بعض أوراقه الخاصة وهم يتابعونه بنظراتهم المتسائلة ، نهضت دنيا من خلف مكتبها واتجهت إليه وعلامات التساؤل والفضول تشع من عينيها ، أقتربت منه متسائلة:

- مالك يا فارس ايه اللى حصل جوى عند الدكتور

هز رأسه نفيا وهو يقول:

- مفيش حاجة يا دنيا ...

دنيا بأصرار:

- لاء..شكلك فى حاجة

زفر بضيق وقال بعصبية:

- بقولك مفيش..

طوى أوراقه وهو يقول:

- لما ارتاح شوية هبقى اكلمك فى التليفون ..سلام

وقفت تنظر إليه بدهشة واتجهت لتعود لمكتبها ، ولكن نورا لم تنتظر أكثر من هذا

تبعته للخارج ولحقت به عند المصعد وقبل أن يستقله سألته قائلة:

- أستنى يا أستاذ فارس

أستدار إليها بدهشة كبيرة ونظر إليها بصمت فقالت بتردد:

- الدكتور قالك حاجة زعلتك

هز رأسه نفيا لا يخلو من التعجب وقال:

- متشكر على سؤالك يا أستاذة .. محصلش حاجة انا بخير الحمد لله

وكاد أن يفتح باب المصعد ولكنها استوقفته مرة أخرى قائلة:

- موضوع النيابة مش كده؟

زادت دهشته ولكنها لم تنسيه ألمه بعد فقال حانقاً وهو يغادر :

- عن أذنك

أخذ المصعد طريقه للهبوط وهو بداخله وظلت هى تتابعه ببصرها فى حيرة منه ومن اندفاعها هكذا ، وأخذت تلوم نفسها بشدة وهى مازالت واقفة فى مكانها فى شرود وصمت أخرجها منه صوت دنيا التى قالت بشك:

- هو فى ايه

ألتفتت نورا إليها بعدم انتباه ولكنها استعادت وعيها سريعاً وقالت بلامبالاة وهى تعود أدراجها إلى المكتب مرة أخرى:

- مفيش حاجة يا دنيا ..عن أذنك

تابعتها دنيا ببصرها وهى تضيق عينيها بارتياب وتنقل بصرها بين نورا والمصعد ولكنها سرعان ما نفضت عن عقلها تلك الأفكار وعادت لعملها من جديد ولكنها لم تستطع أن تنفضها من قلبها.

لم يشعر إلى أين تأخذه قدميه ولكنه سار فى استسلام شديد لا يعلم كم قضى من ساعات ولكنه كان يمشى فقط فى اتجاه اللاشىء ، فقد الأحساس بالزمن وبمن يمر أمامه وحوله وخلفه لا يسمع لشىء ولا يرى شىء ، لم يرى إلا نظرات والدته المكسورة وهى تستمع للخبر ، لم يسمع إلا شهقات أصدقائه وجيرانه دهشةً ولوعةً عند معرفتهم بالخبر، ماذا سيقول لهم ، هل يقول لقد رفضونى من أجل حياتى بينكم وحبكم لى وحبى لكم ، ماذا سيقول لصورة والده المحتفظ بها فى غرفته تنتظر النتيجة بفارغ الصبر، هل يقول له عفواً والدى لقد رفضونى لأنهم لا ينظرون للكفاءة ولي صديقاً ملتحياً ، هل يقول لقد رفضونى لأنك يا والدى لست قاضياً أو ومستشاراً أو وكيل نيابة ، أو أنك ليس لك أخ أو قريب موالياً لهم يتوسط لى عندهم، وجد نفسه عائداً لمنزله ، كيف ومتى لا يعلم، ولكن من الواضح أن قدميه قد حفظت الطريق عن ظهر قلب فأشفقت عليه وحملته إلى بيته بدون توجيه منه

كان الوقت قد تعدى منتصف الليل فحمد الله أن الجميع نيام ولم يراه أحد وقرأ ما كتب على جبينه من شقاء ، دخل غرفته فى خفوت ولم يجرؤ على النظر لصورة والده التى يحتفظ بها بجانبه ، خاف أن ينظر إليها فيرى العبرات تقفز منها لتبلل وجهه وتخنقه وتغص حلقه وتشقيه ، فلقد شقى بما يكفى اليوم.

ظل يتقلب فى سهاده طوال الليل حتى كاد أن يلفظه فراشه ويطرده بعيدًا عنه ليظل خاليا للأبد ، فذلك أفضل له من هذا الحانق الغاضب الذى يرقد عليه دائما، بالكاد استطاع أن ينام بعد أذان الفجر ، بل ويغط فى نوم عميق ، ولكن أحلامه وكوابيسه طاردته حتى فى النوم ولم تتركه ينعم به.

أستيقظ فزعاً على صوت والدته التى كانت واقفة بجوار فراشه توقظه وتهتف به:

- قوم يا فارس قوم يابنى أتأخرت على شغلك الساعة بقت تسعة

تقلب على فراشه وقال دون أن يفتح عينيه :

- معنديش شغل النهاردة يا ماما

جلست على طرف فراشه بدهشة ممزوجة بالقلق وهى تقول:

- من أمتى بقى انت بتاخد أجازات.. مالك تعبان ولا أيه

وضع الوسادة على وجهه وهو يقول:

- مجهد بس شوية .. سيبينى اصحى براحتى لو سمحتى يا ماما

تركته والدته ، خرجت وأغلقت الباب خلفها ، توضأت وصلت الضحى وظلت تعمل بالبيت حتى الظهيرة وعندما دخلت المطبخ لتعد طعام الغذاء استمعت لرنين الهاتف فشعرت بأن المتصل ماهو إلا دنيا بالتاكيد فقررت تجاهله ولكن الرنين ظل متواصلاً بأصرار حتى اسمعت إلى صوت باب غرفة فارس يفتح وسمعته يجيب الأتصال فخرجت من المطبخ تنظرإليه وهو يتحدث :

- أنا فى البيت يا دنيا

- ده انت تعبان بجد بقى !

قال بتردد:

- لا أنا كويس بس ....

نظر إلى والدته وركز بصره عليها وهو يخشى من ردة الفعل وقال:

- الدكتور حمدى بلغنى انهم رفضونى فى النيابة

شهقت والدته وهى تضع يدها على صدرها واتسعت عينيىها بصدمة بينما وهتفت دنيا غير مصدقة:

- بتقول ايه يا فارس

قال مؤكداً وقد لمعت عيناه بالدموع وهو ينظر إلى والدته التى بدا عليها عدم الأتزان واستندت إلى الجدار بجوارها :

- بقولك رفضوا يا دنيا رفضونى

هتفت دنيا صارخة فى نفس اللحظة التى سقطت والدته فيها مغشياً عليها.

****

الفصل السابع

"ها يا دكتور ماما عاملة ايه"

نطق فارس هذه العبارة وهو يفرك يديه فى توتر بالغ و ينظر إلى الطبيب بقلق،دَون الطبيب أسماء بعض الأدوية فى ورقة من دفتره ثم فصلها وأعطاها لفارس قائلاً:

- متقلقش والدتك كويسة الحمد لله ..الضغط بس علي عليها شوية.. بس مفيش حاجة خطر الحمد لله

ألقى فارس نظرة على الورقة بيده فقال الطبيب متابعاً:

- دى أقراص بسيطة كده للضغط لازم تواظب عليها

خرج فارس بصحبة الطبيب من غرفة والدته وهو يقول متسائلاً:

- طب هى هتفوق أمتى يا دكتور

نهض عمرو واقفاً هو ووالدته وهو يستمع لحديث الطبيب الذى كان يجيب فارس قائلاً:

- أنا ادتها حقنة تنزل الضغط وهتفوق دلوقتى ان شاء الله ..متقلقش

خرج الطبيب من المنزل وأغلق فارس الباب خلفه واستدار فى مواجهة عمرو الذى قال بلهفة:

- خير يا فارس؟؟

جلس فارس وهو يقلب الروشتة بين يديه وكأنه فى عالم آخر وقال بشرود:

- الدكتور بيقول ضغط .. كنت متأكد أنها مش هتستحمل الصدمة

توجهت والدة عمرو داخل الغرفة التى كانت أم فارس ترقد بها وهى تقول بتبرم:

- ضغط أيه وبتاع أيه .. هو حد يصدق كلام الدكاترة

شد عمرو على يده قائلا:

- بسيطه يا فارس ان شاء الله.. متشيلش نفسك أكتر من كده.. أنت ملكش ذنب ..أنت كمان اتصدمت.. بس ولا يهمك انت مجال شغلك مفتوح وانت شاطر ....مش هتقفل على حكاية النيابة دى يعنى.. ركز بقى فى الماجيستير وبعده الدكتوراه وفى جوازك

أنتبه فارس لعبارة عمرو الأخيرة وتذكر دنيا التى تركها تصرخ على الهاتف وهرع إلى والدته ، سمعا صوت والدته تناديه بوهن :

- فارس يا فارس

نهضت أم فارس من فراشها بمساعدة والدة عمرو فى أثناء دخول فارس وعمرو الذى قال يداعبها:

- ألف سلامة عليكى يا بطة

حاولت أن تبتسم وهى تنظر إلى فارس ولكنها لم تستطع، ساعدها فارس على الجلوس مرة أخرى على الفراش وجلس بجوارها ، قبل رأسها وقد لمعت عيناه بالدموع وهو يقول انكسار:

- أنا آسف يا أمى أنا السبب فى اللى حصلك ده..لو كان بايدى كنت...

قاطعته والدته وهى تحاول صبغ صوتها بنبرة حاسمة:

- مش عاوزه اسمع منك الكلام ده تانى.. كل شىء نصيب .. أنا كل اللى يهمنى انك تبقى مبسوط ومرتاح ومش عاوزه حاجة تانية من الدنيا.. أنا يابنى لو كنت حاطة أمل على الشغلانة دى فده كان علشان كنت شايفاك متمسك بيها وبتحلم بيها لكن انا عن نفسى مفيش حاجة تفرق معايا ولا تريحنى غير سعادتك انت وبس .. سواء كنت محامى ولا مستشار

أنحنى فارس مقبلاً كفها وقد أعطته أمه دفعة لأن يتماسك أكثر وتتراجع دموعه وتجف قبل أن تظهر مرة أخرى وقال:

- ربنا يخليكى ليا يا ست الكل ربنا يديكى الصحة

سمع عمرو طرق خفيف على باب الشقة فقال وهو يخرج من الغرفة :

- أنا هروح اشوف مين .. ده أكيد حد من الجيران

توجه عمرو إلى الباب وفتحه ، نظر إليها غير مصدق وقال بدهشة:

- عزة!

خفضت عزة رأسها بخجل وتنحت جانباً فظهرت والدتها وأختها عبير من خلفها، حاول عمرو السيطرة على مشاعره وهو ينظر إليها وقال وهو يبتعد عن الباب:

- أتفضلوا

دخلت جارتهم أم عزة يتبعها الفتاتان وهى تقول بقلق:

- فى ايه يا بشمهندس.. ايه اللى حصل للست ام فارس

أشار إلى الغرفة قائلاً:

- الضغط بس علي عليها شوية .. أتفضلى هى جوى هنا ومعاها فارس

دخلت أم عزة مسرعة ووقفت عبير وعزة فى الخارج، حاول عمرو النظر إلى عزة مرة أخرى فخطف نظرة سريعة وهو يقول بابتسامة:

- أزيك يا أنسه عزة

شعرت عزة بالخجل لسؤاله أياها فقط ، بينما قالت عبير بدهشة ممزوجة بابتسامة خفيفة :

- كويسين الحمد لله

لا يعلم لماذا شعر بعاطفة كبيرة تجتاحه تجاهها بدون سابق أنذار وكأن وقوفها بقربة قد حرك مشاعره وزاد لهفته عليها وعلى الأرتباط بها، لقد تردد كثيراً وهو غير متأكد من سبب تردده ، كان يظن من وجهة نظرة أنها متعلقة بفارس ولكن لا دليل على ذلك ، وقد يكون أساء بها الظنون ولكن هل يترك الظن يتلاعب به أكثر من هذا ، شعر بالخوف عندما تذكر كلمات فارس له عندما أخبره بأنه ربما يتقدم لها شخصاً آخر وقد يقبله أهلها هل ينتظر لتضيع من بين يديه هكذا بسبب تردده وقلقه من شىء ليس له وجود ، عندما وصل لهذه النقطة شعر باندفاع لم يشعر به من قبل، ولم لا أحياناً يكون التهور هو الحل الوحيد لأنهاء ما يدور من صراعات بداخلنا.

كانت الفتاتان ينظران إليه وهو شارداً تماماً وكأنه فى عالم آخر وقد خرجت والدتهما بصحبة والدة عمرو ويتبعهم فارس وأمه التى كانت تستند على ساعده

وقالت لعمرو بامتنان:

- معلش يابنى تعبناك معانا

نظر إليها وكأنه لم يسمعها وصوب بصرة باتجاه والدة عزة وعبير، أخذ نفساً عميقاً وقال باندفاع :

- طنط انا بحب عزة وعاوز اتقدملها موافقة ولا لاء

ثم تنفس لاهثاً وكأن وحشاً كان يطارده ، صوب الجميع نظراتهم إليه ما بين دهشة وابتسامة واستنكار وحياء ، وأسرعت عزة بالخروج من الشقة ووجهها كحبة الطماطم وتبعتها عبير التى كانت تبتسم بسعادة ودهشة ، هتفت والدته به :

- أنت عبيط يا واد ولا أيه.. فى حد يطلب طلب زى ده قدام البنات كده ..مش فى أصول؟!

بينما ابتسمت والدة عزة وقالت موجهة كلامها لأم عمرو:

- عبيط ليه بس يا ام عمرو هو قال حاجة عيب.. هو بس استعجل شوية

ضحك فارس متناسياً همومه وهو يقول:

- يخرب عقلك يا عمرو انا كنت اعرف انك مجنون بس مش للدرجة دى

وأخيرا قال عمرو حانقاً:

- يعنى هى دى المشكلة دلوقتى .. خلاص انا آسف بس انا مصمم على طلبى على فكرة ومش هتنازل عنه

ونظر إلى أم عزة قائلاً برجاء :

- أنا صحيح لسه متخرج من كام شهر بس ان شاء الله هشتغل قريب.. أنا بس عاوز يبقى فى كلام رسمى يعنى علشان محدش يسبقنى

أكد فارس كلام صديقه وقال بثقة:

- ان شاء الله كام يوم وعمرو يروح يعمل مقابلة فى شركة هندسية بتاعة أخت الدكتور حمدى ..

نظر له عمرو بدهشة فأومأ فارس برأسه مؤكداً وقال:

- أنا كلمتلك الدكتور من يومين تقريبا .. بس اتلخمت فى اللى حصلى ونسيت اقولك

ثم نظر فارس إلى أم عزة وقال:

- الدكتور حمدى أكدلى حكاية الشغل دى يا طنط

قاطعهم صوت جرس الباب المفتوح ، نظر فارس تجاهه فوجد دنيا تقف بزاوية من الباب وتنقل نظرها بينهم بتوتر ، شعر بالدهشة وهو مقبل عليها حتى وقف أمامها وهو يشير إليها بالدخول قائلاً:

- تعإلى يا دنيا أتفضلى

قالت والدته معرفة أياها لهن:

- دى دنيا خطيبة فارس

أستأذن الجميع بالأنصراف وجلست دنيا وهى تنظر لوالدة فارس قائلة:

- حمد لله على سلامتك يا طنط

- الله يسلمك يا بنتى

نظر إليها فارس تدور تساؤلات كثيرة بعقله وتظهرها عينيه وقال:

- عرفتى منين ان ماما تعبانة

قالت بتوتر:

- قابلت عزة تحت وانا طالعة وقالتلى

لاحت ابتسامة سخرية على شفتى أم فارس وقد علمت أن دنيا قد أتت لشىء آخر ولاحظت نظرات التوتر فى عينيها فقالت وهى تنهض :

- طب عن اذنك يا بنتى هقوم ارتاح شوية

وقالت موجهةً حديثها لفارس:

- قوم يابنى قدملها حاجة

وتركتهم وتوجهت لغرفتها

وقف فارس قائلاً:

- هعملك شاى معايا

أشارت إليه وقد نهضت هى الأخرى فى مقابلته وقالت محاولة السيطرة على نبرة صوتها:

- الكلام اللى قلتهولى فى التليفون ده صحيح يا فارس

جلس مرة أخرى وقال دون أن ينظر إليها:

- هو الكلام حد يهزر فيه يا دنيا

سقطت العبرات من عينيها وقد تأكد لديها الخبر وقد كانت تتمنى أن يكون مازحاً أو ما شابه لقد سقطت أحلامها وهوت وانسلت من بين يديها ، كانت تهوى جمع حبها بفارس مع

منصبه الرفيع الذى كان يحلم به وقد جعلها تتعلق به معه وتراه ليل نهار وتضع نفسها بجانبه داخل هذا البرواز المزركش المرصع بالمنصب والمستوى المرتفع والكلمة المسموعة ،قالت بحزن وكأنها تهزى:

- يعنى أيه .. حلم السنين راح خلاص ..كل حاجة راحت من بين أيديا

نظر إليها وقد عاوده شعوره بالندم والإنكسار مع كلماتها المؤنبة وقال محاولاً أضفاء بعض الأمل على قلبها:

- لا مش كله.. أنا فاضلى كام شهر واخلص الدبلومة التانية وابدأ فى الماجيستير وان شاء الله بعدها الدكتوراة

أستطردت مقاطعةً أياه قائلة:

- وهتفرق فى أيه ماجيستير ولا حتى دكتوراة .. برضة فى الآخر شغال بمرتب عند الأستاذ حمدى

تنفس بعمق وهو يستمع لكلماتها تشق قلبه بحروفها الحادة وقال :

- لا ما انا فى يوم من الأيام هفتح مكتب إن شاء الله وساعتها الدرجات العلمية دى هتنفعنى اوى فى شغلى

لاحت ابتسامة سخرية على شفتيها وهى تقول:

- اه ..فى يوم من الأيام

لم يعد قادراً على التحمل وكل كلمة من كلماتها تنغمس بين ضلوعه لترديه يائساً وبعنف فنهض بحدة وقال:

- أنا كنت فاكرك هتقفى جنبى يا دنيا وتشجعينى أواصل طريقى ..أه صحيح كده الطريق هيطول شوية.. بس فى الآخر هنوصل ان شاء الله

نظر إليها فوجدها واجمة صامتة فجلس بقربها وأخذ كفها بين راحتيه قائلاً:

- أنا مش عاوزك تيأسى كده .. فاكرة لما كنتِ بتقوليلى أنا واثقة انك هتوصل يا فارس انت جواك عزيمة توصلك المريخ.. فاكرة؟!

أبتسمت بضعف وهى تومأ برأسها وتقول:

- فاكرة

قال مشجعاً:

- يبقى تقفى جانبى لحد ما نوصل سوا

نظرت إليه بعينين زائغتين وقالت:

- وانت فاكر ان أهلى هيوافقوا اقعد استناك كل ده .. لحد ما تجيب مكتب وبعدين تجيب شقة ونفرشها بالمرتب اللى بتاخده من مكتب الأستاذ حمدى

قال باستنكار:

- وشقه ليه مش احنا متفقين هنعيش هنا مع ماما..وهى معندهاش مانع .. وهنيجى على نفسنا شوية وممكن أوى نأجر شقة تنفع مكتب مش لازم نشترى يعنى كفاية الإيجار.. وبكده يبقى جمعنا بين الجواز والمكتب فى نفس الوقت

صمتت وطال صمتها فحثها قائلاً:

- ردى عليا

مطت شفتيها وقالت بضيق:

- أنا لازم أمشى دلوقتى انا اتأخرت أوى

****

صاحت أمها فى وجهها وهى تقول:

- مش أنا قلتلك الواد ده هيفضل طول عمره فقرى..أنتِ اللى صممتى تتخطبى ليه مش عارفة .. وفى الآخر كلامى طلع هو اللى صح وعاوز ياخدك تعيشى معاه عند أمه فى الحارة وتستنى بقى لما يبقى يفتح مكتب

بللت العبرات وجنتيها وقالت باختناق:

- كفاية يا ماما كفاية .. اللى فيا مكفينى أرجوكِ

****

وقف عمرو أمام هذا المبنى الكبير الكائن فى أحد الأحياء الراقية فى قلب القاهرة وتنقلت عيناه بين اللافتات الكثيرة ، ما بين لافتات عيادات أطباء كبار وبين شركات متنوعة أستيراد وتصدير ومقاولات وشركات هندسية ، وهنا توقف نظرة عند أحدى اللافتات الكبيرة والتى

من الواضح أنها تحتل أكثر من ثلاثة طوابق فى المبنى الكبير، مشى ببطء داخل ردهة الشركة يتأمل الفخامة والديكور المميز الذى يدل على ذوق رفيع وبذخ فى الإنفاق ، ظل يجول ببصره حتى سمع صوت أنثوى يقول بلباقة :

- أهلا وسهلا يا فندم أقدر أساعد حضرتك أزاى ؟

أنتبه على صوت موظفة الأستقبال ونظر إليها متفاجأ وقالال:

- هه..اه..أنا المهندس عمرو..عندى معاد النهاردة مع المهندسة إلهام

أبتسمت السكرتيرة بروتينية وهى ترفع سماعة الهاتف وتضغط أحد الازرار متحدثة لثوان ثم أعادت سماعة الهاتف مكانها وأرشدته إلى مكتب مديرة الشركة ، وصل عمرو إلى مكتب سكرتيرة المهندسة إلهام والتى نهضت بابتسامة خفيفة وهى ترحب به وتنهض لتسير أمامه مشيرة للداخل ، فتحت الباب الآخر وأشارت له بالدخول بابتسامة قائلة :

- أتفضل يا بشمهندس

وانسحبت مغلقة الباب خلفها، خطى عمرو داخل المكتب الفخم وهو ينظر حوله ثم إلى تلك المرأة القابعة خلف مكتبها تنظر له بابتسامة وعينين متفحصتين ، مدت يدها وصافحته قائلة:

- أهلا وسهلا يا بشمهندس ..أتفضل

ثم قامت بالتعريف بشخصها قائلة:

- أنا البشمهندسة إلهام مديرة الشركة

أبتسم عمرو وهو ينظر إليها بترقب ، كانت امرأة فى العقد الرابع من عمرها شارف الزمان على طوى نضارة شبابها ولكن من الواضح أنها تعانده بشدة وتصر على محاربة الأيام بالأزياء الحديثة التى لا تليق بعمرها والزينة المُتكلفة التى هى سلاحها الدائم فى هذه المعركة و من الواضح أنها قاتلت فيها باستماتة فلم تخسر منها الكثير، كانت نظرته إليها استكشافية لم تخلو من الفضول ولكن نظراتها هى قد تبدو مختلفة ومتباينة أكثر وذات معنى لم يفهمه عمرو للتو ، وأخيراً تكلمت وهى تتلاعب بملفه الخاص بين أصابعها قائلة:

- مش ناقصك غير الخبرة ..ودى سهلة أوى

أبتسم عمرو بإشراق وقد تيقن من تعيينه بينما بدأت إلهام مناقشته فى طبيعة عمله لدقائق أخرى ثم ضغطت أزرار هاتفها قائلة وهى عيناها لا تفارق عمرو :

- أبعتيلى أستاذ صلاح بسرعة

أغلقت الهاتف وهى مازالت تتفحصه بابتسامتها المستكشفة ، شعر عمرو بالحرج فقال:

- طيب أنا ممكن استنى بره مش عاوز اعطل حضرتك اكتر من كده

أنتبهت لعلامات الحرج التى ظهرت على ملامحه فعادوت النظر إلى ملفه مرة أخرى وهى تغلقه قائلة:

- الأستاذ صلاح هيجى دلوقتى علشان يوريك مكتبك ويعرفك على زمايلك فيه

طرق الباب ودخل صلاح ، رجل فى أواخر العقد الخامس من عمره ، يظهر عليه الوقار والنشاط فى نفس الوقت ، دخل وهو يرمق عمرو بنظرات خالية من أى تعبير موجهاً حديثه لإلهام ، فقالت بترفع وهى تشير إلى عمرو:

- البشمهندس عمرو مهندس مدنى هيبدأ معانا من النهاردة

أومأ برأسه لها ثم نظر إلى عمرو بابتسامة ودودة قائلاً:

- أهلا بيك يا بشمهندس أتفضل معايا

نهض عمرو شاكراً أياها وتوجه فى سرعة للخارج وكأنه يهرب من وحش نظراتها الملتهمة ، دخل حجرة مكتبه بصحبة صلاح الذى قال :

- إن شاء الله الشغل ترتاح فى الشغل معانا يا بشمهندس

رفع الزملاء نظرهم إلى القادم الجديد فأشار صلاح إليه قائلاً:

- البشمهندس عمرو هيبقى معاكوا فى المكتب من النهاردة

ثم قام بتعريفهم لديه قائلا:

- البشمهندس أحمد.. البشمهندس نادر

صافح عمرو زملاءه فى ترحاب شديد، شعر به مع أحمد وبعكسه تجاه نادر الذى صافحه ببرود وهو يبسم له بتهكم ، لم يوله عمرو اهتمام وجلس خلف مكتبه وهو ينظر له وللكمبيوتر الخاص به بنشوة وسعادة ..كانت هذه هى المرة الأولى التى يشاهد فيها الكمبيوتر خارج أسوار الجامعة فهو لم يكن قد انتشر فى هذا الوقت ليصل للجميع بعد.

****

ذهب فارس لصلاة الجمعة فى المسجد الذى اعتاد ارتياده والصلاة فيه وكان فى داخله يتمنى لقاء الشيخ بلال ليتكلم معه ويحكى له ما يجيش بصدره لعله يجد لديه الراحة التى يتلمسها فى كلماته دائماً ، وبالفعل عقب انتهاء الصلاة قام يبحث عنه ووجده فى ركن من المسجد يتحدث إلى بعض الشباب ويتمازح معهم بود ويهاديهم ببعض أعواد الأراك وزجاجات المسك الصغيرة التى يحملها دائماً فى جيبه والتى تبعث له دائماً رائحة محببة لكل من يقف بجواره أو يمر بجانبه ، وقف ينتظره حتى انتهى من حديثه معهم وعندما لمحه بلال ابتسم وأقبل عليه فرحاً وصافحه بحرارة قائلاً:

- واحشنى والله يا فارس.. أيه يابنى مبقناش نشوفك ليه

ودون أن يدرى انسابت عبراته بهدوء وقال بصوت خفيض :

- أنا محتاجك أوى يا بلال

جلسا إلى أحد أركان المسجد وقال بلال وقد هاله رؤية فارس وعبراته ويستمع إلى صوت آلمه وأحزانه ويأسه وأطرق برأسه أسفاً وهو يسمع منه تجاوزاته التى كانت تحدث بينه وبين خطيبته دنيا ومخالفته لوعده معه من قبل ، ظل يستمع إليه فى أنصات شديد حتى انتهى ، كان فارس يظن أن بلال سيجيبه ببعض المواساة وربما بعض التقريع أيضا ولكنه وجده يبتسم قائلاً:

- أنا هحكيلك حكاية يا فارس عاوزك تسمعها بقلبك قبل ودنك ..أتفقنا

أومأ فارس برأسه و بدأ بلال فى سرد حكاية عن أحد التابعين قائلاً:

- رجل يُدعى أبا نصر الصياد ، يعيش مع زوجته وابنه في فقر شديد - مشى في الطريق ذات يوم مهموما مغموما ً، يسأل الله تعالى الفرج والرزق الحلال فزوجته وابنه يتضوران جوعاً.
مر على شيخه أحمد بن مسكين' يقول له أنا متعب يا سيدي..
وقرأ التابعي في وجه تلميذه ما يعانيه ، فقال له اتبعني إلى البحر

فانطلقا إليه، وقال له الشيخ – راغباً في لجوء مريده إلى الله تعالى : " صلّ ركعتين على نية التيسير" واسأل الله تعالى الرزق الحلال الطيب ..فصلى ، ثم قال له : "سم الله " ، - فكل شيئ بأمر الله .. فقالها . .. ثم رمى الشبكة ، فخرجت بسمكة عظيمة . ... قال له "بعها واشتر بثمنها طعاماً لأهلك ."
فانطلق إلى السوق يبيعها ، واشترى فطيرتين إحداهما باللحم والأخرى بالحلوى وقرر أن

يعود إلى الشيخ فيقدم إحداهما له اعترافاً بصنيعه .. .
رد الشيخ الفطيرة قائلاً : هي لك ولعيالك ، ثم أردف : " لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة "

وفي الطريق إلى بيته قابل امرأة تبكي من الجوع ومعها طفلها، فنظرا إلى الفطيرتين في يده وقال في نفسه هذه المرأة وابنها مثل زوجتي وابني يتضوران جوعاً فماذا افعل ؟
ونظر إلى عيني المرأة فلم يحتمل رؤية الدموع فيهما، فقدمهما لها قائلاً:
- الفطيرتان لكما..
ظهر الفرح والسرور على محياها ، وسعد ابنها سعادة رقصت لها أسارير وجهه ..
وعاد أبو نصر يفكر بولده وزوجته.

ما إن سار حتى سمع رجلاً ينادي من يدل على أبي نصر الصياد؟
فدله الناس على الرجل.. فقال له إن أباك كان قد أقرضني مالاً منذ عشرين سنة ثم مات ، خذ يا بني هذه الثلاثين ألف درهم فهو مال أبيك .

يقول أبو نصر الصياد
وتحولت غنياً بإذن الله تعالى وكثر مالي ، و ملكت البيوت وفاضت تجارتي ، وصرت أتصدق بالألف درهم في المرة الواحدة في شكرالله تعالى..
ومرت الأيام ، وأنا أكثر من الصدقات حتى أعجبتني نفسي !!

وفي ليلة من الليالي رأيت في المنام أن الميزان قد وضع ونادى مناد : أبا نصر الصياد هلم لوزن حسناتك وسيئاتك ، فوضعت حسناتي ووضعت سيئاتي، فرجحت السيئات..
فقلت أين الأموال التي تصدقت بها ؟ فوضعت الأموال، فإذا تحت كل ألف درهم شهوة نفس أو إعجاب بصنيع كأنه لفافة من القطن لا تساوي شيئاً، ورجحت السيئات
وبكيَت .. بكيت حتى كادت نفسي تذهب وأحشائي تتقطع . وقلت ما النجاة ؟
وسمعت المنادي يقول : هل بقى له من شيء ؟
فأسمع الملك يقول: نعم بقيت له رقاقتان...
وتوضع الرقاقتان (الفطيرتان) في كفة الحسنات ، فتهبط كفة الحسنات حتى تساوت مع كفة السيئات.
فبقيت خائفاً .. وأسمع المنادي مرة أخرى يقول: هل بقى له من شيء؟ فأسمع الملك يقول:

بقى له شيء
قلت: ما هو؟...
قيل له: دموع المرأة حين أعطيتها الرقاقتين.
فوزنت الدموع، فإذا بها كالحجر الصقيل وزناً .فثقلت كفة الحسنات، ففرحت فرحاً شديداً ..
وأسمع المنادي كرة أخرى يقول: هل بقى له من شيء؟
فقيل: نعم ابتسامة الطفل الصغير حين أعطيَت أمُه الرقاقتان...
وترجح كفة الحسنات...و ترجح ...وترجح ..
وأسمع المنادي يقول: لقد نجا ... لقد نجا
فاستيقظت من النوم فزعا أقول ما قاله لي أحمد بن مسكين حين رد إليّ إحدى الفطيرتين : لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة .

أنهى بلال حكايته قائلاً:

- فهمت اللى عاوز اقوله يا فارس

كان فارس يستمع وهو يشعر بالفهم يغزو قلبه ، وكلما سمع وانصت كلما شعر بالرضا، وفهم مالم يفهم من قبل وقال:

- فهمت يا بلال.. أنا كنت عايش علشان نفسى وأحلامى وبس .. وعلشان كده خدت على قد ما قدمت.

****

الفصل الثامن

عاد فارس أدراجه إلى منزله وهو شارداً فى كلام صديقه بلال وأخذ يسمعه يصدح فى عقله ويتردد صداه بداخله مرات ومرات " ربنا بيحبك انه ابتلاك فى الدنيا علشان يفوقك وترجعله.. أحسن ما كان الحساب يجمع فى الآخرة .. وانا مش هتكلم كتير.. أنا هقولك حديث النبى صلى الله عليه وسلم "و إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"

عاد من شروده إلى أرض الواقع دفعة واحدة عندما اصطدم بمهرة التى كانت تعبر بوابة بنايتهم وهى تبكى بشدة وتفرك عينيها ، حاول أن يحدثها ولكنها أسرعت للداخل فى غضب ، لحق بها ووقف يسد الطريق أمامها وقال بأسف حقيقى:

- متزعليش بقى خلى قلبك ابيض.. ده احنا اصحاب من زمان يعنى

صاحت وهى تبكى:

- برضة مخصماك ومش هكلمك .. وانا قلبى مش بيضا

ضحك وهو يقول:

- لاء انتِ قلبك بيضا انا عارف

جلس على أول درجة من السلم ليمنعها من العبور واستند برأسه على قبضته وقال بحزن:

- ولو مصلحتنيش هفضل زعلان على طول

نظرت له نظرة جانبيه وهى تقاوم تعاطفها معه إلى ان استسلمت فى النهاية قائلة بضجر :

- خلاص متزعلش

ضحك براحة ثم قال مستدركاً:

- قوليلى بقى كنتِ بتعيطى ليه؟!

مطت شفتاها وهى تقول بحزن:

- كنت رايحة ألعب مع البنات فى الشارع اللى ورانا بس مرضيوش يلعبونى وقالولى انتِ أوزعة وصغيرة .. قعدت احلفلهم انى عندى ١١سنة بس محدش صدقنى

ونظرت إليه وقد اغرورقت عيناها بالدموع وهى تقول:

- مش بحب حد يقول عليا كدابة

حركت دموعها وطريقة بكاؤها أشجانه وقال فى عطف مغلف بالحسم:

- متروحيش تلعبى معاهم تانى ولما حد يضايقك متعيطيش أبدا خليكى قوية .. اللى مش مصدقك عنه ما صدقك

أنهمرت دموعها وهى تستمع إليه ثم قالت:

- وانا ذنبى ايه انى شكلى أصغر منهم ..حتى صحابى فى المدرسة بيضحكوا عليا

لا يعلم فارس لماذا ذكرته بنفسه وبحاله ، تذكر كلماته مع الدكتور حمدى وهو يقول له " طب وانا ذنبى أيه انى ساكن فى مكان زى ده و ماليش واسطة " ، شعر أنه لابد أن يعلمها درساً ، لا بل يريد أن يلقن نفسه هذا الدرس أولاً ، نظر لها بجدية وقال:

- شوفى يا مهرة.. أنتِ أه شكلك اصغر من سنك .. لكن انتِ ذكية جدا وكل الناس بتحبك .. وتقدرى تتفوقى وتبقى أشطر منهم كلهم .. ولما تكبرى هتبقى أحسن منهم كلهم إن شاء الله لما تتفوقى عليهم بعقلك مش بشكلك ولابجسمك .. ذاكرى وابذلى مجهود كبير وخلى المدرسين يعجبوا بيكى وبشطارتك ويحبوكى ..هتلاقى صحابك فى المدرسة هما اللى عاوزين يصاحبوكى ويلعبوا معاكى ويذاكروا معاكى كمان علشان يتعلموا منك.. أنتِ تقدرى تغيرى مستقبلك بعقلك ومجهودك مش بطولك ولا بشكلك.

نظر فى عينيها التى كانت تنظر له باهتمام وأنصات وتحاول استيعاب كلماته وقال:

- فهمتينى يا مهرة

حركت رأسها موافقةً ببراءه وهى تقول:

- فهمت

شعر بأنتشاء شديد يغزو كل كيانه وكأنه رسم صورة ذهنية لعقله ووضع فيها كل ما يحب أن يضع، كل فى مكانه تماماً ، سيأخذ بالأسباب ويجتهد ، وفى نفس الوقت ستكون الآخرة هى غايته وليس الدنيا كما كان يفعل من قبل ، لن يجعل أحلامه تطغى على كل شىء وكل شخص حوله كما كان يفعل سابقاً .

***

جلست عبير بجوار أختها عزة وهى تتفحصها قائلة:

- يعنى مردتيش يا عزة على كلام ماما

نظرت لها عزة فى توتر وهى تقول :

- أقول أيه بس يا عبير .. أصلا بابا مش هيوافق

تدخلت والدتها قائلة:

- أختك بتسألك على رأيك مش على رأى ابوكى

فركت عزة كفيها فى توتر شديد وقالت بتلعثم:

- أنا أصلى اتفاجأت ومحتاجة وقت افكر يا ماما

أرتسمت علامات الغضب على وجه والدتها وهى تهتف بها:

- تفكرى فى أيه.. هو عمرو غريب عاوزه تعرفى أخلاقه ؟ ولا مش عارفين أهله !

أنكمشت عزة من ردة فعل والدتها الغاضبة وأحمر وجهها ولاذت بالصمت فنهضت عبير وهى تقول لوالدتها:

- معلش يا ماما سيبيها دلوقتى .. من حقها تفكر برضة

نهضت والدتهما فى تبرم وهى تتمتم:

- بنات آخر زمن

أغلقت عبير باب غرفتهم واقتربت من أختها وجلست بجوارها وهى تضع ذراعها على كتفيها وقالت بحب:

- أنا حاسة بيكى يا عزة.. متفتكريش ان محدش حاسس بيكى

تسللت دمعة خارج مقلتيها معلنة عن قلق وخوف واضح وهى تقول بخفوت:

- لا يا عبير مش اللى فى دماغك سبب ترددى

أبتسمت عبير وهى تمسح عبرتها بأناملها وقالت بحنان:

- مش مهم أيه السبب.. المهم اننا نعرف رأيك فى عمرو.. طيب انتِ حاسة بقبول ناحيته ؟

أبتعلت ريقها بصعوبة وقالت:

- عادى يا عبير مش حاسة برفض ولا بقبول عادى .. أنا أصلا طول عمرى بتعامل مع عمرو على أنه اخويا مش أكتر

أبتسمت عبير وهى تقول :

- طب أيه رأيك لو بابا وافق تدى لنفسك فرصة وتبدأى تعامليه بطريقة مختلفة

ثم ضحكت وهى تتذكره وقالت:

- وبصراحة الطريقة المجنونة اللى طلبك بيها تخلينى متأكدة أنه هيقدر يخليكى تحبيه .. أديله و ادى لنفسك فرصة

لوحت عزة بيدها متبرمة وهى تقول:

- بتكلمى كأن بابا وافق خلاص

شعرت عبير بمزيج مختلط من المشاعر وهى تقول :

- ملكيش دعوة بـ بابا .. بابا كان دايما يشكر فى عمرو وهو لو رفض يبقى مفيش غير سبب واحد وانا ان شاء الله كفيلة انى اقنعه

ثم نظرت لعينيها بعمق وهى تقول:

- أخلصى بقى من المشاعر السلبية اللى كابسة على نفسك دى.. واللى مخلياكى مش عارفة راسك من رجلك ومأجله حياتك كلها بسببها.. وصدقينى مفيش حاجة هتخرجك من الدوامة دى غير عمرو ..انا متأكدة

رفعت عزة كتفيها وهى تنظر لعبير بدهشة قائلة:

- ومالك متأكدة كده ليه

ضحكت عبير وقالت:

- منا لسه قايلالك.. مجنون وبيحبك وزى ما ماما قالت كده عنده استعداد يفضل يلف ورا بابا لحد ما يقنعه .. يعنى مُصر عليكى يعنى من الآخر كده رخم وهتحبيه يعنى هتحبيه .

****

خرج باسم من حجرة مكتبه وقال موجهاً حديثه لـ دنيا:

- تعالى شوية يا أستاذة دنيا لو سمحتى

نهضت دنيا وهى تحاول أن لا تصطدم بنظرات فارس المحذرة وتوجهت إلى حجرة مكتبه ولكنها لم تنسى تنبيهات فارس لها سابقاً بأن تترك الباب مفتوحاً ، جلست أمامه بتساؤل وكانت تتوقع بحكم عمله كمسؤول عن ملفات القضايا فى المكتب أن يكون الحديث حول ذلك ولكنها وجدته ينظر لها مبتسماً وهو يقول:

- أنا هفتح مكتب خاص بيا

تعجبت للحظات وهى تنظر إليه بدهشة ، فما شأنها بذلك ، ثم قالت بتباطؤ:

- مبروك يا أستاذ باسم .. بس انا أيه دخلى فى الموضوع

أتسعت ابتسامته أكثر وهو يتفحصها بجرأة ويقول:

- أنا عاوزك تيجى تشتغلى معايا

باغتها بطلبه فارتبكت وصمتت برهة لتفكر فى الأمر فقطع شرودها قائلاً:

- هو انتِ مرتبك هنا كام؟

علت دهشتها وقالت بسرعة:

- حضرتك أكيد عارف

فأومأ برأسه وقال بثقة:

- مرتبك عندى هيبقى ضعف مرتبك هنا ٣ مرات..ها قولتى أيه

ثم استدرك قائلا :

- بس ده فى الأول .. لكن بعد ما تاخدى خبرة .. ممكن يبقى ليكى نسبة فى القضايا وانتِ وشطارتك

أدارت عبارته رأسها وتسائلت:

- وحضرتك اخترتنى أنا ليه بالذات

قال بجرأة وصراحة:

- عجبتينى

قالت دنيا باستنكار:

- عجبتك يعنى أيه

رمم عبارته المتصدعة وحاول أن يجعلها أكثر تهذيباً وقال:

- قصدى يعنى بيعجبنى طموحك العالى .. و اللى هيموت فى المكتب ده وبالمرتب اللى بتقبضيه هنا

صمتت وهى تنظر أمامها بشرود ، تفكر فيما يقول ، فقال مؤكدًا :

- معايا ممكن فى يوم من الأيام تحطى يافطة بأسمك جنب يافطتى.. ويبقى ليكى مكتب خاص تستقبلى فيه زباينك .. موافقة؟

نهضت واجمة وهى تقول ببطء:

- أدينى فرصة افكر

فقال موافقاً:

- فكرى براحتك ..عموما انا لسه قدامى مش أقل من شهرين تلاتة علشان انقل شغلى هناك

***

وقفت بجواره لتستقل سيارة أجرة كما تفعل دائما، لا يرحل قبل أن يطمئن عليها ، وضع بعض الحدود بينهما فى التعامل فى حدود علاقة الخطبة التى تربط بينهما ولكنه لم يستطع الأنتظار أكثر من هذا ، أنها لم تجبه ولم تعطى قرارها حتى هذه اللحظة ، ألتفت إليها قائلا بجدية:

- مردتيش عليا لحد دلوقتى فى موضوع كتب الكتاب

زفرت بضيق قائلة:

- أنا مش عارفة أنت مستعجل كده ليه.. أنا وافقت على كل كلامك اللى قلته.. مبقناش نتكلم ولا نتقابل حتى النظرة مبقتش تبصهالى وانا كل ده متكلمتش ووافقتك... أيه المطلوب مني تانى

شعر بكلماتها تقطر حنقاً وضيقاً من هذا الوضع فقال مؤكداً:

- ماهو علشان كده أنا مستعجل على كتب الكتاب

نظرت فى ساعة يدها تستعجل الوقت وهى تقول :

- مش هينفع يا فارس كتب كتاب دلوقتى خالص .. نستنى شوية لما ظروفنا تتحسن.. وكمان فاضلك شهرين تقريبا وتخلص الدبلومة وتبدأ فى الماجستير.. ركز بقى وحاول تخلصها بدرى ولما تخلصها يا سيدى نبقى نشوف هنعمل ايه.. أنا مش عارفة انت قلقان ليه كده !

***

أنكمشت فى فراشها كما تفعل دائما عندما تواجهها مشكلة ما ، وظلت عبارات باسم تتردد فى أذنيها :

- مرتب ٣ أضعاف .. وفى المستقبل يافطة جنب يافطتى.. نسبة من القضايا

ظلت تقارن هذا الوضع بتلك الذى ينتظرها فى مكتب الأستاذ حمدى مهران ، إلى متى ستظل هكذا تجد وتعمل فى أرهاق وتعب والمقابل ضعيف ، ولم لا تغير حظها بيدها فى مكان آخر بمقابل افضل.

ولكن ترمومتر فطرتها الأنثوية مازال يعمل ، أنبأها بأن باسم لم يريدها إلا لرغبة فى نفسه وأن الأسباب التى قالها تنطق بالكذب ، هل تستطيع أن تحسم أمرها وتعمل معه ولكن تنتبه

لنفسها وتحسب ألف حساب لكل كلمة وكل حركة وكل ردة فعل ؟ ..أم تبقى كما هى، حتى لو وافقت هل سيوافق فارس . بالطبع لا ، سيرفض أيما رفض وسيتمسك برأيه ، بل ومن الممكن أن يخيرها بينه وبين العمل مع باسم، وظلت تسأل نفسها فى تردد وقلق ، لا بد من حل ما يرضى جميع الأطراف ولكن أين هو؟

****

خرج والد عزة من المسجد الصغير بعد انتهاء صلاة العشاء وهو يبحث بعينيه عن حذاءه بين كومة الأحذية أمام المسجد حتى وجده أخيراً ، أنحنى ليلتقطه ولكنه فوجئْ بمن يسبقه إليه ويناوله أياه بابتسامة ودودة فابتسم شاكراً وهو يقول:

- متشكر أوى يا عمرو يابنى

أتسعت ابتسامة عمرو وهو يقول:

- العفو يا عمى.. أستنى حضرتك أجيب الجزمة بتاعى ونروح سوا

وظل يتلفت حوله وهو يقول بتمثيل مكشوف:

- ياترى راحت فين .. مع أنى لما باجى أصلى هنا كل يوم بحطها فى نفس المكان

تبسم والد عزة وهو يشير لقدم عمرو قائلاً:

- ما انت لبسها أهى يابنى

نظر عمرو إلى قدميه بصدمة واضحة وهو يقول:

- أيه ده مش معقول .. لبستنى أمتى دى

ضحك والد عزة وهو يقول:

- طب لو ماشى يالا أنا مستعجل

سار عمرو بجوار والد عزة بمنتهى الأدب والتواضع وهو يتصنع الوقار قائلاً:

- بس انا دايما باجى اصلى هنا هو حضرتك مبتجيش بانتظام ولا ايه

ضحك الرجل مرة أخرى فـ محاولاته مكشوفة دائما وقال:

- معلش بقى يمكن مش بنتقابل من الزحمة ولا حاجة

سارا بعض خطوات فى سكون غير مناسب لشخصية عمرو ولذلك لم يحتمل كثيراً وقال بشغفه المعهود:

- حضرتك مردتش عليا يا عمى فى موضوع الآنسه عزة

وقف والد عزة ونظر إليه بملامح جامدة وقال:

- لا.. رديت عليك وقولتلك ربنا ييسر الأمر لما نشوف اختها الأول

قال عمرو بضيق:

- ياعمى طب انا كده مفهمتش حاجة ..أنا كده متعلق

تابع والدها بنفس ملامحه الجامدة:

- عاوزنى اكسر قلب بنتى الكبيرة ؟

قال عمرو بتبرم واضح:

- لا يا عمى اكسر قلبى انا براحتك

مشي بجواره حتى وصل إلى منزله وهم بالصعود ولكن عمرو لم يتركه ، لا يزال يلح باستماتة ووالدها يؤجل باستماتة ايضاً وأخيراً قال :

- طيب يابنى ربنا يعمل اللى فيه الخير..سبنى أطلع بقى

أوقفه عمرو مرة أخرى وهو لا يعلم ماذا يقول ، كان يأمل فى أن يقنعه بالموافقة ولكن محاولاته جميعاً باءت بالفشل الذريع ، قاطع شروده صوت والد عزة وهو يقول بضيق:

- هتفضل واقفلى كده على السلالم

أبتسم عمرو ابتسامة مصطنعة وهو يقول :

- طب استنى حضرتك بس عاوز اقولك على حاجة وبعدين اطلع

عقد الرجل ساعديه أمام صدره بضيق وقال بغضب :

- أتفضل يا سيدى ...قول

رسم عمرو ملامح الجدية على وجهه وقال باهتمام:

- كان فى مرة فى بلد أوروبى أقلية مسلمة.. وكانوا بيصلوا العصر فى المسجد

بعد ما خلصوا صلاة .. دخل عليهم واحد ماسك سكينة كبيرة وقال:

- مين فيكم هنا مسلم؟

الناس بصت للسكينة اللى مع الراجل ومحدش اتجرأ ينطق إلا واحد بس هو اللى اتشجع وقال :

- أنا مسلم

فالراجل أخده بره المسجد بعيد شوية عن الناس وقاله انا مسلم فى السر ومحدش يعرف وجبت خروف وعاوز أدبحه على الطريقة الأسلامية .. بتعرف تدبح وتسلخ؟

فالراجل قاله :

- أنا بعرف ادبح لكن مبعرفش اسلخ .. روح شوف حد تانى بيعرف يسلخ

بعد ما دبحوا الخروف الراجل رجع للمسجد تانى وكان ماسك السكينة وفيها دم الخروف وقال للناس:

- مين فيكم مسلم تانى

الناس كلها بصت للسكينة اللى فى أيده واترعبوا ومحدش نطق لكن شاوروا على الأمام اللى كان بيصلى بيهم وقالوا:

- ده مسلم

فالأمام اتخض وقالهم برعب:

- فى أيه ..هو علشان صليت بيكم ركعتين خلاص بقيت مسلم ؟!!

أنفجر والد عزة ضاحكاً وبعد أن هدأت ضحكاته ، باغته عمرو مرة أخرى قائلاً بلهفة :

- ها يا عمى وافقت على الجواز !!

****

الفصل التاسع

صعد والد عزة إلى شقته أخيراً والأبتسامة تعلو شفتيه على أثر دعابة عمرو التى ألقاها عليه منذ قليل ، جلس بين زوجته وبناته أمام التلفاز وهو يضرب كفاً بكف ويقول :

- أما والله حاجة عجيبة

نظرت له زوجته باهتمام وابتسمت هى الأخرى لرؤيتها ابتسامته وقالت:

- هو أيه اللى عجيب؟

ألتفت إليها بابتسامتة وهو يستند بساعديه إلى حواف مقعده ويقول:

- البشمنهدس عمرو يا ستى.. بقاله كام يوم مش سايبنى فى حالى وعمال يلف ورايا زى النحلة

حانت منه ألتفاتة إلى عزة التى أشاحت بوجهها سريعاً ونهضت قائلة:

- طب انا هدخل انام بقى تصبحوا على خير

أقتربت عبير من والدها على المقعد المجاور له وهى تتسائل:

- هو كلمك تانى يا بابا؟

هم أن يجيبها ولكن والدتها قاطعته قائلة:

- قالك اشتغل ولا لسه يا ابو عبير

أشاح بوجهه عن زوجته ونظر إلى عبير مرة أخرة وقال:

- يشتغل ولا ميشتغلش دى حاجة تخصه هو.. وانا مالى

ثم نهض واقفاً وتوجه نحو غرفته، تبعته عبير بنظرها حتى دخل غرفته وأغلق بابها خلفه فنهضت واقفةً وهى تقول لوالدتها:

- ماما انا هدخل اتكلم مع بابا شوية .. مينفعش اسكت اكتر من كده !

وقفت عبير أمام غرفة والدها وطرقت الباب بخفة و عندما جاءها صوته يأذن بالدخول دلفت على الفور فوجدته يجلس على الأريكة بجوار النافذة ويقرأ بمصحفه قليلاً قبل النوم كما هى عادته دائماً ، نظر لها مبتسماً بحنان وهو يقول:

- تعالى يا عبير

جلست بجواره على الأريكة وقالت برجاء:

- بابا أرجوك توافق على خطوبة عمرو وعزة

صمت برهة وقال بضيق:

- مين اللى قالك تيجى تقوليلى كده.. أمك ؟

أبتلعت ريقها وقالت بوجل:

- بابا ..أنا عارفة حضرتك بتأجل الموضوع ده ليه .. وصدقنى يا بابا انا الحكاية دى متفرقش معايا خالص .. بالعكس والله .. أنا اتمنى ان عزة تتخطب النهاردة قبل بكره

وخفضت نظرها وقالت بخفوت:

- لو سمحت يا بابا متخالنيش احس انى واقفة قدام سعادة اختى ومستقبلها

هتف مستنكراً:

- ايه اللى بتقوليه ده يابنتى .. وانتِ عرفتى منين ان سعادتها فى الجوازه دى

أبتسمت بمرارة وهى تقول:

- يا بابا حضرتك طول عمرك بتشكر فى عمرو .. وزى ما حضرتك قلت من شوية انه عمال يلف زى النحلة وبيزن عليك .. ليه بقى اكون انا السبب انى اضيع على اختى واحد بيحبها وكمان عارفين أخلاقه وأهله وكل حاجة عنه ؟

تذوقت مرارة ابتسامتها لأول مرة وشعرت بها تغص حلقها فابتلعتها برضى وهى تقول:

- الحمد لله يا بابا انا عارفة ان كل شىء نصيب وانا هيجيلى نصيبى لحد عندى سواء دلوقتى ولا بعدين.. لكن انا عمرى ما هبقى سعيدة ابدًا وانا رابطة اختى جنبى كده وهى ذنبها ايه طيب

نظر لها والدها بمشاعر مختلطة بين الفخر والحزن وهو يقول:

- ونعم العقل والإيمان يا بنتى.. أنا كنت بقول لامك عبير قاعدة طول النهار تسمع فى شرايط وداخلة وخارجة تحضر دروس فى المسجد ومكنش عاجبنى .. مكنتش اعرف انك بتستفيدى بيها بالشكل ده .. ربنا يرضى عنك يابنتى

لمعت دموع الفرح فى عينيها وهى تقول بلهفة:

- يعنى حضرتك وافقت يا بابا

أبتسم وهو يربط على ساعدها قائلا:

- وافقت

نهضت فى سعادة وهى تهتف بفرحة حقيقية:

- أنا هروح ابشر ماما

****

كانت عبير منحنية تزيل بعض آثار التراب فى غرفة الأستقبال فاعتدلت عندما سمعت نداءات والدتها المتتالية قائلة :

- خلاص يا ماما انا خلصت أهو

أقبلت والدتها مسرعة وهى تنهرهما قائلة:

- معقوله كده الناس زامنهم جايين ولسه مخلصتوش

ونظرت إلى عزة وقالت بعتاب ثم قالت وهى تدفعها للخارج:

- جهزى نفسك بسرعة خلاص زمانهم جايين

خرجت عزة وهى تتمتم ببعض الكلمات معترضة، بينما نظرت الأم إلى عبير وهى تجتهد فى أبراز جمال الغرفة باهتمام فاقتربت منها وقالت برفق:

- عقبال يومك يا عبير يا بنتى

أستدارت لها عبير وهى مبتسمة فوجدت نظرة مشفقة تطل من عيني والدتها ، غاصت تلك النظرات فى قلب عبير حتى شعرت بأنها شجته نصفين ، قاتلت حتى تستطيع رسم ابتسامة عذبة على شفتيها وقالت تداعبها:

- أيه بقى يا ست ماما انتِ عاوزه تخلصى مننا كلنا علشان الجو يخلالك انتِ وحبيب القلب ولا ايه

ضحكت أمها وقد تلاشت نظرة الحزن من عينيها وقالت :

- أنتِ بس لو تعقلى كده وتشيلى البتاع ده من على وشك وانتِ خارجة.. والعرسان تشوفك بدل ما انتِ مخبية نفسك كده محدش عارف انتِ حلوة ولا وحشة

قالت عبير بثقة وهدوء:

- يا ماما اللى هيجى يتقدملى علشان انا حلوة.. و اللى هيخاف يتقدملى احسن اكون وحشة.. الاتنين ميلزمونيش وقلتهم أحسن ومش طالباهم بصراحة

فقالت أمها وهى تدفعها هى الأخرى للخارج:

- طب يالا روحى شوفى اختك بتعمل ايه يا ام لسانين

تجهز البيت وتزين لاستقبال جيرانهم الأعزاء عمرو ووالده ووالدته، وبعد الترحيب والاستقبال الحار وعبارات الود والمحبة ، جلس الجميع فى غرفة الأستقبال ، ثم نهضت والدة عزة واقفة بابتسامة واسعة وتوجهت نحو غرفة الفتيات فوجدت عزة تكاد تبكى وهى تقول لعبير:

- مش عاوزه اخرج يا عبير.. طب خلى مامته هى اللى تيجى هنا

قاطعتهما والدتهما وهى تهتف بها بصوت خفيض:

- تيجى هنا فين يا بت انتِ

حاولت عبير دفع عزة تجاه والدتهما وهى تقول بتشجيع:

- يابنتى اطلعى أومال هتكلمى معاه ازاى .. مش انتِ اللى طلبتى تقعدى معاه الأول

أخذتها والدتها من يدها كالأطفال وخرجت بها وهى خافضة لرأسها إلى الارض خجلا من الموقف ، وقفت والدة عمرو واحتضنتها وقبلتها بشدة وهى تضغط على ساعديها مرة وعلى ظهرها وكتفيها مرة أخرى مرحبة بها ومستكشفة لها عن قرب وأجلستها بجوارها ، أبتسمت عزة بخجل وهى تجيب أسألتهم عن أحوالها بصوت خفيض مرتبك بينما كان عمرو مسلط نظره عليها يريد منها التفاتة واحدة فقط نحوه ولكنها لم تفعل، حتى عندما سألها عن أحوالها اجابت بصوت يكاد يكون مسموعاً ، لاحظ ذلك والدها ، أنها لم ترفع عينيها لعمرو قط فنهض وهو يقول موجهاً حديثه لزوجته:

- هاتلنا بقى يا حجة العصير هنا .. وخدى الولاد بره فى الصالة يقعدوا يتكلموا مع بعض شوية

نهض عمرو من فوره فى سرعة وسعادة بينما وقفت عزة على مضض ، جلست عزة على المقعد المواجه لغرفة الأستقبال حيث يقع عليها نظر والدها كما تم الأتفاق مسبقاً معه وجلس عمرو على المقعد المجاور ، ذهبت والدتها للمطبخ لأحضار العصائر التى كانت عبير

قد أتمت أعدادها وأعطتها لوالدتها على الفور، خرجت من المطبخ ووضعت أكواب العصير أمام عزة وعمرو وعادت لغرفة الأستقبال مرة أخرى.

ظل عمرو يعصر ذهنه ليتذكر وصايا فارس له ولكنه لم يتذكر شيء على الأطلاق ، فقرر أن يتصرف بنفسه ، فألقى نظرة على غرفة الأستقبال ثم نظر إليها يتفحصها وقال بصوت تسمعه هى فقط:

- أزيك يا وزة

ألتفتت إليه باستنكار فشعر أنه ارتكب جرماً فقال بتلعثم:

- قصدى أزيك يا أنسه عزة

خفضت نظرها مرة أخرى وهى تقول:

- الحمد لله كويسة

مسح عمرو شعره وقال بتردد:

- طيب انا سامعك لو فى حاجة عاوزه تساليني فيها

ألقت عليه نظرة خاطفة أنهتها سريعاً وقالت بجدية:

- أنا كنت عاوزه اعرف انت عاوز تجوزنى ليه.. واشمعنى انا يعنى ؟؟

باغتته بالسؤال ، شعر بالارتباك وصمت قليلا وهو ينظر إليها ، فقالت :

- أيه مش لاقى أجابة ولا محرج تجاوب

رفع حاجبيه بدهشة وقال:

- يعنى أيه محرج أجاوب

أرتسمت على جانبى شفتيها ابتسامة ساخرة صغيرة وهى تقول:

- يعنى محرج تقولى أنك زيك زى شباب كتير عاوز يتجوز وخلاص ومش فارق معاك انا بالذات يعنى .. علشان كده محرج تجاوب ...صح؟

زال الارتباك الذى كان قد شعر به كلياً وشبك أصابع كفيه أمامه وهو يتكأ إلى ركبتيه وقال بثقة:

- لا مش صح

فقالت ببطء :

- أومال سكت ليه.. مكنتش محضر أجابة

هز رأسه نفياً وقال بثقة أكبر:

- لاء مش علشان مكنتش محضر اجابة ..علشان خايف أجابتى تسببلك أحراج

رفعت كتفيها وأخفضتهما سريعاً وهى تنظر إليه قائلة:

- لا عادى .. مفيش أحراج ولا حاجة

نظر فى عينيها بعمق وقال بهدوء:

- علشان بحبك

أحمرت وجنتيها تلقائياً وخفضت عينيها فتابع حديثه:

- بحبك من زمان .. من زمان أوى .. من واحنا لسه فى الثانوية العامة.. بالتقريب كده من ساعة ما مشاعرى ابتدت تتحرك أساساً واعرف الحب

كانت تستمع إليه فى ارتباك وخجل وتكاد تقطع شفتاها من كثرة الضغط عليها بدون وعى

فقال وهو مازال ينظر إليها ويتابعها حركاتها وسكناتها:

- عرفتى بقى مكنتش عاوز اجاوب ليه

لم تستطع أن تنتظر أكثر من هذا ، كلماته ونظراته اخترقت خجلها وشعرت أنه يرى قلبها من خلف ضلوعها وهو ينبض بعنف ويتابع اندفاع دماء جسدها كله من خلف شراينها إلى وجهها ورأسها ، لامت نفسها على السؤال الذى طرحته والذى كان السبب فيما قال

كانت تعرف أن عمرو جرىء ومندفع ولكن لم تكن تعلم انه من الممكن أن يقول ما قال بهذا الشكل المفاجىء والصريح لابعد الحدود ، بل وكأنه كان يود أن تسأله هذا السؤال ليفصح عن مكنون قلبه ومشاعره تجاهها فنهضت وقد تحشرج صوتها وهى تقول:

- طب عن أذنك

ودخلت فى سرعة لغرفتها وهى ترى ما حولها باللون الاصفر، أو هكذا يبدو!، أستقبلتها عبير وهى تنظر لوجهها بدهشة قائلة:

- جيتى بسرعة كده ليه ..هو انتِ لحقتى تتكلمى معاه

وضعت عزة كفيها على وجنتيها تتحسس حرارتهما وهى تقول باستنكار:

- لو كنتِ سمعتى كلمة واحدة من اللى قالهالى كان زمانك قمتى من بدرى

أبتسمت عبير وقالت بشغف:

- قالك ايه

نظرت لها عزة بخجل وقالت بخفوت:

- سألته سؤال واحد بس وياريتنى مكنت سألت .. أحرجنى أوى يا عبير وقالى.. قالى بحبك من زمان

ضحكت عبير ثم وضعت كفها فوق فمها لتكتم ضحكتها وقالت:

- مش بقولك رخم

غادر عمرو وأسرته منزلهم ودخلت والدة عزة غرفة بناتها وجلست بجوارهما لتعرف رأى ابنتها ولكنها وجدتها مرتبكة ولم تحدد رأيها بعد ، فقالت لها عبير:

- خلاص يا ماما احنا اتفقنا انها تستخير الأول وبعدين نشوف

نظرت عزة إلى والدتها وقالت برجاء:

- ماما انا عارفة انك انتِ وبابا متحمسين لعمرو وبتحبوه .. بس من فضلكم متضغطوش عليا وسبونى افكر على مهلى

قالت والدتها بدهشة :

- ومين قالك انى جايه اضغط عليكى..انا جاية اعرف رأيك بس مش أكتر.. عمرو لسه قدامه شوية على ما يجهز

نظرت لها عزة باستنكار وقالت بحنق:

- اومال لما هو مش مستعد دلوقتى مستعجل ليه.. وكان عمال يزن على بابا كل شوية

استندت والدتها إلى ظهر السرير ورفعت حاجبيها وهى تقول مداعبة:

- أصله خايف حد تانى ياخدك منه

ضحكت عبير من أسلوب والدتها وطريقة ألقائها للعبارة وشعرت عزة بالدماء تتصاعد لوجنتيها مرة أخرى ، تباً لهذا العمرو الذى يدفع الدماء إلى رأسها بين الحين والآخر بكلماته ، سواء ألقاها هو بنفسه، أم أرسلها لها عن طريق غير مباشر.

****

أنطفأت الأنوار وخلد الجميع للنوم وقد سكنت العيون، ولكنها لم تستطع ، النوم جافاها وعصتها عيناها فلم تستجب لها، ظلت مفتوحة طوال الليل ، عبير ، ولكن من هو الذى سيستنشق عبيرها المقيد بداخلها، ومتى سيخرج للنور، لماذا تعانين ، ما هذه المرارة التى تشعرين بها ، بل وتتذوقينها على شفتيكِ ، لعلها مرارة الوحدة ؟ ، نعم هى ذاك ، الوحدة التى تشعر بها رغم كل البشر حولها والأهل والجيرة الطيبة ..ولكن..هى امرأة.. أنثى رغم كل شىء ، بداخلها طاقة حب لا تعرف كيف توجهها وإلى من تمنحها ، هى أنثى أتمت الثلاثون من عمرها ومازال فراشها بارداً خالياً ، بل ومتجمد ، ولو لم تكن أختها تشاركها نفس الغرفة لشعرت أنها ملقاة بالصحراء تكاد وحوش وحدتها تلتهمها وهى فريسة وحيدة ، بلا مأوى ، فاين هو المستقر الدافىء ، نعم منتقبة ولكنها ليست متبلدة المشاعر ، متجمدة الحس ، ليست جماد ، ولكن أيضاً ترفض أن تكون ريشة بمهب الريح لتحركها الشهوات كيف تشاء، فتذهب مترنحة وتعود خاوية ، فتتلمس ركعتين فى جوف الليل تناجى ربها ، يارب عجل لي الخلاص والمفر.

****

الفصل العاشر

كان باسم يعلم بميعاد خروج فارس من المكتب لذهابه لصلاة العشاء فى المسجد ، أنتظر حتى تأكد من ذهابه ثم أرسل فى طلب حضور دنيا إلى حجرة مكتبه ، حضرت إليه كما أراد فأشار لها بالجلوس أمامه وفاجأها قائلاً:

- كل سنة وانتِ طيبة يا دنيا .. مش عيد ميلادك النهاردة برضة؟

نظرت إليه بدهشة قائلة:

- وحضرتك طيب بس عرفت ازاى ان عيد ميلادى النهاردة

قال بثقة زائدة:

- اللى بيهتم بحد .. بيحب يعرف عنه كل حاجة

أخرج علبة متوسطة الحجم من درج مكتبه وقدمها لها قائلاً:

- أتفضلى هديتك

نظرت إلى العلبة مندهشة ولمعت عيناها من المفاجأة وقالت:

- أيه ده موبايل مرة واحدة

علت الأبتسامة شفتيه وهو يقول:

- ده أقل حاجة ممكن تتقدملك

قال عبارته هذه وهو يتفحصها بجرأته المعهودة ، شعرت بالخجل من نظراته وقالت بارتباك :

- بس انا أسمع انه بيبقى مع رجال الأعمال بس علشان شغلهم يعنى ..أنا بقى هعمل بيه أيه

قال ببساطة:

- لا ده كان أول ما نزل مصر .. دلوقتى ابتدى ينتشر.. وبعدين يا ستى علشان لما أحب أطمن عليكى ..أصلك لسه مردتيش عليا فى موضوع الشغل وانا خلاص شهر وماشى من هنا وعاوز أعرف أكلمك وقت ما أحب

لم تكن كلماته تحمل معنى آخر ، نظرت إلى العلبة بين يديها سعيدة بها وحائرة هل تقبلها أم لا ، إنها هدية ليست بالبسيطة وفى نفس الوقت ماذا ستبرر ذلك لفارس .. وكأنه قرأ أفكارها التى ظهرت جلية فى عينيها وهى تنظر للعلبة فقال باصرار:

- أنا مش هتنازل عن أنك تقلبيها ..

ألتفتت إليه فقال:

- وبعدين يا ستى لو خايفة من الإحراج مش لازم تقولى أنى انا اللى ادتهولك

وكأنه أعطاها المخرج من تلك الورطة فابتسمت وهى تقول:

- متشكرة أوى يا أستاذ باسم على الهدية

مد يده ليصافحها قبل أن تخرج وضغط على كفها بين أصابعه برقة وقال:

- دى حاجة بسيطة بالنسبة للى جاى .. لو وافقتى تشتغلى معايا

خرجت دنيا من حجرة مكتب باسم مسرعة وهى تخشى أن يكون قد عاد من صلاة العشاء ولكنها استرخت وهى لا ترى فى الحجرة سوى نورا فقط ، والتى كانت منكبة على عملها باهتمام، حشرت العلبة فى حقيبة يدها عنوة ووضعتها تحت مكتبها الخاص حتى لا تلفت الأنتباه بانتفاخها وواصلت عملها بنظرات زائغة وكأن شيئا لم يكن.

عاد فارس وحسن من صلاة العشاء وجلس كل منهما خلف مكتبهما ولكن نورا لم تنسى تحييه بابتسامة قائلة:

- تقبل الله

- منا ومنكم

نظر حسن إلى الجميع باهتمام وقال وكأنه سيدلى بمعلومة سرية:

- أنتوا عرفتوا يا جماعة أن الأستاذ باسم هيسيب الشغل هنا وهيفتح مكتب خاص بيه؟

قال فارس دون أن يرفع نظره إليه بلا مبالاة:

- أيوا عارفين

قالت نورا باهتمام :

- تفتكروا مين اللى هيمسك أدارة المكتب مكانه يا جماعة

أكمل حسن حديثه وكأنه لم يستمع إليها قائلا:

- طب عارفين انى هروح معاه

نظر له فارس باستنكار وقال:

- ليه يا حسن .. أنت هنا بتاخد خبرة أكبر وبتتعلم من الدكتور حمدى

قال حسن بتهكم وهو يشير إلى حجرة باسم:

- وهناك هاخد فلوس أكتر

ردت دنيا بحماس وكأنها قد وجدت من يعينها ويفكر مثلها:

- برافو عليك ده تفكير منطقى جداا

ألتفت فارس وقال بضيق:

- تفكير منطقى ازاى يعنى ..الفلوس مش كل حاجة

أومأت نورا موافقة لكلامه وقالت:

- ده صحيح .. الخبرة وسمعة الدكتور حمدى أكبر من المرتب بكتير

ثم التفتت إلى حسن وهى تتابع حديثها:

- وبعدين يعنى الفرق مش هيبقى كبير

عقد حسن ذراعيه أمام صدره وقال مخالفا:

- ولو جنية واحد زيادة.. هيفرق معايا..وبعدين انتوا مش ملاحظين ان الشغل هنا ابتدى يقل ..

وأخفض صوته وهو يستطرد قائلا:

- والدكتور كمان مبقاش يجى كتير

قال فارس بانفعال:

- ده علشان الدكتور مبيقبلش قضايا المخدرات والقضايا المشكوك فيها.. يعنى على الأقل يا أخى ضامن ان مرتبك من فلوس حلال

أبتسم حسن بسخرية وهو يفتح ذراعيه قائلا:

- أهلا الشيخ فارس وصل

هب فارس واقفا بغضب وأشار له محذرا وقال:

- ألزم حدودك معايا يا حسن

وقفت نورا مسرعة وهى تقول منفعلة:

- أيه يا أساتذة صلوا على النبى كده واهدوا ..كده صوتنا هيوصل للدكتور

أسندت دنيا رأسها إلى كفيها وهى تنظر إليهم مشتتة أفكارها وهى تقول فى نفسها:

- أومال لو قلتله انى عاوزه اروح اشتغل معاه هيعمل فيا أيه

****

أوت إلى فراشها ليلاً وهى تمسك بالهاتف النقال فى يد، وبالكتالوج فى اليد الأخرى محاولةً فك طلاسم هذا الهاتف وهى تتمتم بسخرية من جهلها ، وفجأة صدح رنينه بين يديها، تفاجأت وهى تنظر لأسم باسم تضىء به شاشة هاتفها وهمهمت قائلة:

- معقول.. مديهولى وهو مسجل اسمه عليه

ترددت لبرهة ثم قررت الرد فقال على الفور:

- ها التليفون عجبك

أستيقظ فارس قبل الفجر بساعة وهو يمد يده ويطفىء ساعته المنبهة التى تصدح يوميا فى مثل هذا الموعد معلنةً عن وقت صلاة القيام ، تململ فارس فى فراشه وهو يشعر بأجهاد شديد وكأنه لم ينم إلا منذ لحظات قليلة ولكنه جاهد نفسه وهب واقفاً حتى لا يفكر فى العودة إلى النوم مرة أخرى ويغلبه كسله وأجهاده ، توضأ وعاد إلى غرفته وجلس وهو ممسكاً بالمصحف يقرأ ورده الليلى ، شرد بعقله قليلاً وهو يفكر كيف لم يفكر فى أن يطلب من الدكتور حمدى بأن يفصل بين النساء والرجال فى مكتبه، خشية الاعتياد والألفة التى تضفى صفات خيالية محببة بين الزملاء والزميلات والتى قد تطور إلى مفهوم آخر.

وضع المصحف جانباً ووقف يصلى القيام وأطال فيه حتى ركع وأطال فى الركوع حتى سجد ولأول مرة يشعر بسجود قلبه مع سجود جبهته، أطال السجود وهو يشعر بحلاوته التى يتذوقها بقلبه وجوارحه، أغمض عينيه وهو يدعو، لا يريد أن يفارق تلك السجدة التى وجد حلاوتها ووجد نفسه يدعو" اللهم أكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك "

****

دخلت والدتها لتوقظها فى الصباح فوجدت الهاتف النقال بجانبها فأخذته وظلت تنظر إليه بأمعان وتتفحصه وباليد الأخرى توقظ دنيا وتهزها هاتفةً بها:

- قومى يا دنيا.. أيه اللى جاب التليفون ده معاكى

نهضت دنيا متكاسلة وهى تتثائب فتحت عيونها فوجدت والدتها تمسك هاتفها النقال بين يديها وتقلبه متسائلةً:

- بتاع مين ده يا دنيا؟

أنتزعته من يد والدتها وهى تقول برجاء:

- الله يخليكى يا ماما مش عاوزه بابا يعرف ليقعد يحقق معايا

نظرت لها والدتها بشك وقالت:

- وانا يعنى مش هسألك

قبلتها دنيا على وجنتها وقالت :

- أنتِ مامتى حبيبتى مش هتعقديلى الدنيا زى بابا

أبعدتها والدتها عنها قليلا وبرفق قالت:

- طب جاوبينى مين اللى أدهولك

- أستاذ باسم مدير المكتب اللى حكتلك عنه قبل كده أنه عاوز ياخدنى معاه مكتبه

- وجابهولك بمناسبة ايه ده

- بمناسبة عيد ميلادى يا حبيبتى

صمتت والدتها قليلا ثم قالت بتوجس:

- مش عارفة.. مش مرتاحة

عانقتها دنيا وقبلتها مرة أخرى وهى تنهض من الفراش قائلة بثقة:

- متقلقيش يا حبيبتى .. أنا عارفة بتعامل مع الناس ازاى

نظرت والدتها إليها وقد خرجت من الغرفة ثم التفتت إلى الهاتف الملقى على الفراش وشردت تماما ، ولأول مرة تشعر بالقلق حيال تصرفات ابنتها.

***

ويوم الخميس وفى المساء كان منزل عزة مهيأ لتلك المناسبة المبهجة ، حفل خطوبة عزة وعمرو، كان الحفل بسيط ، ينعزل فيه الرجال عن النساء نوعا ما، فالنساء فى الصالون والرجال فى الخارج يفصل بينهما باباً لا يكاد ينغلق من الزحام ، لذلك احتفظت عبير بنقابها حتى لا يراها أحد دون أن تشعر.

لم يكن هناك شخص أسعد منه فى تلك اللحظة التى طوق خاتم خطبته أصبعها، وأخيرا أصبحت له ، لم يكن بحاجة إلى التعبير عن سعادته فلقد تكفلت عيناه بهذا الأمر مما جعل عزة تشعر بتأنيب الضمير لأنها لا تبادله نفس مشاعره ولا حتى جزء منها غير الأحترام وفقط!

كان فارس يجلس مع الرجال فى الخارج وفجأة شعر بمن يهزه من الخلف ، نظر خلفه فوجد مُهرة ، أبتسم كعادته كلما رآها واستدار إليها فى جلسته ودون أن يقف ، أقتربت من أذنه وهى تشير إلى محمود أخو عمرو الأصغر والذى لم يتجاوز الثانوية بعد وهى تقول :

- ألحق يا فارس.. الواد الرخم ده بيضايقنى

نظر فارس إلى حيث تشير ثم نظر إليها مرة أخرى متعجباً وقال:

- بس هو شافك أزاى أصلاً علشان يضايقك

نظرت له بغضب ومطت شفتاها وقالت:

- أنت كمان بتتريق عليا

قال مداعباً:

- طب متزعليش بقى خلاص انا هقوم أكسرلك عضمه

ثم حك ذقنه وهو يقول:

- هو ضايقك ازاى يعنى.. خد منك حاجة؟

حركت رأسها نفيا وقالت:

- لاء بيقولى شعرك حلو أوى

نظر لها بدهشة ثم تصنع الجدية والغضب وهب واقفا وهو يقول:

- طب استنى هنا انا هروح أكسرهولك

تقدم فارس من محمود أخو عمرو وهى تتبعه كظله وقال مداعباً له :

- أنت يا أخ انت بتعاكس خطيبتى ليه

ضحك محمود وهو يقول:

- خطيبتك أيه يا أبيه فارس .. بقى الأوزعة دى خطيبتك

صاحت مُهرة من جواره بغضب:

- أنا مش أوزعة

أمسكه فارس من شعره كما يفعل به دائما كلما رآه وقال له:

- عارف لو شفتك بضايقها تانى هعمل فيك أيه ..هحلقلك شعرك اللى فرحان بيه ده زلبطة

ثم التفت إلى مُهرة وأشار لها آمراً وقال بجدية مصطنعة :

- اتفضلى يا هانم اقعدى جوه مع الستات .. أيه اللى مطلعك وسط الرجالة

أستدارت مُهرة وهى تنظر إلى محمود بانتصار وشماتة ودخلت عند النساء كما أمرها فارس

بينما قال فارس لمحمود بجدية:

- أنت من صغرك كده هتقعد تعاكس البنات.. أومال لما تكبر شوية هتعمل ايه ..وبعدين ملقتش إلا مُهرة يعنى

قال محمود بخجل:

- بصراحة يا أبيه فارس أنا ناوى اخطبها لما تكبر.. أنا رايح تالتة ثانوى وهى رايحة تالتة أعدادى.. يعنى قريبين من بعض

أمسكه فارس من كتفه وقال بجدية:

- بقولك ايه يا محمود .. أنت فى مرحلة حرجة دلوقتى .. يعنى تركز فى مذاكرتك أحسن يابنى علشان تعرف تدخل كلية محترمة ، وبعدين يعنى اشمعنى مُهرة .. دى شعرها أطول منها

- ماهو ده اللى عاجبنى فيها يا أبيه

كتم فارس غيظه وهو ينظر إليه شاعراً بتفاهته وقال:

- هو انا واقف معاك ليه أصلا .. أمشي يالا من هنا

وقفت امرأة بجوار عبير عن قصد وقالت بتشفى :

- عقبالك يا حبيبتى

نظرت لها عبير بود وقالت :

- جزاكِ الله خيرا يا طنط عقبال بناتك يارب كده لما تفرحى بيهم

ضحكت المرأة وهى تنوى أغاظتها وقالت:

- بناتى ! ..أنا بناتى اتجوزوا من زمان يا حبيبتى .. مفيش واحدة فيهم قعدت لبعد العشرين ..عقبالك انتِ بقى

صمتت عبير ولم ترد فقد شعرت فى نبرة المرأة شىء غير مريح فآثرت الصمت حتى لا تحدث مشكلة تعكر صفو خطبة أختها ولكن المرأة لم تصمت ولم تتوقف وقالت:

- هو انتِ عديتى التلاتين ولا لسه يا عبير

بدون شعور منها وجدت العبرات طريقها إلى عينيها ، حاولت منعها حتى لا تشمت بها تلك المرأة أكثر فرفعت يدها وأنزلت البيشة على عينيها فوق النقاب وهى تقول:

- لا لسه يا طنط ..عن أذنك

مرت بهدوء لتخرج من غرفة الصالون ولكن والدتها نادت عليها قائلة :

- اطلعى يا عبير هاتى صندوق حاجة ساقعة من بره على السلم

خرجت مسرعة فى طريقها للباب الخارجى للشقة وهى تحاول دفع دموعها للتراجع ولكن بلا جدوى ، حتى انعدمت الرؤيا تماما لديها واختل توازنها وهى تحاول حمل الصندوق ولم تشعر إلا وهى تسقط من أعلى درجات السلم وفقدت الوعى.

الفصل الحادي عشر

وقفت عزة فى حضن والدتها تبكى بمرارة، ولم تكن أمها بها من القوة ما يجعلها تخفف عنها ، كل ما استطاعت أن تفعله هو أن تدعو الله بقلبها ألا تكون عبير قد أصيبت بسوء أقترب عمرو منهما وقال لعزة بعتاب :

- مش كده يا عزة المفروض انتِ اللى تقوى مامتك وتخففى عنها

بكت عزة بقوة أكبر وهى تقول :

- مش قادره أمسك نفسى يا عمرو خايفة على عبير أوى

أنتظر الجميع فى الخارج حتى خرج إليهم الطبيب وهو يحمل صور الأشعة وقد ظهرت على وجهه علامات البشرى وقال محاولاً التخفيف من وقع كلماته :

- بصوا يا جماعة.. وقعة زى دى كانت ممكن تأذى العمود الفقرى لكن الحمد لله العمود الفقرى كويس.. محصلش غير كسر بسيط فى الرجل اليمين

ضربت أمها على صدرها وشهقت وهى تقول:

- بنتى رجلها اتكسرت

ربتت عزة على كتفها وهى تكفكف دموعها قائلة:

- الحمد لله يا ماما انها جات على قد كده.. بيقولك العمود الفقرى كان ممكن يتأذى

تابع الطبيب قائلا:

- أحنا دلوقتى هنحط الجبس ومش أقل من شهر علشان نشيله وبعديه لازم تبدأوا فى العلاج الطبيعى.. برضة مش اقل من شهر أو اتنين

شعر والد عبير بوهن شديد ووخذة فى صدره ولكنه تماسك وقال بضعف:

- يعنى دلوقتى هى هتتجبس ونروح على البيت ولا أيه

الطبيب:

- هتفضل هنا يومين وبعدين تاخدوها وتروحوا بالسلامة

****

طرق عمرو باب مكتب إلهام ودخل وأغلق الباب ، وكالعادة رأى ابتسامتها الواسعة المرحبة به بشكل دائم وفى كل الأوقات ، وقفت أمامها وهو يتسائل:

- خير يا فندم حضرتك بعتيلى

أشارت إليه بالجلوس وهى تقول :

- تشرب أيه الأول

نظر إلى ساعته وهو يقول بحرج:

- أنا آسف مش هينفع أصل عندى شغل هخلصه وهمشى على طول.. عندى ارتباطات مهمة

نظرت إليه متفحصة بجرأة وقالت بهدوء:

- أيه عندك معاد غرامى ولا أيه

رفع نظره إليها بدهشة من جرأتها وتدخلها فى شئونه الخاصة بها الشكل السافر وقال على الفور:

- لا معاد غرامى أيه أنا مش بتاع الكلام ده

ثم اردف سريعاً:

- خير يا بشمهندسة فى حاجة فى الشغل؟

تابعت وكأنها لم تسمعه وقالت:

- أومال رايح فين ؟

زادت دهشته من اهتمامها الزائد به وقال :

- رايح أجيب أخت خطيبتى من المستشفى مع والدها

أتسعت عيناها ونظرت ليده فلم تلحظ الدبلة الفضية فى يده قبل ذلك وقالت متوترة:

- أيه ده هو انت خاطب من أمتى .. أنا مشوفتش دبلة فى أيدك قبل كده

زفر بطريقة لم تلحظها وقال بضيق :

- أنا لسه خاطب من يومين بس

هزت رأسها بحنق وهى تنقر على سطح مكتبها وتقول:

- قصة حب ولا أيه؟

تحرك من مقعده قليلاً وهو ينظر لساعة يده ويقول :

- حاجة زى كده .. طيب انا مضطر استأذن دلوقتى

نظرت إليه بحدة وهى تقول بجدية:

- ساعات العمل الرسمية لسه مخلصتش يا بشمهندس

ثم ابتسمت ابتسامة صفراء وهى تقول:

- لسه نص ساعة

أستند إلى ظهر مقعده وظل صامتا فقالت بحنق:

- هو انت متعود تمشى قبل المواعيد ولا أيه؟

حاول أن يغلب الغضب بداخله وقال دون أن ينظر إليها:

- أنا مكنتش همشى قبل مواعيدى .. أنا قلت لحضرتك فى الأول انى ورايا شغل عاوز أخلصه قبل ما امشى

هبت واقفة وقالت بتعالى:

- طب اتفضل خلص شغلك يا بشمهندس.. أنا عندى اجتماع

نظر إليها متعجبا من تصرفاتها المتناقضة ، فهو لم يطلب الدخول إليها أو الجلوس معها من الأساس ، فلماذا تفعل ذلك ، ولكن على كل حال تنهد فى ارتياح وهو يغادر إلى مكتبه ، كسرت القلم بين يديها فى غضب وهى تنظر للفراغ الذى كان يحتله منذ دقائق.

****

دخل عمرو مكتبه وتوجه على مكتبه الهندسى الخاص به تحت نظر زميله نادر الذى كان يرمقه متبرما لاستدعائها المتكرر له فى مكتبها الخاص ووجد نفسه يقول بسخرية:

- أتأخرت ليه يا روميو؟

نظر له كل من عمرو وزميلهم الثالث أحمد وقال عمرو فى انفعال:

- بتكلمنى انا

قال نادر متهكما:

- هو فى روميو تانى هنا

ترك عمرو ما فى يده وقال له محذرا فى غضب شديد:

- أنا بحذرك تكلم معايا بالطريقة دى تانى .. أنت فاهم ولا لاء

كان يتوقع أن يهاجمه نادر ولكنه وجده يقول بسخرية وهو ينظر لـ أحمد:

- شفت يا عم احمد .. طبعا ما هو مسنود من فوق بقى

صاح عمرو بغضب مرة أخرى قائلا:

- بقولك اتكلم معايا كويس أحسن لك

حاول أحمد تهدئة الوضع بينهما ووقف يهتف بهما:

- ميصحش كده يا جماعة

ثم نظر لنادر معاتبا وقال بضيق:

- وبعدين معاك يا نادر ده احنا زمايل وفى مكتب واحد يا أخى مش كده

نظر لهما نادر بسخرية وأعاد نظره إلى عمله مرة أخرى دون أن يتفوه بكلمة أخرى وكأنه كان يختبر أعصاب عمرو، هل هو سريع الغضب أم لا ، ربت أحمد على كتف عمرو قائلا بهدوء:

- معلش يا بشمهندس خاليها عليك المرة دى

قال عمرو وهو يرمق نادر بعينيه :

- ياريت الناس كلها فى أخلاقك يا أحمد

دقائق من الهدوء سادت فى المكتب وكل منهم يتابع عمله حتى ينتهوا منه قبل مواعيد الأنصراف

***

عادت عبير إلى منزلها بصحبة عزة وعمرو ووالدها ووالدتها بينما استأذن فارس للعودة إلى عمله مرة أخرى ، دخلت غرفتها بصحبة والدتها وأختها عزة ، استراحت على فراشها وسمعت عزة تقول:

- أجيبلك تاكلى يا عبير ولا هتنامى

- لا يا حبيبتى انا هنام شوية .. أصلى مكنتش عارفة انام فى المستشفى خالص

تدخلت والدتها قائلة:

- سيبى اختك تنام واطلعى اقعدى مع خطيبك شوية.. ميصحش كده

نظرت عزة إلى عبير تستنجد بها فقالت عبير على الفور:

- يا ماما مينفعش تقعد معاه لوحدها ده لسه خطيبها

نهضت والدتها وجذبت عزة من يدها وهى تدفعها تجاه الباب وتقول:

- أبوكى قاعد معاه بره مش هتقعدى معاه لوحدك .. يالا ياختى وخدى معاكى كوباية عصير فى أيدك الراجل واقف معانا من بدرى

خرجت عزة وهى تنظر تحت قدميها إن صحت العبارة ، نظر عمرو إليها بطرف عينيه وشعر بخفقان قلبه كما يحدث له دائما عند رؤياها ، وضعت الكوب على الطاولة أمامه وهى تقول بخجل:

- أتفضل

تابعها بعينيه حتى جلست على مقعد آخر يبعد عنه بعض الشىء فقال والدها:

- أختك عاملة أيه دلوقتى

- الحمد لله يا بابا .. سبتها تنام وترتاح

قال الوالد وهو يهز رأسه رأسه بأسى :

- والله منا عارف هتقعد فى الجبس شهر ازاى .. وبعديهم كمان علاج طبيعى وشغلانة

تدخل عمرو قائلا:

- متقلقلش يا عمى من حكاية العلاج الطبيعى دى ..فارس يعرف دكتور كويس أوى وقريب من هنا جدا

خفق قلبها فاشاحت بوجهها بعيدا حتى لا يرى أحد علامات تأثرها بادية على وجهها ، ساد الصمت للحظات قطعه والدها قائلا :

- منور يا بشمهندس

تنحنح عمرو بحرج وقال وهو ينهض واقفا :

- طيب استأذن انا بقى

وقفت عزة ووالدها الذى قال بتصميم:

- لا والله ما ينفع.. ده انت لسه داخل حتى ملحقتش تشرب حاجة

أبتسم عمرو بمودة وهو يقول:

- معلش يا عمى مرة تانية ان شاء الله

نظر إليها والدها وقال آمراً:

- وصلى خطيبك يا عزة

أحمر وجهها بشدة وهى تنظر لوالدها وكادت أن ترفض ولكنها وجدت علامات الجدية على وجهه فتراجعت عن الرفض وقالت وهى تشير لعمرو :

- اتفضل يا بشمهندس

توجه والدها للداخل وتركهم عند باب الشقة المفتوح ، وقف عمرو بالخارج وهى بالداخل تنظر إلى الارض، كانت تتصور انه سيلقى السلام ويغادر ولكنه لم يفعل ، وقف ينظر إليها وكل خلجة من خلجاته تنطق بالحب ، ليس نظراته فقط وما كانت عيناه إلا مرآة يمر الحب خلالهما وينساب بدون أن يشعر ليسكن فى عينيها عندما رفعتهما إليه لترى سبب صمته الذى طال ، فأخفضت عينيها حياء منه ومن نظراته وهى تقول بخفوت :

- فى حاجة يا بشمهندس

قال بنفس خفوتها وابتسامته تملأ وجهه :

- على فكرة.. أنا أسمى عمرو ..هه

قالت دون أن تنظر إليه :

- فى حاجة يا عمرو؟

خفق قلبه وابتسم فى سعادة و .. قاطعت نظراته وأفكاره ورفعت رأسها فجأة وقالت بجدية:

- على فكرة مينفعش تبصلى كده ..عن اذنك

تراجع للخلف بدهشة وأغلقت هى الباب وسمعته يقول من خلفه:

- يخرب عقلك .. قطعتى لحظة رومانسية بنت لذينه

وخبط كفا بكف وهو ينزل درجات السلم وهو يهتف:

- أيه شغل الجنان ده

أبتسمت رغما عنها واتجت للداخل ، لا تعلم لماذا تزداد أعجابًا به يوما بعد يوم برغم من أنهما لم يتقابلا إلا مرات معدودة ولكنه فى كل مرة يثبت أنه أهلا لها ولتحمل المسؤلية عن جداره تستحق الأحترام رغم صغر سنه بالمقارنة ببعض الرجال الذين تعدوا الثلاثين ولكنهم لا يشغلهم من الحياة إلا أنفسهم ورغباتهم فقط .. فالأيام لا تغير البشر ولكنها فقط تنزع القناع عنهم

***

الحلقة الثانية عشر

أنـهى باسم جميع متعلقاته فى مكتب الدكتور حمدى مهران وتركه نـهائياً وأخذ معه حسن للعمل معه فى مكتبه الخاص، وفى نفس اليوم دخل الدكتور حمدى المكتب ولكنه لم يذهب مباشرة إلى مكتبه وانما مر بالحجرة الأخرى الخاصة بـ فارس ، أطل برأسه وقال موجهاً حديثه لفارس:

- تعالى يا فارس شوية عايزك

نـهض فارس واقفاً وذهب خلف الدكتور حمدى ودخل حجرة مكتب الدكتور حمدى خلفه وسمعه يقول وهو يجلس خلف مكتبه:

- أقفل الباب وراك يا فارس

أغلق فارس الباب خلفه وجلس قبالته وهو ينظر إليه باهتمام وهو يتوقع التكليف بقضية مهمة من ضمن القضايا التى يكلفه بها ولكنه فوجئْ به يقول:

- أنت هتمسك أدارة المكتب مكان الأستاذ باسم

أتسعت عيناه دهشة فهو لم يكن يتوقع أن تسند إليه مثل هذه المهمة وفى هذا التوقيت المبكر وقال:

- ايوا يا دكتور بس ..

قاطعه الدكتور حمدى قائلا بجدية :

- متقلقش من حاجة.. الموضوع أصلا مش محتاج حاجة يعنى مش مسؤلية زى ما انت فاهم .. وبعدين القضايا مبقتش كتير زى ما انت شايف

أطرق فارس برأسه لبرهة من الوقت صمت خلالها يفكر ثم رفع رأسه وقال:

- بس أنا مش اقدم واحد فى المكتب فى ناس أقدم مني

أبتسم الدكتور حمدى وهو يقول بثقة:

- بس انا بثق فيك انت

ثم نظر أمامه وشرد قليلا وهو يقول:

- وبعدين انا بحضرك لحاجة كبيرة بس مش دلوقتى

حاول فارس أن يتكلم متسائلا عن الأمر ولكنه قاطعه مرة أخرى قائلا:

- أخبار الماجستير أية

فكر فارس قليلاً وكأنها يجمع الأوراق أمام عينيه وقال:

- مش أقل من سنة يا دكتور

هز رأسه مبتسماً وهو يقول:

- طب يالا بقى على مكتبك الجديد

خرج فارس من حجرة الدكتور حمدى بمشاعر مضطربة ما بين السعادة والخوف من المسؤلية الكبيرة التى ألقاها أستاذه على كاهله ووجد نفسه يهتف داخله متضرعاً:

- يارب وفقنى أنا محتاجلك أوى يارب

دخل حجرته فوجد دنيا تنتظره ونهضت على الفور متسائلة:

- خير يا فارس الدكتور كان عاوزك ليه

أبتسم فارس وهو يأخذ نفساً عميقا ثم قال:

- الدكتور كلفنى بأدارة المكتب بدل الأستاذ باسم

شهقت دنيا فرحاً وهى تضع كفيها على وجنتيها وهتفت بسعادة:

- معقول .. ألف مبروك يا حبيبى

كان قد انتهى من جمع بعض أوراقه وقبل أن يخرج توقف وقد تذكر شيئاً ذات أهمية وقال:

- لو سمحتى يا دنيا تعالي كمان ساعة كده.. عاوزك ضرورى

أبتسمت دنيا وهى تتابعه وهو يخرج من الحجرة بينما توجهت نورا خلفه لتهنئه ، طرقت الباب ودخلت عندما سمعته يعطى الأذن بالدخول ، وقفت عند حافة الباب المفتوح تهنئه فشكرها بابتسامة هادئة وقد كان يتوقع أن تغادر ولكنه وجدها تقف فى حيرة من أمرها لا تدرى ماذا تقول ، فقال فارس بهدوء لا يخلو من الدهشة:

- فى حاجة يا أستاذة نورا؟

تقدمت للداخل وبحركة تلقائية كادت أن تغلق الباب ولكنه استوقفها قائلا:

- لو سمحتى سيبى الباب مفتوح

أومأت برأسها وجلست قبالته وقالت بتوتر:

- أستاذ فارس ..أنا عارفة انك مشغول أوى بس انا.. أنا بجد مخنوقة أوى ومحتاجة اتكلم معاك

ترك فارس مافى يده من ملفات وقال ببطء متسائلا:

- خير فى حاجة مضايقاكى .. فى الشغل

قال كلمته الأخيرة تلك وهو يضغط حروفها بتعمد فرفعت نظرها إليه متعجبة وقالت باستنكار:

- أنت كنت بتسمع لمشاكلى كلها وبتحاول تلاقيلى حل مهما كانت نوع المشاكل دى

أستند فارس إلى سطح المكتب وهو ينظر لكفيه ويقول :

- عارف يا أستاذة نورا.. بس انا عرفت ان ده كان غلط .. مش غلط انى أحل لك مشاكلك ..لكن الغلط فى حد ذاته أنى أخلى زميلة ليا تشوفنى على أنى سوبر مان اللى مفيش مشكلة بتقف قدامه .. أنتِ أغلب مشاكلك متعلقة بخطيبك وبعلاقتكم مع بعض وخصوصا المشاكل العاطفية بيتهيألى لو حكيتى لبنت زيك هيكون أفضل وهنسد باب الفتن دى من أولها لآخرها

قطبت جبينها وقالت فى حرج :

- أنت عمرك ما قلتلى كلمة فيها تجاوز.. ليه تقول كلمة فتن

أبتسم فارس وهو مازال غاضا لبصره عنها:

- مكنتش بقول ..بس الشيطان مش هيسيبك فى حالك .. هيفتحلك ألف باب وباب .. ويهيألِك انى محصلتش فى الناحية العاطفية .. والحقيقة انى بشر زى أى بشر.. بغلط وبتوب بتكلم حلو ووحش زى كل الناس .. لكن لما بنشوف المشكلة من بره بيبقى حكمنا وطريقة كلامنا غير اللى عاشها فعلا

وقفت وهى تقول بحنق وقد شعرت بكلماته تغوص بداخلها لتخرج ما به من انفعالات وقالت بضيق شديد:

- متشكرة أوى يا أستاذ فارس على تنبيهك ده ..عن أذنك

خرجت من حجرته حانقة عليه وعلى نفسها ، دخلت لتتوضأ وعادت لحجرتها فى المكتب لتصلى فى أحد أركانه وتلكأت فى جلستها حتى نهضت دنيا ودلفت إلى مكتب فارس، وبنفس الطريقة أشار لها أن تبقى الباب مفتوحا، جلست أمامه فى سعادة بالغة وهى تقول:

- مبروك مرة تانية يا حبيبى تستاهلها بجد

أخذ نفساً عميقا وهو يغمض عينيه وزفر فى بطء وهدوء ثم قال:

- دنيا .. أولا متنسيش اننا لسه مخطوبين

مطت شفتاها بتبرم وهى تقول:

- وثانيا ؟

قال على الفور:

- لبسك بقى ملفت للنظر أوى يا دنيا

صاحت فى غضب وهى تهب واقفة:

- ما تقولى ألبسى خيمة أحسن

- أنتِ زعلانه انى بغير عليكى وعاوز لبسك يبقى محتشم أكتر من كدة ؟

تبرمت فى حنق وجلست مرة أخرى ولم ترد أو بمعنى أصح تقلب الأمر فى رأسها ، صمتت قليلا ثم قالت:

- طيب سيبنى بس لما اقبض علشان اعرف اشترى لبس يرضيك

أبتسم لموافقتها ثم أخرج بعض المال وقدمه لها قائلا:

- معلش ده مبلغ بسيط .. بس هيكفى ان شاء الله تجيبى طقم بسيط كده على ما نقبض

نظرت للمال ثم نظرت إليه بضيق وهى تقول:

- حتى الكام يوم مش عاوز تسيبنى براحتى فيهم وبعدين شكرا يا سيدى هاخد فلوس من بابا

- أومال ليه بتقوليلى استنى لما اقبض

زفرت فى غضب هاتفةً:

- يووه بقى يا فارس .. حاضر حـــاضر

***

جلست نورا على مقعدها خلف مكتبها وهى تدفن رأسها بين كفيها وتستعيد كلمات فارس الذى ألقاها عليها منذ قليل كمن يلقى دلواً باردا فى ليل الشتاء القارص على قلبها بلا رحمة أو شفقة، ولم تعد تدرى اهو يقصد صالحها كما قال ، أم يتهرب منها ومن مشاكلها التى غطت أذنيه منذ عملهما معاً ، كانت تريد أن تختلى بنفسها قليلا بعيد عن أعين الناس ، نهضت وأخذت حقيبتها وبدون أن تستأذن للأنصراف خطت بسرعة خارج المكتب مسرعة لا تعبأ بالسؤال عنها حين ملاحظة غيابها ، كانت مرتبكة قلقة تتردد كلماته على قلبها قبل عقلها فحثت السير أكثر كأن شبحا يطاردها.

تقوقعت نورا فى فراشها وهى تحتضن قدميها إلى صدرها وتفكر فيما قاله لها اليوم وتفكر فيه بعمق وتحادث نفسها قائلة:

- مش عارفه معاه حق ولا لاء .. أنا فعلا فى الأول كنت بتكلم معاه على أنه زميلى وبس لكن مع كل مشكلة كان بيحلهالى كنت بحس أنه هو ده اللى بدور عليه ..وكنت بندم على أنى مقابلتوش قبل خطيبى وقبل ما نكتب الكتاب

أستلقت على أحدى جنبيها وألقت رأسها على الوسادة وهى تفكر فى حل لما وقعت فيه بدون أرادة منها وقالت بضيق :

- ياريتنى كنت حكيت لبنت زيى على الأقل كنت هفضفض معاها من غير ما يحصل اللى حصل ده جوايا

تململت فى الفراش كتململ العصفور المبلل بماء المطر حتى استسلمت للنوم وقد قررت أن تقف مع نفسها بحسم وتصرف عن قلبها صورة فارس الهُلامية التى صنعتها له بيديها، صورة الرجل الذى لا يخطىء أبدا ، وتضع مكانها صورة خطيبها وحبه لها لتجعل منه مددا لها لعلها تفيق مما هى فيه وتشعر بهذا الرجل الذى أهملته كثيرا بأوهامها السابقة.

****

كان فارس يجلس بمكتبه حين سمع جلبة بالخارج ، حرك جسده قليلا وهو يحاول النظر من الباب المفتوح أمامه فرأى رجلاً يصيح بعصبية قائلا:

- ده مش أسلوب معاملة.. أومال مكتب كبير واسم كبير وخلاص .. وكل ده على الفاضى ومش عارفين تخلصولى حتة قضية يخلصها محامى صغير

هب فارس ناهضا وأثناء خروجه وجد الدكتور حمدى يدخل حجرة مكتبه ويغلق الباب فى وجه الرجل بحدة مما جعل الرجل يشتعل غضبا أكثر ودنيا ونورا يتابعان ما يحدث عن كثب وبعض المحامين يحاولون التحدث للرجل للرحيل بسلام ودون أثارة المشاكل ولكن كان منفعلاً بشدة فلم يستجب لأحد ، حاول فارس تهدأته وعرض عليه الجلوس فى مكتبه ليتفاهم معه ومحاولة أصلاح الأمر بصفته مدير المكتب ، أستجاب الرجل ودخل حجرة فارس

جلس فارس أمامه على المقعد المقابل له ولم يجلس خلف مكتبه ليستطيع التعامل معه ومع انفعاله وهو يقول :

- أهدى بس حضرتك وقولى أيه الحكاية بالظبط

هدأ الرجل قليلا ثم قال متهكماً:

- حتة قضية شرعى صغيرة قد كده.. يخلصها أى محامى صغير ..جيت للدكتور بتاعكوا وقلت أسم وسمعه وهيخلصها قوام قوام.. لقيته بيرمى الملف ويقولى شفلك محامى غيرى وطردنى من مكتبه

قام فارس بتهدأته مرة أخرى ثم قال:

- ممكن الملف بعد أذنك

أستند فارس لظهر مقعده وهو يقلب فيه سريعاً ثم قال بدهشة:

- والدكتور رفض القضية ليه .. دى قضية طلاق عادية جدا

قال الرجل متهكما:

- أديك قلت.. قضية طلاق عادية جدا ..

مال فارس للأمام وهو يتفحص الرجل وقال بجدية وهو يتكأ بمرفقيه على ساقيه والملف بين يديه:

- ممكن حضرتك بس تجبلى الموضوع من الأول كده علشان افهم واقدر افيدك

- طلقت مراتى وراحت بيت ابوها بالعيال ..رفعت عليا قضية نفقة ليها وللعيال ومؤخر بقى وقايمة والذى منه

حثه فارس على المتابعة قائلا:

- وبعدين

- ولا قابلين .. واحد صاحبى ليه تجربة فى الموضوع ده قبل كده ... شار عليا أنى لو قلت عليها انها ماشيها بطال وجبت شهود وأدله على كده كل حقوقها هتسقط ومش هيبقى ليها حاجة عندى غير نفقة العيال بس

قطب فارس جبينه بشدة وقال مستفهماً:

- وأنت فعلا عندك شهود على كده

ضحك الرجل بسخرية ثم قال:

- أهم مرمين على القهوة قدام المحكمة مش لاقين شغلانة .. كل واحد عشرين جنية و تحفظه كلمتين وخلصت خلاص

شعر فارس بالدماء تغلى فى رأسه ولكنه حاول ضبط أعصابه والتحكم بها وهو يقول:

- شهود زور يعنى ؟!!

- زور ولا مش زور .. المهم الوليه دى متخدش منى حاجة إلا بمزاجى

صمت فارس قليلا ثم قال بعد تفكير:

- وتقبل أن مراتك ام ولادك سمعتها وشرفها يبقى في بؤ كل واحد شوية وانت عارف ومتأكد أنها ست شريفة وكل ده علشان ايه ..علشان خاطر انت مش عاوز تديها حقوقها اللى ربنا أمرك بيها وأستحلتها كزوجة بعد ما وافقت عليها ومضيت على كده

زفر الرجل فى ضيق وهتف به:

- بقولك ايه يا أستاذ انا مش جاى هنا اسمع مواعظ ..هما كلمتين هتظبطلى القضية دى ولا مش هتعرف

ثم أردف مسرعاً :

- ولو وافقت ليك عليا هتعامل معاك من بره بره من غير الدكتور بتاعك ما يعرف وأتعابك هتبقى ليك لوحدك ...ها قلت ايه

أبتسم فارس وهو يقول:

- قلت أن حضرتك مقرتش اليافطة اللى على المكتب بره كويس ...ده مكتب محاماة مش شقة دعارة

نظر له الرجل بدهشة وقد بدت علامات العبوس على وجهه فتابع فارس قائلا:

- أه والله مش مصدق ولا ايه ...ماهوأنا لو وافقت على اللى بتقوله يبقى مراتك دخلت عندنا شريفة وطلعت من عندنا مشيها بطال ...تبقى شقة دعارة ولا لاء

ثم هب واقفاً وهو ينظر للرجل باحتقار وقال بهدوء:

- أتفضل حضرتك شوفلك حد تانى يلوث سمعت ام ولادك .. ولو كمان كسبت القضية تبقى علمت على عيالك انهم ولاد حرام وفضحتهم قدام الناس كلها وضيعت مستقبلهم.. وكمان بقى عندك بنات شوف مين اللى هيبصلهم بعد كده.. وخلى بالك انت كده بتقذفها فى شرفها وكمان بشهود زور.. يعنى حسابك عند ربنا مش بس عقوبة القذف لالا دى كمان شهادة زور والتحريض على شهادة الزور

وغمزله بعينيه وهو يتابع:

- يعنى حسابك هيتقل أوى يا باشا وبلُغة القانون الوضعى ..أعدام .. والأعدام بتاع الآخرة ..على جنهم عدل

ظل الرجل ينظر لفارس ويحدق به وهو يتحدث حتى انتهى من حديثه ثم جذب الملف من يده وهو يشعر بالتوتر من كلماته والإرتباك وقال متلعثماً وهو يغادر بسرعة :

- أنا مش فاهم .. مكتب محاماة ده ولا جامع

أنصرف الرجل وجلس فارس خلف مكتبه وهو يضع رأسه بين كفيه قائلا بأسى:

- لا حول ولا قوة الا بالله .. معقول توصل للدرجة دى

دخلت دنيا مسرعة وقالت بلهفة:

- أيوا كده يا فارس هو ده الشغل ..ها ظبطت الراجل وهتشتغلها لحسابك صح ..؟؟

رفع رأسه إليها وهو يقول بحزن:

- لاء طبعا يا دنيا اصلك متعرفيش الراجل ده كان عاوز ايه

قطبت جبينها وقالت ضيق:

- ليه يا فارس ليه.. دى فرصة جات لحد عندنا كنت هتطلعلك منها بكام ألف

أبتسم ساخرا وهو يقول:

- حتى لو كانوا كام ألف حرام

صمتت وهى تنظر إليه بدهشة ودخلت نورا لتخبره أن الدكتور حمدى يطلبه ولكنه لم ينتبه لها وهو يقول:

- الراجل طلق مراته وعاوز يدعى عليها انها ماشيها بطال علشان ميديهاش حقها لاء وكمان هيجيب شهود زور على كده ..

وهز رأسه متهكما وهو يقول:

- لاء ويقولى خد القضية لحسابك ...فاكرنى على آخر الزمن هاكل حرام

صمتت دنيا تفكر فى كلماته فبرغم شعورها بالحنق تجاه رفضه للقضية إلا أنها لم تستطع أخفاء شعورها بالأعجاب تجاهه ، لم تكن هى الوحيدة التى أعجبت به ، بل كانت نورا أيضا التى كانت تقف تنظر إليه باحترام شديد ، حانت منه التفاتة إليها انتزعتها من أفكارها وقالت بسرعة:

- الدكتور حمدى عاوزك فى مكتبه

****

نظر فارس إلى وجه الدكتور حمدى فوجده مازال محتقنا بالدماء من كثرة غضبه وانفعاله فقال:

- أهدى يا دكتور الراجل مشى خلاص

قال الدكتور حمدى بعصبية وهو يضرب سطح المكتب بقبضته :

- شفت الراجل الوقح ده كان عاوز ايه

أومأ فارس مجيبا وهو يقول:

- أيوا يا دكتور وعموما أنا اديته اللى فيه النصيب ومشى

نظر إليه حمدى مستفهما فقال فارس:

- أديته كلمتين فى عضمه يمكن يفوقوه ويفكروه ان فى آخره وعذاب وحساب من ربنا

ضرب حمدى كفيه ببعضهما وهو يهتف متعجباً:

- لاء ومش دى المصيبة يا فارس .. المصيبة أنى كنت فاكر انى مشغل معايا ناس عندهم ضمير لكن للأسف الكام محامى اللى شفتهم بره بيهدوه كانوا موجودين ويقولولى وفيها ايه يا دكتور ده شغل ..تخيل يا فارس انا على أخر الزمن اشتغل بالطريقة دى

نهض فارس واقفا بقلق وهو يقول:

- أنا هروح اجيب لحضرتك كوباية ماية

أشار إليه حمدى مستوقفاً أياه وهو يقول:

- لا متقلقش يا فارس..أنا خلاص هديت وبقيت كويس متقلقش

ثم زفر وهو يعيد ظهره إلى الوراء ويستند إلى ظهر كرسيه وهو ينظر لفارس قائلا :

- الحمد لله أنا كده اتأكدت أنى اخترت صح من الأول

***

أنتهت نورا من عملها وانصرفت من المكتب ، وما إن هبطت للأسفل حتى وجدت خطيبها رامى ينتظرها أمام البناية داخل سيارته الصغيرة ، أبتسمت ابتسامة صغيرة واستقلت السيارة بجواره فانطلق بها وهو يقول:

- وحشتينى يا نورا .. شكلك مرهق أوى النهاردة

نظرت له وقد بدا عليها الإرهاق بشدة وهى تقول:

- ما أنت عارف يا رامى شغلنا متعب أزاى

- أنا مش عارف أيه اللى جابرك على كده .. منا قلتلك كفاية بقى من زمان بس انتِ اللى مصممة تشتغلى مش عارف ليه ..كان يتوقع أن تتكلم بحدة كعادتها عندما تأتى سيرة عملها ولكنها هذه المرة قابلت الحديث بصمت وهى تستند برأسها للخلف وتقول:

- هبقى افكر فى الموضوع ده تانى

أغمضت عينيها باسترخاء ولكن فجأة فتحتهما وكأنها تذكرت شيئا وقالت باهتمام:

- عاوزة آخد رأيك فى حاجة مهمة

- قولى يا نورا انا سامعك

قصت عليه ماحدث فى المكتب اليوم من شد وجذب مع هذا الرجل ولكنها لم تذكر له رد فعل فارس واكتفت بما فعله الدكتور حمدى ثم قالت تختبره:

- أنت أيه رايك يا رامى.. لو كان الراجل ده عرض عليا القضية أشتغلها لحسابى أوافق ولا لاء ؟؟

قال بسرعة وبدون تفكير:

- لاء طبعا ده راجل معندوش دم ولا ضمير.. كويس أن الدكتور حمدى طرده بس .. ده لو كنت انا كنت طبقت فى زمارة رقبته

قالت ببطء:

- حتى لو كان هيدفعلى الفلوس اللى انا عاوزاها

قال بضجر:

- حتى لو كان هيدفع مال قارون دى هتبقى فلوس حرام

أبتسمت نورا وهى تسترخى بجسدها بالكامل للوراء وتسائلت ، لماذا إذن لم تكن ترى خطيبها يحمل تلك المشاعر النبيلة والضمير اليقظ من قبل ،هل لأنها لم ترى إلا فارس فقط أم لأنها كانت تحكم على رامى مسبقا دون أن تعرف شيئا عنه أو تحتك به عن قرب كما كان يحدث هذا يوميا مع فارس ، تعددت الأسباب والحكم واحد فى النهاية ، لا تعلم لماذا بدت صورة فارس أمام عينيها تتلاشى لتحل محلاها صورة رامى الجالس بجانبها خلف عجلة القيادة ، حانت منه التفاتة إليها فرأى نظرات الحب التى لم يرها أبدا فى عينيها منذ أن عقد قرانها ، فأوقف السيارة جانبا وظل ينظر إليها بحب وشوق لتلك النظرة المطلة من عينيها ، فقالت :

- وقفت العربية ليه يا رامى

- أبتسم وهو يقول:

- أصل انا معرفش أحب واسوق فى نفس الوقت بصراحة

****

عاد فارس لمنزله سريعاً بعد صلاة الظهر ليلحق بميعاد الغذاء مع والدته حتى لا تأكل وحدها وهو ما يزال مشدوها مما حدث يوم أمس فى المكتب ومما سمع من هذا الرجل ، ربتت والدته على رأسه بحنان وهى تهم بالجلوس بجواره حول مائدة الطعام ، نظر لها بابتسامتة العذبة فقالت:

- مالك يابنى من ساعة ما رجعت وانت سرحان وبالك مشغول

ما كادت أن تنهى عبارتها حتى سمعت طرقاً على باب الشقة ، نهض فارس سريعاً واتجه ليفتح الباب فوجد أم يحيى أمامه ويبدو عليها علامات العجلة والتوتر وقالت:

- أسفه والله يا أستاذ فارس هى الست ام فارس موجودة

نادتها أم فارس من الداخل فأفسح لها فارس المجال للدخول ولكنها اكتفت بأن تطل برأسها وهى تقول :

- معلش يا ست ام فارس أصل اختى تعبانة شوية ولازم اروحلها دلوقتى

نهضت أم فارس واقتربت منها فقالت بحرج:

- ممكن بس لو مُهرة نزلتلك تخليها عندك لحد ما ارجع.. أصلها عليها واجبات كتير النهاردة ومكنش ينفع اخدها معايا

تدخل فارس قائلا:

- هى لوحدها فوق ولا يحيى معاها

قالت بحرج:

- لا أصل يحيى عنده درس دلوقتى ومعاه زمايله فوق .. وانا سبتها معاهم لحد ما ارجع بس ممكن تضايق لوحدها ولا حاجة .. فلو نزلت معلش يعنى استحمليها لحد ما ارجع .. أنا مش هتأخر ان شاء الله

قاطعها فارس مرة أخرى وقال مؤنباً أياها:

- معقول يا ام يحيى.. سايباها مع شباب لوحدها فوق وكمان المدرس اللى معاهم كده ينفع يعنى

ضحكت أم يحيى وهى تقول:

- شباب أيه بس يا أستاذ فارس .. دول شوية عيال فى ثانوى وهى مقروضة زى ما انت عارف .. وبعدين مفيش حد غريب ده يحيى معاه محمود أخو البشمهندس عمرو ومعاهم أتنين من زمايلهم فى المدرسة

رفع فارس حاجبيه وقال متهكماً:

- شوية عيال ! .. والله انتِ غلبانة يا ست ام يحيى .. ده محمود ده بالذات عاكسها قدامى فى خطوبة عمرو وجيت اكلمه مهموش وعاد نفس الكلام قدامى .. مابالك بقى بالاتنين التانين

تدخلت أم فارس قائلة :

- خلاص روحى انتِ وانا هبقى اطلع اجيبها

أنصرفت أم يحيى سريعاً وهبطت الدرج على عجلة منها وهمت أم فارس أن تغلق الباب ولكنه استوقفها قائلا:

- أستنى يا ماما لما اطلع اجيبها الأول

قالت بدهشة:

- أتغدى طيب وبعدين انا هبقى اطلع اجيبها

قال وهو يخرج من الباب ويتجه إلى السلم :

- معلش يا ماما هجيبها الأول واهى تتغدى معانا بالمرة

صعد فارس للطابق التالى لهم وطرق الباب ففتح له يحيى وابتسم عندما رآه قائلا:

- أبيه فارس أتفضل

دخل فارس وهو يضع ذراعه على كتفه بود قائلا:

- ها عامل أيه فى المذاكرة

- المستر لسه مجاش.. اتأخر النهاردة وانا قاعد اهو بخلص الواجب اللى كان مديهولنا فى المدرسة

نظر فارس حوله وهو يحدثه ، فوجد زملائه يعبثان أمام قنوات التلفاز ويتضاحان بشكل عشوائى ومحمود يقف فى الشرفة يضايق مُهرة كالعادة وهى ممسكة بدميتها المفضلة باربى هدية فارس لها ، أشار له فارس باتجاه محمود وقال بغضب:

- أزاى امك تأمنك على اختك وسايب صاحبك واقف يكلمها كده ويضايقها

سمعت مُهرة صوت فارس فأقبلت مسرعة باتجاهه ضاحكة بينما كان يحيى يقول:

- مانا مخلى بإلى منها يا أبيه هو انا عملت حاجة.. وبعدين دى تضايق بلد بحالها

زفر فارس بضيق وقال ليحيى :

- طب خلص الدرس بتاعك وبعدين هبقى اقعد اتكلم معاك فى الحكاية دى بعدين وافهمك

ثم التفت لمهُرة قائلا:

- يالا روحى هاتى شنطة المدرسة علشان تنزلى معايا

أخذها فارس وهبط بها لشقته ووجد والدته تعد لها صحنها التى تحب أن تأكل فيه فابتسمت عندما رأتها بصحبته ، ألتف ثلاثتهم حول المائدة وهو يقول :

- كويس انى طلعت على طول

نظرت له والدته متسائله فقال:

- لو سمحتى يا ماما مُهرة تفضل معاكِ معظم اليوم زى ما كانت الأول .. أنا كده هبقى فى الشغل ودماغى بتلف

بعد انتهاء الغذاء أعد فارس الشاى ووضعه أمام والدته على الطاولة المواجهة لمقعدها بينما جلس هو على الأريكة واستندت مُهرة بظهرها إلى أريكته وهى على الأرض بجوار ساقه وتضع كراستها فوق ركبتيها وهى تحل أحد المسائل الحسابية فقالت لها أم فارس:

- يابنتى ما تقعدى على الترابيزة حد يذاكر كده ..هتتعبى

قالت مُهرة دون أن تنظر إليها بحب اذاكر كده يا طنطى

ألتفت فارس إلى والدته وقال:

- سيبيها يا ماما ما انتِ عارفاها دماغها ناشفة

نظرت له والدته وقالت:

- على فكرة .. أنا منستش أنك كنت سرحان وبالك مشغول ..خدتنى فى دوكه فى موضوع مُهرة ده .. قولى مالك

تناول فارس كوب الشاى الخاص به وأخذ منه رشفة صغيرة وقال فارس متعجباً :

- تخيلى يا ماما واحد جالنا المكتب فقضية طلاق ..ومش هتصدقى كان عاوز ايه

قالت والدته بفضول واهتمام وهى تضيق عينيها:

- كان عاوز ايه يابنى

قص عليها تفاصيل ماحدث بينه وبينه الرجل والحوار الذى دار بينهما وما سمعه من الدكتور حمدى عقب خروج الرجل من عنده فقالت وهى تهز رأسها بحزن :

- ومالك يابنى مستغرب كده ليه ده بقى عادى خلاص ..سيرة الناس بقت لبانه فى بؤ كل واحد شوية من غير خشى ولا ضمير.. بالكدب بقى بالباطل مش هتفرق .. ده حتى لو العيوب دى فيه فعلا تبقى غيبة

رفعت مُهرة رأسها من بين كتبها وقالت:

- يعنى لو واحدة صاحبتى قالت عليا لواحدة صاحبتى تانية أن انا أوزعة .. يبقى كده حرام صح يا فارس

نظرا إليها كل من فارس ووالدتها متعجبين وقالت أم فارس :

- أيه ده .. أنتِ واخدة بالك من الكلام وانا اللى فاكراكى غلبانة

ضحك فارس ووجه كلامه لمُهرة قائلا:

صح يا مُهرة وهحكيلك بقى حكاية علشان تفضلى فاكرة الموضوع ده فى دماغك على طول بما أنك بتحبى الحكايات

جلست مُهرة فى انتباه وهى تستمع إليه فقال:

- بصى يا ستى كان مرة الرسول عليه الصلاة والسلام ماشى وكان فى ناس ماشيين وراه بيتكلموا على واحد مش موجود كلام مش كويس .. الرسول عليه الصلاة والسلام شاف حمار ميت مرمى فى الطريق ...عمل أيه بقى الرسول علشان يعلمهم براحة

شاور على الحمار الميت ده وقالهم ياكلوا منه... وبعد ما الناس استغربت وقالوا ازاى هناكل حمار ميت .. الرسول قالهم لو كنتم أكلتم لحم الحمار الميت ده أهون من أنكم تتكلموا على أخيكم وتتكلموا عليه كلام هو ميحبش حد يقولوا عليه

يعنى يا مُهرة لو لقيتى حد بيتكلم على حد بحاجات هو ميحبهاش فى نفسه أتخيلى كده أنهم قاعدين ياكلوا لحم حمار ميت

وضعت مُهرة يدها على فمها متقرفة ثم قالت :

- طب لو انا عملت كده أعمل ايه طيب

ضحكت أم فارس من طريقتها وابتسم فارس وقال:

- استغفرى كتير ليكى وللى اتكلمتى عليها

****

صلى فارس الجمعة ووقف يبحث بعينيه عن بلال وأخيرا وجده فأقبل عليه مسرعاً وصافحه بحرارة فقال بلال:

- هو انا يابنى مش هشوفك غير فى المصايب ولا أيه

ضحك فارس لداعبته وقال مدافعاً:

- لا والله مفيش مصيبة المرة دى .. دى خدمة بس

ضحك بلال وقال:

- أنا برضة بقول عليك بتاع مصلحتك..ها خير

- شوف يا سيدى الحكاية باختصار ..أخت خطيبة عمرو صاحبى وقعت من على السلم ورجلها اتكسرت والدكتور قال لازم علاج طبيعى بعد ما تفك الجبس واهى فكته من يومين ومن ساعتها واحنا دايخين على دكتورة ست ..مش لاقين .. وبما أنك بقى دكتور علاج طبيعى يبقى مفيش قدامنا غير سيادتك

حاول بلال أن يتكلم رافضاً ولكن فارس قاطعه بسرعة :

- أولا انا عارف أنك بتتعامل مع الرجالة بس ..لكن والله غصب عننا ومفيش حل تانى يا أما ست يا أما دكتور نضمن خلقه وأمانته

ثانيا انا عارف أنك شهم ومش هترضى نوديها عند أى دكتور منضمنوش ده غير انها رافضة تروح لدكتور لأنها منتقبة ومش عاوزه راجل يلمسها يرضيك بقى يحصلها مشكلة فى رجلها

أطرق بلال برأسه قليلا ليفكر فى الأمر، لقد كان شبه مستحيل بالنسبة له أن يتعامل مع النساء وخصوصا فى هذا المجال الذى يتطلب بعض اللمسات المباشرة ، فرفع رأسه وقال متسائلا:

- قلتلى انها رافضة تروح لدكتور راجل ؟

قال فارس مؤكداً:

- أه والله يا بلال .. ده حتى لما رجلها اتكسرت وراحت المستشفى .. بدل ما تعيط من الألم كانت بتعيط ان الدكتور شاف وشها وهو بيفوقها

قال بلال بعفوية :

- هى منتقبة من زمان ؟

نظر له فارس بدهشة وقال:

- افتكرتك هتسألنى على حالتها الصحية

أنتبه بلال لسؤاله وقال مستدركاً:

- طب ماهى هترفض تجيلى برضة .. مش بتقول رافضة تروح لدكتور راجل

أبتسم وهو يقول:

- لو أنت وافقت هقول لباباها وهو هيتصرف .. مفيش حل تانى ..الدكتور بعد ما فك الجبس قال لو معملتيش علاج طبيعى هيحصل تيبس للعضلات وضمور ومش هتعرف تتحرك تانى

قطب بلال جبينه وهو يعقد ذراعيه أمام صدره ثم ابتسم قائلا:

- هاتهالى المركز بكره .. بس يكون والدها معاها

***

الفصل الثالث عشر

كانت عزة تجلس بجوار أختها عبير ظهراً وهى تساعدها فى ارتداء اسدال الصلاة فسمعت صوت رنين الهاتف فقالت عبير:

- روحى شوفى مين يا عزة خلاص هلف الطرحة واصلى

تركتها عزة وأتجهت للهاتف بعد أن ربتت على كتفها وأجابت على المتصل:

- السلام عليكم

أبتسم عمرو بتلقائية وهو يقول:

- وعليكم السلام ..هى النمرة غلط ولا ايه

قالت عزة باستغراب:

- لا يا عمرو النمرة مش غلط

أتسعت ابتسامته أكثر وأخفض صوته وهو يضع أصابعه على سماعة الهاتف قائلا :

- لما رديتى عليا وسمعت صوتك افتكرت انى اتصلت بمحل العصافير

أنتبهت عزة أنه يداعبها فلم تستطع أن تمنع نفسها من الأبتسام ولكنها قالت بنرة جدية:

- خير يا عمرو فى حاجة

زفر عمرو بقوة شعرت بها عزة على الطرف الآخر وقال:

- أه فى طبعا أومال بتصل علشان اقولك وحشتينى مثلا .. لا يا ماما ده بُعدك

أحمرت وجنتها وقالت بنبرة اكثر جدية:

- لو سمحت يا عمرو قول عاوز أيه وإلا هنادى ماما تكلمك هى بقى

قال على الفور :

- لالالا على ايه يا ستى ..بصى احنا الحمد لله لقينا دكتورعلاج طبيعى كويس أوى ومحترم جدا ومتدين وعلى فكرة هو مش بيتعامل مع ستات .. بس لما فارس قاله ان عبير مش عاوزه تروح لدكتور والكلام ده .. وافق طبعا بس عاوز والدك يروح معاها

قالت عزة بتلقائية وبدون تفكير:

- معرفتك ولا معرفة فارس ؟

تغير صوت عمرو وقال بضيق:

- هتفرق معاكى مش كده ..؟؟

شعرت بالأرتباك وندمت على كلمتها ولكنها قالت بتماسك :

- لا مش قصدى .. قصدى يعنى.. أصلك بتقول متدين و.. محتــ

قاطعها بغضب وغيرة واضحة:

- وأنا معرفش حد متدين ومحترم .. لكن فارس يعرف مش كده.. مش ده قصدك ؟

حاولت أن تتكلم ولكنه قاطعها مرة أخرى قائلا:

- عموما هكلم والدك لما ارجع من الشغل واديله التفاصيل والعنوان..سلام

أنهى عمرو المكالمة بعصبية ومسح رأسه بعنف ، حاول أن يعود إلى عمله ، ولكن أفكاره جميعها تشتت وغلب عليها عدم التركيز فترك القلم مرة أخرى ووضع رأسه بين يديه وأغمض عينيه واستسلم لشيطانه الذى أخذ يوسوس له ويؤكد له الفكرة التى زرعتها هى بكلمتها تلك ..

تناول القلم مرة أخرى ودون عنوان الدكتور بلال عليه ثم استأذن وانصرف مغادرًا إلى منزل عزة ، صعد الدرج سريعاً ، طرق الباب وانتظر بعيدا حتى فتحت والدتها الباب وقالت بترحاب لا يخلو من الدهشة:

- اهلا يا بشمهندس ..أتفضل يابنى

أخرج عمرو الورقة من جيبه ومد يده بها إليها وهو يقول:

- معلش يا طنط وقت تانى ان شاء الله .. ده عنوان دكتور علاج طبيعى كويس صاحب فارس مش صاحبى .. فارس كلمه على حالة عبير وهو مرحب بيها فى أى وقت بس لازم يكون والدها معاها.. والأشعة كلها

مدت يدها لتأخذها وهى تقول:

- يابنى تعالى مينفعش على السلم كده

قال وهو يتجه للسلم مسرعاً:

- معلش اصلى مستعجل شوية ..سلام عليكم

عادت والدة عزة للداخل وهى تنظر أمامها متعجبة وتقول:

- سبحان الله ...!!

خرج زوجها من غرفة نومه بعد أن أنهى صلاته وقال وهو ينظر إليها:

- مين يا ام عبير

قالت زوجته وهى تنظر لعزة الجالسة أمام التلفاز شاردة :

- ده عمرو يا حاج

أنتبهت عزة والتفتت إليها وقال والدها متعجباً:

- ومدخلش ليه ؟

نظرت والدتها إليها مرة أخرى باستفهام وقالت:

- مش عارفة يا حاج .. شكله كده مضايق من حاجة

ناولته الورقة وهى تقول:

- كان جايب عنوان دكتور علاج طبيعى لعبير وبيقولى انه صاحب فارس مش صاحبه هو

أخترقت الكلمة أذن عزة وشعرت أن الدماء ستنفجر من رأسها وقالت بداخلها وهى واجمة:

- طالما زعل وعمل كده يبقى أكيد أفتكر أن فى حاجة ..يارب استر

هتفت عبير مستنكرة:

- أنا مش هروح يا بابا

نظر لها والدها بحدة لم تعتدها منه وقال:

- هتروحى يا عبير يعنى هتروحى ..ولا عاوزه يحصلك ضمور ومتتحركيش تانى

شعرت بالعبرات تقتحم مجال رؤيتها لتعيقها عنه وهى تقول:

- يا بابا حضرتك عارف يعنى ايه علاج طبيعى .. يعنى ممكن يقول تدليلك وكلام فاضى يرضيك يعنى يا بابا واحد يقعد يدلك رجلى

تدخلت عزة وقالت بخفوت وكأنها تخشى أن يخرج صوتها من حلقها :

- عمرو لما اتصل قال انه متدين ومحترم ومش بيتعامل مع ستات أصلا لكن لما ..

وشعرت بغصة وهى تقول على مضض:

- لما فارس قاله انك مش عاوز تروحلى لدكتور راجل وان احنا مش لاقين دكتور مضمون وافق بصعوبة

نهض والدها وقال موجهاً حديثه لعبير :

- جهزى نفسك هنروح بكره على طول

وقبل أن تتكلم قال آمراً:

- ومش عاوز كلمة زيادة

****

دخلت عبير مركز العلاج الطبيعى وهى تستند لذراعى والدها ووالدتها، جلست تنتظر دورها بجوارهما فى قلق ، المكان حولهم ملىء بالرجال لا يوجد امرأة واحدة فى المركز ، شعرت بألم فى معدتها وحاولت أن تذكر الله مراراً حتى تهدأ ، نهض والدها وتحدث إلى الممرض ثم عاد وجلس بجوارهما مرة أخرى ومال عليهما قائلا:

- خلاص قدامنا حالة واحدة بس الحمد لله

همست عبير مستنجدة به:

- بابا انا عاوزه اروح البيت

نظر لها محذرا وقال:

- عبير ايه شغل العيال ده

وأخيرا جاء دورها فى الدخول له ، ولم تكن تطأ إلى غرفته حتى اتسعت عيناها دهشة وهى تنظر إلى بلال ولحيته وسمته الظاهر ، غضت بصرها سريعاً عنه وسمعت والدها يلقى السلام وسمعته يرد عليه السلام بود واحترام ، ثم هب بلال واقفاً ووضع مقعد الكشف فى وضع مريح لها وابتعد حتى تجلس بأريحية وعاد ليجلس خلف مكتبه مرة أخرى

جلس والديها على المقعدين المقابلين أمام مكتبه وهو ينظر إلى الأشعه بأمعان وتأمل دقيق ، ثم رفع رأسه بابتسامة عذبة وبشاشة قائلا:

- ماشاء الله نتيجة الأشعه ممتازة .. باذن الله كده الموضوع مش صعب خالص على فكرة ...متقلقوش يا جماعة خير إن شاء الله

قالت والدتها وقد لانت تعابير وجهها قليلا:

- ان شاء الله .. تسلم يا دكتور والله انت وشك فيه القبول

أردف زوجها على الفور :

- اه والله يا حجة معاكى حق

أبتسم بلال وهو ينظر للزوج قائلا:

- جزاكم الله خيرا والله ده من ذوقكم بس

تناول أحد الملفات الفارغة وهو يقول:

- انا هعملها ملف بحالتها فى الأول كده علشان نبقى متابعين التطورات أول بأول

لمعت عينيه بنظرة ذات مغزى وهو يدون البيانات ، تظاهر بالأستغراق فى كتابة البيانات ووالدها يمليه أسمها والعنوان ورقم الهاتف ، توقف فجأة عن الكتابة وسأل بشىء من الامبالاة قائلا:

- أكتب آنسه عبير ولا مدام عبير

قالت والدتها سريعاً:

-آنسه عبير يا دكتور

دون بلال البيانات فقال والدها بتردد:

- هو العلاج الطبيعى ده بيبقى ازاى ..معلش يا دكتور أصلها بصراحة قلقانة أوى ومكنتش عاوزه تيجى علشان يعنى مش عاوزه حد يشوفها

قال بلال وهو ينهض ويتجه إليها قائلا:

- متقلقش يا حاج

وتناول مقعد صغير ووضعه بجوار مقعد الكشف الذى تجلس عليه عبير وما أن جلس عليه أمامها مباشرة وما أن شعرت عبير باقترابه حتى هتفت فجأة:

- مش هكشف ..مش هكشف انا عاوزه امشى ..روحنى يا بابا

هب والدها واقفاً واقترب منها يهدأها بينما قال بلال له:

- لو سمحت يا حاج استنى شوية ..عاوز اتكلم مع الآنسه عبير

أومأ والدها برأسه موافقاً له فاستند بلال بمرفقيه على قدميه وقال لها دون أن ينظر إليها:

- آنسه عبير.. لو سمحتى أهدى علشان اعرف افهمك طبيعة العلاج

غشيت الدموع عينيها ولم ترد ، وقالت بصوت متقطع:

- أنا عندى أموت ومفيش راجل يلمسنى

قال بجدية :

- يعنى عمرك ما روحتى لدكتور خالص ؟

قالت بانفعال :

- الحمد لله عمرى ما تعبت إلا ولقيت دكتورة ست .. إلا المرة دى

قال مختبراً :

- اه بس ليه تتكسفى من الدكتور ده شغله يعنى مش أى راجل كده وخلاص

قالت بصوت متقطع من أثر البكاء:

- السيدة عائشة كانت بتشد ملابسها عليها وهى داخله الحجرة اللى ادفن فيها الرسول عليه الصلاة والسلام علشان عمر بن الخطاب كان مدفون جنبه.. يعنى كانت بتستحى من واحد ميت حضرتك بقى مش عاوزنى استحى من راجل عايش لمجرد أنه دكتور

أطرق بلال برأسه ولاحت أبتسامة رضا على شفتيه ثم قال بصوته العذب مطمئناً:

- حالتك أصلا مش محتاجة كشف.. يعنى أنا مكنتش هكشف عليكى اصلا .. زى ما قلتلك حالتك واضحة من الأشعة وكويسة أوى واحب اطمنك العلاج الطبيعى مش هيطول ومش هيحتاج ان راجل يلمسك ...ممكن تهدى بقى علشان نعرف نتفاهم

هدأت عبير قليلا وتبادل والدها ووالدتها النظرات القلقة من المرحلة القادمة ، نهض بلال واقفاً وأبعد مقعده قليلا وقال بحزم:

- قومى اقفى لو سمحتى

نظرت إلى والدها الذى كان يقف بجوارها ومدت يدها له ليساعدها ولكن بلال أوقفها قائلا:

- لالالا محدش هيساعدك.. أنتِ هتقفى لوحدك

حاولت عبير النهوض وأخيرا نهضت بصعوبة وهى تتألم فقال بابتسامة :

- ماشاء الله مكنتش متوقع تجيبيها لوحدك فى الأول كده

ثم أشار إلى أحد الأجهزة بعيدا وقال:

- شايفة الجهاز ده.. روحى اقعدى على الكرسى اللى جانبه

كانت تمشى بصعوبة بالغة وهى تكتم آلامها بداخلها وأخيرا وصلت إليه وجلست بصعوبة وحدها ، أقترب منها وضغط أحد أزرار الجهاز وهو يقول:

- ده جهاز ممتاز أوى لحالتك ..يالا أرفعى رجلك وحطيها هنا تحت النور ده بالظبط ..

فعلت كما أمرها ثم قالت بتوتر:

- على فكرة لو هتقولى تدليك مش هعمله

أبتسم وهو يتجه لمكتبه وقال:

- تدليك ايه بس.. ده موضة قديمة فى العلاج

جلس خلف مكتبه وهو يكتب فى ملفها ميعاد أول الجلسات فقال والدها:

- هو العلاج ده هياخد كام جلسة يا دكتور

بلال :

- السؤال ده لسه شوية عليه يا حاج.. أحنا لسه بنقول يا هادى

****

وضعت عزة سماعة الهاتف فى يأس ونظرات الحزن تطل من عينيها وتفصح عن نفسها ، جلست والدتها بجوارها وهى تقول :

- مش عاوز يكلمك ليه؟؟

ألتفتت عزة لها متعجبةً وقالت:

- هو مين ده يا ماما

- خطيبك

- مين اللى قالك كده يا ماما ده انا لسه كنت ...كنت بكلمه أهو

أمسكتها والدتها بكتفها ونظرت لعينيها بقوة قائلة:

- ماهو لو مقولتيش هروح أقول لبوكى وهو بقى يقررك بمعرفته

قالت والدتها هذه الكلمة وهمت بأن تنصرف ولكن عزة أمسكتها من يدها وانحنت تقبل كفها قائلة برجاء:

- لا يا ماما الله يخليكى بلاش تدخلى بابا فى الحكاية

أعتدلت أمها فى جلستها وهى تقول:

- قولى يا عزة ايه اللى حصل بينكوا .. اللى جه يدينى العنوان ده مش عمرو اللى احنا نعرفه ده كأنه واحد تانى وانا متأكدة أنك عملتى مصيبة

أطرقت عزة برأسها و روت لها بخفوت ما حدث وما قالت فى المكالمة الهاتفية التى كانت بينها وبين عمرو ، نظرت لها أمها بضيق وقالت بغضب:

- أنتِ يابت غبية ولا مبتفهميش

وضربت على قدمها بانفعال وهى تقول:

- والله أعلم بقى فهم ايه دلوقتى .. ويمكن يروح يقول لأمه على كلامك .. وأمه تيجى تتكلم هنا وتبقى مشكلة

قالت عزة متبرمة:

- هتقول أيه يعنى .. وبعدين هو اللى فهم غلط

قالت أمها بعصبية:

- لاء مفهمش غلط يا عاقلة يا كاملة .. أى عيل صغير يفهم أنك بتبصى لفارس نظرة غير اللى بتبصيها لخطيبك .. ويارب يكون فهم كده وبس والشيطان ميكونش لعب بعقله وفهمه حاجة تانية

هبت واقفة وأمسكتها من يدها بقوة وهى تقول آمره:

- أتفضلى روحى ألبسى علشان نعملهم زيارة ونشوف ميتهم أيه يلا بسرعة.. واسمعى متجبيش سيرة عن حاجة قدام امه .. أتعاملى عادى كأن مفيش حاجة

***

رحبت والدة عمرو بعزة ووالدتها وعانقتهما بحرارة مما جعل والدة عزة تطمئن أن عمرو لم يتكلم معها فى شىء ، نهضت والدته وهى تقول بترحاب شديد:

- ثوانى هعمل الشاى وأشوف عمرو صاحى ولا نايم لسه

تبادلت عزة النظرات مع والدتها التى همست لها:

- كده يبقى مقالش حاجة لامه .. اصل أنا عارفاها اللى فى قلبها على لسانها مبتعرفش تخبى

خرج عمرو من غرفته فوقع نظره على عزة ووالدتها تجلس بجوارها، حاول رسم ابتسامة على شفتيه وهو يقول:

- اهلا وسهلا أزى حضرتك يا طنط

ثم قال وكانه يجبر نفسه على الحديث معها قائلا:

- ازيك يا عزة

أبتسمت والدتها وهى تقول له :

- أزيك أنت يا حبيبى أخبار شغلك ايه

جلس دون أن ينظر إليهما وهو يقول:

- الحمد لله تمام

لكزتها أمها فى يدها لتتكلم معه ونظرت لها بحدة فقالت عزة على الفور بصوت ضعيف:

- أزيك يا عمرو

هب واقفاً وهو يقول بجفاء:

- الحمد لله .. طب عن اذنكم بقى علشان عندى مشوار مهم

أوقفته والدتها وهى تقول واقفةً:

- استنى يا عمرو عزة عاوزه تقولك كلمتين

نظرت إلى عزة بضيق وهى تقول :

- قولى لخطيبك اللى انتِ عايزاه على ما أدخل أعمل فنجان القهوة بتاعى مع خالتك يا عزة

تبعتها بنظرها حتى دخلت المطبخ خلف والدته وقالت بأسف :

- عمرو انا آسفه .. أنت والله فهمت غلط

أشاح بوجهه بعيداً ولم يرد ، كانت مشاعره متضاربة كالأمواج المتلاطمة ، يريد أن يسامحها ويبتسم لها ويمزح معها كما اعتاد ويزيل نظرات الحزن من عينيها ولكنه لم يستطع ، طال صمته فقالت بحزن:

- والله ما كان قصدى انا كده متسرعة فى كلامى ومبفكرش فيه الاول قبل ما اقوله

ألتفت إليها حانقاً ونطق بما يعتمل بصدره منذ سنوات وقال:

- أنتِ فعلا مفكرتيش فيه .. أنتِ قلتى اللى فى قلبك يا عزة ..أنتِ عمرك ما هتشوفينى راجل محترم وطبعا بما انى مش محترم فاستحاله اعرف حد محترم .. عارفة ليه علشان عنيكى مش شايفة غير واحد بس ..

قاطعته بلوعة:

- أرجوك اسكت .. متقولش كده انت غلطان والله غلطان

- ماشى أنا غلطان .. بس انا هسألك سؤال واحد .. أنتِ وافقتى على خطوبتى ليه

شعرت بالأرتباك وهى تقول متلعثمة:

- علشان انت شاب كويس ومحترم وجارى واخلاقك كويسة

قال بحدة وبلهجة حاسمة:

- وفين الحب فى كل ده ..أنتِ عمرك ما حبتينى ولا هتحبينى

نظر إلى عينيها بحدة وأشار إلى خاتم الخطبة فى أصبعها وهو يقول:

- الطوق اللى خانقك ده تقدرى تقلعيه فى أى وقت براحتك .. ومتقلقيش محدش هيعرف حاجة .. أحنا كده خلاص

قفزت دمعة من عينيها رغماً عنها وهى تقول بصوت متقطع :

- مش هقلعها يا عمرو

واستدارت وغادرت المكان كله ، نظر إلى الفراغ الذى كان يحتله جسدها منذ قليل وهو غير مصدق الكلمات التى خرجت من فمه ، والدموع التى انسابت من عينيها بسببه، كل شىء كان له سبب فى عقله ، كلامها ورجائها وغضبه منها إلا شىء واحد .. عبراتها !.. دخل غرفته وأغلق الباب بقوة وهوى إلى فراشه غضبان أسفا ، يلعن القلب الذى مازال يحبها رغم علمه أنها تحب غيره ، ضرب الفراش بقبضته ومد يده يخلع الطوق الذى يحيط بأصبعه والذى شعر أنه يطوق عنقه ويخنقه هو أيضا ويمنع عنه الهواء.

****

خرجت والدة دنيا من غرفتها ليلا وهى فى طريقها إلى الحمام مروراً بغرفة ابنتها سمعت صوت يشبه الهمس آتى من الداخل ، نظرت للباب بانتباه ودهشة واقتربت ببطء ووضعت أذنها عليه لتستمع لما يدور بالداخل ، خفق قلبها وهى تستمع لابنتها تقول بتوتر :

- لا يا أستاذ باسم مينفعش كده حضرتك كده زودتها أوى ..أنا قلتلك كتير قبل كده انى محبش الكلام ده.. وبعدين انا كل ما احاول افاتحه فى الموضوع بتراجع ..أنا متأكدة أن فارس مش هيوافق وهيعملى مشاكل كتير.. إذا كنت متجرأتش أقوله على حكاية الموبايل دى لحد دلوقتى

وقفت والدتها تفكر ماذا تفعل :

- هل تدخل تسألها ماذا يحدث أم تتركها للصباح ، ترددت قليلا ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها حينما سمعتها تقول:

- لا يا أستاذ باسم انا عمرى ما ارضى ابقى زوجة تانية أبدا.. وكمان عرفى .. ليه يعنى أعمل فى نفسى كده ليه

فتحت أمها الباب فجأة فوقع الهاتف من يدها وهى تنظر إليها بخوف، أقتربت منها أمها وقالت بسخط:

- مين باسم ده يا دنيا

أرتبكت دنيا وتلعثمت وهى تقول :

- فى ايه يا ماما مالك كده

أقتربت أمها منها أكثر وتناولت الهاتف قائلة بغضب:

- أنا مش هالوم عليكى.. أنا اللى معرفتش اربيكى من الأول

أخذت الهاتف معها وخرجت من غرفة دنيا ، دخلت غرفتها واطمئنت أن زوجها نائماً نظرت للهاتف بحيرة ممزوجة بالغضب ثم وضعته فى خزانة ملابسها الخاصة وأحكمت غلقه بالمفتاح الخاص به وجلست على طرف الفراش بجوار زوجها الذى قد سكن جسده بجوارها

جلست دنيا منكمشة فى فراشها تفكر فى رد فعل والدتها وماذا ستفعل بها ، لم تمضى الساعة حتى دخلت عليها والدتها مرة أخرى ولكنها كانت فى حالة انهيار شديد ودموعها تملأ وجهها وهى تصرخ بها :

- أبوكى مات يا دنيا..أبوكى مات

***

وقف فارس أمام باب شقة دنيا يأخذ عزاء والدها بجوار خالها وأولاده ، أما ودنيا ووالدتها تجلس مع النساء فى الداخل ، أنتهى العزاء وغادر المعزيين وجلس فارس أمامه لا يدرى ما يقول ، الموقف فى منتهى الصعوبة لا يحتمل أى كلمات ، يرى دنيا تدفن رأسها بين أيديها وتذرف العبرات من عينيها ووالدتها تجلس فى حزن وكأنها قد زاد عمرها أضعافاً وأنحنى ظهرها وكأنه يستعد لحمل المسؤلية من بعد والدها وعينيها شاردة وملامحها واجمة تستمع إلى كلمات المواساة من أخيها وعمة دنيا وأبنائهم ولا يظهر عليها أى رد فعل تجاهها ، رفعت رأسها ببطء ونظرت إلى فارس نظرة طويلة أندهش لها فارس قليلا ولكنه تعجب أكثر حينما نهضت بوهن وقالت وهى تشير له:

- من فضلك عاوزاك لحظة يا فارس يابنى

أبتعدت قليلا عن الجالسين معهم وتبعها هو فى صمت ثم الفتت إليه بجسدها كله ونظرت إليه بشرود وهى تقول:

- أنا يابنى عاوزه منك خدمة وعارفة انك مش هترفضلى طلب

ثم أردفت فى حزن:

- انا عارفة أن الكلام ده مش وقته ولا مكانه ومش عاوزاك تستغرب

نظر إليها باهتمام فتابعت برجاء:

- أنا عاوزاك تكتب كتابك على دنيا فى أقرب وقت

****

نظرت له والدته بدهشة وهتفت :

- أزاى أمها تطلب طلب زى ده يابنى وجوزها لسه مدفون

قال فارس بحيرة كبيرة:

- مش عارف يا ماما .. بتقول أنها خايفة على دنيا وخصوصا ان قرايبهم طول عمرهم بعيد عنهم يعنى لو حصلها حاجة دنيا هتبقى لوحدها

نظرت له والدته بتمعن وقالت بشك:

- مش عارفة يابنى مش مطمنة للموضوع ده ...طب كانت تستنى للأربعين حتى

أبتسم فارس وهو يقول :

أربعين ايه بس يا ماما ..مفيش حاجة فى الدين اسمها اربعين وخميس وسنوية كل ده بدع

أتسعت عيناها وهى تقول:

- ازاى يابنى لا فى طبعا ...طب حتى اسأل صاحبك بلال

أبتسم فارس مرة أخرى وهو يربط على يد أمه بحنان ويقول:

- أنتِ تعرفى يا ماما الناس جابت حكاية الأربعين دى منين...؟؟

- منين يابنى ؟

- زمان الفراعنة كانوا بيقعدوا يحنطوا الميتين بتوعهم أربعين يوم وفى اليوم الأربعين بيقفلوا عليه وبيفتكروا أن روحه رجعتلوا تانى ودخلت جسمه وهو قام بقى ولبس الدهب بتاعه وكل الاكل اللى سابينه جانبه.. وبعدين بقى روحه تلف على حبايبه وأهله فلازم يشوف عزا وحداد وإلا هيغضب عليهم ويتحول لروح شريرة

قال فارس كلمته الأخيرة وضحك بشدة وهو يقول:

- كويس ان مُهرة مش موجودة

وتابع ضحكاته الخافتة وهو يردف :

والحكاية بقى دخلت بعد كده فى خرافات والناس نقلوها لبعض جيل ورا جيل لحد ما بقت حاجة عادية .. لكن فى الشرع عندنا الميت بيقوم فى القبر يتحاسب على عمله فى الدنيا مش بيقوم يلبس دهب وياكل ويشرب وروحه تخرج تتفسح شوية

مطت والدته شفتاها وقالت باستغراب:

- والله يابنى ما كنت أعرف بس كويس أنك نبهتنى.. وعموما يعنى دور كلام أمها فى دماغك كويس واستخير ربنا

نهض فارس بارهاق وهو يقول:

- حاضر يا ماما ..انا كده ولا كده مستنى رد دنيا لأنها لسه متعرفش .. أمها قالتلى أنها لسه مفتحتهاش فى الموضوع

***

الفصل الرابع عشر

دخلت دنيا غرفة والدتها ودلفت إليها فى حذر وهى تنظر لوالدتها التى كانت تجلس على طرف فراشها وهى ممسكة ببعض الصور التى كانت تجمعها بزوجها وشريك عمرها فى بداية زواجها وقد لمعت العبرات فى عينيها ولكنها تظاهرت بالتماسك أمام ابنتها وهى تقول بجدية:

- أقفلى الباب وراكى مش عاوزه حد يسمع فضايحنا

خفق قلب دنيا وهى تغلق الباب وتقف خلفه وهى تنظر لوالدتها بخوف وارتياب فقالت أمها بصرامة :

- اسمعى ..أنتِ عارفه أنى مبحبش أكرر الكلام مرتين ...ومش عاوزه أسمع نفسك ..عمتك بره ومش عاوزاها تسمع

وقفت دنيا متربصة فى صمت وبعينين زائغتين تنتظر حديث أمها التى يظهر من بدايته أنه غير مبشر على الأطلاق ..فتابعت والدتها بحسم :

- أنا اتكلمت مع فارس واتفقنا على كتب الكتاب قريب أوى وهو وافق بس مستنى رأيك

أتسعت عينيى دنيا دهشة وهتفت باستنكار:

- بتقولى أيه يا ماما

هبت أمها من مجلسها وتقدمت منها وجذبتها من يدها بعنف وأبعدتها عن الباب، اتجهت بها إلى الفراش وأدارتها مواجهة لها بقسوة وهى تقول بغضب:

- أسمعى يا بت انتِ.. أقسم برب العزة لو قلتى لاء ولا فتحتى بؤك بكلمة.. لكون بعتاكى مع عمتك على البلد وهتقعدى هناك ومش هترجعى هنا تانى وهناك بقى يا عين أمك يبقوا يجوزوكى بمعرفتهم

بكت دنيا بين يدى أمها وهى تتضرع لها قائلة:

- ليه كده يا ماما هو انا عملت ايه علشان كل ده

دفعتها أمها على الفراش وقالت بحزم:

- أنا مش هسيبك لما عيارك يفلت وتعتمدى على أنك ابوكى خلاص مبقاش موجود وسطينا

دفنت دنيا وجهها فى الفراش وهى تبكى بحرقة وتقول بصوت مختنق:

- يا ماما والله ما عملت حاجة.. الراجل ده كان بيعرض عليا الجواز وانا رفضت والموضوع أنتهى

تابعت والدتها بغضب:

- أنتِ يا بت مش كنتِ بتقولى أنك بتحبى خطيبك ..مش عاوزه تجوزيه ليه .. فهمينى

مسحت دنيا دموعها بكفيها وهى تقول بصوت متقطع:

- مش عاوزه أعيش فى الحاره مع أمه

- خلاص بسيطة.. نكتب الكتاب لحد ما نلاقى شقة إيجار كويسة تعيشوا فيها واهو مرتبة زاد كتير بعد ما اترقى فى المكتب

قالت دنيا بحنق وهى تجفف دمعها:

- إيجار يا ماما ..أنتِ عمرك ما وافقتى على الأقتراح ده قبل كده

نظرت والدتها أمامها وقالت بوجوم:

- كنت غلطانة ..كل حاجة كانت غلط ..لكن دلوقتى خلاص مينفعش اغلط تانى ...أبوكى سابك أمانة فى رقبتى وانا مش هخزله أبدا وافرط فيكى واسيبك تضيعى وتضيعينا معاكى

ثم ألتفتت إليها وقالت محذرة:

- والدته هتيجى تعزينا وهو هيسألك عن رأيك وطبعا انتِ موافقة ..مش كده ولا ايه

قالت دنيا باستسلام :

- حاضر يا ماما هوافق

نهضت أمها واقفة وهى تلقى نظرة على صور أبيها وتقول بشرود:

- أبوكى كان بيقول على فارس راجل وقد المسؤلية ..يارب بس يقدر يستحمل بلاويكى

وأعملى حسابك انتِ مش هتخرجى من البيت قبل كتب الكتاب فاهمة ولا لاء

أطرقت دنيا برأسها أرضاً فى تفكير وهى تقول بشرود باحثة عن مخرج:

- فاهمة

****

أنهى بلال صلاة المغرب وتوجه إلى المركز العلاجى سريعاً وما أن دخل وألقى السلام حتى قال الممرض الذى كان ينتظره خارجا:

- والدة حضرتك مستنياك جوه

عقد بلال ما بين حاجبيه مندهشاً وهو يدلف إلى حجرة الكشف ورأى والدته وهى تجلس على المقعد بجوار مكتبه الخاص تنتظره ، أقبل عليها وانحنى بابتسامة يقبل يدها وهو يرحب بها ، جلس على المقعد المقابل لها وهو يقول:

- خير يا أمى أيه اللى نزلك وانتِ لسه تعبانة

أبتسمت بمكر وهى تقول:

- جاية اشوف عبير.. مش هى برضة جاية النهاردة

ضحك بلال ضحكة رنانة وقال:

- ينهار أبيض يا أمى.. طب أنا غلطان أنى حكتلك

ضحكت ثم قالت:

- هو انت يعنى كنت عاوز تقول.. ده انا اللى سحبت الكلام منك سحب

مال إلى الأمام وهو يقول بأهتمام:

- أمى الله يكرمك الناس زمانها جاية.. وأنا مش عاوز أحرجهم

ضربته أمه على قدمه وهى تقول:

- أنا هسلم وامشى بس ..كأنى كنت قاعدة معاك عادى

أبتسم وهو يضيق عينيه ناظراً إليها وهو يقول:

- طب وأيه لازمتها لما هتمشى على طول

رجعت للخلف وهى تستند إلى مقعدها قائلة:

- نفسى اشوف مين دى اللى لفتت نظرك يا بلال ..ده انت اتعرضت عليك بنات كتير مفيش واحدة فيهم لفتت نظرك.. وبعدين عاوزه اشوف أهلها.. أنا برضة ليا نظره

طرق الممرض الباب ودخل ووضع الملف أمام بلال على مكتبه قائلا:

- أدخل الحالة يا دكتور ولا استنى شوية؟

قالت والدته على الفور :

- دخلهم يابنى انا ماشية على طول

نهض بلال وجلس خلف مكتبه بينما دخل والد عبير وهو يبتسم له ويمد يده للمصافحة ، صافحه بلال بحرارة مرحباً بهم ، نظرت أم بلال إلى والد عبير تتفحص هيئته وطريقة حديثه ثم نظرت سريعا إلى الباب وهى تتابع دخول عبير متكأة على يد والدتها بنظرات متأملة متعمقة وتبادلت النظرات معهما ثم قالت لوالدتها :

- ألف سلامة ربنا يقومهالك بالسلامة يارب

قالت أم عبير بابتسامة متسائلة:

- الله يسلمك

قالت والدته وهى تعرف نفسها :

- انا أم الدكتور بلال

صافحتها أم عبير بابتسامة واسعة وحياها والدها مرحباً بيما قالت أم بلال وهى تنظر إليهم :

- الشرف لينا .. أنا مش هعطلكوا على الجلسة .. أنا أصلى نسيت الأدوات بتاعة الحجامة بتاعتى عند بلال وقلت انزل اخدها وطالعة على طول.. أصل أحنا شقتنا فوق المركز على طول

قالت أم عبير بانتباه :

- هو حضرتك بتعرفى تعملى حجامة .. ده انا وعبير بنتى كنا دايخين على حد بيعرف يعملها

نظرت عبير لوالدتها بدهشة فهى لم تسمعها يوما تسأل عن هذا الأمر مسبقاً ولكنها آثرت السكوت .. وسمعت أم بلال تقول :

- تنورونى فى أى وقت .. أيه رأيك تطلعولى بعد الجلسة لحد ما الحاج يروح يصلى العشا ويرجع نكون خلصنا

نظرت عبير ووالدها إلى والدتها وهى تقول بموافقة وحماس :

- خلاص أتفقنا هنطلعلك بعد الجلسة على طول واهو لحد ما الحاج يروح يصلى العشاء مع الدكتور بلال

أبتسمت أم بلال وهى تنظر لأم عبير التى بادلتها النظرات وكأن كل منهما يتبادلان النظرات المُشفرة التى لا يعلم معناها إلا هن فقط!

خرجت أم بلال تودعهم وأغلقت الباب خلفها بابتسامة كبيرة وهى تشعر انها قد حققت هدفاً فى مرمى حياة ولدها المستقبلية ، جلست عبير على الكرسى التى جلست عليه فى المرة السابقة وهى مازالت تنظر لأمها متعجبة ، نهض بلال وأخذ نفس المقعد الصغير ووضعه قريب منها كما فعل فى المرة السابقة وهو يقول بجدية مفاجأةً:

- أنتِ مبتسمعيش الكلام ليه ؟؟

نظرت له نظرة خاطفة وقالت بقلق :

- يعنى ايه؟

تابع بنفس الجدية:

- انا مش قلت عاوزك تعتمدى على نفسك فى الحركه ومحدش يساعدك .. ليه شايفك داخلة دلوقتى متسندة على والدتك؟

قالت عبير بخفوت وهى تنظر للأرض:

- ده دلوقتى بس لكن فى البيت لاء

أومأ برأسه ونهض من مكانه ، أحضر كرسياً آخر له مسند غير الذى تجلس عليه وقال بحزم:

- تعالى اقعدى هنا علشان نبدأ

شعرت عبير بصعوبة وهى تنهض بمفردها ولكن ليس هذا ما تشعر به فقط، وليس هذا هو سبب توترها، لا تعلم لماذا ترتجف عندما يتحدث إليها بشكل مباشر، هل لأنها غير معتادة على أن رجل غريب يتحدث إليها بشكل مباشر أم لشىء آخر لا تعلمه !

أتجهت إلى حيث أمرها فابتعد عن مقعدها وتركها تجلس وأتى بمقعده ووضعه أمامها ..جلس عليه وهو يقول :

- كل حركة هعملها لازم تعملى زيها بالظبط

أومأت برأسها موافقة ورأته يرفع ساقه ويمدها أمامه ببطء شديد ويعيدها إلى مكانها ببطء مرة أخرى ، فشعرت أنها لن تستطيع فعل ذلك، التمرين يبدو سهلا ولكنه بالنسبة لمن يعانى من كسر جديد فى قدمه فهو صعب للغاية

قال متابعاً:

- يالا هتفردى رجلك ببطء على عشر تسبيحات وترجعيها مكانها تانى ببطء برضة على عشر تكبيرات ..أتفقنا ؟

نظرت له بدهشة وقالت:

- ازاى يعنى

قال بابتسامة عذبة :

- يعنى ياستى بدل ما نقول نرفع رجلينا ببطء على عشر عدات أو عشر دقات ..لاء أحنا هنعمل التمرينات على ذكر الله وكده التمرينات يبقى فيها بركة وفى نفس الوقت أخدنا ثوابها

أبتسمت عبير من خلف نقابها وتبادلا أمها وأبيها النظرات وألتفتا مرة أخرى إلى الدكتور بلال وهو يقول:

- شوفى زى كده بالظبط

وبدء فى رفع ساقه ببطء قائلاً:

- سبحان الله ...سبحان الله ...سبحان الله ....

ثم أعادها إلى حيث كانت مرة أخرى ببطء أيضا وهو يقول:

- الله أكبر... الله أكبر .... الله أكبر....

جاهدت عبير لفعل ما أمرها به ولكنها كانت خجلة وهى تسبح وتكبر بصوت هامس وخجول

كان بلال يتابعها فى صمت وهو يستمع إلى صوت تسبيحها الهامس وتكبيرها الخفيض شعر بصوتها يسرى بداخله ويتغلل بين جنباته يسبح بين طيات قلبه بانسيابية ويسر، أفاق من شروده على صوتها الخجول وهى تقول بأجهاد:

- خلصت يا دكتور أكرره تانى ولا خلاص

رفع رأسه لها منتبهاً ثم قال وهو ينهض مبتعداً :

- لاء هنكرره تانى ...

جلس خلف مكتبه وتركها تكرر التمرين وحدها وأخرج بعض الصور الملونة المطبوعة بحرفية وقدمها لوالدتها ووالدها قائلا:

- دى صور لبعض التمارين المهمة ..لازم تعملها بمساعدة حد فى الأول

نظر إلى والدتها قائلا:

- حضرتك ممكن تساعديها بسهولة فى البيت .. والورق ده فيه كل الخطوات وهو سهل ان شاء الله.

أنتهت الجلسة على وقت أذان العشاء ، ذهب بلال ووالد عبير إلى الصلاة بينما صعدت عبير وأمها إلى أم بلال التى كانت تنتظرهما فى شقتها وقبل أن يطرقوا الباب قالت عبير هامسة لوالدتها:

- هو فى ايه يا ماما من أمتى وانتِ بتحبى الحجامة

طرقت أمها الباب وهى تضغط على يدها قائلة:

- حبتها.. مالكيش دعوة

وضعت أم بلال أكواب العصير مرحبة بالزائرتين وبدأت فى وضع الكاسات الهوائية فى أماكن معينة فى جسد عبير وهى تتفحص وجهها وجسدها بنظرات خبيرة قائلة:

- ماشاء الله يا عبير انتِ زى القمر

أبتسمت عبير فى خجل ولم ترد فقالت أمها و قد لمعت عينيها بسعادة :

- عبير طول عمرها مهتمة بنفسها بس البتاع اللى حاطاه على وشها ده هو اللى مخلى محدش بيشوفها ولا يعرف شكلها ايه

قالت أم بلال وهى تضغط الكاسات الهوائية على قدم عبير:

- اللى يستحق يشوفها ويشوف جمالها هو اللى ربنا كاتبله يبقى جوزها مش الناس اللى ماشية فى الشارع يا ست أم عبير

ثم رفعت رأسها لعبير قائلة:

- يالا بقى علشان أعملك حجامة على ضهرك كمان بالمرة كده

أحمر وجهها وهى تقول بحياء:

- لا معلش يا طنط مش هينفع اقلع البلوزه

نظرت لها أمها بحدة وقالت آمره :

- دى ست زيك يا عبير هتكسفى من الستات برضه

هزت عبير رأسها وقالت معاندة:

- معلش بجد مش هينفع مقدرش والله

كادت أمها أن تعترض ولكن أم بلال منعتها قائلة بحسم:

- خلاص يا بنتى مفيش مشكلة .. لما نعرف بعض كويس مش هتتكسفى مني

أزالت الكاسات عن قدمها ومسحت بعض الدماء وهى تسمع أم عبير تقول متسائلة:

- هو اللى بيعمل الحجامة دى لازم يكون متخصص ؟

قالت أم بلال باهتمام:

- بلال هو اللى علمهالى بما أنه دكتور .. ساعتها قالى أن فى دورات بتتاخد فيها واللى بيدى الدورات دى دكاترة واللى بياخد الدورات دى بيبقى معاه شهادة معتمدة أنه عنده علم بيها لأن فى أماكن فى الجسم خطر أى حد كده يقرب منها لازم يكون دارس.

بعد أنتهاء صلاة العشاء عدلت عبير هندامها ووضعت غطاء وجهها وأنتظرت حتى أنتهت الصلاة وانصرفت بصحبة أمها مودعة أم بلال التى ودعتهم بابتسامة متفائلة على وعد باللقاء

***

أحتضنت دنيا أم فارس وهى تقبلها هى ووالدتها و تعزيهما فى فقد الزوج والوالد والركن الشديد ومظلة الحماية لعائلتهم الصغيرة ، وبعد وقت قصير باغتتهم والدة دنيا بقولها :

- ها يا فارس حددت معاد مناسب ولا لسه

نظر إليها فارس منتبهاً لكلماتها وتبادل نظرات صغيرة مع والدته ثم نظر إلى دنيا وقال:

- رأيك ايه يا دنيا وأيه المعاد اللى يناسبك

قالت دنيا متلعثمة وهى تتجنب النظر إلى عينين والدتها المصوبة إليها بحدة:

- المعاد اللى ماما تحدده

حاول فارس أن يخفى ابتسامته فهى غير مناسبة للموقف وقال :

- أول ما اخلص امتحانات الماجستير على طول .. كويس ؟

ونظرت والدة دنيا إلى والدة فارس تسألها:

- أيه رأيك يا حجة؟

قالت أم فارس مرحبة ومندهشة فى نفس الوقت :

- كويس أوى

ظهرت علامات الأرتياح على وجه والدة دنيا ونظرت لفارس وقالت بصدق:

- كتب الكتاب هيبقى على الضيق كده.. فى البيت يعنى.. متفتكرش انى طالبة منك فوق طاقتك .. وأنا عن نفسى مش عاوزه غير أنى اطمن على بنتى أنى لو مت وسبتها تبقى مع راجل يقدر يحميها ويتحمل مسؤليتها والحاج الله يرحمه كان دايما بيقول عليك قد المسؤلية

لمعت عينى فارس تأثراً وأطرق برأسه حزناً على فقد هذا الرجل الذى كان يتمنى أن يمتد به العمر أكثر ليثبت له أنه عند حسن ظنه به بينما قالت والدته:

- الله يرحمه

أخبرته والدة دنيا برغبتها فى بقاء دنيا معها هذه الفتره وبعدم رغبتها فى عودتها للمكتب وطمئنها فارس بموافقته وأن الدكتور حمدى ليس لديه أى مانع وأنه يقدر ظروف دنيا بعد وفاة والدها.

***

جلس بلال إلى والدته بعد عودته ليلاً وعلى وجهه سعادة كبيرة لما يسمعه منها عن عبير ووالدتها وقال بلهفة:

- بجد يا أمى يعنى انتِ فعلا حسيتى انها مرتحالى .. طيب افاتحهم فى الموضوع أمتى

ضحكت والدته وهى تقول:

- ومالك مستعجل أوى كده ده انت يدوب شفتها كام مرة

ثم ضحكت مرة أخرى وهى تستدرك:

- قال شفتها قال

ضحك بلال لدعابة والدته وقال:

- أنتِ بتقولى فيها يا أمى ..أنا فعلاً شوفتها بقلبى وعقلى.. متقدريش تتصورى يا أمى هى حيية وخجولة وبتحافظ على نفسها قد أيه.. ودى أول حاجة شدتنى ليها حتى من غير ما اقابلها اصلاً

ربتت على ساقه وهى تقول مطمئنةً:

- متقلقش سيب الموضوع على الله ثم عليا.. لو تحب أروح اخطبهالك النهاردة قبل بكره

فرك كفيه قلقاً وهو يقول:

- أنا بس عاوز أتكلم معاها علشان أعرف شوية حاجات تهمنى كده وده ان شاء الله يحصل فى الرؤية الشرعية

- بس يابنى هنروح نتقدم كده مش نستنى لما تخف الأول طيب

أبتسم بلال ابتسامة ذات معنى وهو يتمتم:

- ماهى لما تبقى مراتى هعرف اعالجها بضمير

***

وقفت عزه ليلا فى نافذتها تتطلع إلى بداية الطريق عن كثب وتتأمل المنعطف الذى يجتازه عمرو يوميا فى نفس الميعاد عائداً من عمله ، ظلت تنظر لساعة يدها بين كل دقيقة وأخرى فى قلق وهى تتمتم بقلق:

- أتأخر أوى النهاردة

سمعت صوت أنثوى من خلفها يقول:

- سبحان الله له فى خلقه شئون

ألفتت عزة إلى عبير وعاودة النظر من النافذة مرة أخرى إلى تلك البقعة الفارغة والتى تنتظر عمرو ليمر بها وكانهما على موعد وقالت:

- بطلى التلميحات دى يا عبير

ضحكت عبير وهى تقول:

- صحيح والله الممنوع مرغوب..الراجل كان بيتمنالك الرضا ترضى وكنتِ حتى مبتفتكريش شغله الصبح ولا بالليل ..أول ما يديكى الوش الخشب تبقى هتموتى عليه وعارفة مواعيد رجوعه بالظبط

قالت عزة بتوتر دون أن تنظر إليها:

- أنا مش هموت على حد على فكرة.. أنا واقفة عادى

قالت عبير وهى تومأ برأسها ساخرة:

- صح وانا مصدقاكى

ثم قالت مردفةً:

- على فكره بقى اللى بيحصل ده فى مصلحتك والله

لمعت عينيى عزة بالدموع وهى تقول بهمس:

- من مصلحتى انه يخاصمنى ومش عاوز يرد على تليفوناتى ويتهرب مني ..من مصلحتى أنه قلع الدبلة وقالى اقلعيها خلاص

هزت عبير رأسها نفياً وهى تقول:

- لاء من مصلحتك انك تعرفى قيمة الراجل اللى هتجوزيه .. أياً كان مين الراجل ده.. من مصحلتك أنك تشيلى من قلبك أى رواسب قديمة كانت هتسبب فى مشاكل بينكوا بعدين وانا شايفة بقى اللى حصل ده هو اللى هيشيل الرواسب دى

قالت عزة بصوت مختنق بالدموع :

- والدبلة اللى قلعها

قالت عبير بثقة:

- ولا تسوى حاجة.. أنتِ عارفة أنه بيحبك والدبلة اللى اتقلعت تتلبس تانى .. المهم قلبك انتِ يكون صفى ومستعد لاستبقال البشمهندس اللى هيجننك ده

وكأن عبير قد استدعته بكلامها عنه ، تعلقت عينيى عزة بمنحنى الطريق ورأته وهو يدلف منه واضعاً يديه فى جيبيى بنطاله ويسير ببطء . يركل كل حصى تقابله وكأنه يتعارك معها ويتوعدها ألا تصادفه مرة أخرى وتتنحى أمام قدميه المتحفزتين ، يظهر الحزن على قسماته وتعابير وجهه وكأنه فقد شخصاً ، أو شيئاً ، أو قلباً !

فى كل مرة كانت تقف هكذا تتمنى أن يرفع رأسه ليراها واقفة تنتظره ولكنه لم يكن يفعل أبداً ، ولكن هذه المرة وبتلقائية شديدة رفع رأسه وكأنه يتوقع أن يرى نافذتها مغلقة فى هذا التوقيت ، رآها تطل عليه بعينين زائغتين معتذرتين دامعتين ، تلاقت نظراتهما مع خفقان قلبها وشعوره بالحنين لفقدانها ، دار حواراً سريعاً بين عينيهما كان عنوانه الأول والأخير ... أعتذر منك ..أشتاقكِ ..عُد إلي

***

الفصل الخامس عشر

دوت الزغاريد فى نفس المنزل للمرة الثانية على التوالى ولكن هذه المرة كانت العروس مختلفة ، كانت عبير ،عبير ذات العبير المعتق فى صدفته ينتظر نصفه الآخر المقدر له استنشاقه وملىء رئتيه بنسيم العذراء القابعة أسفل أمواج خجلها .

أحمر وجهها وهى تجذب والدتها من ملابسها لتجلسها مرة أخرى ووالدها يكمم فمها هاتفاً بها:

- أسكتى بقى الناس تقول علينا ايه

جلست أم عبير وهى تلهث من فرحتها قائلة:

- يقولوا عندنا فرح هيقولوا ايه يعنى

نهرها قائلا:

- مش لما العروسة توافق الأول يا ام مخ مهوى انتِ

نظرت إلى أبنتها وهى تقول :

- عبير موافقة طبعاً هى دى عايزة كلام

قالت عزة بحماس وهى تنظر إلى أختها :

- صح يا ماما

صوب الجميع نظره إليها فى انتظار كلمتها وبعد فترة من الصمت قالت بارتباك :

- لما أقعد معاه الأول وبعدين استخير.. ده جواز يعنى لازم يكون منهجنا واحد وإلا هيبقى فيه مشاكل كتير بينا بعد كده.. الحكاية مش حكاية لحية وخلاص

تم تحديد ميعاد للقاء عبير وبلال للرؤية الشرعية بعد يومين وتم تجهيز المنزل لإستقبال بلال ووالدته ، لن نستطيع أن نتهم عبير بالسعادة لأنها لم تكن تجرؤ على هذا الأحساس ، بل كانت تئده كلما حاول الظهور على السطح ، كل ما كانت تشعر به هو التوجس والإنتظار لا تعلم لماذا اختارها هى بالذات للتقدم لطلب الزواج بها ، فهى ليست مميزة عن غيرها ، نعم هى ملتزمة ولكنه بالتأكيد صادف قبلها كثير من الفتيات الملتزمات وبالتأكيد شاهدهن خلال الرؤية الشرعية وكانت منهم الجميلات والأصغر سناً منها ولكنه لم يتزوج بواحدة منهن ، فماذا يميزها عن غيرها ليختارها هى ، كانت خائفة بل ووجلة ، ليس من تلك الهواجس فقط ، ولكن خافت أن يكون على غير المنهج الصحيح الذى اختارته لنفسها ووافق السنة الصحيحة

دخلت عليها والدتها لتجدها على حالها تلك الذى تركتها عليه منذ قليل جالسة على فراشها ترتدى كامل ملابسها التى تخرج بها إلى الطريق لم يختلف شىء غير أنها قد أزاحت غطاء وجهها عنها ليستطيع رؤية وجهها بوضوح وهي تردد بعض الأذكار لتخفف من توترها وارتباكها وخفقان قلبها ، وقالت تستعجلها:

- يالا يا عبير الضيوف وصلوا ..

تبعتها عزة التى دلفت خلف والدتها مباشرة وهى تهتف بها :

- يالا يا ستى مامته بتسأل عليكى

وقفت عبير وهى تشعر بالألم فى ساقها الذى لم يتعافى بعد، ورغم أنها رؤية شرعية ولابد أن تكشف عن وجهها ليراها إلا أنها شعرت وهى تخرج أمامه هكذا بوجهها المكشوف كأنها عارية أمامه، فزاد حيائها وخجلها وحمرة وجنتيها وإطراق رأسها أرضاً أكثر وأكثر، هبت والدته واقفة عندما ظهرت عليهم وأقبلت عليها فى ترحاب تقبلها وتعانقها وتساعدها فى الجلوس على أقرب مقعد جواره ، هذا الحياء الذى علق قلبه بها فى الأمس هو نفسه من علق عينيه بها اليوم وهو ينظر إليها بشغف ويتأمل أحمرار وجنتيها الصافية وعينيها الخجولة الناظرة إلى أى شىء وكل شىء إلا هو، خوفاً من اللقاء ! ، ظل يتأملها قليلا فى صمت وعلى ثغره ابتسامة ناعمة تحمل كل الرضا والقبول

أرادت والدته أن تقطع هذا الصمت أو بالأحرى أرادت أن تعطيه طرف الحديث معها فقالت:

- رجلك عاملة أيه دلوقتى يا عبير

قالت بصوت لا يكاد يكون مسموعاً :

- الحمد لله يا طنط أحسن شويه

تحرك لسانه أخيراً وتحرر من صمته ووجد نفسه يقول:

- بتعملى التمارين ؟

أومأت برأسها إيجاباً ولم تجبه شفاهتاً ، وكما فعلوا مع عزة وعمرو فى السابق فعلوا مع عبير، تركوها مع بلال فى الخارج وانتقلوا لغرفة استقبال الضيوف ، وجلس والدها نفس المجلس فى المرة السابقة ليستطيع رؤية ما يحدث فى الخارج

كان لهذا أثر كبير على بلال الذى تحرر من خجله لمجرد أن أصبح وحده معها ولكنه فى داخله شكر فعل والدها أنه يحرص عليها مع ترك مساحة من الحرية لا تسمح إلا بالحديث

معها فقط، فكم سقط فى عينيه آباء كُـثر أغلقوا الباب عليهما بدعوى حرية الحديث ، لولا أنه كان يرفض ويأبى هذا بل ويكون سبب خروجه من البيت بلا عودة .

ظلت عبير صامتة مطرقة الرأس ولكنه لم يظل صامتاً ..قال في حنان وهو يتأملها :

- على فكرة ..الرؤية دى يعنى احنا الاتنين نشوف بعض كويس مش انا بس اللى اشوفك

جاهدت على أخراج صوتها من حلقها وكأنه يعبر الأحبال الصوتية فى مشقة وقالت :

- منا شوفتك قبل كده

لاحت ابتسامة صغيرة على جانبى شفتيه وشعر أن الأمر يتطلب جرأة أكثر فقال:

- طيب ممكن ترفعى راسك شوية مش عارف اشوفك كويس

خفق قلبها بشدة وشعرت أنها لو تركت العنان لنفسها لهبت من مقعدها لتجرى إلى غرفتها وتغلقها عليها لتختبىء من نظراته المصوبة إليها ولكنها تعلم أنه من حقه أن يراها جيداً وينظر إليها ، رفعت وجهها ببطء ولكنها لم تقدر على النظر إليه مباشرة ، نظر إليها ملياً ثم قال :

- عبير

شىء ما بداخلها لا تعلم ماهو جعلها تخطف نظرة إليه ثم تعيد عينيها إلى حيث كانت ، ربما كانت تريد ان ترى ردة فعله وهو ينظر لها، هل أعجبته أم لا ..لم تكن عبير تلك الفتاة الفاقدة الثقة فى نفسها رغم أنها فتاة عادية ليست بارعة الجمال ، بل وليست مميزة فى جمالها ، فتاة عادية بكل المقاييس، ولكنها أرادت أن ترى نظرة سابحة فى عالمها منصهرة فى وجودها، كانت قد رأتها فى عينيه مرة واحدة حينما كان يستمع لصوتها وهى تسبح وتكبر فى عيادته سابقاً وهى تؤدى التمرين، ولقد وجدتها وعثرت عليها للمرة الثانية واستشفت ما وراءها من قبول ورضا

أستردت نفسها حينما سمعته يقول:

- والدك كان قالى انك عاوزه تتأكدى من حاجات معينة ..أتفضلى انا تحت أمرك

حاولت عبير أن تقذف بخجلها بعيدا بل وترميه خلف ظهرها فهذا زواج لابد أن يكون فيه من المكاشفة ما فيه حتى تستقر سفينة الحياة بهم فى المستقبل على جبل التوافق والرشاد

خرج صوتها بصعوبة وهى تقول:

- كنت عاوزه أسألك على منهجك ..منهج أهل السنة والجماعة ولا حاجة تانية

أتسعت ابتسامته وأشرق قلبه بسؤالها، فهى ليست فتاة خجولة وفقط ، بل أنها تعرف ماذا تريد فى زوج المستقبل وتعرف أنه ليس كل ملتحى متبعاً للمنهج الصحيح ..أجابها قائلا:

- أيوا الحمد لله .. أنا على منهج أهل السنة والجماعة

ظلت عبير تسأله وهو يجيب ، كأنما يجلس أمام محقق يعرف جيدا كيف يستخرج منه الأجابات الوافية، سألته عن شيوخه ودروس العلم التى يحضرها وكيف بدأت حياته الدعوية وغيرها ، وكيف يستطيع أن يوفق بين عمله كطبيب والدعوة

فقال:

- بغض النظر عن أنى ممكن أخطب خطبة أو أتكلم مع حد .. لكن بجد انا شايف أن الدعوة دى بتكون فى أى مكان وفى أى حته ومهما كان الواحد بيشتغل ممكن يدعوا الناس عن طريق شغله

قالت مستدركة:

- قصدك يعنى عن طريق أخلاقه

هز رأسه نفياً وهو يقول:

- مش بس أخلاقه .. الدكتور والمهندس والمحامي وأى موظف فى أى مكان أو صاحب محل .. ممكن يحط قدامه كتيبات وشرايط على المكتب والمريض أو العميل أو الزبون اللى يدخل عنده يديله منها ..الست ممكن تشيلها فى شنطتها وتدى منها هدايا لواحدة قاعدة جنبها فى المواصلات أو زميلتها فى الشغل أو جيرانها ...الواحد يجى يوم القيامة يلاقى جبال حسنات مش عارف جاتله منين .. ممكن واحدة تقرا الكتيب وربنا يهديها وتبقى فى ميزان حسناتك وانتِ مش عارفة.. تتفاجئ بيها يوم القيامة فى ميزان حسناتك وهكذا ..علشان كده بقول مفيش حاجة اسمها مش عارف أوفق بين الدعوة إلى الله وشغلى مهما كانت طبيعة الشغل ده.

أخذت نفساً عميقاً وهى تشعر بالراحة النفسية الكبيرة وهى تنصت إليه فى اهتمام حتى انتهى من حديثه وأجاباته النموذجية ، كان ينظر إليها وهو يجيبها وكلما أجاب أجابة ابتسمت ابتسامة صغيرة مما جعله يعرف نتيجة الأمتحان سريعاً ، مما شجعه على أن يقول :

- ها فى حاجة تانية ولا خلاص ؟

هزت رأسها نفياً أن "لا" ، فقال مردفاً بمرح :

- أنا اتعصرت على فكرة

أبتسمت ابتسامة صغيرة وهى تشعر بالقبول تجاهه ولكن قلبها خفق مرة أخرى حينما سمعته يقول:

- ممكن اسأل انا بقى ؟

أومأت برأسها موافقةً وقد كانت تتوقع أن يسألها أسئلة شبيهة بأسئلتها وقد كانت مستعدة تماماً لها ولكنها فوجأت به يقول:

- بتحبى الشعر؟

نظرت له مندهشةً وقالت باستغراب:

- شعر !!

أبتسم وهو ينظر إلى علامات الدهشة التى ملأت قسمات وجهها وأومأ برأسه مؤكداً وهو يقول:

- أيوا .. الشعر .. بتحبيه ؟

ثم قال هامساً :

- أصل انا رومانسى أوى .. وبحب كل حاجة رومانسية

أرتبكت ولم تدرى ماذا تقول، لقد غير مجرى الحوار تماماً ، وعاد إليها خجلها مرة أخرى غازياً كل خلجاتها من جديد، وبعنفوانه أصر على تلوين وجهها مجدداً بلونه الوردى بعد أن كانت قد تحررت منه منذ قليل، قاومت فضولها ولكنها لم تستطع ووجدت نفسها تقول:

- وعرفت منين انك رومانسى ..هو كان فى علاقات من أى نوع قبل كده

أسند ذقنه على راحة يده وقال مبتسماً بنبرة خفيضة أربكتها:

- متقلقيش .. أنا شايل كل مشاعرى لحبيبتى وبس

لم تستطع أن تجلس أكثر من هذا ، لم تعد تتحمل تلميحاته المتلاحقة والتى جعلت قلبها تتلاحق دقاته هو الآخر ويقفز بجنون بعد أن عاش طويلا يعانى شظف القسوة وتغالب الحرمان .. وجد من يأوى إليه ويستغرقه وينصهر بداخله ليصيرا مكوناً واحداً .

بدأ اللهب يشتعل فى مدفأة الحب ، وبعد الأستخاره كانت النتيجة المتوقعة ، بالموافقة ، وتم تحديد ميعاد عقد القران ، كانت عبير تحاول تأخير الميعاد حتى تكون شفيت تماماً ولكن بلال

كان مصراً على العقد بعد أسبوع بحجة أن تعود عبير لممارسة العلاج الطبيعى تحت أشرافه مرة أخرى ، دون موانع شرعية !

***

فوجئْ عمرو باتصال من والد عزة يخبره بميعاد عقد قران عبير ويطلب منه حضور العقد والشهادة عليه ، ولم يستطيع عمرو أن يرفض ، وافق على الفور، المشهد الأخير الذى رأى فيه عزة واقفة تنتظره فى نافذتها الصغيرة جعل قلبه يرق لها مرة أخرى ويشعر بقيمته لديها ، قيمة الإنسان الحقيقية تتحدد بمن يعنيهم أمرنا وبمن يمثل رضاؤنا عنهم أو جفاؤنا منهم شيئاً ثمينا ، غضب منها لأنه لم يستطع أن ينسى جرحها وكلمتها التى ألقتها على أذنيه فى الهاتف ، ولكنه يعود ويتراجع ويلين ، فإن لم يلن الجانب لحبيبته فلمن يفعل إذن ! ، وهو أحبها واختارها منذ البداية وهو يشك فى مشاعرها تجاه صديقه ، ولكل اختيار تبعاته التى لابد وأن نتحملها ونتعامل معها راضين بها ، لأنها جزء لا يتجزأ من هذا الأختيار.

***

ضرب نادر بقبضته على مكتب إلهام بعنف وغضب وهو يصيح بها غاضباً:

- انا عاوز أعرف بقى ايه حكاية اللى اسمه عمرو ده معاكى

نهضت إلهام وهى تقول بحدة :

- وطى صوتك يا بنى آدم ..أنت عاوز تعملنا فضيحه ولا أيه .. وبعدين وانت مالك ..أنت مجرد حتة مهندس فى شركتى ملكش دعوة بتصرفاتى ولا فاكر نفسك جوزى ؟

قال وهو يشير إليها محذراً:

- أسمعى يا إلهام.. أنا مش هسمح باللى فى دماغك ده أنا فاهمك كويس

أبتسمت إلهام ساخرة وهى تقترب منه وتقف أمامه مباشرة قائلة:

- أنت هتمثل ولا ايه ..عاوز تفهمنى أنك بتغير عليا ...أنا عارفه كويس أوى انت خايف وقلقان منه ليه

ثم وضعت يدها على ذراعه وقالت :

- ومتقلقش الخير كتير ونصيبك محدش هيلمسه فى أى عملية ..خلاص ارتاح بقى ومتقعدش تتنططلى كل شوية وتعملى فيها غيران

تركها وجلس على المقعد أمام المكتب وهو يستند بمرفقه إلى حافته قائلاً:

- أنا عايز اعرف بس انتِ هتحتاجيه فأيه ؟ هو انا مش مهندس برضة وبخلصلك اللى انتِ عايزاه كله وأحسن ..عاوزه تحشريه ليه وسطنا.. ده بدل ما نقول يا حيطة دارينا

قالت إلهام بعصبية :

- أيه الألفاظ دى.. حيطة ايه دى اللى تدارينا .. أنت ناسى احنا بنشتغل مع مين ولا ايه ومالك كده محسسنى اننا بنتاجر فى المخدرات

وقفت خلفه ووضعت يدها على كتفه وقالت بحسم:

- أسمع يا نادر.. أنت متدخلش فى شغلى تانى وملكش دعوة بعمرو .. وبطل تضايقه فى شغله .. أما بقى شغلنا الخاص مش عاوزاك تقلق.. عمرو مش هيدخل فى نصيبك هيبقى ليه نصيب خاص بيه لوحده

هب واقفاً وصاح مرة اخرى:

- وليه كل ده هيعمل أيه زيادة

عقدت ذراعيها أمام صدرها وقالت بجرأة:

- بصراحة ....عمرو ذكى أوى وليه لمحات كده فى شغله بتحسسنى انه فنان فعلا مش مجرد مهندس كده وخلاص ومن الآخر عاجبنى وعاوزه أكبره

أبتسم نادر بسخرية ممزوجة بالغضب وهو يهتف :

- آه عاوزه تكبريه على قفايا مش كده

قالت متأففة وهى تجلس خلف مكتبها:

- يووه أطلع من دماغى بقى يا نادر.. أنا جبتلك من الآخر وانت مش عاوز تفهم

أتكأ على المكتب ونظر لها بتحدى قائلا:

- دلوقتى أطلع من دماغك ..طبعا ما انتِ استغنيتى خلاص

قالت بلامبالاة:

- مش زى ما أنت فاهم على فكره

رفع حاجبيه وقال ساخراً:

- كمان مش زى ما أنا فاهم ..

ثم ضحك قائلا:

- يعنى لسه مدوخك ومطلع عينك ..أومال عاجبنى ومش عاجبنى وبعتينى علشانه وهو ولا معبرك

أستندت إلى ظهر مقعدها باستعلاء وهى تضع ساقاً فوق الأخرى وقالت باستفزاز:

- أنا مش هزعل من كلامك ده علشان مقدره حالتك كويس ..لكن متنساش مين هى إلهام ..أنا محدش يقدر يقولى لاء ..لا عمرو ولا غيره ...وأنت مجرب

****

وفى صباح يوم عقد قرآن عبير وبلال كانت أعمال تعليق المصابيح والكهرباء تجرى على قدم وساق فى شارعهم الصغير وسط مباركة ومشاركة من الجميع الذين أبهجهم خبر زواج عبير .

أبتسمت أم يحيى وهى تفتح بابها عندما وجدت فارس واقفاً أمامها فقالت مرحبةً:

- أهلا يا أستاذ فارس أتفضل

قال بسرعة وعلى محياه ابتسامة واسعة :

- لا معلش يا ام يحيى.. مستعجل أوى ..كتب كتاب بلال صاحبى والآنسه عبير النهاردة.. أنتِ مش عارفة ولا ايه

قالت أم يحيى بسعادة:

- لا عارفة طبعا ورايحة كمان شوية.. هو فى أغلى عندى من عبير .. دى هى اللى علمتنى الصلاة ونبهتنى ليها

كان واضعاً يديه خلف ظهره وهو يتحدث وقال:

- أومال مُهرة فين .. مش سامع صوتها يعنى بقالى كام يوم

- بتذاكر

- طب نديهالى ثوانى بس مش هعطلــ ..

لم يكمل عبارته حتى وجدها تدفع أمها من الخلف محاولةً أن تخرج رأسها بجوار خصرها بصعوبة هاتفةً باسمه ، تنحت أمها جانباً لتمر بجوارها وتراجعت هى قائلة:

- ياريتنا كنا افتكرنا شلن ..

وأستأذنته قائلة:

- طب عن أذنك يا أستاذ فارس اشوف اللى على النار

نظر لها بتمعن وقال بمرح:

- أيه ده مش معقول .. زى ما تكونى طولتى خير اللهم اجعله خير خمسة سنتى

كان يتوقع عاصفة رعدية بعد إنهاء كلمته الأخيرة ولكن العكس هو الذى حدث ، نظرت لنفسها ووقفت على أطراف أصابعها وهى تقول بلهفة:

- بجد يا فارس .. أنا طولت بجد

ضحك وهو يقول:

- أه طبعا طولتى وكبرتى وعلشان كده بقى جايبلك حاجة هتعجبك اوى

وأخرج الشنطة البلاستيكية من خلف ظهره وأعطاها لها قائلا:

- أتفضلى يا ستى ده بقى علشان تلبسيه فى كتب كتاب عبير النهاردة

فضت الشنطة فى سرعة شغوفة وأخرجت منها فستان وحجاب ، أعادت الحجاب فى الشنطة مرة ثانية وأمسكت بالفستان بفرح وهى تتامل ألوانه الهادئة المتداخلة فى انسيابيه وضعته على جسدها وقالت بتبرم :

- بس ده طويل يا فارس هيكعبلنى

هز رأسه نفيا وقال بتصميم:

- لا طبعاً ولا هيكعبلك ولا حاجة.. ده يدوب واصل لآخر رجلك

ثم أخرج الحجاب قائلاً:

- وده بقى هتلبسيه فوقيه .. شايفه لونهم حلو ازاى على بعض

قالت وهى تمسك بشعرها:

- بس انا كنت عاوزه أسيب شعرى فى الفرح النهاردة

عقد ذراعيه أمام صدره وأشاح بوجهه بعيداً عنها ولم يجيبها ، نظرت إليه ملياً وهتفت فجأة:

- طب خلاص متزعلش هلبسه والله ..والله خلاص

ألتفت إليها وقطب جبينه وقال محذراً:

- ولو محمود أخو عمرو ولا أى حد غيره حاول يكلمك متردش عليه .. ومتجيش تقوليلى وسط الرجالة.. لاء... أدخلى عند البنات جوه وتخليكى جوه على طول فاهمانى

أومأت برأسها بقوة موافقة وهى تقول:

- حاضر يا فارس

تابع حديثه قائلا باهتمام:

- والحجاب ده متقلعيهوش تانى ومتخرجيش من غيره .. ولما يكون يحيى عنده درس متخرجيش من أوضتك أبدا إلا وانتِ لابساه

أومأت برأسها بقوة مرة أخرى توافقة ولكنها توقفت فجاة وقالت:

- طب وانا نازله عندكم ألبسه برضة

كان الرد منطقى وطبيعى أن يقول نعم ، ولكنه لا يعلم لماذا تردد ، ربما لأنه يعتبر نفسه مُربيها وولى أمرها وكأنه أباها أوأخيها الأكبر سناً ، ولكن فى النهاية لا يصح إلا الصحيح فقال:

- أيوا طبعاً حتى وانتِ نازله عندنا تلبسيه ..أتفقنا

- أتفقنا

*****

كانت حفل عقد القران بسيطاً ولكنه ممتلىء بالبركة ولا عجب من ذلك فإن لم تكن البركة فى الحلال بعد الصبر الجميل فاين تكون ، أنتهى المأذون من العقد قائلاً :

- حد يودى الدفتر للعروسة علشان تمضى

لمح والدها عزة تقف بين النساء فنادى عليها فاقبلت سريعاً وكأنها تنتظر هذا النداء لتلقى نظرة سريعة على عمرو الجالس بجوار فارس وبلال ، راقب عمرو نظرتها فوجدها تبحث عنه وحده ، وابتسمت عندما وجدته ، أعطاها والدها الدفتر الكبير وأسرعت هى فى سعادة إلى غرفة أختها التى كانت تحيطها أمها وأم بلال وبعض النساء والجارات المحبات ووضعتها أمامها فى شغف قائلة:

- أمضى يا عروسة.. يالا ولا رجعتى فى كلامك ؟!

ابتسمت عبير وهى تنظر إلى الدفتر وعزة تشير لها على المكان المخصص لتوقيعها وابتسمت أكثر عندما وجدت توقيع بلال وكأنها تراه هو شخصياً وليس توقيعه فقط ، شعرت باضطراب وبخفقان شديد فى نبضها وهى توقع بجانبه ، وساد الصمت حتى أنها شعرت أن الجميع يسمع صوت نبضاتها المتلاحقة تتسارع أيهما ينبض أولاً ، أخذت عزة الدفتر مرة أخرى بعد ان قبلت اختها مهنئةً لها ومباركة لزواجها وسط زغاريد النساء المتعإلية وعادت سريعاً لتلقى نظرة أخرى وهى ترد الدفتر لأبيها ولكنها لم تجده ، مقعده فارغاً ، بحثت بعينيها سريعاً فى الغرفة فلم تجده ، أنتهت الأجراءات بمباركة الجميع وعناق فارس لـ بلال فى سعادة كبيرة.

عادت عزة أدراجها خارج الغرفة والمكان مزدحم ، ظلت تبحث عنه وهى تتجنب الصدام بالرجال حتى خرجت خارج الشقة ، ألقت نظرة سريعة على السلم ، وقبل أن تلتفت لتعود سمعته يقول :

- بتدورى على حد ؟

شهقت وهى تضع يدها على صدرها والتفتت إليه سريعاً قائلة:

- فزعتنى

عقد ذراعيه أمام صدره وقال بجدية:

- سلامتك

أطرقت للأسفل ثم قالت متوترة:

- سامحتنى ولا لسه

- أنتِ شايفة ايه ؟

- أنت لسه مش على طبيعتك معايا

أطل عمرو برأسه داخل الشقة ثم عاد كما كان وهو يقول :

- مش وقته الكلام ده .. بعدين نبقى نتكلم تلاقيهم بيدوروا عليا

كاد ان يدخل ويتركها ولكنه استدار إليها مرة أخرى وأشار إلى وجهها قائلا:

- مش عاوزك تحطى مكياج قدام الناس تانى

وضعت يدها على وجهها بتلقائية وقالت :

- انت عارف انى مبحطش مكياج بس علشان النهاردة فرح عبير وبعدين الرجالة بعيد عن الستات

أومأ برأسه وهو يقول متهكماً:

- اه صح.. يعنى مدخلتيش عند الرجالة مرتين ومخرجتيش دلوقتى بره الشقة مش كده

قالت منفعلة مدافعةً عن نفسها:

- انا خرجت ادور عليك

لاحت ابتسامة صغيرة على جانبى ثغره ولكنه أخفاها سريعاً وقال بجدية مصطنعة :

- عموما يعنى انا ماليش حكم عليكى ... براحتك

قال كلمته ودلف للداخل كادت أن تمسك بذراعه لتوقفه ولكن يدها توقفت فى الهواء ، زفرت بضيق فلم تستطيع استخراج ما بداخله وتركها فى حيرة وكادت أن تظن انه نسيها تماماً لولا أخر كلمة قالها وتعليقه على زينة وجهها

تنهدت فى حيرة ودلفت للداخل دون النظر لأحد وقفت أمام مرآة الحمام وأزالت الألوان العالقة بشفتاها ووجنتها وعينيها وأعادة وجهها إلى ما كان عليه فى صفاءه ونضارته الطبيعية

دخلت المراة التى تسببت فى حادثة وقوع عبير فوق السلم هى وابنتها ، لا تبارك وأنما لتشمت ولتسخر ، شعرت بالحقد وهى ترى عبير فى أبهى صورها ، قبلتها ببرود وهى تبارك لها بكلمات خاوية غير صادقة ومن العجيب أن عبير كانت قد نسيتها تماماً ولم تتذكرها إلا عندما سمعتها تسخر وهى تحادث أمها قائلة :

- والعريس بقى عدى الخمسين ولا لسه

كادت أم عبير أن ترد بعصبية ولكن أم بلال قاطعتها قائلة بزهو:

- أبنى الدكتور بلال لسه مكملش ال ٣٤ سنة

وأردفت أم عبير قائلة بحدة:

- وملتزم ويعرف ربنا

نظرت ابنتها إليها بحقد وهى تردد ... دكتور ! ، ردت عبير قائلة :

- ده الدكتور اللى عالجنى لما وقعت على السلم ورجلى اتكسرت يا طنط

لا تعلم عبير لماذا قالت ذلك، ربما أنها فعلت ذلك بداعى أنثوى محض لا يعلمه ولم يختبره غير النساء، خرجت المرأة مقهورة هى وابنتها ، وبعد أن شاهدت بلال وسط الرجال، زادت قوة سخطها وقهرتها وهى تراه بلحيته المنمقة التى زادته وسامة وجاذبية وضحكته المجلجلة بينهم التى تنم عن سعادته بهذه الزيجة .

أنفض الجمع وخلا الحبيب بحبيبه ولكن هذه المرة بعيداً عن الأعين المراقبة ، أعدت أم عبير عشاءً فاخراً لزوج ابنتها وتركتهما وحدهما فى غرفة الصالون وتركت الباب مفتوحاً وانضمت إلى زوجها فى غرفته ، بينما كانت عزة تنظف فى المطبخ آثار حفلة زواج أختها فى سعادة وحيرة من أمر عمرو

جلس بلال على المقعد الملاصق لها أمام مائدة الطعام وهو يتأملها بحب ، كان يتوقع من نفسه غير ذلك فى تلك الليلة التى كان ينتظرها بشغف ، ولكنه وجد نفسه مرتبكاً أكثر منها أخذ يتفحصها فى سعادة كبيرة وفى صمت أيضاً ، قطعت هى ذلك الصمت ولكن بهمس وقالت بخجل:

- مش هتتعشى ؟

أنتبه من سُباته وقال على الفور :

- اه هاكل طبعا.. ده انا واقع من الجوع

حاول أن يطعمها فى فمها ولكنها خجلت وامتنعت فقال:

- ايه ده بقى عاوزه تحرمينى الأجر ولا ايه

ألتفتت له متعجبةً وقالت:

- أجر أيه

أبتسم وهو يقول :

- متعرفيش حديث الرسول صل الله عليه وسلم : إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك) ...شفتى بقى يعنى اللقمه اللى هحطها فى بؤك هاخد عليها أجر

أبتسمت بخجل وهو يمد يده و يضع قطعة صغيرة من اللحم فى فمها ولكن احمرار وجنتها طغى وبشدة وكادت أن يغشى عليها حينما وضع أطراف أصابعه التى لامست شفتيها فى فمه وهو يتذوقها متلذذاً و يتأملها قائلا:

- هى صوابعى طعمها احلو كده ليه

أشفق عليها عندما رأى تلون وجهها بعد عبارته فأراد تغير الحديث وقال بجدية :

- أسمعى بقى من هنا ورايح مفيش دلع.. لازم تخفى بسرعة ..عاوزين نخرج مع بعض ونفسى أوى أفسحك ونتمشى مع بعض كده وأدينا فى أيد بعض زى الحبيبة

رأى ابتسامتها فتابع قائلا:

- خلاص اتفقنا من بكره ان شاء الله هنبدأ تمارين مكثفة

قالت عبير بصوت خفيض:

- بس هتكسف أجيلك المركز

رفع حاجبيه متعجباً وقال:

- وتيجى ليه ..أنا اللى هجيلك وهنعمل التمارين هنا ولو احتاجتى للجهاز هبقى اخدك على هناك بنفسى

قالت بحياء وهى تضع خصلة شعرها خلف اذنها :

- هنا فى البيت ؟

مال إلى الأمام وهو يتلمس خصلتها التى نامت على كتفها وقال هامساً:

- اه هنا فى البيت هو انتِ مش مراتى ولا أيه

ثم جعل صوته أكثر عذوبة وهمساً وهو يقول:

- وبعدين كان فى تمارين مش عارفين نعملها قبل كده.. افتكر بقى دلوقتى هنعملها بسهولة

وقبل أن تجيب اعتدل فى جلسته وقال بشغف :

- أمبارح قرأت شعر حلو أوى وحسيت انه مكتوب علشانك انتِ .. قعدت احفظ فيه طول الليل علشان اقولهولك النهاردة

لم يتلقى منها أجابة إلا صمتها الخجول وعينيها الحيية فبدأ فى سرد ما حفظه من شعر يهديه لها بصوت عذب هامس :

أحبـــك ... واحة هـــــدأت عليها كـــل أحزاني

أحبـــك ... نسمة تروي لصمت النــاس ألحانــي

و لو أنساكِ يا عمري ..... حنايا القلب تنسـاني

و لو خُيِّرتُ في وطن ..... لقلتُ هواكِ أوطانــي

إذا ما ضعت في درب ..... ففي عينيكِ عنوانــي

أخذت تنصت إليه وهى تشعر أن المكان غير المكان والزمان غير الزمان وكأن الغرفة الصغيرة تحولت لسحابة هادئة تمضى بهما فى رحلة غير مماثلة ، إلى واحة هائئة ينفث الحب فيها عطره الفواح.

الفصل السادس عشر

طرق عمرو باب حجرة المكتب الخاص بإلهام ودلف إليها مبتسماً أبتسامة روتينية بعد أن ألقى التحية ، أشارت له إلهام بالجلوس وهى تتأمله متفحصة وارتسمت على شفتيها الأبتسامة المعتادة التى تغزوها كلما رأته ثم قالت بنعومة:

- أيه يا بشمهندس .. يعنى محدش بيشوفك

لم يستطع أن يغالب المزاح بداخله فوجد نفسه قائلا:

- وفيها ايه لما يشوفنى يعنى

قطب جبينها وقالت بعدم فهم:

- هو مين ده !!

رفع حاجبيه وهو يقول:

- محدش

أبتسمت وهى تضيق عينيها قليلا ناظرة إليه وقالت:

- ايه ده وكمان دمك خفيف..

وخضعت بنبرة صوتها وهى تردف:

- مش كفاية ذكى ووسيم وجذاب .. كمان دمك خفيف.. لاء كده مش هاستحمل

أبتلع عمرو ريقه وهو حانقاً على نفسه وعلى دعابته، هل أصبحت الدعابة تسرى فى دمه لهذه الدرجة فلا يستطيع وضع احاديثه فى نصابها الصحيح ومع الشخص الصحيح ، رآها تنهض من مجلسها وتقف خلفه وقالت :

- عمرو.. أنا عاوزه اتكلم معاك شوية بره الشغل ... أنت بيبقى وراك حاجة بالليل؟

قالت كلمتها الأخيرة هذه وهى تلامس خصلات شعره من الخلف مما جعله ينتفض واقفاً وبحث عن مخرج مناسب لا يتسبب فى أنهاء حياته العملية من الشركة ولكنها لم تنتظره طويلا واعتبرت صمته تفكير فى الأمر فاقتربت أكثر لتحثه على الموافقة وتعده بما ليس له بل وليس من حقه بدنوها منه إلى هذه الدرجة حتى شعر بانفاسها من خلف أذنيه واشتم

رائحة عطرها النفاذ تزكم أنفه رغماً عنه لتوقظ بعض مشاعره الدفينة وشعر بدفء جسدها بملامسة ظهره وسمعها تقول بهمس كالفحيح:

- أيه رأيك نتعشى سوا الليلة

وفجأة فُتح الباب ودلف صلاح فى عجلة من أمره ، ولكنه توقف أمام ذلك المشهد ، عمرو واقفاً فى توتروإلهام تقف خلفه مقتربة منه بشدة ، وقف جامداً ينظر إليهما ولكنها كانت فرصة سانحة وجدها عمرو للهروب بدون عواقب كما كان يفكر قبل دخول صلاح عليهما ، تنحنح وهو يتحرك فى اتجاه صلاح ووقف بجواره قائلا:

- طب استأذن انا علشان عندى شغل كتير

بمجرد أن خرج عمرو حتى قامت عاصفة إلهام الرعدية وظلت ترعد وتؤنب صلاح على دخوله بغير أذن وبغير ميعاد ، وضع صلاح الملف الذى كان يحتاج إلى توقيعها أمامها على المكتب وانصرف على الفور وتركها وسط حممها المتصاعدة وعاد لعمله .

فوجئ بوجود عمرو فى مكتبه ينتظره ، ألقى عليه نظرة عتاب كبيرة وهو يجلس خلف مكتبه ويتابع عمله بصمت ، وقف عمرو مدافعاًعن نفسه وقال:

- متبصليش كده .. أنا والله ما عملت حاجة

رفع صلاح عينيه إليه قائلا:

- معملتش اه .. لكن سكت .. و اللى يسكت على الغلط يبقى مشارك فيه ومينفعش بعد كده انه يلوم اللى هيطمع فيه بعد كده نتيجة سكوته وزى ما بيقولوا السكوت علامة الرضا

قال عمرو بانفعال وهو يجلس :

- أنا مكنتش ساكت.. أنا كنت بدور على طريقة مناسبة أهرب بيها من الموقف

- الحكاية مش محتاجه تفكير يا عمرو.. أنت بتخاف على شغلك ومستقبلك أكتر ما بتخاف على أى حاجة تانية ... وأنا حذرتك كتير ونبهتك كتير بس أنت شكلك مش هتتعلم ببلاش ..اللى بيسيب الباب موارب يابنى مايزعلش لما يدخله منه شر بعد كده

خرج عمرو من مكتب صلاح يضيق بنفسه ذرعاً ولا يعلم لماذا يتهاون إلى هذا الحد ، هل كما قال صلاح فعلا هو يخاف على مستقبله وعمله أكثر من خوفه من أى شىء آخر ، نفض الفكرة عن رأسه مستنكراً لها ولكنه لم يستطع أن ينفض تلك المشاعر التى عاشها والتى أستقيظت بداخله منذ لحظات فى مكتب إلهام ، فمازال يشتم عطرها النفاذ ومازال يشعر بلمستها ، لم يستطع أن يغالب هذا الشعور الذى يجتاحه فخرج فورا من الشركة عائداً

لمنزله تصارعه مشاعر شتى ، وبدلاً من أن يدخل منزله وجد نفسه يتوجه إلى بيت خطيبته قاصداً أياها ، سيلهى بعض من مشاعره بطلب تحديد موعد لعقد القران ولتذهب الخطبة إلى الجحيم.

****

وبعد موافقتها تم تحديد موعد عقد قران عزة وعمرو بعد أيام ليصبح فارس هو آخر من يتم عقد قرانه بينهما ، وفى هذه الفترة كان عمرو يتهرب من أى لقاء يجمعه بإلهام وكان صلاح يساعده على ذلك ويتصدر هو لأى عمل يتطلب وجود عمرو معها فى مكان واحد.
وجاء اليوم المنتظر وكان بسيطاً كالذى سبقه تماماً يجتمع فيه الأهل والأحبة والجيران فى منزل العروس ليتم عقد القران بينهم وبحضور الشاهدين ، فارس وبلال ، ويالها من مفارقة كانت فى يوم من الأيام تتمناه زوجاً وها هو اليوم يشهد على عقد قرانها ويزيل عقدها بتوقيعه المميز .

أجتمعت بعض النساء فى الداخل ينشدون لعزة الأناشيد بقيادة عبير التى كانت قد تحسنت كثيرا بفضل تمارين بلال المكثفة ! كما كان يقول ويبدو أن ضميره هذا قد انعكس على حالتها النفسية كثيراً ، فلقد كانت تبدو كما لو كانت هى العروس ، وكأنها فى العشرين من ربيعها وهى تغرد بأناشيدها المحببة وتضرب بالدف فى سعادة وقوة وتتنقل بين النساء كالفراشة التى تتنقل بين الزهور فى بستان المودة والرحمة التى نهلت منه منذ أن أصبحت زوجة لـ بلال وحبيبة لقلبه الفياض ، وأثناء انشغالها سمعت أمها تهمس فى أذنها أن زوجها يريدها فى الخارج ، ربما قد يكون الأمر عاديا لولا أن والدتها أنبئتها أنه يبدو عليه الإنزعاج وربما الغضب ، أرتدت ملابسها كاملة وخرجت تبحث عنه فاشارت لها والدتها أنه ينتظرها فى المطبخ ! ، دخلت بسرعة إلى مطبخها فوجدته فعلا قد بدا عليه الضيق الشديد فرفعت نقابها ونظرت إليه بقلق وقالت متسألة:

- مالك يا حبيبى

نظر إليها بضيق وقطب جبينه وقال منفعلا:

- مش عارفة فى أيه .. أنتِ فاكرة نفسك بتنشدى فى الصحرا لوحدك ..صوتك واصل بره عندنا يا هانم

أصفر وجهها وشحب واتسعت عيناها وهى تضع يديها على وجهها ثم قالت بأحراج:

- والله ما كنت واخده بالى ..

ثم نظرت له معتذرة وقالت :

- أنا آسفه يا حبيبى.. بالله عليك متزعلش مني

هدأ قليلاً وهو عاقداً ذراعيه خلف ظهره وقال معاتباً:

- أبقى خدى بالك بعد كده ..

ثم مد يده ومسح وجنتها بظهر أنامله وقال بحب:

- ما انتِ عارفه انا بغير عليكى ازاى يا حبيبتى.. صوتك محبش راجل غيرى يسمعه

عقدت ذراعيها أمام صدرها وقالت مداعبةً له:

- ده انت أرهابى بقى

أمسك وجهها بين كفيه واحتواها بعينيه ..ثم قال:

- لو ده الأرهاب فأنا أرهابى أصيل...

ثم قبل جبهتها وقال مردفاً:

- ولابس حزام ناسف كمان

أبتسمت فى سكون وهى تمسك بيديه التى تحيط بوجهها فقال :

- أخبار رجلك ايه

نظرت له بدهشة وقالت:

- كويسة الحمد لله بتسأل ليه

مط شفتيه وقال:

- انا بقول نعمل الفرح والدخلة بقى علشان نكمل التمارين فى بيتنا براحتنا.. الواحد يا شيخة مش حاسس انه بيشتغل بضمير فى العلاج

أزاحت يديه ووضعت يديها حول خصرها قائلة:

- كل ده وضميرك لسه مستريحش

أبتسم وهو يرمقها بنظراته المتفحصة:

- كل ده أيه .. ده انا حاسس انى مقصر.. يرضيكى يعنى ضميرى يعذبنى

قالت وهى تعيد النقاب على وجهها مرة أخرى :

- مقصر ..لاء خاليك مقصر الله يخليك

أفلتت من يده وعادت إلى النساء مرة أخرى ، أكثر أشراقاً وجاذبية، فهكذا هى الزهرة ، كلما لاقت حباً واهتماماً وعنايةً ، كلما زادت إشراقاً وتألقاً وتفتحاً وعبيراً ، تفيض على من حولها بشذاها.

أنتهى حفل عقد القران واستأذن بلال والد عبير أن يخرجا سوياً وخرج معها من منزلها أصابعهما متشابكة كما كان يحلم دائماً وهى تقول :

- بلال أنا مكسوفة امشى فى شارعنا واحنا ماسكين أيد بعض كده

قال مشاكساً:

- ليه يا حبيبتى هو انتِ صاحبتى ده انتِ مراتى

***

دفعت عزة عمرو بعيدًا عنها بهدوء وقالت بارتباك :

- أيه يا عمرو ده.. مينفعش كده على فكرة

نظر إليها بضيق وقال متبرماً:

- أيه يا عزة أنا جوزك دلوقتى

تلعثمت وهى تقول بخجل:

- يا عمرو دى أول مرة نقعد فيها مع بعض بعد كتب الكتاب .. أرجوك تراعى الحكاية دى

أسند مرفقيه على مائدة الطعام أمامه وقال معتذرا :

- حاضر هراعى.. بس انتِ كمان راعى انى بحبك وانى شاب زى كل الشباب وطول عمرى بشوف بنات وشباب وعلاقتهم مفتوحة كأنها مراته .. ورغم كده عمرى ما عملت زيهم عارفه ليه ..

وقبل أن تجيب قال :

- علشان بحبك وعمرى ما حبيت أنى ارتبط بواحدة غيرك.. لا فى حلال ولا فى حرام مينفعش بقى تيجى بعد كل ده وتقوليلى مينفعش يا عمرو

كادت عزة أن تبكى وهى تشعر بضغطه عليها بكلماته واستعجاله للأمور بهذا الألحاح المتواصل ومحاولاته المستمرة ، ولكنها لن ترضخ له فى أى حال من الأحوال فالعقد له حدودا يجب أن لا يتخطاها أبداً

****

سار بلال بجوار عبير بمحاذاة كورنيش النيل متعانقة أيديهما متشابكة أصابعهما، نظر لها ليرى بعض علامات الضيق والأضطراب ظاهرة بوضوح فى عينيها فقال:

- مالك يا حبيبتى ايه اللى مضايقك

- مش شايف المناظر يا بلال.. هى البنات دى مش مكسوفة وهى واقفة بالشكل ده.. طب مش خايفين من أهاليهم.

هز رأسه باسى وكأن حديثها آثار شجونه وقال:

- يعنى انتِ من مرة واحدة وقلتى كده واضايقتى من المناظر.. أومال انا أعمل ايه اللى على مدار حياتى شفت اضعاف اضعاف المناظر دى.. ده غير الأشكال اللى كنت بقابلها فى شغلى أيام ما كنت بشتغل فى مركز كبير بعد تخرجى .. وكان بيورد علينا رجالة وستات والحاجات اللى كانت بتتعرض عليا ساعتها ورغم كده الواحد كان بيستحمل وبيصبر وبيغض بصره عن الحرام

قالت عبير بحنان:

- وكنت بتقدر تستحمل كده ده ازاى

قال بشجن :

- علشان ربنا يا عبير .. كنت بصبر وبصوم كتير وبخرج طاقتى فى شغلى والدعوة والرياضة والحمد لله ربنا عصمنى

ثم نظر لها وقال بحب:

- مش كده وبس ..ده كمان كافأنى ورزقنى بزوجة صالحة زيك

ابتسمت رغم الشجن الذى لمسته من كلماته وحاولت تخفيف ما استعاده من ذكريات قد تضيق بها نفسه وقالت بمرح :

- بس أيه يا عم الكاجوال الخطير ده .. الناس يقولوا أيه.. شيخ ولابس كاجوال

نظر إلى ملابسه وقال بزهو مصطنع:

- لا وكله كوم والتيشرت الفظيع ده كوم لوحده

ضحك كلاهما وهما يسيران عكس اتجاه الطريق ليعودا أدراجهما إلى منازلهما وتركوا خلفهما شباب متسكعة وبنات متخبطة فى شهوات الدنيا وملذات الحياة، متسلقين زورقًا للحب، يتخبط بهم فى بحار عالية الأمواج ، بعيدة القاع ذات اليمين وذات الشمال ، فهل يُأمل لهم النجاة وقد بعُد المرسى .

***

أستطاعت دنيا أن تتكيف على عالمها الجديد، فلا تدخل ولا تخرج إلا بصحبة والدتهاالتى أشرفت بنفسها على شراء ملابسها الجديدة، فاختارت لها كل ماهو محتشم، تغيرت طريقة ملابس دنيا بالكامل مما جعل فارس يشعر أنهما على بداية الطريق الصحيح وأنها من الممكن أن تتغير فعلا وأنه أحسن الأختيار، ولكنه لم يكن يعرف أنها كانت تجاريهم فقط لتمر الأزمة على خير حتى أنهى فارس اختبارات الماجيستير وتم تحديد يوم حفل عقد القران .

حضر عقد القران عمرو وبلال وعبير وعزة ورغم المحاولات الكثيرة التى قام بها فارس لأصطحاب مُهرة معهم ولكنها بكت و رفضت بشدة ، بل وتصنعت المرض لكى لا تذهب معهم.

بعد العقد مباشرة أصرت عزة على المغادرة هى وعبير عزه وعبير، فلقد كانت دنيا تتعامل معهما ببرود وبابتسامة خاوية من أى ترحيب مما جعلهن يشعرن بالوحدة فى بيتها وطلبا المغادرة بعد تهنئتها بالزواج بصحبة والدة فارس ، غادر الجميع وتركت والدة دنيا لفارس المجال أن يجلس مع دنيا قليلا على انفراد بعد أن أصبحت زوجته ، كانت متوترة وعيناها تفصح عن شىء ما مجهول ولكنها صامتة ، عندما حاول بثها شوقه لم تتجاوب معه وتعاملت معه ببرود ثم اعتذرت وكأن الأمر خارج عن سيطرتها ، حاول أن يعرف ما بها ولكنها لم تجب بشىء واضح ، غادرهو الآخر بعد أن طبع قبلة رقيقة على وجنتها مودعاً أياها.

***

ومرت الشهور تلو الشهور ، وسنة يعقبها سنة، تتسابق تتلاحق ،وكأنها فأر يقرض فى عمر الزمن فى سرعة وخفة لم يلتفت لها فارس وهو منهمك فى تحضير الدكتوراة التى نفذت معه طاقته ولقد كان هو أكثر من مرحب وهو يشعر بتباعد دنيا عنه يوما بعد يوم،

ورزقت عبير من بلال بأربع توائم دفعة واحدة وكأن الله سبحانه وتعالى قد صرف لها الأقدار ومنحها دفعة واحدة جوائزه وعطاياه كما لو كانت تزوجت منذ سنوات كثيرة وليس أقل من ثلاث سنوات .

وحاول عمرو إقناع والد عزة بأن يتم الزواج فى شقة والده ولكن والدها رفض نظراً لأن لديه أخ أصغرمنه وهو محمود ، والذى ألتحق بالجامعة هو ويحيى صديقه ، فكيف ستعيش عزة مع محمود فى منزل واحد! ، باءت المحاولة بالفشل وبدأ عمرو فى البحث عن شقة إيجار فى مكان قريب منهم.

وخاضت مُهرة فى مرحلة جديدة وهى مرحلة الثانوية العامة ورحلة بحثها عن ذاتها التى لم تنقطع طوال الفترة السابقة ، ولكنها ظلت البنت العنيدة التى لا تستسلم بسهولة ولا تصمت على شىء تراه خطأ من وجهة نظرها، وكانت تحاكى أفعال فارس فى كل شىء ، بل وتتحدث مثله وتستمع إليه وتدون النقاط المهمة فى حديثه تحفظها عن ظهر قلب ، حتى أن الجميع كان يلقبها بالفارس الصغير! ، كانت أنوثتها قد لاحت فى الأفاق بقوة وطالت قامتها فجأة وأصبحت تضاهى أقرانها بجمال بري مشاكس ملفت للأنظار ، ولكن فارس لم يراها يوماً إلا طفلته الصغيرة العنيدة التى يفخر بها دوماً.

****

الفصل السابع عشر

طرقت مُهرة باب شقة فارس وهى تمسك بيدها بطفلين صغيرين بالكاد أتما السنتين من عمرهما ، أبتسمت أم فارس وهى تفتح لها الباب وتنظر إلى الولدين فى يدها وقالت وهى تنحنى لتأخذ واحدا منهما وتلاعبه:

- تعالى يا ام العيال ادخلى

دخلت مُهرة وهى تضحك لمداعبة أم فارس وجلست ووضعت طفل منهما على قدمها وأخذت تهزه وتأرجحه و تقول:

- اه والله يا طنط .. أنا حاسة انى انا أمهم فعلا

أعطتهم أم فارس أحد قطع الألعاب الصغيرة وهى تقول:

- من يوم ما شوفتيهم بعد ما اتولدوا وانتِ شايلاهم.. بصراحة يا مُهرة انتِ شلتى عبء كبير عن عبير

وضعت مُهرة يديها فى خصرها وهى تقول بمشاغبة:

- يا سلام مش ساعتها كنتوا بتقولوا صغيرة ومش هتعرف تخلى بالها منهم.. وعزة مش مكفيها تاخد منهم واحد ..لا كمان كانت طمعانة فى اللى حطيت عينى عليه

ضحكت أم فارس وهى تقول باستغراب:

- هما طبق كشرى بتفرقى فيهم يابنتى.. دول أطفال

- بس عرفت اخد بالى منهم ولا لاء؟

قالت أم فارس بإعجاب :

- عرفتى وابصملك بالعشرة

دارت مُهرة ببصرها فى المنزل وهى تقول:

- هو فارس لسه مجاش من الشغل

ضربت أم فارس بيدها على جبينها وهى تقول متذكرة:

- الأكل على النار يخرب عقلك يا مُهرة نستينى

نهضت واقفة وتابعت وهى فى طريقها للمطبخ:

- ده زمانه جاى هو ومراته ..عازمها على الغدا عندنا النهاردة

مطت شفتيها بامتعاض وهى تقول بصوت مرتفع :

- الله يكون فى عونك يا طنط أنا عارفة هتستحمليها ازاى

خرجت أم فارس من المطبخ ونظرت إلى مُهرة بعتاب وقالت:

- لاء يا مُهرة محبش اسمعك بتقولى كده لو فارس سمعك هيزعل أوى.. دى مراته برضة

لوحت مُهرة بيدها وهى تقول معترضة:

- مش مراته .. دى خطيبته بس

أبتسمت أم فارس وهى تقول :

- لاء مدام كتب كتابه عليها تبقى مراته

عادت للمطبخ ثانية تكمل ما بدأته من طعام الغذاء بينما وضعت مهُرة الطفلين على الأريكة وأخذت تلاعبهما وتضاحكهما ببعض الألعاب ثم وضعتهما على الأرض يمرحان بألعابهما ووقفت تنظر لغرفة فارس التى اعتادت الدخول إليها يوميا منذ أن كانت مجرد طفلة، وقفت وسط الغرفة تتأمل المكان حولها وكأنها تدخل لأول مرة وفعلت كما تفعل يوميا ، جلست خلف مكتبه الصغير وفتحت أحد أدراجه وأخرجت بعض من صورها الذى الُتقطت لها وهى صغيرة ومازال فارس محتفظا بها فى درج ذكرياته كما يسميه، تأملت صورها قليلا وهى تبتسم تارة لصورتها بشعرها الأشعث المتناثر وصورة أخرى بملابس العيد الجديدة وصورة جمعت بينهما وهما ينظران لبعضهما البعض ويخرج كل منهما لسانه للآخر بمشاغبة وهى تحمل دميتها المفضلة باربى هدية فارس لها، أنتزعها من ذكرياتها صوت ثلاث طرقات على باب الشقة تعرفهم جيدا وتحفظ نغمتهم ، أعادت الدرج إلى وضعه سريعاً وخرجت مسرعة فوجدت والدته قد سبقتها وفتحت الباب قبلها ورأت دنيا تدلف من الباب ونظرها مصوب باتجاه مهُرة برغم من أنها تقبل أم فارس وتصافحها ، دخل خلفها فارس يلقى السلام فوجد مُهرة واقفة مستندة على حافة باب غرفته المفتوحة ، فابتسم لها وقال محذراً بمزاح:

- عارفة لو لعبتى فى شغلى من ورايا هعمل فيكى ايه؟

قالت باندفاع :

- لا والله ما لعبت فى حاجة

أبتسم فارس وهو يشير لدنيا موجهاً حديثه لمُهرة قائلا:

- مش هتسلمى على دنيا؟

نظرت لها مُهرة فوجدتها تنظر لها ببرود وتبتسم لها ابتسامة صفراء فبادلتها نفس الأبتسامة ونفس النظرة وهى تضغط كلمتها قائلة:

- أهلاً

نظرت لها دنيا بحدة وقالت:

- يصح بنت كبيرة كده تدخل أوضة راجل غريب ..هى مامتك مبتعلمكيش الحاجات دى ولا ايه

نظر لها فارس بضيق ولمعت الدموع فى عينيى مُهرة بينما قالت أم فارس وهى تنظر لها بجدية:

- هى مبتدخلش الأوضة وهو موجود

ثم تابعت بضيق:

- مُهرة غالية عليا ومحبش حد يكلمها كده .. حتى لو كان فارس نفسه

عقدت دنيا ذراعيها أمام صدرها وقالت بتهكم:

- يا طنط انا اللى مرات ابنك مش هيه

جذبها فارس من ذراعها برفق وقال بحسم:

- دنيا ..هنتكلم فى الموضوع ده كام مرة.. مش خلصنا منه قبل كده ولا ايه

تحركت مُهرة بانفعال وهى تحبس دموعها وأخذت الطفلين وتوجهت بهما إلى الخارج واغلقت الباب خلفها بقوة وصعدت لشقتها، دخلت أم فارس المطبخ ودخل خلفها قبل رأسها وقال معتذرا:

- أنا آسف يا أمى بالنيابة عنها.. معلش متزعليش علشان خاطرى

نظرت له أمه بعتاب وقالت :

- فهم مراتك ان مُهرة بنتى واللى مبيحبهاش على الأقل يراعى انى بحبها وانها غالية عليا

أحاط كتفيها وقال بحنو:

- ما انتِ عارفه يا ماما ان مُهرة غالية عندى انا كمان ونفسى والله دنيا تحبها بس مش عارف هى واخدة موقف عدائى منها كده ليه

لاحت ابتسامة واثقة على شفتيها وقالت:

- انا بقى عارفة

رفع حاجبيه متعجباً وقال:

- عارفة أيه يا أمى

ربطت على كتفيه قائلة:

- مش وقته دلوقتى روح يالا اقعد معاها على ما اخلص الأكل

قبل رأسها مرة أخرى وخرج من المطبخ متوجهاً إليها ، لم يجدها فى الصالة الخارجية ، بحث بعينيه سريعاً فوجدها بداخل غرفته ، دلف خلفها فوجدها تنظر يمنةً ويسرة وكأنها تبحث عن شىء ما لا تعرفه فقال:

- فى أيه بتدورى على حاجة ؟

كانت تظن أن مُهرة ربما تكون قد تركت لفارس رسالة أو شيئاً من هذا القبيل فى غرفته ولكنها قالت له :

- أبداً مفيش هو انا يعنى اللى اوضتك متحرمة عليا ولا ايه

لفها إليه ورفع رأسها ينظر إليها وقال :

- دنيا ..أنتِ اللى محرمة نفسك عليها ..هو فى حد يقعد كاتب كتابه ٣ سنين !

أزاحت يديه وقالت حانقةً:

- يوه بقى يا فارس .. أنت كل ما تشوفنى تكلمنى فى الحكاية دى .. وبعدين ماهو عندك صاحبك عمرو مش ده برضه كتب كتابه معانا تقريبا ولسه مدخلش لحد دلوقتى

حاول فارس أن يتحكم بأعصابه وكتم غضبه حتى لا تستمع والدته لما يحدث بينهم فأخفض صوته وقال بضيق:

- وأحنا مالنا ومال عمرو.. وبعدين هو لو عليه كان زمانه دخل من زمان .. لكن ده من ساعة ما كتب كتابه وزى ما يكونوا بينتقموا منه فى شغله ومبهدلينوا فى مشاريع بره القاهرة.. حتى مراته مبيشوفهاش غير مرتين تلاتة فى السنة .

و زفر بقوة ثم تابع قائلاً:

- وبعدين هو عنده مشكلة فى الشقة.. لكن احنا الشقة اللى هنتجوز فيها موجودة أهى وانتِ وافقتى لما كتبنا الكتاب وقلتى معندكيش مانع نقعد هنا

شعرت دنيا بالتوتر يسود بينهما وشعرت أن فارس غضبه يتصاعد فحاولت من تخفيف حدة النقاش قليلاً فغيرت نبرة صوتها وجعلتها أكثر نعومة وقالت:

- مش احنا كنا متفقين لما تخلص الدكتوراة علشان مفيش حاجة تعطلك عن الرسالة وتخلصها بسرعة

وقبل أن يجيب سمع والدته تناديه من الخارج ، خرج إليها مسرعاً فقالت:

- الغدا خلص تعالى حط الأطباق معايا على السفرة .. وبعد كده اتكملوا بعيد عن البيت أنا وحده عندى الضغط ومش ناقصة حرق دم

****

أستيقظ بلال من نومه وهو يتململ فى فراشه، نظر فى ساعته بعين مفتوحة وأخرى مغمضة ، هب واقفاً فى سرعة ليلحق بصلاة العصر فى المسجد ، توضأ وبدل ملابسه وسريعاً للخارج، فوجد عبير تجلس بجوار والدته ويتسامران ..نظر لها بعتاب وقال:

- كده برضوا يا عبير ..أنا مش منبه عليكى تصحينى قبل الأذان بربع ساعة

نهضت وقالت معتذره:

- اسفه والله يا حبيبى كنت هدخل اصحيك من شوية والكلام خدنا انا وماما

نظر إلى والدته وهى تحمل طفله الصغير على قدمها وتلاعبه فقال وهو ينظر حوله:

- الله .. أومال فين باقى الولاد نايمين ولا ايه

ضحكت والدته وهى تقول:

- لا مش هنا أصلاً .. واحد مع عزة واتنين مع مُهرة

نظر لهم متعجباً واتجه إلى الباب وهو يتمتم:

- واحد مع عزة واتنين مع مُهرة.. أنا مش عارف هما دول ولادى ولا علبة ألوان

ألقى السلام وخرج وأغلق الباب خلفه متوجهاً للمسجد ، جلست عبير وهى تحمل الطفل عن أم بلال وهى تقول:

- والله يا ماما أنا ما كنت عارفة هعمل أيه فى العيال دى لوحدى .. لولا ان ربنا من عليا بعزة ومُهرة وانتِ كمان يا ماما بتتعبى معانا أوى ربنا يخاليكى لينا

ربتت ام بلال على كتفها برضا وأردفت تقول:

- انا مكنتش مستغربة من عزة لأنها كبيرة ماشاء الله وتقدر تخلى بالها من طفل صغير .. اللى كنت مستغربة منه بجد هى مُهرة .. تعرفى يا عبير لما شفتها فى فرحك حسيت أن البنت دى هتبقى قريبة مننا أوى وحسيت انى اعرفها من زمان ولما ولدتى وجبتى الأربعة ماشاء الله.. صممت تيجى تقعد معاكى وأمها بصراحه مقالتش لاء .. وفى أسبوع واحد

كانت اتعلمت تتعامل مع العيال ازاى .. والعيال كمان اتعلقت بيها أوى ..بس تعرفى يا عبير أمها كمان بتحبك أوى

ابتسمت عبير وهى تقول:

- أم يحيى دى غلبانة أوى يا ماما.. هى اللى شايلة بيتها على كتفها.. جوزها أصلا بيخرج الفجر مبيرجعش غير نص الليل ولا يعرف حاجة عن ولادوا ومكبر دماغوا ..لما كلمتها عن الصلاة لقيتها ياعينى متعرفش حاجة ومن ساعة ما اتعلمت وهى مواظبة عليها وبتحبنى أوى من ساعتها

عندما عاد بلال من المسجد وجدهما فى مكانهما كما تركهما ، دخل وأغلق الباب خلفه ينظر إليهم بابتسامة وهو يردد دعاء دخول المنزل، أقبلت عبير عليه بابتسامة فقبلها على جبينها واتجه إلى أمه وقبل كفها وحمل عنها الصغير فقالت عبير :

- ثوانى هحضر الغدا ..

أوقفها نداء زوجها فالتفتت إليه متسائلة فاقترب منها قائلاً:

- صليتى العصر

قالت بسرعة وهى تستدير للتوجه للمطبخ مرة أخرى:

- لاء لسه .. هحضر الغدا واروح اصليه

جذبها من ساعدها برفق وقال:

- تعالى يا عبير عاوزك فى كلمتين

أخذها ودخل بها غرفتهما وأغلقها خلفه ، أستدار لها ينظر إليها ، وابتسم وهو يقترب منها ويتحسس وجنتها بأنامله فى رقة وقال :

- أنا زعلان منك أوى يا حبيبتى

قطبت جبينها وقالت بلهفة :

- ليه يا بلال أنا عملت ايه

قال وهو مازال يداعب وجنتها برفق:

- مش ملاحظة انك من ساعة ما ربنا رزقنا بالأولاد وانتِ بتأخرى الصلاة

خفضت نظرها فى خجل وقالت :

- معاك حق يا حبيبى بس والله بيبقى غصب عنى .. بعمل حاجات كتيرة والولاد وشغل البيت بيخلونى بأخرها غصب عنى

قبلها على وجنتها قائلا:

- روح قلبى ..أنتِ عارفة كويس أن مينفعش نقدم أى حاجة على الصلاة.. مهما كانت الحاجة دى أيه ..عارفة لو أول ما سمعتى الأذان سيبتى كل اللى فى أيدك وروحتى اتوضيتى وصليتى .. هترجعى تلاقى الحاجة بتتعمل بسهولة ويسر أكتر من لو أخرتى الصلاة علشانها .. لو بداتى تتهاونى فى مواعيد الصلاة يا عبير هتلاقى نفسك يوم ورا يوم بتصليها قبل الوقت اللى بعدها بخمس دقايق .. و واحدة واحدة هتلاقى نفسك بتجمعى الصلوات مع بعض ..وأنا عارف أن حبيبتى هتاخد بالها بعد كده ولو الولد بيعيط حتى صلى وانتِ شايلاه مفيهاش حاجة

أبتسمت عبير وهى تمسك بيده التى سكنت على وجنتها قالت بحب:

- ربنا يخاليك ليا يا حبيبى ...أنا مبسوطة بيك أوى يا بلال وانت بتنبهنى وبتقولى الكلام ده وبالطريقة دى

أبتسم وهو ينظر لعينيها وقال بحب:

- لا اعملى حسابك مش كل مرة هتكلم بالطريقة دى ..المرة اللى جاية فى ضرب .. ومش أى ضرب .. ده هيبقى ضرب بضمير.. وطبعا انتِ عارفة ضميرى ..فاهمانى

ضحكت عبير وهى تحمل الطفل قائلة:

- إلا عارفة.. أنت هتقولى على ضميرك برضة ..انا هروح بقى اصلى وبعدين أحضر الغدا

لحق بها عند باب الغرفة وقال:

- لا بلاش تدخلى المطبخ

ألتفتت له بدهشة وقالت متعجبة :

- ليه

قال بمزاح وهو يمسح على شعرها:

- بغير عليكى من عيون البوتاجاز

ضحكت عبير وأحمرت وجنتيها وخرجت مسرعة ، توضأت وصلت العصر وأعدت الطعام كأحسن ما يكون، ولم لا فلقد بثها حناناً فأطعمته جمالاً ، جعلها ملكةً فوضعته على عرش قلبها وتوجته حاكماً وملكته صكوك غفرانها

***

أخذت عزة الهاتف وسحبت السلك خلفها ودخلت غرفتها وأغلقتها خلفها وهى تضع سامعته على أذنها وتسندها بكتفها وابتسامتها واسعة ثم قالت بصوت خفيض:

- وحشتنى

قال مداعباً:

- أيه الجرأة دى كلها.. وحشتنى مرة واحدة ..الله يرحم

أحمر وجهها وقالت بعتاب:

- كده يا عمرو .. طب انا غلطانة .. مش هقولك حاجة تانى

قال على الفور:

- لالالا بهزر معاكى يا شيخة .. أنتِ ايه ما بتصدقى علشان تمنعى عنى الدعم السنوى

أتجهت إلى فراشها وهى تحمل الهاتف وكأنها تحمل قلبها بين يديها بعناية وجلست عليه وقالت بشوق:

- بجد يا عمرو .. هتيجى أمتى وحشتنى جدا

أستلقى على فراشه ووضع يده تحت رأسه وقال بهمس:

- وانتِ كمان وحشتينى أوى .. بس غصب عنى والله .. بس عموماً هانت كلها أسبوعين وتلاقينى عندك وساعتها بقى يا جميل هبقى عاوز عشرة يكتفونى زى الراجل ابو عضلات ده اللى بيقعد فى المولد يقول عاوز عشرة يكتفونى وبعدين يعيط ويقول وعشرين يفوكونى

لم تضحك لدعابته بل قالت بعبوس:

- أسبوعين يا عمرو.. لسه أسبوعين كمان .. وياترى بقى زى كل مرة هتيجى يومين وتمشى تانى

أراد عمرو أن يغير مجرى الحديث فهو يعلم أنها ستبكى بعد قليل كعادتها وتطالبه بترك شركته التى أتعبتها شوقاً له منذ عقد قرانه عليها فقال :

- فاكرة يا وزة يوم كتب الكتاب عملتى فيا أيه.. بقى فى عروسة تسيب جوزها زعلان وتقعد تاكل !

ابتسمت وقد تذكرت ذلك اليوم وقالت :

- كنت بهرب منك .. أنت مكنتش شايف شكلك ساعتها

ضحك ضحكات رنانة اختلج لها قلبها وقال:

- معاكى حق .. أنا كنت عامل زى القطر اللى من غير سواق

ضحك مجدداً وخفق قلبها مرة اخرى وهى تستمع لمغازلاته واشواقه التى لا تنتهى

***

وفى الليل دخل فارس فراشه واستلقى فى أرهاق شديد ، أمسك جبينه بيديه يشعربألم شديد فى رأسه ، نهض مرة أخرى وجلس خلف مكتبه الصغير يبحث عن حبات مسكنة للصداع تناول واحدة منها وشرع فى إغلاق درج مكتبه مرة أخرى فوقع بصره على الصور الفوتوغرافية الصغير مبعثرة داخله ، أبتسم وقد علم أن مُهرة كانت تشاهدها وأغلقت الدرج سريعاً بحيث بعثرت ما به ، أعادها بعناية كما كانت سابقاً وهو يحاول أن يذكر نفسه بأن يحضر ألبوماً للصور لكى يحافظ عليها من أى أهمال قد يصيبها فهى تمثل حقبة مهمة من حياته منذ أن كان صبياً فى الحادية عشر من عمره، عندما وُلدت مُهرة فى غياب والدها وحملها طوال الليل بعد أن أهملها الجميع ، فقد كان الجميع منشغلاً فى والدتها التى أصيبت بنزيف حاد بعد ولادتها وأعطتها له والدته يحملها ويرعاها ووضعت بجوار كوب به ماءاً مختلطاً بالسكر ليسقيها حتى تعود إليه ، ونسيها الجميع معه ، كان يسقيها تارة ويتأملها تارة ويدور بها فى الغرفة حتى يسكت بكاؤها الذى لم يطل كثيراً ، وأخذ يفكر فى أسم يليق بملامحها البريئة وعينيها الواسعة الخلابة حتى بزوخ فجر يوم جديد كان قد أتقر على أسمها الجديد والذى استقاه من اسمه وقد كانت مُهرة .

أنتزعه صوت هاتفه المحمول من عالمه الخاص وابتسم وهو ينظر لأسم المتصل وأجابه على الفور:

- حظك حلو لسه كنت هعمل الموبايل صامت وهنام

ضحك عمرو وقال مداعباً:

- والله وعرفنا الموبايلات والصامت والحركات ربنا يخاليك لينا يا شارع عبد العزيز

ضحك فارس لدعابته وقال :

- والله عمرك ما هتتغير.. ده انت تستحق البهدلة اللى انت فيها

زفر عمرو بقوة وهو يقول:

- وأى بهدلة يا صاحبى .. أنا مش عارف هو انا مهندس ولا متهم وواخدينه كعب داير

- وأنا مش عارف انت متمسك بالشركة دى كده ليه طالما مطلعين عينك

- أعمل ايه بس يا فارس منا دخت على شغل كتير.. مش لاقى حتى نص المرتب اللى باخده من الشركة دى

- خلاص بقى أستحمل ومتشتكيش

- خلاص هانت.. بابا كلمنى وقالى ان فى شقة على أول شارعنا هتفضى قريب وإيجارها معقول أوى وهو ظبط مع صاحب البيت خلاص .. المهم انت عامل ايه وهتدخل أمتى ..لما تخلل ولا قبلها بشوية ؟!

نظر فارس أمامه وقال بحسم:

- خلاص يا عمرو .. أنا مش هستحمل أعذارها أكتر من كده.. كبيرها معايا شهرين.. أخلص فيها الرسالة ومش هقبل أى تأجيل تانى خلاص

تحدث قليلاً مع صديقه وعاد إلى فراشه مرة أخرى مستعداً للأستغراق فى نوم عميق، ولكن عقله كان شارداً فى علاقته بدنيا ووضع أمامه علامات استفهام كبيرة ، هل حقاً هى التى تؤجل الزفاف بدون أسباب مقتنعة ؟ ، ام هو الذى كان يوافقها على أسبابها تلك وكأنه يرحب بالتأجيل ! ، كيف ستسكن فى شقة واحدة مع أمه وهما مشاعرهما متنافرة تجاه بعضهما البعض، لن يستطيع أن يترك أمه وحدها مهما كانت الأسباب وخصيصاً أنها خلُوقة لا تؤذى احداً بلسانها ولا بافعالها ولا تتطفل على أحد ولن تسبب لهما أى ضيق فى حياتهما الزوجية ، هى فقط تريد من يرعاها ويذكرها بدوائها ويتسامر معها قليلا حتى لا تشعر بالوحدة ، فهل هذا بكثيرٍ عليها فى مثل هذا العمر .

****

فى الصباح ، خرجت مُهرة لتذهب لمدرستها لأختبارات نهاية العام ، ولكنها توقفت فجأة أمام باب شقة فارس، كانت تود أن تراه ، صعدت مرة أخرى أربع درجات من السلم للخلف ، ووقفت تنتظره فهو يذهب إلى عمله صباحاً فى هذا التوقيت ، وقفت أكثر من ربع ساعة

حتى سمعت مقبض الباب يدور من الداخل، والباب يُفتح ، فتصنعت النزول وكأنها قابلته صدفة ، أبتسم لها قائلاً:

- صباح الخير يا مُهرة .. رايحة الامتحان ؟

أبتسمت فى خجل وقبل أن تجيبه وجدته قطب جبينه وهو يقول بجدية:

- أيه ده يا مُهرة .. الحجاب صغير كده ليه

وضعت يدها على أطراف حجابها ونظرت إليه وقالت:

- مش صغير ولا حاجة.. ده كبير بس بلفوا بطريقة معينة زى صحباتى ما بيعملوا

حك ذقنه قليلاً ثم طرق باب شقته ، فتحت والدته ونظرت لهما دهشة فأشار إلى مُهرة وقال بضيق:

- خديها يا ماما لو سمحتى جوه خاليها تظبط حجابها

وقفت مُهرة أمام المرآة تعدل من حجابها سريعاً وهى تتمتم متبرمة:

- يا طنط كل صحابتى بيلفوا طرحتهم كده

كانت والدته تنظر إليها فى صمت وشرود وهى تتحدث وتمط شفتيها وتتمتم فى ضيق وتحرك يديها فى سرعة لتثبت دبابيس الحجاب جيدًا ، حتى انتهت والتفتت إليها قائلة:

- ها كده كويس؟

أومأت لها والدته وقالت :

- كويس.. يالا بقى علشان متتأخريش على مدرستك أكتر من كده

ألقى فارس نظرة سريعة على حجابها واستدار ليخرج متوجهاً لعمله وهو يقول:

- هجبلك النهاردة وأنا راجع خمارات لف ...شغل الطرح ده مش عاجبنى

حملت مُهرة حقيبتها وخرجت تعدو لتلحق بموعد الأختبار وأغلقت الباب خلفها، ظلت أم فارس تنظر إلى الباب المغلق واجمةً وبداخلها مشاعر كثيرة ودت لو كانت مخطأة فيها .

****

الفصل الثامن عشر

أستيقظت مُهرة فزعةً من نومها تصرخ باسم فارس وتناديه ، جلست على فراشها تلتقط أنفاسها بصعوبة ، كانت تبكى وهى نائمة على أثر حلم مفزع ولكنها فوجأت بالدموع تغرق وجهها وكأنها كانت تبكى فى الحقيقة لا فى الحلم، مسحت دموعها التى شقت طريقها فى ثبات على وجنتيها وأخذت تُتمتم بالأستعاذة لتهدئْ من روعها قليلاً وهى تدور بعينيها فى غرفتها لتتأكد أنها وحيدة فيها ولم يسمعها أحد ، نهضت متثاقلة من فراشها وهى تحيط جسدها بذراعيها لتبث الأمان فى نفسها ، فتحت نافذة غرفتها ليتسلل ضوء القمر إليها ويغمر وجهها مداعباً لوجنتيها ، أطلت برأسها للأسفل لعلها ترى خياله فى نافذته أو شرفته التى كانت غارقة فى الظلام، أغلقت نافذتها واتجهت إلى فراشها مرة أخرى ولكنها سمعت صوته يتردد فى عقلها وهو يقول:

- لو شفتى كابوس أتفلى على الناحية الشمال ثلاث مرات واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم ويستحسن تقومى تتوضى وتصلى ركعتين علشان تطمنى

توجهت مباشرة إلى الحمام توضات وصلت ركعتين أدخلا الطمأنينة فى نفسها ثم عادت لفراشها وقد داعب النوم جفونها فتثاقلت واستسلمت لنوم عميق

***

جلس فارس بجوار والدته حول مائدة الغذاء وبدأ فى تناول الطعام وهو يقول:

- مُهرة رجعت من الامتحان ولا لسه يا ماما

هزت والدته رأسها نفياً وابتلعت طعامها ثم قالت:

- عندها درس بعد الامتحان على طول ..بتسأل ليه؟

ترك الملعقة من يده ونظر إلى والدته متسائلاً:

- درس أيه ده وفين

نظرت إليه والدته بتفكير ثم قالت:

- مش عارفة درس أيه بالظبط اللى اعرفه أنها عندها درس ..بطلت أكل ليه

تناول ملعقته مرة اخرى وقال بضيق:

- أنا مبحبش قصة الدروس اللى مالهاش مواعيد دى .. وبعدين ما تاخد الدرس فى بيتها لازم تروح تتنطط عند الناس بره والله أعلم بيوتهم عاملة ازاى وشكلها أيه.. وعندهم رجالة ولا لاء.

صمت قليلاً ثم أردف قائلاً:

- لما ترجع ابقى نادى عليها علشان عايزها.. لما نشوف أيه حكاية الدروس دى

شردت والدته قليلاً وهى تقلب طعامها فى طبقها عدة مرات حتى لاحظ هو ونظر إليها وتسائل باهتمام:

- مالك يا ماما مبتكليش ليه

وضعت أمه معلقتها وشبكت أصابعها أمامها وهى تستند بمرفقيها على المائدة ونظر إليه بعمق وقالت:

- تسمح ملكش دعوة بالحكاية دى .. مُهرة كبرت يا فارس ومينفعش تفضل تتعامل معاها كده وبعدين اخوها يحيى كبر وبقى راجل وهو اللى يقولها رايحة فين وجاية منين والكلام اللى انت عاوز تعمله ده

قالت جملتها الأخيرة وهو ينظر إليها بدهشة لا يكاد يصدق ما يسمع فقال باستغراب:

- من أمتى وانا مش مسئول عن مُهرة .. أنتِ قولتيلى الكلام ده قبل كده لما جبتلها الخمارات وانا مركزتش معاكى لكن لما يتعاد تانى يبقى فى حاجة انا معرفهاش

مدت يدها وربتت على يده وقالت بشفقة:

- أنا عارفة انك انت اللى مربيها وبتعتبر نفسك مسئول عنها.. لكن يابنى دلوقتى الوضع اختلف مُهرة كبرت خلاص

ترك ملعقته ونهض وهو يقول بانفعال شديد:

- معنى انها كبرت انى خلاص أشيل أيدى من المسئولية.. وانا عارف أن اخوها مكبر دماغه وبره البيت طول اليوم وابوها مسافر وسايبهم .

أعتدلت والدته وهى تقول :

- طب يابنى تعالى كمل أكلك مالك زعلت كده ليه

أتجه إلى غرفته وهو يقول باقتضاب :

- معلش يا ماما شبعت.. عن أذنك هدخل اريح شوية

هزت والدته رأسها فى عدم رضا وهى تقول بأسف:

- ربنا يهدى الحال

دخل فارس غرفته متبرماً ، ألقى جسده على الفراش كما لو كان يدفع حملاً ثقيلاً عن كتفيه قد أثقله ، كيف يتركها وهى ، هى التى وُلدت ووُضعت بين ذراعيه مباشرة قبل أن تلامسها يدي والدتها ، وقبل أن يراها أخيها وقبل أن يعلم أبيها بأنها قد جاءت إلى الحياة، هى التى كبُرت بين يديه واحتوتها غرفته لسنوات طفولتها ومشاغباتها وألعابها وسعادتها ومرحها بل وبكائها وتبرمها وضجرها ، وزرع فيها القيم والأخلاق التى أُحبها وعاداته المفضلة فأصبحت تتوقع تتصرفاته قبل أن يفعلها، وعلم عنها كل شىء ، بل وأكتشفها كما اكتشفته فاصبحت كتاباً مفتوحاً أمامه خالى من الألغاز، لاتوجد به علامة استفهام واحدة ، ترددت كلمات أمه فى عقله مقتحمة ذكرياته مبعثرة أفكاره وهى تخبره أن أخيها أولى بها لأنها قد كُبرت.. وضع الوسادة على وجهه يريد أسكات هذه الكلمات التى غزت عقله وقال بعناد وبصوت مسموع ..لا لم تكبر !

****

نقر عمرو بخفة نقرات بسيطة باب مكتب صلاح ثم فتحه وأطل برأسه داخله وهو يقول:

- صباح الخيرات

ضحك صلاح وهو ينهض ويتجه إليه ..عانقه بحرارة وهو يقول:

- حمدلله على السلامة جيت أمتى ؟

قال عمرو بمرح:

- لسه نازل من الجتر يا بشمهنديز

أهتز صلاح ضاحكاً وهو واضع ذراعه على كتف عمرو وقال:

- لاء شكلك أخدت الجنسية من كتر قاعدتك هناك

جلس عمرو على المقعد المقابل للمكتب وقال برجاء:

- أبوس أديكوا بقى كفاية.. أنا لفيت جمهورية مصر العربية كلها هو انا عملت فيكوا ايه علشان ترحلونى كل شوية كده

أختفت أبتسامة صلاح وجلس على المقعد المقابل لعمرو وقال بجدية:

- يعنى مش عارف عملت ايه.. حد قالك تتجوز

أستند عمرو بمرفقه على حافة المكتب ولوح بيديه قائلاً:

- هو انا عارف اتجوز.. هى الشركة كل مشاريعها خارج القاهرة ليه نفسى اعرف

مال صلاح للأمام وقطب جبينه قائلاً:

- أسمع يا عمرو.. أنت عارف أنى بحبك زى ابنى بالظبط وبصراحة كده انا مش عاجبنى تصرفاتك .. أنت زى ماتكون عاجبك اللى بيحصل ومبسوط أن فى حد بيجرى وراك وعايزك

عقد عمرو يديه أمام صدره وقال معترضاً:

- هو انا يعنى عاوز أتمرمط كده ..أنا بس والله عاوز احوش قرشين علشان اعرف اجيب العفش ..ولو سبت الشغل دلوقتى يبقى قول على جوازى يا رحمان يارحيم ..أعمل ايه مضطر استنى واشتغل واسافر واستحمل بُعدى عن أهلى ومراتى لحد ما الاقى شغل تانى على الأقل بنفس المرتب اللى باخده هنا.

أسند صلاح ظهره إلى المقعد وقال متسائلاً:

- يعنى جبت الشقة خلاص؟

قال عمرو بابتسامة واسعة :

- أه الحمد لله حاجة كده إيجار بس حلوه ومش محتاجه توضيب كتير يعنى تقريباً جاهزة

أبتسم صلاح وهو يقول متهكماً:

- يعنى عاوز ثلاث سنين كمان علشان تعرف تجيب العفش ؟!

زفر عمرو بحنق وقال بضيق:

- والله منا عارف انا شكلى هطلب سلفة .. أنت ايه رايك

حك صلاح ذقنه وصمت قليلاً يفكر ثم قال:

- فى حل تانى غير السلفة اللى انا متأكد ان مدام إلهام مش هتوافق عليها

قال عمرو بلهفة:

- إلحقنى بيه قوام

صلاح :

- عندى واحد صاحبى عنده معرض كبير للأثاث ..هو بيبيع بالقسط .. أنا هروح معاك اعرفك المكان واكلموا وهو هيظبطك فى حكاية القسط دى ان شاء الله متشلش هم

هب عمرو واقفاً وأمسك رأس صلاح وقبلها بقوة وقال:

- ربنا يخليك لينا يا كبير

ضحك صلاح ثم قال بجدية:

- عاوز نصيحتى ..أمشى دلوقتى قبل ما حد يشوفك ونتقابل بعد المغرب ونروح المعرض سوا .. بكره وبعده أجازة ممكن تاخد مراتك وتروحوا تنقوا العفش .

ثم أشار له محذراً وقال:

- ولما تنوى على معاد الفرح .. أنا اللى هخدلك الأجازة بنفسى علشان محدش يقفلك فيها

عانقه عمرو فى سعادة ثم تركه فجأة وفتح الباب وفر هارباً ! .

***

كان فارس عائداً من عمله فى وقت الظهيرة وقبل أن يأخذ طريق المنعطف إذا به يصطدم بعمرو الذى كان يمشى بخطوات واسعة فى الاتجاه المعاكس وهو على عجلة من أمره، تفاجأ فارس بعودة عمرو وهتف وهو يعانقه فى سعادة :

- عمور جيت امتى حمد لله على السلامة

عانقه عمرو بقوة وربط على ظهره وهو يقول:

- واحشنى يا ابو الفوارس .. أنا لسه جاى طازة

فارس :

- ورايح على فين كده

مسح على شعره وقال بابتسامة واسعة:

- أصلى هروح عند عزة كمان شوية وقلت يعنى اجيبلها هدية بقالى كتير معملتهاش

ضحك فارس وهو يقول:

- أيه ده .. بقى عندك دم أخيراً مبروك يا اخى ..

عمرو :

- الله يبارك فيك عقبالك كده لما تتجوز وتريحنا منك

تذكر عمرو مقابلته مع صلاح فقال سريعاً:

- صحيح يا فارس ما تيجى معايا النهاردة ..هروح معرض بيبع عفش بالقسط أيه رأيك تيجى تتفرج .. أستاذ صلاح يعرف صاحب المعرض وهيظبطلى موضوع التقسيط وان شاء الله هيبقى القسط حنين

لمعت عينيى فارس وقال:

- أنت وقعتلى من السما يابنى.. ده انا كنت فى مشكلة بسبب الموضوع ده محتار هجيب العفش منين وبكام

ربط عمرو على ذراعه وهو يقول بغرور:

- خلاص نتقابل نروح سوا ..بس ابقى عد الجمايل بقى ها..

ثم أردف متسائلاً:

- هتناقش الرسالة أمتى ؟؟

قال عبارته الأخيرة وهو يرى فارس ينظر فى الأتجاه الآخر بتركيز ، فأعاد عبارته مرة أخرى ولكنه لم يجبه أيضاً ، بل وتركه وتحرك بسرعة ، تابعه عمرو بعينيه فوجده يتحرك فى اتجاه مُهرة التى تسير بسرعة كبيرة وكأنها تستعد للعدو وأخيه محمود يسير خلفها يحاول أن يتكلم معها ومن الواضح أنه يضايقها، فُزعت مُهرة عندما تفاجأت بفارس مقبلاً عليها مسرعاً والشرر يتطاير من عينيه وهو ينظر لمحمود وقد احتقن وجهه ، أصفر وجه محمود عندما رأى فارس فى هذا الوضع وتسمر مكانه ، أمسك فارس بتلابيب محمود وقال زاجراً:

- أنت راجل انت ؟! .. ده بدل ما تحميها

أقترب عمرو فى سرعة وخلص أخيه من قبضة فارس وهو يقول:

- معلش يا فارس أمسحها فيا

ثم نظر لمحمود مؤنباً وقال:

- كده يصح يا محمود برضة

شرعت مُهرة فى التدخل ولكن فارس نظر إليها بصرامة أخافتها وصاح بها:

- أمشى اطلعى على البيت وحسابى معاكى بعدين

خافت مُهرة وهرولت إلى المنزل سريعاً ، أطرق محمود رأسه أرضاً وهو يقول:

- أنا مكنش قصدى اعاكسها.. أنا كنت عاوز اقولها انى عاوز اخطبها .. وهى كانت مش عاوزه تسمعنى

أمسكه فارس من ملابسه مرة اخرى وقال بعصبية:

- تخطب مين يلا ..مش لما تبقى راجل الأول وتحافظ على بنات الناس

تدخل عمرو مرة أخرى وخلص أخيه وهو يحاول تهدأت فارس الذى أفلته وتوعده بعينين تشعان غضباً وقال بلهجة صارمة :

- أنا مرضتش أمد أيدى عليك علشان خاطر عمرو بس ..لكن لو الموقف ده اتكرر تانى محدش يلومنى على اللى هيحصلك ..على الله تقرب منها تانى ولا حتى تيجى على بالك.. أنت فاهمنى يلا ولا لاء

قال كلمته الأخيره وتركهم وانصرف فى غضب هادر ، نظر عمرو إلى أخيه محمود وقال بجدية:

- من أمتى واحنا بنعاكس البنات فى الشوارع يا محمود.. عيب يا أخى ده انت حتى صاحب أخوها يحيى

قال محمود بضجر وهو يلوح بيديه:

- وهو ماله هو أبصلها ولا افكر فيها ..هو كان ولى أمرها وبعدين انا غرضى شريف وهخطبها يعنى هخطبها

دفعه عمرو من كتفه باتجاه البيت وهو يقول:

- طب امشى بقى فورت دمى

وتركه وأنصرف فى طريقه وهو يتمتم :

- أيه البلاوى دى .. أروح للموزة بتاعتى ازاى وانا دمى فاير كده

***

دلفت مُهرة باب شقتها وأغلقت الباب خلفها وهى تضع يدها على صدرها الذى كان يعلو ويهبط بسرعة وقد تلاحقت أنفاسها بشدة كأن أسداً كان يلاحقها ، أقبلت عليها والدتها مسرعة وهى تنظر لها بلهفة وقالت :

- مالك يا مُهرة فى حد بيجرى وراكى؟

حاولت ألتقاط أنفاسها وقالت وهى تجلس على أقرب مقعد:

- فارس شاف محمود وهو ماشى ورايا وكان هيضربه

- محمود مين صاحب يحيى؟!.. وكان ماشى وراكى ليه ده وعايز منك ايه

- بيقولى عاوز يخطبنى

جلست أم يحيى أمامها وقالت بتفكير:

- هو قالك كده ؟!.. طب ازاى ده لسه طالب فى الجامعة

نظرت لها مُهرة وقالت متبرمة:

- طالب ولا مش طالب .. أنا أصلا مش طايقاه وهقول ليحيى ميدخلوش هنا تانى

قالت والدتها بسرعة :

- أسكتى انتِ ملكيش دعوة.. أنا هبقى اشوف الحكاية دى

نهضت مُهرة وحملت حقيبتها لتدخل غرفتها وهى تقول بحنق:

- حكاية أيه يا ماما.. ده ولد مش كويس .. وكمان شوفته مرة وهو بيشرب سجاير.. ولو كلمنى تانى هقول لامه

قالت كلمتها الأخيرة بعصبية ودخلت غرفتها ، نظرت إليها والدتها وضحكت وهى تردد كلمتها الأخيرة:

- هتقولى لامه !!..هتفضلى عبيطة لحد أمتى يا بنتى

***

خرجت عزة من غرفتها سريعاً عندما استمعت لصوت عمرو فى الخارج وهو يتحدث مع والدها بصوت مرتفع ويضحك بشدة ، تلك الضحكات التى تأسرها وتزلزل قلبها ، أصطدمت بوالدتها التى كانت متوجهة للمطبخ ، أتسعت عينيى والدتها وقالت بدهشة:

- خضتينى يا عزة .. بتجرى كده ليه؟

أرتبكت عزة وهى تقول:

- مفيش يا ماما.. تقريباً كده حد بينده عليا

نظرت لها والدتها بخبث وقالت:

- ياسلام ..يابت اتقلى شوية يقول عليكى ايه

ثم أردفت وهى تتجه للمطبخ :

- تعالى ورايا خدى الشاى علشان تقدميه .. بدل ما تخرجى زى العبيطة كده

تبعتها عزة وبدأت فى صنع الشاى فدخل والدها المطبخ وقال وهو ينظر إليها:

- بتعملى أيه عندك.. يالا اطلعى سلمي على جوزك

لم تنتظر عزة كثيراً وانطلقت فى سرعة إلى غرفة الصالون ، وبمجرد أن اقتربت منها وقفت وهندمت ملابسها وشعرها ثم فتحت الباب بهدوء ودلفت للداخل وقد تعلقت عيناها بزوجها الذى نهض واقفاً وعلى شفتيه ابتسامة عذبة مرحة وهو يكاد يلتهمها بعينيه ونظراته المشتاقة، خطت فى اتجاهه ومدت يدها تصافحه فتناول كلتا يديها ورفعها لشفتيه وقبلها بشوق ثم وضعها على وجنتيه وهو يقول:

- وحشتينى جدااا يا حبيبتى

تأملت وجهه وهى تقول بحب:

- وانت كمان

فرت دمعة من عينيها بدون شعور فمد يده ومسحهما وداعب وجنتيها وهو ينظر إلى عينيها التى تحمل الشوق المختلط بالحزن وقال :

- أنا مش هسألك الدموع دى ليه ..أنا عارف انى مقصر معاكى بس والله غصب عنى

أبتسمت بأسى وقالت :

- حمد لله على سلامتك .. وأوعى تقولى انهم كلفوك بشغل فى حتة تانيهة زى كل مرة

أبتسم وألتفت إلى الأريكة وتناول من فوقها شنطة من الورق الملون المقوى وأخرج منها علبة مستطيلة الشكل صغيرة من القطيفة الحمراء وقدمها لها قائلاً:

- حبيبتى ممكن تقبل منى الهدية البسيطة دى

أخذتها عزة بلهفة وفضتها أمامه واتسعت عينيها وهى تنظر إلى الهدية ثم تنظر إليه

وقالت بسعادة:

- الله .. برفان !

وضعت منه قليلا على يدها وقربتها من أنفها واستنشقتها بنشوى وهى تقول :

- الله دى جميلة أوى يا عمرو ..متشكرة أوى يا حبيبى

أمسك عمرو كفها واستنشقه وهو يغمض عينيه استمتاعاً برائحته ثم نظر لها وقال بشوق:

- البرفان ده ميتحطش غير ليا انا بس.. فاهمة ولا لاء

طرقت والدتها الباب ودخلت تحمل صينية الشاى ، أخذها عمرو من يدها ووضعها على الطاولة أمامه فقالت:

- ايه الريحة الحلوه دى

قالت عزة بسعادة:

- شوفتى يا ماما عمرو جابلى أيه

قالت والدتها وهى تنظر إليهما :

- يعيش ويجبلك يابنتى ..

ثم نظرت لعمرو وقالت:

- عمك بيقول انك هتروح تشوف المحل اللى هتجيب منه العفش النهاردة يا عمرو

لمعت عينيى عزة سروراً وهى تنظر إليه فقال:

- النهاردة ان شاء الله هروح اشوفه ولو الأمور مشيت فى موضوع القسط ده هاخدكوا بكره ان شاء الله ونروح نتفرج وعزة تنقى اللى هى عايزاه

ثم قال موجهاً كلامه لوالدة عزة:

- انا عارف انى طولت عليكم فى موضوع الفرح .. محدش بيكتب كتابه كل ده .. بس خلاص هانت .. أحنا نخلص موضوع العفش فى أسبوع إن شاء الله وبعدين نحدد معاد للفرح

وقصد أن ينظر إلى عزة ويتأمل عينيها فى اهتمام وهو يتابع قائلاً:

- فارس قالى أنه احتمال كبير يدخل على أول الشهر بعد ما يناقش الرسالة على طول وممكن نعمل فرحنا مع بعض

لا يعلم عمرو لماذا كان يبحث عن علامة من علامات الحزن أو الأسى فى ملامحها وعينيها وهو يلقى هذا الخبر ولكنه لم يجد إلا السعادة والفرحة التى اجتاحت ملامح عزة وهى تستمع إلى بشرياته واحدة تلو الأخرى وهتفت قائلة:

- بجد يا عمرو

ثم عانقت والدتها واحتضنتها بسعادة، قطع تصرف عزة هذا وسعادتها الكبيرة بما تسمع الشك باليقين فى قلب عمرو تجاه مشاعر عزة نحو صديقه وقال بمرح :

- مش هتغدونا بقى ولا أيه يا جماعة.. أنا واقع من الجوع

****

- تعال اقعد يا فارس

نطق الدكتور حمدى بهذه العبارة وهو يشير إليه بالجلوس وقد بدا عليه الأهتمام الشديد وهو يعتدل فى جلسته ويستند إلى المكتب بمرفقيه ويشبك أصابع كفيه فى بعضهما البعض ، كانت طريقته توحى بأنه يستعد لإلقاء حديثاً هاماً مما جعل فارس يشحذ حواسه كلها وهو ينظر إليه متسائلاً وهو يقول:

- خير يا دكتور.. قضية مهمة مش كده ؟

أبتسم الدكتور حمدى وهو يهز رأسه موافقاً وقال :

- أهم قضية فى حياتك

ظلت النظرات المتسائلة من عينيى فارس ولكنه لم يعقب وترك المجال للدكتور حمدى ليشرح بنفسه فقال:

- فاكر يا فارس لما قلتلك انى بحضرك لحاجة مهمة أوى

هز فارس رأسه وهو يقول:

- أيوا فاكر يا دكتور

أردف الدكتور حمدى متابعاً:

- شوف يا فارس أنا عاوز تسمعنى كويس وتفهمنى ...

أستدار فارس بجسده كله تجاهه وهو ينصت باهتمام وتركيز حيث قال الدكتور حمدى:

- أنا نويت أسيب المكتب واتفرغ شوية لبيتى ومراتى وولادى .. وبينى وبينك زهقت من الفساد اللى بقى متفشى حوالينا فى المهنة دى زى السرطان .. زمان كنت صغير وكنت بناطح وبحارب.. دلوقتى صحتى خلاص مبقتش تستحمل

قاطعه فارس وهو يقول بضيق:

- لا يا دكتور أنا مش معاك فى القرار ده.. لو سيبنا الساحة للمفسدين يبقى كأننا بنساعدهم بالظبط

قاطعه الدكتور حمدى باشارة من يده وقال :

- أنت كلامك صح وده اللى انا فكرت فيه.. ده غير انى مهما كان مهنش عليا أرمى أسمى وتاريخى الطويل ورا ضهرى بسهولة كده واقفل المكتب .. ولما فكرت كويس ربنا هدانى لفكرة دخلت دماغى أوى وشايفها حل وسط هيريحنى وفى نفس الوقت هتبقى دى بدايتك الحقيقية

جالت بخاطرة أفكار كثيرة متشعبة ومتشابكة كأشجار الغابات ، فبداية الحديث غير مبشرة بالمرة ولكن نهايته لغز كبير ، قرأ حمدى الحيرة فى عينيه فقال بحسم:

- أنت يا فارس اللى هتمسك المكتب كله بدالى .. ومكتبى ده هيبقى بتاعك والقضايا اللى هتشتغلها هتتوزع على تلاتة تلت ليا وتلت ليك وتلت للمكتب مرتبات ومصاريف

أتسعت عينى فارس من وقع المفاجأة ونهض بغير أرادة منه واقفاً وهو يقول بذهول:

- مش معقول ..انا مش مصدق يا دكتور

وأشار إلى صدره وقد ازدادت قوة نظراته المتسلطة على الدكتور حمدى وهو يقول بعدم تصديق :

- انا ؟!!

أومأ الدكتور حمدى برأسه وقال مؤكداً:

- ايوا يا فارس ..وبعدين مالك مستأل بنفسك كده ليه ..ده انت اقل من شهر وتاخد الدكتوراة

المفاجأة كانت كبيرة جدا على فارس فلم يكن ليصدق ما يسمع هل سيدير المكتب ويجلس خلف مكتب الدكتور حمدى ليأخذ مكانه ويشاركه نسبة الثلث فى أتعاب كل قضية !!

هز رأسه يمنة ويسرة وهو يحاول استيعاب الموقف جيداً ولكن الدكتور حمدى أعاد كلامه مرة اخرى وهو يؤكد له ما فهمه منه وأخبره أنه سينتظره حتى يعود من أجازة زواجة ليبدء مهام عمله الجديد بداخل مكتب الدكتور حمدى شخصياً .

****

أندفعت دنيا معانقةً لـ فارس وهى تهتف بأنفعال:

- بجد يا فارس أنا مش مصدقة .. يعنى المكتب ده كله هيبقى بتاعنا

عانقها بحب وقال ضاحكاً:

- ده انتِ مفرحتيش كده يوم كتب كتابنا ولا حتى يوم الماجيستير

ضحكت وهى تبتعد عنه بنعومة وعينيها تكاد تنطق بالبهجة والسعادة وقالت وكانها لم تسمعه:

- طبعاً التلت ده هيبقى أكتر من مرتبك دلوقتى بمراحل يعنى هنجيب شقة فى حتة حلوه.. ونفرشها بمزاج ونجيب عربية

وصفقت بيديها وهى تقول:

- وبعد شوية نحط أسامينا على اليافطة جنب اسم الدكتور

كان فارس ينظر إليها بتمعن وهى تتحدث عن المستقبل بكل تلك السعادة وتسرح بخيالها الممتد للآفاق الشاسع وهى تنظر إليه ولكنها فى خضم تلك السعادة نسيته تماماً ، ولم تتحدث إلا فى الماديات فقط ولم تحلم إلا بها وحدها ، أنتزعها من أحلامها وهو يقول :

- أنا مش هسيب أمى لوحدها فى البيت يا دنيا.. ومش هاخد شقة فى حتة تانية إلا لما هى توافق وترحب بكده وتوافق أنها تسيب بيتها وتيجى معانا

توقفت دنيا عن الدوران فى سماء أحلامها وطوت جناحى الأمانى لتعود إلى الأرض مرة أخرى فى هبوط اضطرارى وقطبت جبينها وهى تقول بحنق:

- يعنى أيه الكلام ده ..عاوز تفضل عايش فى الحارة

أختلطت ابتسامته بقسمات حزن وهو يقول متهكماً:

- أنا مش عارف انتِ ليه مصممة أنها حارة ..ما علينا حارة ولا مدق حتى مهما اختلفت المسميات مش هسيب أمى لوحدها

وأخذ نفساً عميقاً وأخرجه ببطء وهو ينوى حسم الأمر قائلاً:

- والأمر ده لازم يتحسم دلوقتى علشان ابدأ فى تجهيز البيت ونجيب أوضة النوم بتاعتنا

نظرت إليه فى ضجر وضيق شديدين وقالت ساخرة:

- كمان مش هتغير غير أوضة النوم بس

أتجه إلى باب غرفة مكتبها ليخرج منه وهو يشعر أن فرحته قد انطفات بكلماتها وقال ببرود:

- لما اروح معرض الفرش مع عمرو هشوف هقدر اجيب أيه.. المهم دلوقتى تعملى حسابك أن الفرح هيبقى بعد مناقشة الرسالة على طول

***

لم تكن عزة لتصدق نفسها وهى تنتقل ببصرها بين أنواع الأثاث الجيدة أمامها وقد أعجبت بتصميمها العصرى الأنيق ومالت على عمرو وقالت بخفوت:

- بس العفش ده هيبقى غالى علينا .. ولا أيه يا عمرو

وضع أصبعه على فمه مشيراً لها بالسكوت وبدأ فى مفاوضاته هو وفارس مع صاحب معرض الأثاث حول الأسعار والقسط المناسب ، وجد فارس مبتغاه فى هذا المعرض وقرر أن ياتى بغرفة صالون أضافية لاستقبال الضيوف وعاد لمداولاته مع صاحب المعرض وهو

يتمنى أن يرى السعادة فى عينيى دنيا كما رآها فى تصرفات عزة حينما شاهدت الأثاث لأول مرة وأبدت أعجابها الشديد به .

وبدأت رحلة تجهيز البيت وأعداده ونقل الأثاث إليه وقد بذل فارس مجهوداً أضافياً ليستطيع توفير كماليات البيت ليبدوا جديداً فى عينيى زوجته وفى نفس الوقت يضع اللمسات الأخيرة فى رسالة الدكتوراة وقد اطمئن قلبه إليها وخصيصاُ عندما سمع أطراء الدكتور حمدى عليها وعلى المجهود المبذول فيها .

أنتهت جميع الترييات اللازمة فى شقة الزوجية الخاصة بعمرو وكذلك شقة فارس وأصبحت كل شقة منهما جاهزة لاستقبال عروسها الجديد .

لم تكن تفصل بينهما وبين حياتهما الجديدة إلا أيام قليلة ، أيام قليلة تفصلهما عن مستقبلهما الذى لم يكن أياً منهما يتصوره ولا يخطر بباله ، فالأنسان مهما فعل لا يستطيع أن يمنع الآخرين من الأساءة إليه .. إن أرادوا ! .

***

الفصل التاسع عشر

أنتشت روحه أبتهاجاً وسعادة ما بعدها سعادة ودوت دقات قلبه بين جنباته فى أصرار لترسم خطوطها على قسمات وجهه البسام وعينيه المشعتان أملاً وانتصاراً وهو يعانق الزملاء والمحبين والمهنئين له وقد اقترن أسمه بلقب الدكتور .. وأصبح يدعى الدكتور فارس سيف الدين ، جائزته التى طالما أنتظرها طويلاً بعد جهد وعناء ومشقة وسنوات دراسة وبذل وسهر وتعب وأرهاق مضاعف ، كم هى مذاقها طيب لذة الأنتصار وكم هو مرهق مشوار النجاح وتحقيق الأهداف ، بحث بعينيه كثيراً عنها بين المهنئين فلم يجدها، كيف ذلك وقد وعدته بالحضور لتشاركه أحلامه وسعادته ، تلك اللحظة شعر بالقلق حيالها ،هل ربما قد تكون أصابها مكروه ، أخرج هاتفه الخلوى وهاتفها سمع صوتها فرد بلهفة:

- أنتِ كويسة؟

أنتفضت دنيا من فراشها هاتفة:

- أيه ده هى الساعة كام دلوقتى

أطاحت المرارة بابتسامة ثغره ووضعت مرارتها على شفتيه واحتلتها احتلالاً وهو يقول:

- أنتِ كنتِ نايمة ؟! ..معلش صحيتك روحى كملى نوم ..سلام

أمسكت الهاتف بكلتا يديها وقالت بلوعة:

- والله يا حبيبى راحت عليا نومة مش عارفة ازاى ... أصلى نايمة بعد الفجر .. بس أنت غلطان مكلمتنيش ليه قبل ما تنزل الصبح

قال بضيق :

- خلاص خلاص محصلش حاجة يلا سلام

أغلق الهاتف وهو يشعر أن مرارة ابتسامتة قد استعمرت قلبه ورفعت رايتها معلنةً أحكامها وبعثرت غصتها فى حلقه تباعاً لتجبره على الأنصياع لها بلا مقاومة.. ولم يكن ليفعل .. لم يكن ليقاوم ذاك الشعور المرير بأهمالها الدائم له وعدم حرصها عليه وتفكيرها الأبدى فى شخصها وفقط .. كيف يكون ذلك حباً .

عاد إلى بيته وهو يحاول التخلص من تلك المشاعر التى احتلته فلا يريد أن يزعج أحداً بما يعانيه ، كل ما كان يفكر به هو أسعاد تلك المرأة الطيبة التى بذلت عمرها لأجله ولم تبقى لنفسها عافية إلا وقدمتها بحب وارتياح وهى تراه يحقق الأنجازات يوماُ بعد يوم فكأنها هى التى تنجح وهى التى تتقدم وهى التى تخطو نحو المستقبل بخطاً ثابتة.

أحضر لها معه بعض الأشياء التى تحبها ورسم ابتسامة سعيدة على محياه ليدخل البهجة على قلبها ..قابلته .. وجدها تقف فى الشرفة تنتظره على أحر من الجمر فابتسم لها وخطى خطوات واسعة نحو المنزل، صعد درجات السلم فى سرعة كبيرة فوجدها قد سبقته ونزلت هى إليه ، عانقته وهى تضحك بين دموعها وتحسست وجهه بيديها الواهنتين وهى تقول ببكاء:

- مبروك يا حبيبى.. ألف مبروك يا ما انت كريم يارب .. الحمد لله يابنى

وكأن دموعها قد سمحت لدموعه بالإفلات أخيراً من محبسهم وبغزارة وهو يقول :

- أيه يا ست الكل.. أنتِ تفرحى تعيطى تزعلى تعيطى

قبلت كتفه وأحاطها بذراعه وهى تقول:

- دى دموع الفرح يا دكتور

جاءهم صوت مُهرة من خلفهم وهى تقول بصوت يشبه البكاء:

- كده خلتونى اعيط ؟

ألتفتا فوجداها تقف أعلى الدرج وعيناها تلمع بعبراتها السعيدة التى هطلت بغزارة على جنتيها وهى تنظر إليهما بابتسامة كبيرة فأعطت مظهراً يُرسم له لوحة فنية بكل تلك المشاعر المتناقضة على وجهها الدموع المنهمرة بلا توقف والابتسامة الكبيرة السعيدة وتلك الملامح البريئة التى لا تخطئها عين.

هبطت درجتين من السلم حتى اقتربت ، ثم توقفت وأخرجت من جيب تنورتها ميدالية مرصعة بفصوص من الفضة مكتوب وسطها وبخط فضى صغير د/فارس سيف الدين ، وقدمتها له وهى تقول ببراءة :

- مبروك يا دكتور.. ممكن تقبل منى الهدية دى

أخذها فارس وهو ينظر لها ويقلبها بين يديه متأملاً وقد تملكته الدهشة وقال:

- الله يبارك فيكى يا مُهرة..بس جبتيها أمتى دى وعملتيها ازاى

رفعت كتفيها وقالت بتلقائية:

- من سنة كده وانا عند أبله عبير شفت واحد جنبهم بيعمل حاجات فضة.. طلعت فى دماغى ووصيته عليها ولسه مستلماها منه من أسبوع بس

رفع حاجبيه وقد اندمج مع عباراتها التلقائية ولم يكن حال والدته باقل من حالته وهما ينصتان لكلماتها العفوية وقال متسائلاً:

- من سنة ؟! .. ولسه مستلماها من أسبوع

أبتسمت فى خجل وهى تطرق برأسها وقالت:

- أصل أنا كنت بحوش تمنها ولما خلصت أدهالى

أتسعت ابتسامته وهو يتبادل النظرات مع والدته التى شعرت كأنها تراها لأول مرة ، أما هو فقد شعر بمتعة وهو يتسائل مرة اخرى ويقول :

- وانتِ بقى عرفتى منين المعاد بتاع مناقشة الرسالة علشان تظبطيها كده وتخلصى تمنها قبلها بأسبوع

أستندت بذراعها إلى سور الدرج ولوحت بيدها الأخرى بعفوية وهى تقول:

- مرة سمعتك وانت بتتكلم مع طنط

رفع حاجبية مندهشاً وقال :

- سمعتى المعاد مرة .. ومن سنة !!

أومأت بخجل ثم عقدت جبينها ونظرت لأم فارس ثم نظرت إليه وقالت:

- هى معجبتكش ولا أيه

أجاب بدون وعى وبدون تفكير:

- بالعكس ..دى جميلة جدًا

نظرت له والدته فوجدته شارداً أو حائراً وهو ينظر إلى الميدالية فى يده ويقول فى وجوم:

- شكلك كنتِ متأكدة أنى هاخد الدكتوراه حتى من قبل ما أكون انا متأكد

صعدت والدته درجتين وربتت على كتف مُهرة ثم مسحت على ذراعها فى حنان وقالت :

- طول عمرك جدعة يا مُهرة وفاكره الناس اللى حواليكى

ثم نظرت لملابسها وقالت متسائلة:

- أنتِ كنتِ خارجة دلوقتى ولا أيه ؟

نظرت مُهرة لملابسها ومطت شفتاها وهى تقول بحزن:

- انا صحيت بدرى علشان اروح أتفرج على فارس وهو بياخد الدكتوراه بس ماما مرضيتش وقعدت تتخانق معايا .. ومن ساعتها بقى وانا مغيرتش هدومى وقاعدة فى البلكونة علشان لما فارس يرجع اشوفه واديله الهدية.

شعر فارس بكلمات مُهرة تُطيح بالمرارة التى كانت قد احتلت قلبه من قبل وتنزع رايتها وتحررقلبه من القسوة التى كانت تحاول فرض سيطرتها عليه بالقوة وتُميت عواطفه وتكاد تدفنها فى أعماقه فلا تظهر مرة أخرى على السطح ، جائت فى الوقت المناسب لتعيد تشغيله وإعادته إلى الحياة مرة ثانية ، قبض على هدية مُهرة فى راحته ولا يعلم لماذا شعر فى هذه اللحظة بالذات انه يجب أن يغض بصره عنها لأنها ...لأنها قد كبرت ... كبرت إلى هذه الدرجة .. كبرت النبتة التى زرعها بيديه وزرع ما بها من معانى جميلة وعواطف نبيلة مخلصة لتصبح وارفة الظلال لتظله هو أيضا ببعض ظلالها حينما تسحقه رمضاء الحياة

***،

ومرت الأيام الخمس ووقف فارس يرتدى سترته الأنيقة السوداء أمام المرآة وهو يستعد لحفل زفافه ، لم يكن متحمساً كما كان يظن فى ذلك اليوم ، مشط شعره فى عناية ووقف ينظر للمرآة ويتمم على أناقته حينها سمع صوت بلال وعمرو فى الخارج ، أبتسم وهو يفتح باب غرفته وسمع عمرو يصيح بمرح:

- وأنا هاخد وقت فى اللبس ليه.. أنا حلو من غير حاجة

خرج فارس ورد عليه قائلاً:

- ده أيه التواضع ده كله

ضحك بلال وهو يضرب على كتف فارس قائلاً:

- نحن السابقون و انتم اللاحقون

نظر بلال إلى فارس وقال متسائلاً:

- أنتوا مسافرين بعد الفرح فعلا يا فارس

أومأ فارس برأسه وقال:

- الدكتور حمدى عزمنا نقضى أسبوع فى شقته اللى فى اسكندرية ..هنقضى ساعة كده فى الفرح ونسافر على طول

وضع عمرو يديه فى خصره وهو يتصنع الحقد وقال:

- ماشيه معاك يا عم مين قدك

- بقولك ايه يا عمرو مابدل الحقد اللى مإلى قلبك ده.. يومين تلاتة كده وتعالوا قضوا معانا يومين فى اسكندرية

حك عمرو رأسه وهو يقول:

- ممم هفكر واخد رأى الحكومة

ضحك ثلاثتهم بينما قال عمرو :

- يالا يا سيدنا العرايس فى الكوافير مستنينا على ناار

نظر فارس حوله وهو يقول متسائلاً:

- هى ماما راحت فين

قال بلال وهو يضع يديه فى جيب بنطاله:

- طلعت تودى الولاد عند مُهرة ونازله على طول ان شاء الله

عقد فارس بين حاجبيه وقال متسائلاً بقلق:

- ليه هما مش جايين معانا

جذبه عمرو من ذراعه وهو يتجه به صوب باب الشقة ويقول :

- ياعمنا يالا بقى هنستناهم تحت الستات دول يومهم بسنة

خرج ثلاثتهم وأغلق فارس الباب خلفة ونزل الدرج خلفهم فى توتر وقلق وهو ينظر للأعلى ثم ينظر أمامه ويكمل طريقه فى الهبوط

وقف الجميع أسفل بنايتهم وتبادلوا العناق والتهنئة مع الجيران والأحبة والمدعوين منهم للحفل ، تأخرت والدته قليلاً فقال عمرو:

- ما تطلع تشوف الحجة يا فارس .. عزة عماله تتصل شكلنا بقى وحش أوى

نظر فارس إلى هاتفه فوجد مكالمتين من دنيا لم ينتبه إليهم، كان على وشك أن يهاتفها ليخبرها أنهم فى طريقهم ولكنه وجد يحيى يهبط الدرج بسرعة ويتجه إلى بلال مباشرة وهو يقول:

- لو سمحت يا دكتور ممكن تطلع معانا.. أصل مُهرة تعبانة أوى

لم يتحدث فارس كثيرا ، بل لم يسأله من الأصل ، توجه للأعلى مباشرة وطرق الباب ، فتحت له أم يحيى الباب وفى عينيها أثر البكاء معلنا عن نفسه بوضوح فقال بلوعة:

- فى أيه مُهرة مالها

كان بلال ويحيى قد لحقا به ، غض بلال نظره وهو يقول :

- خير يا جماعة مالها

أفسحت لهم أم يحيى الطريق وهى تقول:

- مش عارفة يا دكتور .. سخنه أوى وبتترعش والكمادات مش جايبة نتيجة .. خايفة تكون حمى

قال بلال بسرعة دون أن ينظر إليها:

- طب غطيها وحطى حاجة على شعرها

دخلت أم يحيى سريعاً إلى غرفة مُهرة وخرجت بعد ثوان وهى تقول بلهفة:

- خلاص يا دكتور اتفضل

هم بلال بالدخول ولكنه تفاجأ بفارس يمسك بذراعه يوقفه ، فنظر بلال إلى يد فارس الممسكة به ثم نظر إليه فى تسائل ودهشة ، فقال فارس بصوت كأنه خرج من شخص آخر غيره ومن حلق آخر غير حلقه وكأنه آتى من بئر عميق وبعيد :

- هو انت بتكشف على بنات؟

شيئاً ما فى عينى فارس جعل بلال ينظر إليه بعمق وهو حائراً من أمره ثم قال:

- انا مش هكشف عليها .. أنا هشوفها بس حمى ولا لاء ..وده مش محتاج كشف زى ما انت فاهم ..علشان لو حمى مش هينفع نستنى أكتر من كده

ثم أشار بلال إلى أم يحيى أن تتبعه ، دخلت معه والدتها لغرفتها فوجد أم فارس تجلس بجوارها وتبكى على حالها وما أصابها ومُهرة نائمة والكمادات تغطى جبينها.

وقف فارس حائراً فى الخارج يريد الدخول ولكن لا يستطيع ، بعد دقائق خرج بلال وهو يحادث زوجته على الهاتف ويقول:

- خلاص نازلين اهو ..لا الحمد لله كويسة..اه طبعا هجيب الولاد معايا

لم يستطع الأنتظار أكثر ، أمسك بلال من يده التى يحمل بها الهاتف وقال :

- طمنى يا بلال

أنهى بلال مكالمته مع عبير ووضع الهاتف فى جيبه وقال لـ فارس وهو يتفرس فى ملامحه:

- متقلقش دى حرارة عادية ...كويس أن والدتها بتعرف تدى حقن انا كتبتلها على حقنة لما تاخدها هتبقى كويسة بأذن الله

مر يحيى من جوارهما سريعاً فى طريقة للخروج ليحضر الحقنة التى طلبها بلال وخرجت على أثره أم فارس من الغرفة وتوجهت إلى فارس وهى تقول:

- انت لسه هنا يابنى ؟ .. يالا انت اتوكل على الله علشان تلحق عروستك فى الكوافير مش عاوزين مشاكل فى ليلة زى دى

جاء صوت رنين هاتف فارس فى هذه اللحظة، فنظر فى الهاتف ليوجده عمرو الذى تكلم بسرعة قائلا:

- انتوا هتباتوا عندكوا يا فارس

قال فارس بدون تردد:

- أمشى انت يا عمرو.. روح خدهم من الكوافير ووديهم القاعة وماما وبلال هيحصلوك

هتف عمرو مستنكراً:

- هما مين اللى أخدهم دول .. أروح اقول لمراتك تعالى معايا وجوزك جاى ورانا ..فى أيه يا فارس

صاح فارس بغضب:

- اعمل اللى بقولك عليه يا عمرو ..ماما هتنزل دلوقتى وهتاخدها معاك من الكوافير وتروحوا على القاعة .. وانا هبقى احصلكوا ..وبعدين كده ولا كده قاعة الرجالة مفصولة عن قاعة الستات يعنى محدش هياخد باله انى هتأخر

أنتزعت أم فارس الهاتف من يده وهى تنظر له بحدة وقالت لـ عمرو:

- فارس نازلك يا عمرو دلوقتى

أغلقت الهاتف ونظرت إليه بصرامة وقالت:

- يالا روح خد عروستك من الكوافير.. وانا هقعد معاها لحد ما تتحسن

زفر فارس بضيق وهو يشعر أن حفل زفافه تحول إلى جبل على صدره يريد التخلص منه ، لاحظ بلال الحيرة فى عينيه ونفس الشيء الغامض الذى استشعره سابقاً وهو لا يريده أن يدخل للكشف عليها فتدخل لحل المشكلة قائلاً:

- بص يا فارس السخونية دى حاجة عادية.. بتيجى وتروح ومتقلقش هى هتاخد الحقنة وهتبقى زى الحصان

عاد يحيى سريعاً بالحقنة ودخل غرفة أخته مسرعاً، كانت أم يحيى واقفة تستمع للحوار بجوار باب غرفة ابنتها وقد حقنتها منذ ثوان ، حسمت أمرها ورسمت ابتسامة على شفتيها وخرجت مبتسمة وهى تقول:

- الحمد لله الحرارة نزلت شوية وابتدت تتحسن

ألتفت بلال إليها دون النظر لها مباشرة وقد استشعر خدعتها فهو كطبيب يعلم أن الحرارة تحتاج لوقت أكبر من هذا لتعود لطبيعتها.

أنهالت المكالمات على هاتف فارس وبلال واحتالت أم يحيى كثيرا عليهم حتى لا يتأخروا أكثر من هذا على زفافهم بسبب مرض ابنتها، فهم لا ذنب لهم فيما يحدث لها

وبعد مداولات كثيرة استقل فارس السيارة ويكاد يكون فى عالم آخر، يأكله القلق والتوتر والأضطراب وتكاد ان تفتك به أناتها التى كانت تخرج منها عالية فتصل إلى أذنيه وتنهش صدره عن بُعد ، وهو ينظر خلفه يكاد أن يراها من خلف الأبواب المغلقة والجدران ، والسيارة تبتعد به وتفصله عن عالمه الذى طالما أحبه .

****

خرجت كل منهما إلى زوجها وتأبطت ذراعه إلى السيارة وانطلق الجميع وسط الزغاريد وأصوات أبواق السيارات حتى وصلوا إلى قاعة الأفراح.

كانت قاعة الرجال فى الطابق الأرضى كالعادة بينما قاعة النساء فى الطابق الأول ، صعدت النساء للأعلى بينما دلف الرجال إلى القاعة الارضية ، مرت عزة بين صفى الدفوف بينما مرت دنيا بين صفى المشاعل ، كانت استقبإليه حافلة بين ضرب الدف والإنشاد وبين أنوار المشاعل الملونة، جلست كل منهما فى مقعدها المخصص لها والمزين بالتل والورود والقلوب الحمراء ، وبدات الفرقة فى أداء فقراتها المدربة عليها ولكن كل هذا لم يعجب دنيا وكانت تشاهد ما يحدث بملل وكأنهم نساء من كوكب آخر وتنظر إلى عزة بدهشة وتتعجب كيف يبدو عليها السعادة والبهجه بل وتشاركهم الرقص على ضرب الدف هل هذه حفلة زفاف !

أما فى الأسفل عند الرجال وقف عمرو يتضاحك مع أصدقائه ومحبيه ويتبادلون النكات ووقف فارس بجوراه يصافح المهنئين له ويبتسم لهم ولكن عقله كان فى مكان آخر فيتجه إلى ركن ما فى القاعة ويخرج هاتفه ويتصل على هاتف منزلها فيجيبه يحيى و يطمئنه ببعض الكلمات المطمئنة التى لقنته أياها والدته .

ترك عمرو أصدقائه واتجه إلى ركن هادىء بالقاعة واتصل على والدته وقال وهو يتلفت حوله :

- بقولك ايه يا ست الكل.. مش كفاية كده بقالنا ساعتين مش هنروح بقى ولا أيه

ضحكت والدته ثم قالت :

- طيب خلاص ربع ساعة كده وننزل

أنهى عمرو الأتصال ووقف يفرك كفيه ما بين توتر و عجلة وحانت منه التفاته إلى فارس الذى يقف شارداً يضغط أزرار هاتفه فى انفعال ما بين الحين والآخر فاتجه إليه ووضع ذراعه على كتفه وقال مداعباً :

- أنت كمان مستعجل ولا أيه

رسم فارس أبتسامة على شفتيه ولم يجيبه ، فقال عمرو :

- مالك يا فارس شكلك مش طبيعى خالص من ساعة ما وصلنا

فارس:

- مفيش يا عمرو.. مفيش

أنتهى حفل الزفاف واستقل عمرو سيارة بجوار عزة فى طريقهما لعش الزوجية بينما لاحظت أم فارس قلقه وعدم رغبته فى السفر ، فاقتربت منه وربطت على كتفه وقالت وكانها ترى ما يدور بعقله:

- يابنى اطمن هى خلاص بقت كويسه يلا توكل انت على الله وخد عروستك وسافر

أنحنت دنيا وهى داخل السيارة وأطلت برأسها من زجاجها وقالت بانفعال:

- انا هفضل ملطوعة كده كتير

أضطر فارس إلى استقلال السيارة تحت الألحاح الشديد من والدته وبلال وكلمات دنيا اللآذعة وانطلق بها إلى الأسكندرية

ظلت طوال الطريق تؤنبه وتوبخه على تأخره عليها فى الكوافير وفى السيارة أمام القاعة ولكنه لم يرد، كاد أن يستشيط غضباً وهو يحاول أرضائها ويقدم أعذاره ولكنها لم تقبل بل وازدادت حدة كلماتها القاسية التى تتهمه فيها بالاهمال والتقصير ، والبداية الغير المبشرة بحياة سعيدة ، وفجأة صمتت وبكت بقوة وانهيار.

****

فتحت والدة عزة باب الشقة ودلفت وهى تطلق الزغاريد المتواصلة وتبعتها عبير وعزة وعمرو ، قبلت عبير أختها وعانقتها وهى تتمنى لهما حياة سعيدة وأيام مباركة وانصرفت بسرعة كما أمرها بلال من قبل ، بينما ظلت والدة عزة تطلق الزغاريد المتواصلة حتى مال عمرو على عزة وقال هامساً:

- هو النهاردة الزغاريد وبكره الفرح ولا أيه !

ابتسمت عزة خجلاً ولم تجيبه وإنما تمنت أن تبقى والدتها ولا تنصرف أبدا من كثرة خوفها من عمرو الذى كان يتوعدها بهذه الليلة مراراً وتكراراً وهو يداعبها بكلماته عبر الهاتف

صعدت والدة عمرو وجذبت أم عزة من يدها وقالت بمرح:

- يالا بقى أحنا هنبات هنا ولا ايه

فرت دمعتين من عينيى والدة عزة وهى تحتضنها وتقبلها بينما لمعت عينيى عزة بالدموع وهى تودع والدتها على الباب بينما أسرع عمرو وأغلق الباب خلف الجميع وهو يزفر بارتياح قائلا:

- الحمد لله .. أخيرًا ..أيه رايك نقفل بالمفتاح والترباس لحسن يرجعوا تانى ؟!!

أطرقت عزة برأسها ولم تجيبه وشعرت أن الدنيا تميد بها وتكاد أن يغشى عليها ، لاحظ عمرو العلامات الجلية على وجهها وشحوبه خوفاً فقال بلامبالاة :

- يلا بقى انا هموت من الجوع أدخلى غيرى واطلعى بسرعة قبل ما اخلص العشا لوحدى

لم تصدق نفسها ، هرولت للداخل أغلقت الباب عليها وبدلت ملابسها سريعاً بعد أن تعثرت قليلا وهى ترتديها وتتمتم بصوت خفيض:

- بتتلبس ازاى دى !

بعد قليل خرجت إليه وجدته يأكل بنهم شديد فنظرت إليه باستغراب وقد تناست خوفها قليلاً وهى تسمعه يقول لها دون أن ينظر إليها:

- الأكله دى خلتنى عامل زى اللى واخدين بنج .. شكلى كده هكسف أهلى وانام على روحى

أبتسمت وقد تلاشى أى شعور داخلها بالخوف وجلست على مقعدها تتناول بعض الطعام وتصنعت أن الأمر لا يعنيها وهى تقول:

- كل وادخل خد دش علشان تسترخى ونام.. وأنا هابقى اصحيك الفجر علشان نصلى سوا على فكرة شكلك مرهق أوى أوى

نظر إليها بطرف عينيه وهو يلعق أصبعه من بقايا الطعام وقال :

- أسكتى يا بت انتِ وكلى عيش فى البيت ده وانتِ ساكته احسنلك

أنهى طعامه ودلف إلى الحمام ، أغتسل وخرج ليجدها قد استغرقت فى نوم عميق على الأريكة أمام التلفاز

حاول أيقاظها ولكنها لم تستجب ، حاول مراراً ولكنها تعمدت الأستغراق أكثر فى النوم ، فاتجه إلى الثلاجة وأخرج زجاجة عصير واتجه إليها ووقف بجوارها وهو يفتح الزجاجة بصوت مرتفع وقال:

- ياترى نوع العصير ده لما بيتكب على الشعر بيطلع تانى ولا لاء

أنتفضت عزة واقفةً وهى تقول برجاء:

- لالالالا بلاش .. أنا صاحية اهو

أشار لها لتسير أمامه للداخل وهو يعقد جبينه قائلا بجدية مصطنعة:

- قدامى ...ناس مبتجيش غير بالعين الحمرا صحيح

****

وأما هناك وفى الأسكندرية وقبل الفجر بدقائق كانت هناك دوى صفعة قوية على وجهها هوت على أثرها أرضاً وهى تصرخ قائلة:

- متظلمنيش يا فارس مكنش بأيدى ... أسمعنى طيب

قبض على ساعديها بقوة وعينيه تشعان غضباً وكأن الشيطان قد سكنهما وأطلق منها قذائف نيرانه فتطايرت فى وجهها ولفحتها وهو يجذبها لتقف مرة أخرى على قدميها وهى تهتز خوفاً وهلعا وهو يقول بصوت يشبه الفحيح:

- مين اللى عمل كده .. أتكلمى ولا هقتلك وادفنك هنا دلوقتى حالاً

قال كلمته الأخيرة وهو يصفعها مرة أخرى لترتطم بالفراش وتسقط عليه بثقلها ، وضعت يدها على وجنتها وهى ترتعش وتقول متوسلة له:

- هتكلم.. هحكيلك على كل حاجة بس اسمعنى .. والله مظلمومة يا فارس

بدأت تتعثر فى كلماتها وتتلعثم وهى تقول:

- فى يوم بعد ما ركبتنى التاكسى ومشيت .. فضل ماشى بيا فى الطريق عادى وقبل ما يدخل على بيتنا دخل فى الشارع الضلمة اللى قصاده اللى كله عمارات فاضية ولسه بتتبنى .. ما انت عارفه و.. و بعدين طلع مطوه وهددنى ومقدرتش افتح بوٌى خفت يا فارس.. خفت

وبعدين أغمى عليا ولما فوقت لقيت نفسى فى الشارع .. قمت جريت ودخلت بيتنا وماما كانت نايمة ومشفتنيش

قبض على شعرها بقوة وصرخ بها:

- كدااابة ..أنا عمرى ما ركبتك تاكسى لوحدك أبدا

صرخت وهى تحاول الفكاك منه ومن قبضته حتى شعرت أن روحها تفرقت فى جسدها وهربت من كثرة الألم وقالت وهى تنتفض:

- ايوا .. ايوا ..أنت عمرك ما ركبتنى تاكسى لوحدى بس فى اليوم ده الميني باص اللى ركبتهولى اتعطل والناس نزلت كلها واضطريت آخد تاكسى وحصل اللى حصل

صرخ بها وهو مازال قابضاً على شعرها بقوة :

- ومقولتليش ليه .. ومبلغتيش ليه .. وأمتى كل ده حصل

بكت بشدة وهى تصرخ من الألم وقالت :

- حصل من سنة تقريبا .. وخفت يا فارس خفت اقولك وخفت ابلغ

دفعها على الفراش بقوة فارتطم رأسها به وأخذت تبكى وترتعش بقوة، نظر إليها تسلط عليه الشيطان فى تلك اللحظة فأقدم على قتلها ولكنه تراجع .

كلماتها تفوح منها رائحة الكذب ولكنه لا دليل لديه على شىء آخر ، أبتعد عنها ودخل الشرفة فلفحه الهواء بقوة وشعر أنه كان تحت سطح البحر لا يكاد يتنفس وخرج فجأة إلى الهواء العليل فكادت أن تنفجر رئتيه وشعر بدمائه تغلى بداخل عروقه لتلهبها وتحرقها ورأى الماء يندفع بجنون ويرتطم بأمواج عقله فتطحن رجولته وتبعثرها وتنثرها على الشاطىء ، شعر أنه سيفقد عقله ورشده .. جلس على الأرض واضعاً وجهه بين كفيه وهو يشعر أن قلبة قد طُعن طعنة غدر من أقرب الناس إليه ، لا يصدقها وليس لديه حل آخر، هل يعرضها على طبيبة ، هل يفضحها ويقول لوالدتها ويطلقها أم يستر عليها .. صدح صوت اذان الفجر ليتسلل لقلبه المكلوم الممزق ، نهض بتثاقل وتوجه للحمام، أغتسل وصلى الفجر وقد انهمرت عبراته الساخنة التى كانت تقفز على الأرض من عينيه لتروى مكان سجوده بماء دموعه ..أنكفأ لونه وارتجفت أوصاله .

عاد الفارس من معركته خاسراً ، ولكنه لم يفقد روحه وأنما فقد حكمته وشرفه، ولكن الفارس النبيل مازال بداخله يستصرخه ، أن يظل نبيلاً حتى آخر رمق ، وإن زهقت روحه تحت راية نبلة ، وتذكر حديث النبى صل الله عليه وسلم :

- (من ستر مؤمنا فى الدنيا ستره الله يوم القيامة)

ولكن هل يستطيع ذلك ؟!!

****

الحلقة العشرون

أشرقت شمس يوم الجمعة تتسلل بأشعتها الذهبية بين النوافذ والجدران مقتحمةً الأبواب المغلقة لترى ما لا نستطيع أن نراه ، ثم تنسحب بهدوء بعد أن قد حملت بين طياتها الكثير والكثير ولكنها لن تفشى الأسرار فهى ليست من بنى البشر .

فتح فارس عينيه قليلاً ووضع يديه عليها ليحميها من أشعة الشمس ، فلقد غفى قليلاً على مقعده فى الشرفة المطلة على البحر ، نظر حوله وهو يدعو الله أن يكون ما حدث ليلة الأمس كان حلماً مفزعاً فقط ، ولكن وضعه وغفوته أنبأته أنه كان حقيقةً بائسةً فلما نظلم الأحلام معنا دائماً .

أعتدل وهو يشعر بألم فى كل خلجة من خلجاته ، مسح على رقبته التى شعر بها تؤلمه بشدة من اثر غفوته تلك ، نظر للداخل دون أن يتحرك لم يجد لها اثر وباب غرفة النوم مغلق فعلم أنها مازالت نائمة أو أنها تهرب من مواجهته مرة أخرى.

نهض متثاقلاً وبصعوبة توجه إلى الحمام وتوضأ ، خرج من الحمام لتقع عينيه على حقيبته التى مازالت أمام باب الشقة .

شرد ذهنه وهو يتذكر ليلة أمس عندما طلبت منه أن يحمل حقيبتها للداخل ففعل ثم تذكر جرأتها الشديدة ، فهى التى تقدمت إليه ، حتى أنها لم تدعه يتوضا ليصلى بها ركعتين فى بداية حياتهما الزوجية ولم تنتظره حتى يُدخل حقيبته هو الآخر ليبدل ملابسه

تملكه شعور الدهشه والاستغراب وهو يتذكر أفعالها ، كيف تكون مرت بما مرت به وتفعل هذا دون خوف مما ينتظرها ، كان من الأولى أن تتمنع وتطلب منه أن يمنحها بعض الوقت ،إن كانت كاذبة كانت ستفعل ذلك، وإن كانت صادقة فيما قالت أيضا كانت ستفعل ذلك ، ثم تُخبره بالحقيقة وبما حدث لها دون أرادتها ، فهى تعلم أخلاقه وأنه لن يظلمها ، أم كانت تتصور لأنه عديم الخبرة أنه لن يكتشف الأمر وستستطيع أن تنهى الموقف لصالحها بعد أن تشعل غريزته دون أن ينتبه .

دارت كل تلك التساؤلات فى عقله وقلبه فى لحظة واحدة وهو مازال مصوب عينيه لحقيبته القابعة مكانها منذ ليلة أمس ، هز رأسه بقوة ينفض عنه كل تلك الأفكار التى مازالت به لا تفارقه لحظة واحدة لتشعل النار بقلبه من جديد .

عاد إلى الحمام ليتوضا مرة أخرى ليطفأ ما نشب فى صدره من غل وكره وشعور قوى بالأنتقام وما تبعه من وسوسة الشيطان بأن يثار لشرفه ويقتلها لتهدأ رجولته قليلاً لما فعلته به ، توضا وعاد وقطرات المياة تتساقط من يديه وخصلات شعره التى تناثرت على جبينه،

أخذ حقيبته ووضعها على الأريكة وأخرج ملابس أخرى ارتداها فى سرعة وأخذ هاتفه ومفاتيحه وخرج ليلحق بصلاة الجمعة.

أنتهى من صلاته وتناول مصحف من مصاحف التفسير المرصوصة جنباً إلى جنب على أحد الأرفف وقبع بالمسجد يقرأ لعله يجد المرشد له فيما وقع فيه وهو يشعر أن سنوات عمره مضت هباءاً منثورا مع تلك المرأة التى أحبها وخانته ولكن مع الاسف ليس لديه دليلاً على خيانتها، يخاف أن تكون تعرضت فعلا للأغتصاب فيكون بذلك قد ظلمها وحاكمها بما ليس لها فيه شىء، ووسط مشاعره المتلاطمة وقعت عيناه على الآية الكريمة فى سورة النور :

- (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ألا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لا يعلم لماذا شعر أنها رسالة من الله عزوجل إليه يلهمه فيها بالصواب ويرشده إلى الطريق .

أغمض فارس عينيه بقوة يحاول السيطرة على مشاعره المكلومة وقلبه المذبوح، حاول أن يرتقى بنفسه وبصبره إلى اقصى درجة ، وتذكر وقتها أيام خطبته بدنيا وتذكر أنه علم الحلال والحرام ورغم ذلك استمرا في الحرام سنة كاملة وظل يغضب ربه من أجلها فجعلها الله عزوجل هى من تشق قلبه وتذبحه فكانت هذه النهاية الحتمية .

إذن فهو أحد المسؤلين عن ما يحدث له معها اليوم فلماذا يحاسبها وحدها ، لماذا لا يعاقب نفسه أيضاً وهل سيختار عقاباً رادعاً لنفسه أكثر منها ؟!

خرج من المسجد وقد حسم أمره تماماً واتضحت الرؤية أمام عينيه واتخذ قراراً نهائياً بشأنها ، عبر الطريق ووقف ينظر لمياه البحر الهادئة فى شرود ، شرد ذهنه بعيداً تماماً عن دنيا ، فوجد نفسه كالمسحور يخرج هاتفه ويتصل بوالدته التى تعجبت واصابتها الدهشة عندما سمعت صوته فى الطرف الآخر وهو يسألها عن أحوالها وصحتها وهى تجيبه باختصار متعجبة إلى أن قال بتردد :

- متعرفيش يا ماما مُهرة عاملة أيه النهاردة؟

أتسعت عيناها بعض الشىء وهى تقول بدهشة كبيرة:

- مُهرة ! .. أنت سايب عروستك علشان تسأل على مُهرة !

أرتبك أكثر وقال بتلعثم :

- وفيها أيه يا ماما ..أنا أمبارح سايبها وهى تعبانة .. أيه المشكلة انى أطمن عليها دلوقتى

ضيقت عينيها قليلاً وهى تقول بأرتياب:

- هى مراتك فين يا فارس ؟

شعر بغصة فى حلقة ومرارة على لسانه وهو يقول بصوت مخنوق:

- فى البيت.. أنا نزلت اصلى الجمعة ولسه مطلعتش

ثم أردف بتصميم:

- مقولتليش يا ماما مُهرة عاملة أيه دلوقتى

تنهدت فى عدم أرتياح ثم قالت:

- كويسة يابنى .. لسه نازلة من عندها من شوية وكانت كويسة

شعر أنه لن يأخذ منها أكثر من هذا وأنها مرتابة من سؤاله عنها من البداية فقرر أن يكتفى بما حصل عليه من معلومات ، أنهى المكالمة مع والدته ولكن قلبه لم يكن مطمئناً أبداً هناك شىء يخبره أنها ليست على ما يرام ، بحث فى هاتفه على رقم بلال وأتصل به ..لم يكن بلال أقل دهشة من والدته فى اتصال فارس به وسؤاله عن مُهرة ولكنه أجاب:

- أنا عندها دلوقتى

أبتلع فارس ريقة من المفاجأة وقال بلهفة:

- ليه هى تعبت تانى ؟

رفع بلال حاجبيه وهو يقول :

- لا أبداً فى دكتور صاحبى جبته يشوفها ..والدتها اتصلت بينا وقالت مبتكلمش ومبتردش على حد ومبتاكلش وبتعيط على طول ..طبعاً انت عارف ان ده مش تخصصى

خفق قلب فارس بقوة وهو يجلس على أحد الصخور وقال :

- الدكتور قال أيه

بلال :

- لسه خارج اهو اقفل وانا هبقى أكلمك

هتف فارس على الفور :

- لالا متقفلش خالينى على الخط وقولى قالك ايه

نظر بلال إلى الهاتف بدهشة ثم أنزله للأسفل قليلاً وهو يتحدث للطبيب الذى قال :

- حالة من حالات الاكتئاب البسيط وان شاء الله هتعدى مع الوقت بسرعة

ثم نظر الطبيب إلى الجميع وهو يقول:

- هو فى حد زعلها ؟

قالت أم يحيى سريعاً :

- هى بقالها كام يوم كده مش عارفة مالها.. أكلها قليل ومبتنامش كويس ومش مركزة

قال الطبيب متفهماً:

- عموماً فى سنها ده الحالة النفسية بتبقى متقلبة متقلقوش مع الوقت هتتحسن وترجع لطبيعتها انتوا بس متضغطوش عليها فحاجة .

وضع بلال الهاتف على أذنه مرة أخرى ليبلغ فارس بما قاله الطبيب ، أرهف فارس سمعه لكلام بلال ولكن أم يحيى قطعت عليه كلامه وهى تقول لـ بلال بحرج:

- ممكن بعد أذنك أكلمه اباركله

تفاجأ فارس بكلام أم يحيى ولكنه وجدها فرصة مناسبة تماماً فقال:

- ولا يهمك يا ست ام يحيى مانا كنت موجود وشايف بنفسى ...هو الدكتور قال ايه

قالت بحزن:

- بيقول اكتئاب وهيعدى ان شاء الله ..أنا والله ما فاهمة يعنى أيه اكتئاب أصلا يا أستاذ فارس.. أنا اللى يهمنى أن بنتى تقوم زى الأول بس مش عارفة اعمل ايه

قال فارس بإشفاق:

- أكتئاب !!

ثم قال فى سرعة :

- لو سمحتى خلينى أكلمها

فرت دمعة من عينيها وقالت بأسى:

- ياريت يابنى.. دى لا بتاكل ولا بتتحرك ولا بتتكلم

شعر فارس أن قلبه يعتصر فى صدره وينقبض بقوة على حالها الذى لا يعلم له سبب فقال:

- طب حطى التليفون على ودنها وانا هكلمها يمكن تستجيب لكلامى

نظرت أم يحيى إلى بلال الذى كان يتحدث مع الطبيب الاخر ويحيى يقف معه يستمع لحديثهم فدخلت لغرفة مُهرة ، وجدتها كما هى نائمةً على الفراش تنظر لسقف الغرفة دون حراك أقتربت منها ووضعت الهاتف على أذنها وقالت :

- أهى معاك أهى ..

ثم نقلت الهاتف على اذن مُهرة ، أخذ فارس نفساً عميقاً وقال بهدوء:

- مُهرة

أنتفض جسدها الصغير بمجرد أن سمعت صوته وأخذ صدرها يعلو ويهبط فى سرعة وهى لا تزال محدقة فى سقف الغرفة وهو يقول ببطء:

- مالك يا مُهرة .. أيه اللى تاعبك ..كلمينى علشان خاطرى ..أتكلمى يا مُهرة

بدأت الدموع تقفز من مقلتيها واحدة تلو الأخرى بغزارة ودون توقف ترسم طريقاً على خديها وما أن ينقطع بها السبل حتى تغير مسارها لتروى وسادتها التى شاركتها لياليها

الموحشة من قبل ، كلما تكلم كلما أراد أن لا يتوقف أبداً فظل ينادى عليها مراراً وتكراراً بتصميم:

- انا فارس يا مُهرة .. كلمينى قوليلى مالك.. أشكيلى مين اللى ضايقك

قال كلمته الأخيرة ووجد عبراته تقفز هى الأخرى على خديه وبدا صوته يشبه البكاء وهو يرجوها أن تتحدث، أن تقول أى شىء، خالطت دموعه دموعها ولكن عن بُعد ، لم يراها ولم يسمع الا صوت شهقاتها التى بدأت فى الظهور أخيراً وهى تبكى . ولم تراه ولم تسمع الا نداءاته المختلطة بالبكاء وكأنه يعتذرعن شىء لا يعرفه أو لا يفهمه ...فقط يشعر به...

هبت أم يحيى واقفةً وهى تمسك بالهاتف خرجت سريعاً وهى تقول للطبيب بلهفة:

- مًهرة بتعيط بصوت عالى يا دكتور صوتها طلع

هتف يحيى بسعادة:

- بجد يا ماما اتكلمت يعنى

قالت من بين دموعها :

- لاء بس بتعيط بصوت عالى

أعطت أم يحيى الهاتف إلى بلال وهى تشكره قائلة:

- متشكره أوى يا دكتور بلال.. الأستاذ فارس أول لما كلمها ابتدت تعيط وصوتها طلع أخيرًا الحمد لله

****

باتت ليلتها مترنحة خائفة تخشاه ، تترقب خطواته تضع أذنها على الباب تستمع لصوت أنفاسه ، كلما اقترب من الغرفة اهتز جسدها رعباً ، تظن أنه سيقتلها ، بالتأكيد سيقتلها لن يرضى على رجولته أن يعيش مع امرأة فعلت فعلتها ، أذاً ماذا يفعل ، لماذا تأخر مصيرها إلى هذا الحد ، سمعت صوته يتجه للحمام ويغلقه خلفه

فتحت الباب فى بطء وهدوء ويديها ترتعش وأوصالها ترتجف خوفاً ، مشت ببطء وحذر إلى الحمام ووضعت اذنها وتنصت بإضطراب شديد ، سمعت صوت المياه فعلمت أنه يغتسل ، أغمضت عينيها وكادت أن تزفر بقوة ولكنها وضعت يديها على فمها خشية أن يسمعها ، عادت تمشى وكأنها تزحف بحذر إلى غرفتها وأغلقتها مرة أخرى عليها.

ظلت قابعة خلف بابها تترقب خطواته ذات اليمين وذات الشمال حتى سمعته يكبر تكبيرة الأحرام ثم بدأ فى ترتيل الفاتحة فتيقنت أنه يصلى الفجر.

هنا فقط زفرت زفرةً طويلة أخرجت فيها ما كان يجيش بصدرها من خوف وقلق ورعباً ، فلو كان ينوى قتلها لما وقف يصلى هكذا

هوت بجسدها على الفراش وهى تلعن اليوم الذى قابلت فيه باسم وتلعن اليوم الذى صدقت فيه كلماته وعباراته المطمئنة لها، كم كانت حمقاء ساذجة ، كيف لمثلها أن تقع فيما وقعت فيه وبهذه السهولة.

وكيف اكتشف فارس فعلتها بهذه البساطة وهى كانت تعتقد أنه غِر ليس لديه خبره ، لقد نسجت خيوطها جيداً فكيف رأى الحقيقة بهذا الوضوح ، ولكن الذى جعلها غاضبة حانقة أكثر هو كيف فشلت العملية رغم تأكيدات الطبيب أنها عادت لعذريتها كما كانت من قبل ولن يكتشفها أحد مهما كانت خبرته فى عالم النساء ، وضعت يدها على خدها تتلمس صفعات فارس الموجعة فلازالت تشعر بخدر فى وجنتيها نتيجة لصفعاته المتتالية ،عادت إليها رهبتها منه مرة أخرى عندما سمعت صوت باب الشرفة يفتح عنوة ، نظرت من فتحة الباب مكان المفتاح فوجدته قد دخل الشرفة واسترخى على مقعدها وأغمض عينيه.

زفرت فى ارتياح وحنق وتأكدت من غلق الباب جيداً وعادت إلى فراشها وهى تتوعد باسم وتسبه باقذع الألفاظ وذهبت فى نوم عميق .

أستيقظت فزعة من نومها على صوت صفق باب الشقة بقوة ، جلست فى فراشها دقائق وبعد أن تأكدت من مغادرته الشقة فتحت الباب فى هدوء واتجهت للحمام مباشرة اغتسلت وعادت لغرفتها مرة أخرى لتغلقها عليها لتسكت الشعور بالخوف بداخلها ولكنها لم تستطع أسكات الشعور بالجوع الذى مزق معدتها .

****

فتح الباب ودخل بدون سابق أنذار فسقطت الملعقة من يدها بمجرد أن سمعت صوت غلق الباب ، دخل عليها ونظر إلى الطعام أمامها ثم نظر إليها بعينين خاليتين من أى تعبير وقال ببرود:

- وكمان ليكى نفس تاكلى

أبتلعت ما كان فى جوفها وتجمدت مكانها كالتمثال وهى محدقة به تحاول استكشاف ما بداخله من خلال تعابير وجه وظلت قابعة مكانها تنتظر رد فعله تجاهها ، جلس أمامها حول المائدة وصوب بصره إليها بصرامة وقال :

- مش ناوية تقولى الحقيقة ؟

أبتلعت ريقها بصعوبة وشعرت بجفاف حلقها وشحب وجهها و قالت بصوت خافت مرتعش :

- اللى قولتهولك امبارح هو ده الحقيقة كلها

أومأ برأسه بقوة ونظر إليها ببغض قائلاً:

- وأنا مش مصدق حرف واحد منه ..لكن مع ذلك ...

صمت قليلاً وتعلق بصرها به وخفق قلبها بقوة فقال :

- مع ذلك هستر عليكى ومش هفضحك ..لكن عمرى ما هسامحك وعمرك ما هتبقى مراتى

قفز قلبها من مكانها وهى تستمع له وقد تيقنت أنه لن يثأر منها ولن يفضحها فعادت الدماء تُضخ إلى مجرى وجهها مرة أخرى وهى تنظر له بترقب فنهض من أمامها واشار إليها قائلاً:

- واعملى حسابك أمى مش هتعرف حاجة عن الموضوع ده

ثم نظر إليها باحتقار وهو يقول:

- مش عاوزها تموت بحسرتها عليا

أستدار متوجهاً للخارج مرة أخرى ولكنها وقفت وقالت برجاء:

- أستنى يا فارس ارجوك صدقنى

أستدار إليها بنظرة مخيفة جعلتها تجلس مكانها ثانية بلا حراك وقد شعرت أن الهواء تجمد فى رئتيها فلا تستطيع التنفس أو حتى التألم ، فتح الباب وخرج مرة أخرى وهو يشعر بالأشمئزاز من المكان ومنها ومن نفسه .

خرج يمشى رويدا على الشاطىء ثم وقف واستدار للبحر نظر إلى سطحه محاولاً الوصول لأعماقه ومعرفة أسراره متغلغلاً بداخله بعقله واجماً فى تلك المرأة التى أصبحت زوجته والتى لطخت شرفه ، وشعر أن مياه البحر تسخر منه وتؤنبه وأعماق البحر تتهكم عليه بل وتحاكمه ، كيف لم يكتشف شخصيتها من قبل، كيف لم يرى جرأتها معه ، كيف خُدع فيها إلى هذه الدرجة ؟! ، هل أحبها إلى أن طُمست عيناه عن حقيقتها ، بكل خبرته ودراسته الطويلة واحتكاكه بالبشر لم يعرفها حق المعرفة، بل كانت والدته المرأة الغير متعلمة التى لم تخرج من شارعهم مطلقاً إلا للضرورة تعرفها أكثر منه ، ربما ليس بخبرتها ولكن بقلبها، وأحساسها تجاه الآخرين ، فكيف كان يستهين بهذا الأحساس الربانى

****

دخل بلال غرفته هو وزوجته فوجدها ترتدى ملابسها مستعدة للخروج فنظر لها متأملاً ثم قال:

- الهانم رايحة فين

ألتفتت له وهى تغلق أزار ملابسها وقالت مبتسمة :

- انت لحقت تنسى ..رايحة مع ماما عند عزة يا سيدى.. الصباحية عقبال ولادك

عقد ذراعيه أمام صدره وقال :

- وعقبال ولادى ليه متقوليلى عقبالك

رفعت رأسها إليه وعقدت حاجبيها وقالت محذرة :

- بلال بقولك ايه .. متخاليش دماغى تودى وتجيب

أقترب منها ببطء وقال بابتسامة :

- مفيش خروج انا بقولك اهو

وضعت يديها حول خصرها وهى تقول متبرمة:

- يعنى مروحش لاختى صباحيتها يا بلال

زفر بهدوء وهو يجلس على الفراش وقال :

- يابنتى انا مش عارف أيه حكاية الصباحية دى ومين اللى اخترعها أصلا ..عريس وعروسه نروحلهم تانى يوم ونضايقهم ليه

لوحت بيدها وقالت بتلقائية :

- وانا مالى.. أنا رايحة معاهم وخلاص يعنى هى جات عليا.. وبعدين يعنى هنضايقهم ليه دى هى نص ساعة ونمشى

لف ذراعه حولها وأسند جبهته إلى جبتهتها وغمز لها بعينه قائلاً:

- أنتِ اللى بتقولى كده

ضحكت وهى تنهض من جواره ثم التفتت إليه قائلة:

- بصراحة معاك حق بس لو مروحتش ماما هتزعل مني

أرتدت أسدالها وشرعت فى وضع غطاء وجهها ، حانت منها التفافة إليه فوجدته شارداً تماماً ، جلست بجانبه وقالت متسائلة:

- مالك يا بلال أنت مش زى عوايدك

أنتبه إليها وهز رأسه نفياً وهو يقول:

- لالا متشغليش بالك مفيش حاجة

مسحت على رأسه وهى تقول بنعومة :

- مالك يا حبيبى فيك ايه

رفع رأسه ينظر إليها وقال فى وجوم:

- بصراحة يا عبير ..حصلت حاجة النهاردة كده عند ام يحيى ومش هضحك عليكى واقولك مش لاقى تفسير ..لالا .. أنا بس مستغرب

قالت فى اهتمام :

- احكيلى

قص عليها ما حدث بالأمس عندما كره فارس أن يدخل بلال ليرى مُهرة وما حدث أمام قاعة الأفراح عندما رفض فارس السفر إلا بعد أن يطمئن عليها وكذلك المكالمة التى حدثت اليوم أمام الطبيب ..فقالت عبير بشرود :

- وانت مستغرب من أيه.. مش هو اللى مربيها

هز بلال رأسه نفياً وقال مؤكدا :

- لا يا عبير أنا راجل واقدر افهم نظرة الراجل اللى زيى وتصرفاته ..مفيش عريس فى الدنيا يعمل كده

قالت بقلق :

- يعنى أيه يا بلال.. تفتكر يعنى ..

أومأ برأسه موافقاً وهو يقول :

- أنا مش افتكر .. أنا متأكد يا حبيبتى .. بس مستنى فارس لما يحكيلى بنفسه .. طب لما هى الحكاية كده اتجوز مراته دى ليه ...حاجة غريبة أوى

شردت عبير بعيدا أكثر وأكثر وهى تقول بداخلها :

- يااه يا عزة ده انتِ ربنا بيحبك ..أهى خطيبته اللى اتجوزها وانتِ افتكرتى أنه فضلها عليكى طلعت فى الآخر برده مخدتش حاجة غير وجوده معاها ، لكن قلبه فى مكان تانى خالص مكان ابعد ما كنا نتخيل كلنا .

****

وقفت عزة أمام الفراش تحاول جاهدةً إيقاظ عمرو بشتى السبل ولكنها تفشل دائماً فما كان منها إلا أن جاءت بزجاجة مياه باردة وسكبت بعضاً منها على رأسه ...هب جالساً فى فراشه وهو يصيح :

- ايه يا ماما شغل المكوجية ده على الصبح

عقدت ذراعيها أمام صدرها وقالت ساخرة:

- ماما مين يا حبيب ماما.. وبعدين صُبح أيه أحنا العصر يافندى

نظر إليها وهو يفرك عينيه بقوة وقال متذكرا:

- عزة حبيبتى ..أه صحيح ده احنا اتجوزنا امبارح وزغاريد بقى وحركات

ثم نظر إليها بعين مفتوحة والأخرى مغمضة وقال متسائلا:

- اه صحيح هو حصل ايه بعد الزغاريد انا مش فاكر حاجة

ضحكت وهى تشير للخارج قائلة:

- لو مش فاكر اروح أجيب أزازة العصير افكرك بيها ها

أشار إليها يستوقفها وهو ينهض متثاقلاً ويقف أمامها قائلا:

- خلاص انا صحيت اهو ..

أحاط خصرها بذراعيه وهو يقول :

- صباح الخير يا عروستى

أبتعدت عنه وقالت بحزن مصطنع:

- لا أنا زعلانه منك .. راحت عليك صلاة الجمعة حتى الضهر مصلتوش واهو العصر كما اذن عليك ..ينفع كده يا عمرو

مطت شفتيه وعقد جبينه وقال معتذراً :

- انا آسف والله يا حبيبتى.. كنت تعبان أوى معلش .. أوعدك مش هيتكرر ده تانى

ولف ذراعيه حول كتفيها قائلاً بمرح :

- خلاص صافى يالبن

رفعت كتفيها وأستدارت وهى تشير للخارج قائلة بحسم :

- طب اتفضل بقى على الحمام علشان تلحق اللى فاتك

رفع حاجبيه وقال بصرامة مضحكة:

- ده طلب ولا أمر ؟!!

رفعت جابيها مثله وقالت :

- لا أمر

سار امامها مطيعاً وهو يقول :

- اه افتكرت ..ايوة كده اتعدلى معايا

خرج من الحمام وصلى ما فاته من صلوات وبمجرد أن انتهى سمع صوت قرع جرس الباب ووجد عزة تدخل عليه مسرعة وهى تقول:

- عمرو عمرو يالا تعإلى افتح الباب بسرعة

قال بسرعة وهو يتوجه للمطبخ :

- روحى افتحيلهم على ما اضربلى كام سندوشت على السريع كده

قالت بخجل :

- لا يا سيدى افتح انت انا مكسوفة

هز رأسه نفياً وقال :

- يعنى اموت من الجوع علشان سيادتك مكسوفة أمشى يا بت افتحى الباب

****

مضت الأيام المتبقية سريعاً وعاد الطير إلى عشه القديم تهفو نفسه إلى الأهل والأحباب ، فتحت أم فارس ذراعيها وهى تعانق ولدها الذى ألقى بنفسه بين ذراعيها على الفور وكأنه يحتمى بها ، كما كان يفعل فى الصغر ممن يخفيه ، ولسان حاله يعتذر لها عن عدم طاعتها بتمسكه بهذه الدنيا الغادرة ، رفع رأسه وقبل رأسها فى شوق كبير وهو يقول بعينين دامعتين :

- وحشتينى أوى يا أمى

قاطعته دنيا من خلفه وهى تقول بترم :

- أنا هفضل واقفة كده كتير

أفسحت لها أم فارس الطريق للدخول وهمت بمعنقتها هى الأخرى مرحبة بها ولكن دنيا اكتفت بمصافحتها ببرود وهى تقول :

- أهلا بيكى

أغلق فارس الباب خلفه واستدار لوالدته يعانقها مرة أخرى ويسأل عن حالها وصحتها بينما نهضت دنيا واقفة بحنق وهى تقول :

- طب هدخل أنا اريح شويه من السفر

ألتفتت لها والدته وهى تقول بابتسامة كبيرة :

- وماله يا حبيبتى ارتاحى انتِ على اعملكوا غدى هتاكلى صوابعك وراه

نظرت لها دنيا ببرود وقالت :

- لا متتعبيش نفسك أنا مش جعانة

نهضت أم فارس واقتربت منها وربتت على ظهرها وهى تقول بود:

- متعبش نفسى أيه.. أنتِ زى بنتى .. قوليلى بس تحبى تاكلى أيه وانا هعملهولك

أبتعدت عنها واتجهت لغرفتها وهى تقول بتثاقل :

- مفتكرش بتعرفى تطبخى الحاجات اللى بحبها

وقبل أن تدير مقبض حجرتها سمعت صوته الهادر وهو يستوقفها بغضب قائلاً:

- دنياا

ألتفتت إليه لتجد الشرر يتطاير من عينيه وقال بقسوة :

- لما ماما تكلمك تردى عليها كويس

أنكمشت مكانها واستدارت إليه والدته وقالت على الفور:

- مفيش حاجة يابنى .. مقالتش حاجة غلط ...خلاص سيبها على راحتها

والتفتت إليها قائلة :

- ادخلى ارتاحى يابنتى

أسرعت دنيا بالدخول إلى غرفتها متفادية النظر إليه ، فانحنى وقبل يد والدته وقال معتذراً:

- متزعليش يا ماما حقك عليا

ربتت على ظهره وهى تقول مبتسمة :

- أعذرها يابنى هى لسه مش متعوده عليا .. بكره لما تاخد عليا وتعرفنى كويس هتعرف انى أمها التانية مش حماتها زى ماهى فاكرة ..وانا بكره ان شاء الله هعزم الست والدتها تتغدى معانا هنا علشان تعرف اننا عيلة واحدة وانى زى أمها .

قبل رأسها وهو يقول :

- ربنا يديكى الصحة يا ماما

تركها واستدار إلى حقيبته الصغيرة وأخرج منها هاتف محمول صغير باللون الوردى وأعطاه لها قائلاً :

- ماما ممكن تدى ده لـ مُهرة ..هو فيه الخط بتاعه

نظرت والدته إلى الهاتف ثم نظرت إليه متسائلة :

- جايبلها تليفون ليه

قال بحرج :

- يعنى حبيت ارفع روحها المعنوية شوية.. أكيد هتفرح بيه

ثم تابع بارتباك :

- مش كده برضة ولا انا غلطان

أخذت منه الهاتف وأومأت برأسها وقالت ببطء:

- بعد الشر عنك من الغلط يابنى .. خلاص انا هديهولها ..أنا طالعالهم دلوقتى .. أدخل انت ارتاح مع عروستك ..بس انا هقولها انه هدية مني انا .. أتفقنا؟

ابتسم وقال بحرج :

- مش هتفرق يا ماما.. أنا وانتِ واحد .. المهم انها تتبسط وتخرج من حالتها دى شوية

****

نظرت مُهرة إلى الهاتف فى يديها وتأملته قليلاً ثم أعادته إلى أم فارس قائلة :

- أنا آسفه يا طنط .. أنا مش عاوزه حاجة

هتفت والدتها معاتبةً:

- ليه يابنتى ده هدية من خالتك ام فارس .. حد يرد الهدية

ربتت أم فارس على يدها بإشفاق وكأنها قرأت فى عينيها وهى تتفحصه انها علمت من الذى أحضره لها وقالت بهدوء:

- أنا كنت فاكراكى هتفرحى بيه.. كده برضة ترفضتى هديتى

نظرت لها مُهرة نظرة طويلة وقالت بشرود :

- عمرى ما رفضت هدية من ...من حضرتك .. وطول عمرى بفرح بالهدايا بس دلوقتى خلاص مبقتش تفرق معايا كتير

أقتربت منها أم فارس وأحاطت كتفها بذراعها وربتت على يدها الأخرى وقبلتها على وجنتها وقالت بتعاطف:

- تصدقى انك كبرتى فعلا ..بس لو ليا غلاوة عندك خديه

ثم همست فى أذنها:

- يا عبيطة بقولك ده هديتى انا .. ولا انا بقى خلاص راحت عليا مبقتش ليا غلاوة فى قلبك

قفزت دمعة من عينها فمسحتها سريعاً وهى تقول :

- متقوليش كده يا طنط ده انتِ اللى مربيانى

وضعته أم فارس فى يدها وهى تضغط على يدها برفق قائلة :

- خلاص يبقى تاخديه من سكات

قبضت عليه فى يدها وهى تقول :

- متشكرة أوى يا طنط ربنا يخليكى ليا

ابتسمت أمها بينما قبلتها أم فارس ثانية وقالت متسائلة :

- أخبار التنسيق أيه

نظرت مُهرة أمامها وقالت بجدية :

- لسه النتيجة بتاعته مطلعتش .. بس عموما مش هتفرق .. أى حاجة هتيجى هتعب واذاكر فيها لحد ما ابقى حاجة كبيرة أوى .. أنا دلوقتى ميهمنيش غير مستقبلى وبس.. هو ده اللى هينفعنى مش أى حاجة تانية

عزمت على نسيان ماضيها وحاولت أن تقتلعه من حياتها ولا تفكر سوى فى مستقبلها وفقط ولكن هذه هى طريقة تفكير الحالمون فقط ، فالحالمون فقط هم من يعتقدون أن الانسان من الممكن أن ينفصل عن ماضيه وظروفه و بيئته التى كونت شخصيته وأصبحت جزء من تكوينه وبنيانه بل أصبحت جزء لا يتجزء من حاضره ومستقبله أيضاً .

****

الفصل الحادى والعشرون

عاد الفارس إلى صهوة جواده مرة أخرى وأستأنف حياته العملية ثانية ولكن هذه المره وهو يجلس خلف مكتب الدكتور حمدى مهران كنائباً عنه ومديراً للمكتب وشريك فيه بمجهوده بنسبة الثلث ...لينفذ فكر استاذه فى قبول القضايا ورفضها حسب ما يترائى له من حلها وحرمتها مهما كانت باهظة الثمن ...وعادت دنيا تقبع خلف مكتبها تقلب أوراقها بملل غير راضية عن وضعها القديم فقد كانت تتصور أن شأنها سيرتفع لمجرد أنها زوجته وأنه سيعطيها مكتب مخصص لها ولكنها تركها كما هى حتى عندما غضبت وطلبت منه ذلك رد ببرود:

- لو هارقى حد هيبقى على حسب كفائته مش على حسب هو يقربلى ايه

وقد كانت الضربة الموجعة لها والقاسمة لغرورها وكبريائها أنه أعطى نورا صلاحية مدير المكتب وخصص لها مكتبه سابقاً بل وخفف عنها عبء عمل النهار وأصبحت تعمل مساءا كمديرة للمكتب فقط مما جعل دنيا تستشيط غضباً وحنقاً وتستعر النار بداخلها ...خرجت من المكتب دون أستئذان وتوجهت لوالدتها لتحكى لها مأساتها معه والظلم الذى تلاقيه فى عملها فاجابتها والدتها بهدوء:

- فى حاجة مش طبيعية بينك وبينه ومحدش فيكوا عاوز يقول عليها

جلست دنيا تقلم أظافرها وهى ترفع كتفيها وتقول بخبث :

- بصراحة يا ماما فيه بس يعنى ..ضميرى مش سامحلى انى افضح جوزى

نظرت لها والدتها مستفهمة وقد عقدت حاجبيها قائلة:

- يعنى أيه يابنتى مش عاوزه تفضحيه هو فى ايه بالظبط

رفعت رأسها إلى والدتها وتصنعت الخجل وهى تقول :

- أصله بصراحة يعنى مش قد كده معايا ..يمكن بقى علشان كده علطول مضايق وبيعاملنى وحش زى ما اكون أنا المسؤلة عن حالته دي

زاد أنعقاد حاجبى والدتها وهى تنظر إليها قائلة:

- طب ليه ما يروحش لدكتور بدل ما العلاقة بينكوا متوترة كده

زفرت دنيا متبرمة وهى تقول بملل:

- يووه حاولت كتير معاه وكل مره بيزعل ويعمل خناقة .. خلاص بقى قسمتى ونصيبى انا راضية

جلست والدتها واستندت إلى ظهر مقعدها وهى تعقد ذراعيها أمام صدرها وتنظر لابنتها بشك ثم قالت :

- غريبة أوى الحكاية دى

عادت دنيا لتقليم أظافرها ثانية وهى تقول بأسى :

- شايفة يا ماما انا مستحملة أيه.. وكمان قاعدة مع امه فى مكان واحد ومعاملتها بقت حاجة صعبة أوى

مالت أمها للأمام بابتسامة متهكمة وقالت :

- أهى دى بقى لو حلفتيلى عليها عمرك كله مش هصدقك ..ده انا شفت بعينى محدش قالى

نظرت دنيا إليها وقالت بحزن:

- كده يا ماما بقى انتِ برضة تخيل عليكى حركات الست دى .. دى بتعمل كده قدامك بس

ضحكت أمها بسخرية وقالت :

- روحى شوفيلك كدبة تانية بس تكون محبوكة شوية عن دى

هبت دنيا واقفة وهى تقول بانفعال :

- كده يا ماما ...ماشى ..أنا هدخل انام شوية

- أنتِ مش هتروحى

- لاء لازم يعرف انه غلط

دخلت غرفتها وتنفست بقوة وهى تزفر بضيق متسائلة بداخلها.. لماذا دائما يكذبها الجميع حتى والدتها لا تصدقها فى شىء ، ألهذه الدرجة هى مكروهة منهم ...هوت إلى فراشها بقوة وغضب وهى تلوم نفسها على سذاجتها التى أودت بها ..تذكرت يوم وفاة أبيها واليوم الذى توعدتها أمها أنها ستجعل عمتها تأخذها معها إلى الصعيد لتعيش هناك بقية عمرها وتذكرت يوم أن قررت مصيرها وحددت معاد عقد قرانها على فارس دون الرجوع إليها عادت لتذكر الشعور الذى مر بها والغضب الذى تملكها حينها وهى ترى حياتها تسير فى الاتجاه الخاطىء وسينتهى بها الأمر فى حارة مع حماتها فى شقة واحدة ، أستعادت ذاكرتها هذا اليوم المشؤم الذى بحثت فيه عن الدواء المنوم خاصتها ووضعت منه لوالدتها فى مشروبها والذى جعلها تنام نوما عميقا مما أتاح الفرصة لها أن تخرج ، وأول ماتوجهت كان لمكتب باسم الذى رحب بها وأغلق الباب قائلا:

- ولا يهمك محدش يقدر يجوزك غصب عنك

- كل ده بسببك انت ..ماما عملت كده علشان سمعتك وانت بتكلمنى فى التليفون بالليل فى الليلة اللى بابا مات فيها ...أسمع بقى انا مش هغرق لوحدى لازم تطلعنى من الحكاية دى فورا

- يعنى عاوزانى اعمل ايه

- أنت مش قلت هتجوزى وتخلينى شريكتك فى المكتب ؟.. يبقى تيجى بكره وتطلب أيدى رسمى

- أيه ده.. يعنى بتفضلينى على حبيب القلب ولا أيه مش فاهم

- حبيب قلب أيه دلوقتى ..يعنى أرمى نفسى بأيدى فى الحارة مع أمه علشان بحبه ..لاء طبعا

- أومال انتِ خرجتى ازاى دلوقتى .. مش بتقولى امك حاسباكى

- حطيت منوم لماما هينيمها طول الليل وقلت اجيلك وارجع البيت من غير ما تحس انى خرجت .. وطبعا انت هتتقدم بكره رسمى ومش هتسيبنى فى اللى انا فيه ده لوحدى.. مش كده يا باسم.. مش كنت بتقول انك بتحبنى وانك مستعد تعمل أى حاجة علشانى

أغمضت عينيها وهى تتذكر نظرة عينيه فى تلك اللحظة ، وكيف عادت لبيتها وهى تجر أذيال الخيبة ، مترنحة لا تصدق ما فعله بها وافتراسه لها بعد أن وثقت به وعاد صوته يتردد داخلها مرة أخرى وهو يقول بمنتهى الوقاحة :

- أعرف دكتور كويس هيرجعك زى ما كنتِ وأحسن كمان

شعرت بغصة فى حلقها عندما وصلت لهذه النقطة من ذكرياتها المقززة ، و أخذت تفكر فى طريقة تعيد بها مكانتها مرة أخرى ، فكان لابد أن تبدأ بفارس أولا ، لابد أن تستعيد مكانتها فى قلبه بأى شكل من الأشكال وبشتى الطرق .

*****

ظلت مُهرة تداعب أبناء عبير الأربعة وتجرى وهم يجرون خلفها وصوت ضحكاتهم يتردد بين جدران المنزل فى سعادة بينما قالت أم بلال وهى تضع يدها على صدرها :

- كفاية يا مُهرة قلبى وجعنى من الضحك يابنتى

قالت عبير وهى تجرى خلف أحدهم بطبق الطعام:

- سيبيها يا ماما دول كده بياكلوا وجبتهم كلها

جلست مُهرة على الأرض والأطفال تجذبها من يدها لتقوم مرة أخرى وهى تتنفس بصعوبة وتقول بأنفاس متقطعة:

- كفايه مش قادره قطعتوا نفسى يا ولاد الدكتور

ضحكت عبير وهى تقول بمرح:

- أنتِ خلاص يا مُهرة بقى عندك خبرة ينفع نجوزك من بكره

نهضت أم بلال وهى تقول :

- أنا هدخل اريح شوية دماغى وجعنى من كتر الضحك

نهضت مُهرة وأخذت طفلين على قدماها تداعبهم وشرعت عبير فى إطعام الاثنين الآخرين وهى تنظر إلى مُهرة نظرات متفحصة ثم قالت :

- مُهرة .. أنتِ فى حاجة مضايقاكى

ألتفتت إليها مُهرة بحيرة وقالت بتردد :

- ليه بتقولى كده

ركزت عبير على عينيها وقالت بثقة:

- علشان عارفاكى كويس .. لما بتبقى مضايقة ومهمومة بتقعدى تجرى وتلعبى وتضحكى أكتر من الطبيعى بتاعك

حاولت مُهرة تغير مجرى الحديث وهى تقول :

- أحنا مش هنروح لـ عزة ولا ايه يالا بقى قومى ألبسى

نهضت عبير وهى ترمقها بنظراتها وقالت :

- ماشى يا مُهرة بس خليكى فكرة أنى أختك الكبيرة لو أحتاجتى تتكلمى انا موجوده

قالت عبير كلمتها الاخيرة وتوجهت لغرفتها مصطحبة أطفالها لتبدل لهم ملابسهم بينما كانت عينان مُهرة تتابعها فى شرود وقد عاد الأسى يسكن قسمات هذا الوجه اليافع مرة أخرى، وهى تتذكرنتيجة التنسيق التى كانت تتمناه وتحلم بها سابقا والتى وضعتها أول غباتها وهى تملأ استمارة الرغبات متنازلة عن مجموع درجاتها الذى يؤهلها لكلية أخرى ، ورغم ذلك اختارت أن تدرس نفس ما كان يدرسه، أختارت كلية الحقوق !

****

سمع صلاح طرقات منغمة على باب غرفته فالتفت إلى الباب وقال بمرح :

- أدخل يا عريس

أطل عمرو برأسه من فتحة الباب بابتسامته المرحة ودخل إليه يعانقه قائلا:

- وحشنى والله يا أستاذ صلاح

نظر إليه صلاح متأملا وهو يقول :

- وانت والله يا عمرو ..بس أيه الحلاوة دى .. هو الجواز عامل عمايله معاك ولا ايه

رفع عمرو يديه يستعرض عضلاته وقال بغرور مصطنع :

- لا ولسه مشفتش المجانص كمان

لم يضحك صلاح فنظر إليه عمرو فوجده ينظر خلفه ووجهه قد عاد إليه جموده فالتفت عمرو خلفه فوجد إلهام واقفة عند الباب وتنظر إليه بنظرات إعجاب جريئة تكاد تلتهمه بعينيها وقالت برقة :

- حمد لله على السلامة يا بشمهندس ..تعال المكتب شوية لو سمحت ضرورى

وخرجت متوجهة لمكتبها ، فوضع صلاح يديه على كتف عمرو وقال :

- ربنا يخليلك مراتك يابنى

نظر له عمرو نظر مبهمة واتجه إلى مكتب إلهام ، طرق الباب ودخل فقالت :

- أقفل الباب يا بشمهندس

أغلق عمرو الباب ووقف مكانه قائلا :

- خير يا بشمهندسة

أشارت له بالجلوس أمامها فاقترب قائلا:

- أنا أصلى لسه هستلم الشغل

قالت ببطء وهى تتفحصه :

- مش هعطلك كتير اتفضل

جلس عمرو على المقعد أمام المكتب متحاشيا النظر إليها ، مالت للأمام واسندت ذقنها إلى راحتها وهى تنظر إليه مبتسمة وقالت :

- تعرف أنك احلويت فعلا بعد الجواز

نهض عمرو على الفور وقال بضيق:

- معلش انا لازم امشى عندى شغل كتير

نهضت من مقعدها ودارت حول مكتبها ووقفت أمامه ، مدت يدها إليه ولمست بأناملها أزرار قميصه وقالت هامسة:

- أنت ليه مش حاسس بيه يا عمرو

نظر ليدها وابتعد خطوة للخلف ونظر فى الاتجاه الآخر وهو يقول بجدية:

- يا بشمهندسة اللى بيحصل ده مينفعش خالص

أقتربت هى الخطوة التى ابتعدها ونظرت إليه برجاء وقالت بضعف:

- مينفعش أيه ..مينفعش أحبك

نظر إليها بدهشة وقال :

- يا مدام إلهام انا راجل متجوز وبحب مراتى وحضرتك كمان متجوزة و..

قاطعته على الفور وهى تتلمس قميصه مرة أخرى وقالت بعينين ملتهبتين :

- وبحبك انت ..

أشاح بوجهه وهو يبتعد عن يدها فقالت تستعطفه:

- يا عمرو انا بحبك ومش عاوزه منك أى حاجة.. أنت ليه مش قادر تحس بالى جوايا

شعر بالحرج والأضطراب وحاول أن ينتقى عبارات غير جارحة وهو يسمع نبرتها الواهنة التى ترجوه بها ، ألتفت إليها قائلا بهدوء:

- يا بشمهندسة أحنا كلنا هنا بنحترمك وبنقدرك .. لكن غير كده مش هينفع صدقينى ..عن أذنك

وتركها وأنصرف وهى ترمقه وتراقب حركته العصبية وهو يفتح الباب ويخرج ويغلقه خلفه مسرعاً ، فرت دمعة من عينيها فمسحتها بسرعة وهى تقول بتصميم :

- غلطان يا عمرو ..

توجه عمرو مباشرة إلى مكتبه وعانق زميله أحمد بحرارة والتفت إلى زميله نادر متناسياً المشاحنة التى كانت بينهما وقال:

- أزيك يا بشمهندس نادر

نظر له نادر نظرة متعالية وقال:

- كويس

ربت أحمد على كتفه وقال بمرح :

- واحشنى والله يا عمرو ووحشانى خفة دمك ..ايه خلاص هترجعلنا تانى ولا ايه

قال عمرو وهو يجلس خلف مكتبه بخفة :

- اه ان شاء الله ..هرجع أرخم عليكوا تانى

ضحك أحمد وهو يضع أمامه بعض الرسومات الهندسية وبدأ فى العمل بينما كان نادر يراقبه عن كثب ويتتبعه وهو يعمل بنظرات محتقنة حاقدة .

****

أنهى بلال جلسته العلاجية لاحد مرضاه الذى قال مرحاً :

- بجد يا دكتور بلال .. أنت أيدك مرهم ولا حسيت بحاجة

رفع بلال رأسه إليه وقال مداعباً:

- أنت محسسنى انك جاى تاخد حقنة فى الصيدلية .. وبعدين لو محستش بحاجة تبقى الجلسة فشلت يا كابتن

ضحك كابتن علاء وهو يقول :

- لا نجحت ان شاء الله ...بس حلو أوى حكاية التسبيح والتكبير والاستغفار اللى انت بتعملها دى يا دكتور بجد أنت ليك سبق فى الحكايه دى ...ده انا ما سمعت عنك وعن اللى بتعمله من زميلى فى الفريق قلت لازم أجى أجرب بنفسى وسيبت دكتور الفريق

أبتسم بلال وهو ينهض من خلف مكتبه قائلا:

- الكلام كله عاجبنى إلا الحتة الأخيرة.. ناقصلك شوية وتقولى اعملى خصم

ضحك علاء بينما نهض بلال وهو يأخذ مفاتيحه من فوق المكتب وقال :

- يالا يا كابتن يدوب نلحق العصر

ساعده بلال على النهوض وهو يقول له مشجعاً:

- لا بقولك أيه بلاش دلع.. أنجز علشان عاوزين الكاس السنة دى

ابتسم علاء بإجهاد وهو يتحرك معتمدا على يديى بلال وقال :

- أنا معتمد على الله وعليك يا دكتور

رد بلال مبتسماً وقال معلماً:

- يا ابو الكباتن قول على الله ثم عليك

نظر له علاء مستفهماً وقال :

- وايه الفرق ؟؟

شرع بلال فى الشرح له وهما يتوجهان خارج المركز وقال :

- يعنى لما اقول خرجت من المركز انا وعلاء يعنى خرجنا احنا الاتنين سوا... زى زيك يعنى

لكن لما اقول أنت ثم أنا يعنى أنت الاول وبعدين أجى انا فى المرتبة التانية ..كده أحنا مش متساويين مع بعض

هز علاء رأسه بدهشة وقال :

- تصدق أول مرة أعرف ده احنا بنقولها كتير اوى

ما كاد ينتهى من كلمته حتى أصطدم بمُهرة التى كانت تهبط الدرج بسرعة مداعبة الطفل على يديها ، نظرت له مُهرة وقالت بإندفاع:

- مش تحاسب يا استاذ أنت ..ايه الناس دى

نظر بلال إلى عبير التى كانت تهبط السلم بهدوء وهى تساعد الأطفال على تعلم هبوط السلم بحذر ويبدو أن مُهرة قد سبقتها كما تفعل دائما وسمع علاء يقول لها وهو يتأملها ملياً:

- المفروض انتِ اللى تعتذريلى على فكرة.. أنا اللى تعبان وانتِ اللى خبطى فيها

نظرة له مُهرة شذراً قائلة بحنق :

- وانت مبتشوفش يعنى

بينما قال بلال بسرعة :

- خلاص يا كابتن حصل خير ..خلاص يا مُهرة

قالت عبير بتلقائية :

- خلاص بقى يا مُهرة محصلش حاجة

اقترب بلال من عبير وهمس فى اذنها :

- مش قلت محبش راجل غريب يسمع صوتك ..ماشى لما نطلع بيتنا بس

أبتسمت عبير بصمت فهى مازالت وستظل تحب غيرته عليها حتى من أن يستمع رجل غريب لصوتها فقط .. نظر علاء إلى مُهرة وقال بإعجاب :

- وكمان اسمك مُهرة .. لا بصراحة أسم على مسمى

نهره بلال على الفور وهو يأخذ بيديه للأسفل قائلا:

- بقولك ايه يا كابتن .. أنت هتعاكسها قدامى كمان طب احترمنى على الأقل يا أخى

همس علاء فى أذنه قائلا:

- هى تقربلك ولا ايه

قال بلال وهو يعبر به باب البناية قائلا:

- حاجة زى كده ..وبعدين وانت مالك

****

وفى أحد الليإلى افترش فارس الأرض بعيدا عن الفراش ووضع وسادته واستلقى بجسده المنهك وأغمض عينيه فى أنهاك شديد تحت عينيى دنيا المتابعة له وهى جالسة على الفراش ترقبه وقد عزمت على تنفيذ ما قررته وأن تستعيد مكانتها لديه ثانية ، نهضت من فراشها وتعطرت وارتدت ثياباً مكشوفة وجلست على الأرض بجواره واتكأت على طرف وسادته لينفذ عطرها لأنفه رغماً عنه وقالت بدلال :

- هتفضل تنام على الأرض لحد أمتى .. هو احنا مش متجوزين ولا ايه

قال بجدية دون أن يفتح عينيه:

- أنا حذرتك قبل كده يا دنيا .. أرجعى على سريرك وابعدى عنى

غلفت صوتها بنبرة ناعمة وهى تتلمس خصلات شعره :

- ولو مبعدتش هتعمل ايه

فتح عينيه وألتفت إليها بعصبية وقال بغضب :

- هتشوفى فارس اللى عمرك ما شوفتيه قبل كده ..

ثم قال محذرا:

- والكام شهر اللى هتقعدي على ذمتى فيهم تتجنبينى خالص وتبطلى محاولاتك دى علشان أنا بحس بقرف لما بتقربى مني

ألقى عليها نظرة احتقار أخيرة وأغمض عينيه ثانية وولاها ظهره غير مباليا بها ، نظرت إليه بغضب وحقد شديد وهبت واقفة فى عصبية كبيرة وبدلت ملابسها ونامت وهى تعض على يديها من كثرة الغيظ والغل !

****

حاول أن تمحى من أفكارها كل ماهو ليس له علافة بمستقبلها ومذاكرتها وتتعايش مع الواقع بشكل أكثر حسماً وواقعية ، ولكن الواقع هو الذى لم يتركها لشأنها كثيرا ، تزوج والدها بامرأة أخرى وأصبح أكثر أهمالاً لهم ماديا ومعنويا، ولم يكن هذا هو العبء الوحيد عليها وأنما لحق به عبأ آخر ، بدأ العرسان يتوافدون عليها وبدأت هى الصراع فى الرفض دائما مماجعل والدها يزداد سخطاً عليها وعلى رفضها المستمر بدون أسباب حتى كانت الطامة الكبرى بالنسبة لها وتقدم للزواج منها أحد الأشخاص الذين يصعب على والدها الإنصياع إليها ولم يقتنع باسبابها ، ولكنها أصرت مما جعله يضربها لأول مرة ...وأخيرا أضطر والدها إلى الأستماع إلى رأى زوجته أم يحيى واللجوء إلى الشخص الوحيد الذى يظن الجميع أنه يمكن له أن يقنعها بالموافقة ، فتح فارس باب منزله ليجد أمامه والد مُهرة ثائرا جدا و لكنه قال بحرج:

- معلش يا أستاذ فارس عملنالك أزعاج بس كنت محتاجك عندى ضرورى لو سمحت

قال فارس بدهشة متسائلاً:

- طيب اتفضل شوية مينفعش من على الباب كده

- معلش يا أستاذنا مش هينفع

أومأ فارس برأسه وقد بدأ القلق يتسرب لنفسه وقال :

- حاضر ثوانى هغير واجى معاك

بدل ملابسه سريعاً وهو يشعر بقلق بالغ وتوجه إلى والدته بالمطبخ يخبرها بالأمر ثم

أخذه والد مُهرة وصعد به إلى شقته ، وجلس معه فى غرفة استقبال الضيوف وقال بحنق:

- بص بقى يا أستاذ فارس البت دى غلبتنى وطلعت عينى وبصراحة كده امها شارت عليا ان مفيش حد غيرك هيقنعها ويخليها تغير رأيها بما أنك مربيها ومن صغرها وهى بتسمع كلامك

عقد فارس بين حاجبيه وقال بقلق :

- فى ايه طيب فهمنى

لوح الرجل بيديه وقال بعصبية:

- عماله ترفض عريس ورا التانى وانا ساكت عليها ومش عاوز اغضبها لكن العريس ده بقى هتجوزه حتى ولو غصب عنها .يا أستاذ فارس ده لاعيب كورة معروف وغنى وهتتبسط أوى معاه وهتخرج من هنا لمستوى تانى خالص.. أنا مش عارف البت دى مالها كده

مال فارس للأمام واستند بمرفقيه على قدمه وفرك كفيه فى توتر وقال :

- مُهرة لسه صغيرة

قال والدها بحنق:

- وأيه المشكلة .. هى يعنى هتجوز النهاردة ..الراجل عاوز يكتب الكتاب بس

حك فارس ذقنه بعصبية وقال متهكماً:

- ياه كمان عاوز يكتب الكتاب مش يخطب .. ده شكله مستعجل على كده

- هيخطب ليه .. ده جاهز من مجاميعه ومش عاوز مننا حاجة خالص ولا حتى شنطة هدومها

زاد اضطرابه وتوتره وتعرقت يديه بشدة وقال محاولا التحكم بعصبيته:

- اه علشان كده بقى

دخلت أم يحيى وقدمت له الشاى قائلة :

- والله يا أستاذ فارس شاب يفرح ويشرح القلب ومن ساعة ما شفها عند الدكتور بلال وهو هيتجنن عليها.. وهى دماغها ناشفة

ثم توجهت للخارج وهى تقول :

- انا هناديهالك وانت بقى تحاول تاثر عليها.. أنا عارفة انها بتسمع كلامك

دخلت أم مُهرة غرفتها وقالت لها بلهفة:

- قومى بسرعة أستاذ فارس عاوزك بره

نهضت مُهرة من خلف مكتبها الصغير وهى تحدق بوالدتها وقالت بحزن:

- جاى يقنعنى انى اوافق على العريس.. مش كدة؟

أومأت أمها برأسها وقالت مؤكدة:

- أومال معطل نفسه وطالع مع ابوكى ليه .. وبعدين يا مُهرة خلى بالك لو فضلتى رافضة ابوكى هيبهدلنا ويمكن يطلقنى يابنتى .. يرضيكى امك تطلق على كبر كده

زاغت نظراتها وهى تجلس على مقعدها مرة أخرى ترمى بثقل جسدها عليه دفعة واحدة بعد ان خذلتها قدميها وقد شعرت أن الألم يعتصر قلبها اعتصارًا محاولاً أن يتخلص من هذا الرجل الذى طالما أحبه وعشق كل سكناته وخلجاته وحروف كلماته وضحكاته بل وآلامه وأحزانه ، خرجت كلماتها بصعوبة بعد أن بللت الدموع شفاهها وقالت :

- قوليلوا مفيش داعى يتعب نفسه يا ماما ..أنا خلاص موافقة

خرجت أم يحيى من غرفة ابنتها وهى تطلق الزغاريد، فنهض فارس ووالدها متسائلين فقالت أم يحيى بسعادة كبيرة:

- بركاتك يا أستاذ فارس .. أول ما خطيت بيتنا عنادها اتفك

ونظرت إلى زوجها قائلة:

- كلم العريس وقوله البت وافقت يا ابو العروسة

خفق قلبه بقوة وهو ينظر إليها مشدوها قائلا:

- هى قالتك انها موافقة يا ام يحيى

ضحكت أم يحيى وهى تقول:

- طبعا يا أستاذ فارس موافقة

توجه والد مُهرة إلى الهاتف بينما شعرهو أن الدنيا تميد به وأنه يتنفس من ثقب أبرة لا تروى ظمأ رأتيه، فاتجه إلى الباب خارجاً وهو يتمتم غاضباً:

- مبروك

***

عاد الفارس مهزوماً إلى شقته ولكن غاضباً لأقصى حد ، فتح الباب بعنف وأغلقه خلفه بقوة خرجت والدته من المطبخ فزعة ورأته غاضباً بشدة لا يرد عليها ، ودخل إلى الحمام وضع رأسه تحت الصنبور لعله يطفأ النار التى نشبت برأسه وهو لا يدرى مصدر النار الحقيقية، وقفت والدته بجواره ترجوه أن يتحدث ويخبرها ما به ، وأخيرًا أغلق الصنبور واعتدل واقفا وهو يتكأ على الحائط أمامه بكلتا يديه ناظراً لوجه بالمرآة والمياه تقطر من كل مكان بوجهه وشعره لتغرق ملابسه قائلاً :

- هتتجوز ..

رفعت والدته حاجبيها دهشة وهى تقول :

- هى مين يابنى

وفجأة انقلب الصمت إلى زوبعة شديدة تتلوها الأعاصير تترا ، وأخذ يهدر فى غضب شديد:

- خلاص مبقاش ليا لازمة عندها .. أنا بقيت ولا حاجة عند الهانم.. رايحة تقرر وتوافق من غير ما ترجعلى

خرج من الحمام متوجهًا إلى المائدة وراح يركل المقاعد واحداً تلو الآخر فينقلب على عقبيه محدثا جلبة شديدة وهو يصيح :

- كانت بتاخد رأيى فى لون الفيونكة اللى فى شعرها .. كانت بتاخد رأيى فى القلم اللى بتكتب بيه .. دلوقتى بتقرر تتجوز ..كده من نفسها ..خلاص كبرت وعاوزه تجوز .. خلاص مبقاليش قيمة عندها

حاولت والدته أن تهدىء من روعه وتتشبث به لتجلسه ولكنه كان كالعاصفة الهوجاء يطيح بكل ما يقابله أمامه يمينا ويسارا ، لم تعد تعرف كيف تعيده إلى رشده، أخذت تمسح على ذراعيه تارة وعلى رأسه تارة وهى تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، حتى هدأ أخيرًا وجلس وقد احتقن وجهه بشدة ودفن رأسه بين كفيه محاولاً السيطرة على غضبه، يلتقط أنفاسه بصعوبة كأنه كان يعدو بقوة.

وقفت والدته بجواره تمسح رأسه وتقرأ بعض آيات القرآن وبينما هم كذلك صدح رنين هاتف المنزل ، تركته والدته ورفعت سماعة الهاتف لتجيب المتصل ، أمتقع وجهها وهى تنظر إلى فارس الذى بدأ يهدأ قليلاً وأنفاسه تنتظم ، ثم قالت بشحوب:

- أمتى حصل ده يابنتى

رفع رأسه ونظر إلى والدته متسائلاً حينما سمعها تقول لمحدثتها:

- لاحول ولا قوة الا بالله ..البقاء لله يابنتى

****

الفصل الثانى والعشرون

أغلق فارس باب شقة والدة دنيا خلف المعزيين وعاد ليجلس بجوارها منهكاً من شدة التعب ، نظر إليها فوجدها تدفن رأسها بين كفيها وتنساب عبراتها المنهمرة على وجنتيها لتبلل كفيها ووجهها ، أقتربت والدته منها ومسحت على ظهر دنيا بحنان قائلة:

- كفايه يا بنتى هتموتى نفسك من العياط .. أدعيلها بالرحمة

ثم نظرت لـ فارس وأردفت :

- قوم يابنى خد مراتك وادخلوا ارتاحوا شوية.. أنتوا منمتوش من امبارح

نهض فارس بتثاقل ، فكم كان محتاجاً لقسط من الراحة لبعض الوقت، بعد نهار طويل من اجراءات الدفن والوقوف لاستقبال المعزين ، أمسك يدها وساعدها على النهوض وهو يقول بإشفاق:

- تعالى جوه يا دنيا.. قومى يالا

نهضت وهى تجفف دموعها وقد أطرقت رأسها إلى الأرض وكادت أن تسقط من فرط أجهادها وحالتها النفسية السيئة، لولا أن أسندها بيديه ومضى بها إلى غرفتها ، ساعدها فى الجلوس على طرف فراشها قائلاً:

- نامى شوية علشان أعصابك تهدى

رفعت رأسها إليه ببطء ونظرت له من بين دموعها وقالت بصوت مبحوح من كثرة البكاء:

- أقعد لو سمحت

جلس بجوارها على الفراش والتفت إليها مشفقاً لحالها فارتمت على صدره وأخذت تبكى وتشهق بقوة وهى ترجوه قائلةً:

- متسبنيش يا فارس .. أنا ماليش غيرك دلوقتى .. أرجوك متسبنيش لوحدى ..أنا بعتذرلك عن كل اللى عملته معاك وكل اللى غلطته فى حقك.. بس أنا عارفة انك شهم ونبيل ومش هتتخلى عنى .

وشهقت بقوة أكبر وهى تقول بانهيار:

- آخر حاجة ماما قالتهالى أقولك تفضل جنبى علشان ماليش غيرك ..علشان خاطرها يا فارس مش علشان خاطرى انا..أرجوك يا فارس أرجوك

رفع رأسه لأعلى وتنفس بقوة ثم ربت على كتفها مطمئناً وقال :

- متخافيش يا دنيا متخافيش

ولمعت عينيه من التأثر وهو يردف قائلاً:

- أنا جنبك متقلقيش من حاجة أبدًا

أعتدلت ونظرت إليه بلهفة قائلة:

- بجد يا فارس يعنى مش هتطلقنى

ربت على يدها وقال بهدوء :

- متفكريش فى الكلام ده دلوقتى.. أنا عاوزك تنامى وترتاحى ..أنتِ مش شايفة نفسك عامله ازاى

أستلقت فى فراشها مطمئنة وأغمضت عينيها ، ظل جالساً بجوارها حتى ذهبت فى سبات عميق ، ألقى عليها نظرة مشفقة ونهض بهدوء وخرج وأغلق الباب خلفه ، خرج فوجد والدته قد غفوت على الأريكة الخارجية ، حاول إيقاظها ولكنها لم تستجب له من شدة الإرهاق ، هوى بجسده على المقعد جانبها واستند إلى ظهر المقعد وأغمض عينيه وهو يحاول استيعاب الأمر من جديد .

لقد أصبحت وحيدة الآن وليس من الشهامة أن يتخلى عنها هكذا ويتركها بمفردها ، لقد استنجدت به وتوسلت إليه أن لا يتركها فكيف يفعل ، تأبى رجولته أن يفعل ذلك ، ولكن كيف يحتفظ بها وهى من هى ، لن يستطيع أن يتخذها زوجة حقيقية ولن يستطيع أن يطلقها فى مثل هذه الظروف ، وضع كفيه على وجهه ملتجأ إلى الله عزوجل هاتفاً بقلبه :

- ما العمل ياربى ما العمل

****

عادت أم فارس إلى بيتها وتركتهما هناك بعد أن ألحت على فارس أن يبقى مع زوجته فى شقة والدتها قليلاً ، ثم يعود بها بعد أن تتحسن حالتها ، تفاجأت بأن زواج مُهرة قد تم بالفعل فى غيابها فصعدت إليهم وجلست بصحبة أم يحيى وهى تقول بضيق:

- كده برضوا.. هو أنا مش من حقى افرح بيها زيك ولا أيه يا ام يحيى

قالت أم يحيى بحرج:

- والله سألت عليكى يا ست أم فارس ملقتكيش وبعدها عرفت من عمرو ان حماة الأستاذ فارس تعيشى انتِ .. أتلخمت فى كتب الكتاب ومعرفتش أوصلك

- مُهرة فين علشان أباركلها

اشارت لها أم يحيى إلى غرفتها قائلة:

- جوه.. ثوانى اندهالك

خرجت مُهرة من غرفتها وتلاقت عينيها بعينين أم فارس كل عينين بها ما بها وتنطق بالكثير ولكن مُهرة لم تستطع أن تنتظر أكثر ، جرت مسرعةً وارتمت بين أحضان أم فارس وأخذت تبكى وتبكى وأمه تمسح على رأسها وقد لمعت عينيها بالدموع ولكنها تماسكت فقالت أم يحيى:

- أيه يا بت مالك بتعيطى ليه كده

رفعت أم فارس رأسها لأم يحيى قائلة:

- تلاقيها واخده على خاطرها مني علشان محضرتش فرحها

مطت أم يحيى شفتيها وهى تقول :

- أنا عارفة ايه دلع البنات ده .. دى من ساعة كتب الكتاب وهى لويه بوزها كده حتى عريسها مبتديلوش ريق حلو ابدا

أزداد بكاء مُهرة ولكنها لم ترفع رأسها من حضن أم فارس حتى بللت حجابها بدموعها فقالت أم فارس وقد رسمت ابتسامة مصطنعة على شفتيها :

- ايه يا ست انتِ... أنتِ بقيتى بخيلة ولا أيه فين الشربات بتاعى

ضحكت أم يحيى بسعادة وهى متوجهة إلى المطبخ قائلة:

- من عنيا يا ست الكل

تبعتها أم فارس بعينيها حتى اختفت داخل المطبخ فربتت على رأس مُهرة وقالت بخفوت:

- متقهريش نفسك يا بنتى.. كل شيء قسمة ونصيب

توقفت مُهرة عن البكاء ورفعت رأسها تنظر فى عينيها متعجبة فابتسمت لها أم فارس وقالت بخفوت :

- أنا كمان مربياكى واقدر احس بيكى كويس .. ولا فاكرانى مش حاسة بيكى كل ده

ثم امسكت وجهها بين يديها وقالت بحنان:

- ركزى فى مذاكرتك ومتفكريش فى حاجة.. وارضى بقضاء ربنا علشان ربنا يرضى عنك ويرضيكى

*****

دخلت مُهرة هى وأخيها يحيى النادى الرياضى تتطلع حولها منبهرة بما ترى بينما كان علاء الذى يسير بجوارها بزهو وهو يشاهد الأنبهار فى عينيها هى وأخيها وهو يشعر بالسعادة، فتلك المرة الأولى التى وافقت على أن تخرج بصحبته منذ أن عقد عليها ..مرت بجوارهم مجموعة من الفتيات استوقفوه بلهفة وهن يصافحنه ويتضاحكن معه بجرأة وبجوارها يحيى يكاد يلتهمهن بعينيه ، ألتفت علاء إلى مُهرة فوجدها مصوبة نظرها عليهم بملامح خالية من أى تعبير ولكن يغلب عليها بعض الدهشة ، أنصرفت الفتيات واقترب منها قائلا :

- أيه يا حبيبتى غيرانه ولا أيه... لا لازم تتعودى على كده دى ضريبة الشهرة ولا ايه يا يحيى

قال يحيى مؤكداً :

- طبعا يا نجم

نظرت إليهما مُهرة وكأنها لم تسمعهما ولم ترى حديثه مع الفتيات

وقالت :

- هو مين اللى بيصرف على كل الحاجات الفخمة اللى فى النادى دى

نظر لها متعجباً وقال باستنكار:

- هو ده كل اللى لفت نظرك

أومأت برأسها وقالت باهتمام:

- غريبة أوى أنا كنت بشوف الحاجات دى فى التلفزيون بس كنت فاكراهم بيضحكوا علينا طلع بجد

عقد ذراعيه أمام صدره بضيق وقال وهو يسير بجوارهما ببطء:

- وأيه الغريب فى كده .. إذا كانت مكافأتنا لوحدها بتوصل للألفات وساعات الواحد فينا بياخد مليون لوحده مكافأة ..مستغربة ان النادى نفسه يبقى فخم

ثم أشار لهما على أحدى الطاولات لتجلس ، جلس قبالتها فانحنت للامام مستندة إلى الطاولة الصغيرة وقالت :

- ومين اللى بيدفع كل ده

رفع كتفيه قائلا بلا مبالاة :

- تبرعات رجال الاعمال مكافآت من الدولة وحاجات زى كده يعنى

أسندت ذقنها على راحة يدها وقالت متعجبة:

- مصر ماليانة أحياء شعبية محتاجة نص اللى بيتحط فى النادى ده والماتشات بتاعته هو وغيره ورجال الأعمال دول لو اتبرعوا للأحياء دى ولا لأطفال الشوارع ولا للمستشفيات اللى محتاجة أجهزة وأدوية كان هيبقى ثوابهم أكبر عند ربنا مش يجوا يحطوا فلوسهم فى حمام سباحة ولا ماتش

عقد حاجبيه وقال بحنق:

- أحنا بندى البلد دى جوايز ده غير الدورى والكاس

ضحكت وهى تقول :

- غريبة أوى أنتوا بيتصرف عليكوا ملايين علشان دورى وكاس لكن العلماء محدش بيسأل فيهم و بيضطروا يهاجروا بره مصر علشان يلاقوا اللى يصرف على أبحاثهم اللى هتخدم البشرية كلها

قال يحيى بحماس معترضاً:

- والماتشات دى برضة حاجة كويسة يا مُهرة .. بتخرج الطاقة والناس بتحبها وبتتبسط منها يعنى كلنا بنستفاد والبلد كمان بتستفاد

نظرت إلى يحيى وقالت بتلقائية:

- يابنى ده انا اختك وبشوفك أنت وصحابك وانتوا بتتخانقوا بعد كل ماتش ده غير الشتيمة اللى بتقعدوا تشتموها للعيبة وتاخدوا عليها ذنوب والقهوة اللى على أول شارعنا اللى بيضربوا بعض بالكراسى وفى الآخر بعد الماتش ما يخلص هما ياخدوا المكافآت وانتوا تتخانقوا وتخسروا بعض.. وبلد أيه اللى بتستفاد دى الفريق بيسافر والبلد تصرف عليهم فى البلد التانية ..وفى الآخر لو كسبوا يقولوا مصر فازت ولو خسروا مصر خسرت.. طب مصر كسبت ايه وخسرت ايه واحنا مش مهتمين بالعلم والعلماء وبنقولهم فوت علينا بكره .. كسبت كاس بيتحط على رف النادى مكتوب عليه تاريخ الانتصاروفلوس تتوزع على اللعيبة زى الرز ..وفى ناس أحق بالفلوس دى بيباتوا من غير أكل ولا دوا وبيموتوا من كتر الأهمال فى المستشفيات الحكومية...الكلام ده لو فى عدل لو كل واحد بياخد حقه

نسى علاء أنه فى مكان عام وهتف غاضباً:

- وحضرتك بقى وافقتى تتجوزينى ليه طالما شايفة أن شغلى تافه أوى كده

حملت حقيبة يدها وقالت بتلقائية :

- منا قلتلك كنت فاكراهم بيضحكوا علينا فى التلفزيون وبيبالغوا بس كلامك ده واللى أنا شايفاه أكدلى ..وبعدين مالك زعلان أوى كده ليه الأختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية وأنا بقول رأيى

نظر لها يحيى مندهشاً وهو يقول :

- سبحان الله كأنى سامع الأستاذ فارس هو اللى بيتكلم

نظرت له مُهرة بتأثر ولمعت عينيها حنيناً بينما قال علاء متسائلاً:

- مين فارس ده؟

ضحك يحيى وهو يقول :

- ده بقى يا سيدى الأب الروحى لمراتك.. هو اللى مربيها ومحفظها الكلام ده

ظن علاء أن الشخص الذى يتحدث عنه يحيى رجل طاعن فى السن مثلاً فلم يبالى بالأمر وقال باستهزاء :

- وأنا أقول برضة اتعلمتى منين التخاريف دى

هتفت مُهرة وهى تنظر له بغضب :

- أتكلم باسلوب أحس من كده

تدخل يحيى بسرعة وقال مهدئاً للموقف :

- صلوا على النبى يا جماعة دى مجرد مناقشة

تأملها علاء لبعض الوقت ثم قال حانقاً :

- يالا نمشى

سارت بجواره وهو يمشى بخطوات واسعة وهى تحاول اللحاق به جاهدة ويحيى يلقى النظرات الأخيرة على النادى الذى حلم دائما بدخوله ، حتى وجدته يقف فجأه وتتغير ملامحه الغاضبة إلى الابتهاج عندما صافح أحد الرجال الذى كان يبدو عليه أنه فى أوائل العقد الخامس من عمره يرتدى حلة وقبعة رياضية ثم استدار إليها يعرفها إلى الرجل قائلا :

- دى مُهرة مراتى يا كوتش وده يحيى أخوها

نظر إليها الرجل مبتسماً ومد يده يصافحها قائلا :

- أهلا وسهلا نورتى النادى

عقدت ذراعيها وقالت بجمود:

- أهلا بحضرتك بس معلش مش بسلم

مد يحيى يده وصافح الرجل بحرارة بينما نظر لها علاء نظرة نارية وضغط أسنانه حتى خُيل إليها أنها استمعت إلى صوت صكيكها وقال آمراً :

- سلمي يا مُهرة ده الكوتش بتاعى.. أنتِ متعرفيهوش ولا أيه

نظرت إليه وظلت عاقدة ذراعها ولم ترد فقال الرجل بسرعة وهو يربط على كتف علاء :

- خلاص يا كابتن مش مشكلة ..يالا اشوفك فى التدريب سلام

جذبها من ذراعها بقوة وهو يقول :

- انا غلطان أنى جبتك هنا..

أمسكه يحيى وهو يحاول تخليص ذراعها منه هاتفاً :

- مش كده يا كابتن التفاهم بالراحة

دفعت يده بعيدا بضيق وأسرعت الخطى وقد لمعت عيناها بالدموع ، ظلت جالسة فى المقعد الخلفى فى السيارة وعلاء يقودها حانقاً فى طريقه إلى المنزل وهى تنظر من النافذة بجوارها وكلما فرت دمعة من عينيها رغماً عنها مسحتها بسرعة حتى لا يراها فى المرآة .. أما هو فكان يصيح طوال الطريق بغضب قائلاً:

- بتحرجينى مع الكوتش بتاعى يا مُهرة يعنى لو كنت قابلت حد من الرجال الاعمال اللى بيرعانى كنتِ برضة هتحرجينى قدامه كده مش كفايه مش عاجبك شغلى ومستخسرة فيا الفلوس اللى باخدها

كانت تستمع إلى يحيى وهو يحاول تهدئته أما هى فقد ظلت صامتة ولم ترد عليه وتركته يخرج ما فى صدره من حنق وغضب عليها، كانت تشعر أنها وحيدة لا تشعر بالأمان معه تريد أن تصل لمنزلها سريعا لتحتمى بجدرانه بعد أن فقدت النصير الذى غاب عنها وتاه فى دنياه

****

وضع فارس حقيبة دنيا فى غرفتها وخرج منها وأغلق الباب خلفه قائلا لوالدته فى عجلة من أمره :

- لازم امشى حالاً.. أتأخرت أوى على المكتب

همست له والدته بخفوت:

- مش تستنى مع مراتك شوية يا فارس وبعدين تنزل

ربت على كتفها برقة وقال وهو يضع الهاتف فى جيبه ويأخذ مفاتيحه :

- هستنى أعمل أيه يا ماما هى خلاص بقت كويسة.. معلش عندى شغل متأخر .. مع السلامة

ترجل يحيى فى بداية المنعطف المؤدى إلى شارعهم عندما التقت عيناه بعينيى محمود الذى قاطعه منذ زواج مُهرة وهو يقول :

- معلش يا كابتن واحد صاحبى زعلان مني عاوز ألحقه .. يالا سلام

تابع علاء طريقة بتثاقل ووضع السيارة بجوار المنزل ،هبطت مُهرة بسرعة دون أن تنتظره ، لحق بها على الدرج وأمسكها من ذراعها وجذبها إليه بحدة وهو يقول :

- كمان مش معبرانى .. ده بدل ما تعتذري لى يا هانم

ألتفتت إليه وقد أغرورقت عيناها بالدموع وقالت :

- لو سمحت سيب أيدى .. مش كفاية الكلام الجارح اللى عمال تقوله طول الطريق .. جاى تكمل هنا كمان

حاولت أن تتملص منه ولكنه جذبها مرة أخرى وقال بعصبية :

- مُهرة .. أنتِ متعرفنيش كويس .. أنا عصبى متخلنيش أمد أيدى عليكى ..أعتذرى حالاً

بدأت تبكى بصوت مرتفع وهى تحاول التملص منه، عندها سمعت وقع أقدام تهبط الدرج على عجل ، وما أن اقتربت حتى زادت من سرعتها على صوت بكائها ،وأخيرا ظهر فارس وهو ينزل سريعا ينقل بصره بينهما و قال وهو ينظر إليها وإلى دموعها التى انسابت على خديها وقال بلوعة :

- مالك بتعيطى ليه

قبض علاء على يدها أكثر حتى تألمت ثم قال :

- وأنت مالك انت خاليك فى حالك ..

لم يكد علاء أن يتم عبارته حتى وجد فارس قد قبض بعنف على يده الممسكة بذراعها وضغط رسغه بقوة تألم لها علاء واضطر أن يترك ذراع مُهرة التى بمجرد أن تحررت من يد علاء حتى صعدت أربع درجات ووقفت خلف فارس تحتمى به ، نظر له علاء بغضب وصاح هائجاً:

- وانت مالك .. دى مراتى

ألتفت فارس إليها فوجدها تنظر إليهما وتمسح دموعها بكلتا يديها وقد أطلت من عينيها نظرت استغاثة ملهوفة مخلوطة بالألم ..ألتفت إليه وقال محذرا والشرر يتطاير من عينيه :

- هى الرجولة انك تفرد عضلاتك على بنت وتقول مراتى.. أنت كده مفكر نفسك راجل

حاول علاء أن يتخطاه إليها ولكن فارس وضع يده على سور السلم ففصل بينهما بجسده فقال علاء غاضبا:

- بقولك وأنت مالك .. مين انت علشان تدخل ..أضربها ولاحتى اكسر دماغها مدام عاوزه تتربى

لم يكد أن يتم كلمته حتى وجد لكمة شديدة توجهت إلى أنفه ارتد على آثارها إلى الخلف ولكن لحسن قدره أن يحيى كان فى طريقه إلى الصعود فارتطم بجسده مما منعه من السقوط وربما ما هو أكثر من ذلك

بكت مُهرة بشدة وصعدت تعدو إلى شقتها بينما وضع علاء يده على أنفه فوجد الدماء تسيل منها نظر إلى راحته برعب وهو ينظر إلى الدماء التى لوثتها ، دفعهما فارس معا وغادر البناية على الفور وهو فى قمة غضبه.

أخذه يحيى وصعد به إلى شقتهم ، جلس والد مُهرة بجوار علاء يعطيه بعض المناديل الورقية ليمسح دمائه التى لوثت وجهه بينما كان يحيى وأمه يؤنبانها فى الداخل وهى ملقاة على الفراش وتبكى بحرارة ، ولم يكتفوا بذلك وأنما أجبروها هم ووالدها على الخرج والاعتذار منه ، وعادت لغرفتها مكسورة مهزومة ورغم أحساسها بالدونية والضياع والمهانة إلا أنها شعرت أنها لم تفقد المظلة التى كانت وظلت وستظل تحميها من عوادى الدنيا وزخات السُحب .

****

ألتفت بلال إلى فارس ورفع حاجبيه بتعجب شديد وقال متعجباً :

- ضربته !!!

أشاح فارس بوجهه وضرب بيده على قدمه وقال وهو غاضب :

- تصدق بالله انا لو مكنتش مسكت أعصابى مكنش هيبقى ضرب بس أنا كان ممكن اقتله

أستند بلال بمرفقيه إلى مكتبه فى المركز ونظر إليه متفحصاً وقال بهدوء :

- أنت لو بتتخانق مع مراتك تحب حد يتدخل بينكوا بالطريقة دى

هتف فارس حانقاً :

- يعنى كنت اسيبه يعمل فيها كده قدامى واقول سلام عليكم وانزل عادى كده

هز بلال رأسه نفيا وقال :

- لا يا سيدى محدش قالك كده.. بس برضة فى حاجة اسمها بالمعروف بالنصيحة تسمع عنهم ولا لاء

- دمى غلى فى عروقى يا بلال مفكرتش ومقدرتش استحمل سفالته

شبك بلال بين أصباعه وقال بثقة :

- طبعا مش هقولك أنك غلطان علشان أنت عارف انك غلطان

أومأ فارس برأسه وهو ينظر أمامه بشرود قائلا :

- معاك حق انا غلطان...غلطان انى ضربته بس كان المفروض أكسرله عضمه علشان بعد كده ايده متلمسهاش تانى

صمت بلال لبعض الوقت وهو يفكر ، هل من الحكمة أن يتكلم معه ويكشف له عن ما يراه ويشعربه أم يصمت مادام فارس يفسر أفعاله على أنها شهامة منه تجاهها ، ولو صارحه فما جدوى ذلك وهو متزوج وهى متزوجة ، الأمر يحتاج لتفكير أكثر من هذا قبل المصارحة

أخرجه فارس من تفكيره العميق على صوته الهادر وهو ينهض واقفاً ويقول :

- شوف يا بلال أنا جيتلك علشان عرفت أنه عرفها عن طريقك يعنى انت تعرفه كويس ..عاوزك تبلغه أنى لو عرفت أنه مد أيده عليها بحلو ولا بوحش هتبقى آخر مره يستعمل فيها أيده دى .. سلام

نهض بلال وحاول إيقافه ولكنه لم يفلح فى ذلك فلقد كان غاضبا جدا، عاد إلى مكتبه وجلس خلفه فى وجوم وهو يشعر أن المصارحة بعد ما راه وسمعه الآن منه ستكون تبعتها أكبر من الكتمان بكثير فلابد من التمهل ...فهذه النبرة وهذا الزئير وهذه التصرفات ليست لرجل يغار فقط أو يحب فقط ، وإنما هو يراها كنزه الثمين ومهرته الأصيلة الذى لابد أن يحافظ عليه دائما وأبدا من أن تمتد إليه يداً غريبة ويرى نفسه حاميها وحارسها وفارسها النبيل الذى يبذل الغالى والرخيص فداءا لها، فهى مازالت وستظل طفلته التى تحتاجه ومن الجائز أن نعشق أطفالنا أحيانا .. !

****

بمجرد أن دخل فارس مكتبه وقد هدأت ملامحه قليلاً حتى لحقت به نورا على الفور قائلة بسعادة:

- دكتور فارس اتأخرت ليه

جلسه خلف مكتبه واسند ظهره للخلف وهو يشعر بإرهاق ذهنى رهيب وأغمض عينيه قائلاً :

- فى حاجة ؟

قالت بسرعة وهى مبتسمة ببهجة :

- فى زبون معايا فى المكتب وجاى لحضرتك ومصمم أنك انت اللى تمسكله القضية بتاعته بنفسك مش حد تانى

فتح عينيه ببطء وقال مستفهماً :

- أشمعنى يعنى

قالت بحماس :

- القضية اللى حضرتك اشتغلتها من شهر وجبت فيها براءة للقاتل سمعت أوى .. والرجل جاى ملهوف وعنده استعداد يدفع أى مبلغ تطلبه .. ده ملياردير يا دكتور فارس ملياديييييير ..

ابتسم فارس لحماسها المفرط وقد تسلل حماسها إليه وقال :

- خليه يدخل

فرقعت نورا أصابعها بحماس وفرحة وخرجت مسرعة وسمحت للرجل بالدخول إليه ، نهض فارس وصافحه بأدب وتواضع قائلا وهو يشير إليه بالجلوس :

- أتفضل يا فندم

جلس الرجل وهو ينظر إلى فارس مندهشا وقال بدون مقدمات :

- الحقيقة انا كنت فاكر حضرتك اكبر من كده يا دكتور فارس

ابتسم فارس وقال بلباقة :

- ده مدح ولا ذم

أستدرك الرجل بسرعة وقال بإحترام :

- مدح طبعا يا دكتور يعنى حضرتك سمعتك مسمعة كده وانت فى السن ده ..يعنى اكيد حضرتك نبغة فى مهنتك ..دى خبرتى كراجل فى السوق من زمان وعلشان كده انا جيتلك مصمم انك أنت اللى تترافع عن ابنى

قال عبارته الأخيرة ووضع الملف الذى بيده أمامه على المكتب ، فتحه فارس وبدأ يقلب أوراقه بينما قال الرجل بحزن :

- ابنى يا دكتور شاب فى عز شبابه ومتربى وأخلاقه عالية .. يتهموه ظلم فى قضية زى دى ..أنا ابنى مش ممكن يقتل يا دكتور مش ممكن أبدا .. انا متأكد أن تقرير التحريات اللى اتقدم ده افترى وظلم علشان أعدائى فى السوق عايزين ينتقموا مني بأى شكل ويشوهوا سمعتى بأى طريقة

هز فارس رأسه وقال متفهماً :

- طيب حضرتك سيبلى القضية ادرسها واقلبها فى دماغى من كل النواحى وهرد عليك بكره إن شاء الله بس حضرتك أعملى توكيل علشان أزوره وأتكلم معاه شويه قبل ما اقول رأيى فى القضية

قال الرجل على الفور :

- انا يا دكتور مستعد أدفع اللى حضرتك تطلبه ملايين الدنيا كلها فدى ابنى

قال فارس بإشفاق :

- متقلقش إن شاء الله لو بريء فعلا ربنا مش هيتخلى عنه وانا هبذل كل جهدى علشان اطلعه منها

حياه الرجل وغادر المكتب وقبل أن يبدأ فى فتح الملف لقراءته بتمعن قفزت مُهرة إلى ذهنه مرة أخرى وصورتها التى رآها عليها اليوم وهى تنظر له تستنجده أن لا يتخلى عنها ولكن الذى حيره فعلا هى النظرة الأخرى التى رآها فى لمحة لم تتعدى ثانية من الوقت ، لقد كانت نظرة عتاب .. وجد نفسه يخرج هاتفه ويكتب رسالة من كلمتين :

- بتعاتبينى ليه ؟!

أعلن هاتفها على وصول رسالة نصية، فتحتها وهى تجلس على طرف فراشها دون أن تنظر لأسم الراسل ، أتسعت عيناها دهشة وخفق قلبها بقوة وهى تقرأ حروفه التى أرسلها دون وعى فوجدت دمعتين قد فرتا من مقلتيها وابتلعت ريقها بصعوبة وكتمت أنفاسها وهى تكتب بشرود :

- السؤال ده لوحده محتاج عتاب

قرأ رسالتها ووضع الهاتف على مكتبه ودفن وجهه بين يديه وقد ازدادت حيرته واشتعلت التساؤلات فى قلبه من جديد ، زفر بقوة وتناول القهوة التى وُضعت أمامه بتمهل وبدأ فى فتح ملف القضية ...وهو لا يعلم أنه فتح عليه باب من أبواب جهنم .

****

الفصل الثالث والعشرون

قلب أوارقها بهدوء وتركيز وعيناه تجرى بين السطور حتى شعر بألم فى رأسه وصداع شديد من كثرة التفكير وقد شُتت أفكاره تماماً لم يعد قادراً على قراءة المزيد ..طرقت نورا باب مكتبه ودخلت بعد ما سمعت الأذن بالدخول ...دخلت وقد تغيرت ملامحا تماماً وبدا عليها القلق وقالت فى عجلة كبيرة :

- من فضلك يا دكتور ممكن أستئذن دلوقتى ..جوزى كلمنى وشكله تعبان أوى

قال فارس وهو يضغط جبينه بيده من شدة الألم :

- طيب مستنية أيه ..يالا روحى بسرعة ولو محتاجة أجازة مفيش مشكلة

قالت بامتنان وهى تغادر :

- متشكره أوى يا دكتور فارس

غادرت نورا على الفور بينما بحث هو عن دواء لألم الرأس ولكنه لم يجد فنهض فى تعب وأخذ الملف معه وقرر أن يكمله فى المنزل .

كانت دنيا تجلس أمام التلفاز تتنقل بين قنواته فى ملل وقد تركتها أم فارس ودخلت غرفتها لتنام فهى لم تعتاد السهر الطويل .. أغلقت دنيا جهاز التلفاز واتجهت لغرفتها وتناولت هاتفها من فوق الطاوله ودخلت غرفتها وآوت إلى فراشها ..أستلقت على الفراش وهى تفكر فى حالها وكيف سينتهى زواجها وهل سيطلقها فعلا أم ستتغير الأمور، أنتبهت على صوت رنين هاتفها ، تناولته ونظرت فيه فزفرت بملل وردت بتثاقل قائلة :

- أيوا

رد المتصل بلهفة قائلاً:

- ايوا يا أستاذة.. أنا وائل

قالت بضيق :

- منا عارفة يا وائل خير فى حاجة ولا أيه

قال بشغف :

- قضية يا أستاذة.. أنما أيه هتنقلنا نقلة كبيرة أوى

قالت بازدراء:

- أفندم ؟

أستدرك متوتراً:

- قصدى يعنى هتنقل الدكتور فارس والمكتب نقلة جامدة أوى

بدأ الاهتمام يتسرب إلى صوتها وهى تقول :

- نظامها أيه القضية دى

قال على الفور:

- أبن راجل مليادير متهم فى قضية قتل والراجل جاى مخصوص للدكتور فارس وعاوزه يشتغلها بنفسه ومستعد يدفع بدل المليون تلاتة

سال لعابها عندما سمعت الرقم وقالت بخفوت :

- وأنت عرفت منين

قال وائل متهكماً:

- يا أستاذة انا مفيش حاجة تخفى عليا فى المكتب.. أومال حضرتك أخترتينى أنا ليه علشان ابقى أيدك اليمين فى غيابك

- طيب متشكره أوى يا وائل

أردف وائل قائلاً بلهفة:

- أستنى يا أستاذة.. مش ده كل اللى عندى

أرهفت سمعها له وهو يتابع قائلاً:

- القضية دى أتنشرت فى الجرايد من يومين بس.. وانا قريت تفاصيلها كلها ولما شمشمت حواليها عرفت أن فى محضر تحريات وشهود بيدينوا الواد المتهم فى القضية علشان كده انا قلقان أن الدكتور فارس يرفضها

سكت ثانية من الوقت واستدرك قائلا:

- لاء ده انا متأكد كمان انه هيرفضها ولو اتعرضت على الدكتور حمدى هو كمان هيرفضها الواد المتهم شكله مش مظلوم وده اللى مخلينى متأكد ان فارس باشا هيرفض يشتغلها وهيضيع علينا المبلغ المهول ده

تسرب القلق إليها فهى تعرف طريقة تفكير فارس جيدا وتعلم أنه لو وجد المتهم غير مفترى عليه وبأنه قاتل فعلا سيرفض الدفاع عنه مهما كانت الأتعاب مغرية ..فقالت فى توتر:

- طب وانت أيه رأيك يا وائل

لاحت أبتسامة نصر على شفتيه وهو يقول :

- بسيطة يا أستاذة ..حضرتك ممكن تاخدى وتدى معاه فى القضية لو لقتيه قبلها خلاص بركه يا جامع لو لقتيه رافض يبقى مفيش غير حل واحد..

- ايه هو ؟!!

- حضرتك تشتغلى القضية بنفسك

ضحكت وهى تقول :

- أنت بتهزر مش كده ؟..أشتغلها ازاى يعنى وأبو المتهم هيرضى يخلينى أخدها أزاى يا فالح

قال بسرعة:

- يا أستاذة القضية مش محتاجة شغل كتير زى ما انتِ فاهمة ..لو أعتمدنا على شغل المحاماة يبقى الواد هياخد أعدام.. القضية دى عاوزه شغل من نوع تانى

قالت بترقب :

- مش فاهمة ...

- شوفى يا أستاذة.. القضية كلها مربط الفرس فيها التحريات والشهود ولو تقرير التحريات اتسحب من الملف بصنعة لطافة والشهود غيروا أقوالهم يبقى مفيش دليل والواد هيطلع براءة

قالت بحنق :

- وانت فاكر بقى انى اعرف أوصل للورقة دى و حتى لو عملت كده فارس مش هيسكت ده غير أنه لو رفض القضية الراجل أصلا مش هيرضى حد مش معروف زى يشتغلها مهما قلناله

نظر وائل للجالس بجواره مبتسماً بانتصار وقال لها :

- المشكلتين دول محدش هيقدر عليهم غير واحد بس...الأستاذ باسم

أعتدلت على الفراش وكأن حية قد لدغتها وهتفت متسائلة:

- باسم مين ؟..اللى كان معانا فى المكتب ؟

قال وائل مؤكدا:

- هو الوحيد اللى كان فى مكتبنا ليه معارف كتير فى النيابة ويقدر يخلصلنا موضوع الورقة والشهود وهو برضة اللى هيقدر يلاقى حل لمشكلة الدكتور فارس

صمتت دنيا لتفكر بالأمر، كادت أن ترفض وتنهى المكالمة على الفور رافضة للعرض والأقتراح ولكن المبلغ المعروض أدار رأسها ، ليس بهين على الأطلاق ، إنه كافى أن يذيب الصخور بينها وبين باسم وينسيها ما فعله بها وما تلاقيه الآن بسببه وأن يلتقيا من أجله مرة أخرى ..قالت فى تردد :

- طب أدينى فرصة افكر

أنهى وائل المكالمة معها ووضع الهاتف فى جيبه وهو ينظر لباسم الذى كان يقف بجواره ويلقنه بعض الكلمات ..ربت باسم على كتف وائل وهو ينظر أمامه بتفكير قائلا:

- برافوا عليك

قال وائل لاهثاً :

- متأكد يا أستاذ باسم أنها هترضى

أبتسم باسم وهو يجلس خلف مكتبه ويشبك كفيه فى بعضهما وقال بثقة :

- زى ما انا متأكد أنك واقف قدامى دلوقتى .

ثم همهم بخفوت

وقال :

- دى تبيع ابوها علشان الفلوس

*****

أنهت دنيا المكالمة وهى شاردة تماماً وقد ومض فى عقلها صور متتابعة وكأنه شريط سينمائى لليوم الذى هربت من بيتها وذهبت إليه فى مكتبه وما حدث بينهما ...شعرت بغصة فى قلبها وهى تتذكر وحشيته معها ..كيف تعاود العلاقات معه من جديد بعد ما كان ..كيف تحدثه وبأى وجه تنظر إليه وينظر إليها ثانية ..دار رأسها أكثر وقد أختلط كل شى أمامها بشكل متناقض لم يخرجها منها إلا أن سمعت صوت باب الشقة وهو يغلق بهدوء فعلمت أنه حضر..أغلق فارس الباب بهدوء وهو ينظر للمنزل الهادىء حوله فى سكون.. فهذا ما كان يحتاجه فى تلك اللحظة..السكون ..جلس على أقرب مقعد ووضع الملف بجواره وارتمى بظهره إلى ظهر المقعد وفرك جبينه فى قوة فمازال يعانى من الصداع الشديد ..فى تلك اللحظة خرجت دنيا من غرفتها ونظرت إلى وجهه المتعب فاقتربت منه ومسحت على شعره وهى تقول بخفوت:

- مالك ..مصدع

أدار رأسه إليها وأومأ بنعم بدون كلام ...توجهت إلى غرفتها وأحضرت له قرص مسكن للألم مع كوب المياه وقالت :

- هروح أعملك كوباية شاى تظبطلك دماغك

وضع كوب المياه بجواره وأغمض عينيه بإسترخاء يتلمس قليلاً من الراحة والسكينة محاولا ان يبتعد بذهنه عن الافكار التى أدت به إلى هذه الحاله ...وضعت أمامه كوب الشاى وظلت تنظر إليه وهو يرتشف منه ببطء وفى صمت حتى أنتهى منه وحرصت على أن لا

يدور بينهما حديث من اى نوع ... وضع الكوب ونهض واقفاً متوجهاً لغرفته ..دخلت خلفه ونظر إليها مندهشاً وهى تأخذ سترته من يده وتعلقها فى الخزانة فهى لم تفعل ذلك منذ زواجهما وها هى تفعله دون أن يطلب منها مساعدته ... ألتفتت له وقالت مبتسمة :

- تحب أحضرلك العشا

زادت دهشته ولكنه قال :

- لا مليش نفس يدوب هاخد دش واقعد اشتغل شوية

أنتظرت حتى أخذ ملابسه ودخل الحمام ثم انطلقت إلى المقعد الذى وضع عليه الملف ...أخذته بين أيديها وفتحته وتجولت فيه بنظرها بسرعة فتأكدت انه الملف المطلوب وتأكدت من المعلومات التى سربها إليها وائل .. ومن الواضح أن فارس لم يدرس القضية كاملة حتى الان ...تركت الملف ووضعته كما هو وأنتظرته حتى خرج من الحمام وتوجه إلى الاريكة وأستلقى عليها

وقفت بجواره وقالت بخفوت ورقة:

- أنت شكلك مرهق أوى يا فارس تعالى نام على السرير علشان جسمك يرتاح ..

وأستدركت فى حزن :

- ولو كان عليا يا سيدى انا مش هنام دلوقتى

هز رأسه نفيا وقال بصوت نائماً :

- لا متشكر روحى نامى انتِ ..أنا هغفل ساعة واحدة بس وهقوم أكمل شغلى

دخلت غرفتها ولكنها لم تستطع أن تنام كانت تريد ان تخلق معه اى حوار بخصوص القضية ولكنه غير مستعد للحديث على الاطلاق واى حديث الان سوف يؤدى إلى عواقب وخيمة .. تقلبت فى فراشها كثرا وهى تحاول أن تجد مخرجاً ما .. لابد أن تتودد إليه بالحكمة حتى يأمنها ويتحدث معها بما يجول فى خاطره وبدون قيود ... لم تستطع النوم ابدا ظلت هكذا حتى شعرت بحركته فى الخارج فعلمت أنه استيقظ أنتظرته حتى توضأ ووقف يصلى ركعتين خفيفتين قبل أن يبدأ فى العمل ... بعد أن أنتهى أخذ الملف ووضعه على الطاوله وجلس امامه وكأنه أمام لغم يوشك ان ينفجر عند أول لمسة له ..خرجت دنيا من غرفتها وتوجهت للمطبخ مباشرة وأعدت له فنجان القهوة التى يحبها ووضعتها أمامه بابتسامة رقيقة وهى تقول :

- أتفضل

نظر إليها وهو يشعر أن هذا اليوم هو يوم المفاجات فلا داعى للتعجب من شىء بعد ذلك ... جلست أمامه واستندت على راحتيها وظلت تتابعه وهو يقرأ ويتأمل فيقف على معلومه طويلا ثم يتجاوزها إلى غيرها يتاملها برفق وكأنه يخشى فقدانها ... رفع رأسه إليها فوجدها تتامله مبتسمة فقال :

- منمتيش ولا أيه

قالت بعذوبة :

- لاء نمت بس صحيت على صوتك وأنت بتقرأ القرآن وأنت بتصلى حقيقى صوتك حلو أوى فى القرآن يا فارس

كان قد عاهد نفسه على عدم الدهشة ولكنه لم يستطع ..رفع حاجبية ومط شفتيه بقوة ثم أعاد رأسه إلى الملف وأكمل ما كان بدا ..كانت هى تبحث عن كلمات مناسبة لا تستفزه بها وهى تسأله عن القضية حتى لا تشعره أنها تعلم شىء عنها ...تنحنحت فى خفوت ثم قالت :

- شكلها قضية مهمه اللى مسهراك كده

أومأ برأسه ببطء دون أن ينظر إليها وقال :

- فعلاً قضية مهمة

قالت بنبرة أنثوية ضعيفة:

- طب ما تشرحهالى يا فارس .. أنت خبره كبيرة اوى ونفسى اتعلم منك

نظر إليها ولسان حاله يقول :

- أى نوع من الاعاجيب يحدث فى هذا اليوم .. ما هذا الهدوء والسكينة والتعاون والتواضع هذه ليست دنيا ابدا

قال باقتضاب :

- دى قضية متهم فيها شاب صغير بقتل واحدة بالعربية بتاعته والشهود بيقولوا انه كان قاصد وانها كانت واقفه على الرصيف اصلا وكمان التحريات بتقول انه كان يعرفها يعنى الحادثه مش صدفه

تيقنت دنيا من كلام وائل أكثر عندما وجدت فارس يتكلم عن القضية وكأنه قد عزم رفضها قالت بحنكة:

- طب والمتهم أعترف ولا قال ايه

هز رأسه نفيا وهو يقول :

- بالعكس ده صمم انه برىء وان الشهود متلفقين والتحريات متلفقة ابوه كمان لما قابلنى قال انه ليه اعداء فى السوق وجايز يكونوا ملبسين ابنه القضية

نظرت فى عينيه تكاد أن تخترقهما وتتسلل إلى عقله لتعرف فيما يفكر وماذا سيقرر وقالت وبلا مبالاة:

- مش جايز فعلا كده

مط شفتيه وهو يقول :

- كله هيتحدد لما اروح اقابل المتهم

ثم لمعت عينيه وهو ينظر امامه قائلا :

- انا هقدر اعرف منه هو عمل كده فعلا ولا لاء

قالت بشك :

- وهو يعنى هيعترفلك

أعاد رأسه إلى الاوراق مرة اخرى وهو ينهى الحديث قائلا :

- سيبيها على الله

****

كانت عزة تحضر الطعام بسرعة وتضعه فى الاطباق وتنقلها على الطاولة ضاحكةً وهى ترى عمرو يلكم الوسادة بقوة مرات متتالية فتسقط الوسادة على الارض فيأخذها ويلكمها مرات أخرى ثم يخنقها بيديه بعنف وقد تصبب عرقاً فقالت وهى تجلس حول الطاولة بجواره :

- نفسى أعرف بتعمل ايه

ألتفت إليها وهو يمسح العرق عن جبينه وقال وهو يلهث :

- بتمرن عندى ماتش ملاكمة

ضحكت مرة أخرى وقالت :

- أول مرة اعرف انهم بيخنقوا بعض فى الملاكمة

هز رأسه نفياً وهو يتناول الملعقة قائلا :

- لا ده مش علشان الملاكمة.. ده علشان لو واحد ضايقنى أخنقه وأخلص منه

وضعت كوب المياه أمامه وهى تقول :

- وهتلاعب مين بقى.. تايسون

نظر لها بطرف عينيه مازحاً وهو يقول :

- بتقولى فيها .. أنا فعلا هلاعب بلال تايسون

نظرت إليه بدهشة وقالت :

- أيه ده بجد والله ..هى دى مسابقة ولا ايه

وضع الطعام فى فمه وقال :

- لا يا بنتى مسابقة أيه.. أصلا بلال هو اللى بيمرنى انا وفارس فى مركز الشباب اللى جانبنا

استندت بذقنها على راحة يدها وهى تقول :

- أنا نفسى الاقى حاجة واحدة الدكتور بلال مبيعرفش يعملها.. حتى الملاكمة هو اللى بيمرنكوا

ضربها على كتفها بخفة وهو يقول بحنق :

- ايه يا ماما مالك معجبة بيه كده ليه .. طب بكره هتشوفى هكسرهم هما الاتنين على حلبة المصارعة

نظرت له بدهشة وقالت :

- هى مصارعة ولا ملاكمة

وضع قطعة من اللحم فى فمها وهو يقول :

- كلى وانتِ ساكتة

صمتت قليلاً وهى تنظر له باضطراب ثم تشجعت وقالت :

- عمرو أنا لازم اروح لدكتورة علشان موضوع الحمل

وضع الملعقة فى طبقة ونظر لها معاتباً وقال :

- احنا مش اتكلمنا فى الموضوع ده قبل كده وقلنا نسيبه على ربنا

أسندت وجنتها على راحة يدها وقالت :

- أحنا متفقناش.. أنت اللى قررت وانا اضطريت اوافق انا مش عارفه انت ليه مش مهتم

أخذ كفها من تحت وجنتها ووضعه بين راحتيه وقال بهدوء :

- مش عاوز حاجة تشغلك عنى وعن اهتمامك بيا لوحدى.. ومدام التاخير جاى من عند ربنا لوحده يبقى خلاص

حاولت أن تعترض ولكنه وضعه أصبعه على شفتاها وقال :

- أنتِ مش عارفة يا حبيبتى انا محتاج اهتمامك بيا قد أيه.. ومش عارفة أن تفرغك ليا بيحمينى من حاجات شكلها ايه

قالت بقلق :

- تقصد ايه ؟

قبل يدها وقال مبتسماً:

- مش قصدى حاجة.. كل الحكاية انى عاوزك تفضيلى .. أنا وبس ..وأنا ممنعتكيش من الخلفة ..ووقت ما ربنا يأذن هتحملى ..بلاش نستعجل

****

دخل فارس مكتبه مساءاً فوجد الرجل صاحب القضية فى انتظاره.. صافحه معتذراً عن التأخير وأشار إليه بالجلوس ..جلس الرجل ثم نهض مرة أخرى ووضع أمام فارس الاوراق التى طلبها ووضع فوقهم شيك بالأتعاب ..نظر فارس إلى المبلغ المدون أمامه ثم رفع رأسه للرجل وقال :

- أنا قلت لحضرتك انى مش هقبل أى حاجة إلا لما اقابل المتهم بعد كده هقرر وبعدين المبلغ ده كبير أوى

قال الرجل بسرعة وبصوت يشبه البكاء :

- فلوس الدنيا كلها فدى ابنى وبعدين انا متفائل ان شاء الله لما تقابله هتتاكد أنه برىء أنا متأكد

نظر إليه فارس بإشفاق ومد يده بالشيك قائلاً بحسم :

- معلش حضرتك خده ولو وافقت نبقى نتكلم فى حكاية الاتعاب دى بعدين ...أنا هروحله بكره على طول ان شاء الله يعنى الموضوع مش هيتاخر كتير

خرج الرجل من حجرة فارس وقبل أن يخرج من المكتب الخارجى تفاجأ بدنيا التى أقتربت منه بتمهل وقالت :

- متقلقش يا فندم ان شاء الله خير

رفع الرجل يده إلى السماء وهو يقول بضعف :

- ربنا يسمع منك يابنتى

اقترب وائل منهما وقال للرجل مقدماً له دنيا قائلاً:

- دى الأستاذة دنيا مرات الدكتور فارس ومحامية معانا هنا

قالت دنيا باهتمام :

- أمبارح الدكتور فارس سهر على القضية للفجر وتقريبا شبه موافق عليها يعنى حكاية المقابلة دى مسألة شكلية مش أكتر

نظر لها الرجل بتأثر وقال بامتنان:

- حقيقى يا أستاذة ؟... مش عارف اقولك ايه طمنتينى ربنا يطمن قلبك

قالت مؤكدة :

- إن شاء الله لما يرجع من الزيارة انا اللى هكلم حضرتك وأحدد مع حضرتك الأتعاب والمعاد اللى حضرتك هتجيلوا فيه

غادر الرجل بعد أن تأكد أن قضيته قد قُبلت بالفعل فها هى زوجته تؤكد له أنه بدا العمل بها فعلاً ...دخلت دنيا حجرتها بعصبية وقلق والتفتت إلى وائل الذى تبعها وقالت :

- وبعدين يا وائل.. أنا قلقانه أوى .. أنا كل ده ولسه مش عارفة أيه اللى هيحصل .. نفرض رفضها فعلا

قال وائل بثقة :

- الأستاذ باسم مستنى منك مكالمة.. بعد ما تعرفى قرار الدكتور فارس وساعتها هيقولك هيعمل ايه بالظبط.

****

الفصل الرابع والعشرون

أطل بلال برأسة داخل مصلاها الصغير الذى أتخذته منذ زواجها مصلى خاص بها فى أحد أركان المنزل الصغيرة فوجدها تسبح بعد انتهاءها لتوها من صلاة الفجر .. أزاح الستار الذى وضعته عليه ليعطى الركن شىء من الخصوصية فلا يدخله أحداً سواها ولا يعبث أحد بمكتبتها الصغيرة فيه ..أقترب منها وجلس بجوارها . ألتفتت إليه بابتسامة عذبة فأخذ كفها فى يده وقبل راحتها ثم أكمل تسبيحه على أصابعها .. نظرت له بحب جارف وهو يسبح على أصابعها وفى كل تسبيحة يزداد حبه بقلبها وتتعلق به أكثر وأكثر ..رفعت يدها الأخرى ومررت أناملها على لحيته وخللت أصابعها برفق داخلها فنظر لها وابتسم ثم اقترب منها أكثر وأخذها بين ذراعه وهما جالسان على الأرض ثم تناول يدها الأخرى وأكمل التسبيح عليها ..ظلت هى تمرر أصابعها على يده التى تتلمس راحتها برقة حتى انتهى ورفع راحتها لفمه ليقبلها مرة أخرى باشتياق. ولفها إليه برفق لتكون فى مواجهته وقال بخفوت :

- لسه صاحية لغاية دلوقتى ليه مش قلتى هصلى وانام

بادلته همساً بهمس وهى تقول بسكينة :

- كل مرة بقول أذكار الصباح فى السرير بتروح عليا نومه قبل ما اخلصها فقلت اقولها هنا علشان كمان ابقى مركزة فيها ...

ثم أردفت متسائلة :

- مش قلت هتدى درس بعد الصلاة

ظهر الحزن على وجهه وهو يقول :

- درس الفجر أتمنع هو كمان مع الاسف

ثم أردف متهكماً بسخرية حزينة:

- الرقاصة فى الكباريهات محدش بيقدر يمنعها من اللى بتعمله لكن أحنا لما نيجى نتكلم عن الله يمنعونا ويقفلوا المساجد بعد الصلاة على طول

ربتت على وجنته وقالت بهدوء :

- متزعلش نفسك كده يا حبيبى أنت ناسى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام لما قال :

• بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ

نظر لها وأطل الأسى من عينيه قائلا:

- أحنا بقينا غُرب فى بلدنا يا عبير أول ما الواحد يربى لحيته يبتدى الاضطهاد ويبتدوا يحاصروه فى كل مكان فى المسجد وفى الشغل وفى كل حته تبتدى المضايقات ... كأن التأسى بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام بقت تهمة المفروض الواحد يتعاقب عليها

حاولت أن تضفى بعض من المرح عليه فغيرت مجرى الحديث وقالت مداعبة :

- قولى بقى ناوى تعمل ايه النهاردة فى فارس وعمرو

أستجاب لمداعبتها وأبتسم بمرح وقال :

- ناوى أدشدشهم طبعاً

تحسست ذراعيه بإعجاب وهى تقول ضاحكة :

- أنا متأكده أنك هدشدهم بضمير

خلل أصابعه بين خصلات شعرها و همس فى أذنها قائلاً:

- فكرتينى بالضمير ..الولاد لسه نايمين مش كده !

****

- طيب هسيبكوا أنا شوية يا متر علشان تعرفوا تتكلموا

قال الضابط هذه العبارة وهو ينهض من خلف مكتبه ويأخذ هاتفه واتجه خارج مكتبة .. أنتظر فارس حتى خرج الضابط وأغلق الباب خلفه فالتفت إلى الشاب الذى وقف أمامه مُطرقاً برأسه فى حزن وقال وهو يشير له بالجلوس:

- أقعد يا هانى

جلس هانى ببطء وبدون أن يرفع رأسه أو ينطق ببنت شفة ..تفرس فيه فارس ملياً وقرأ بسهولة تعبيرات الحزن والوجوم فى ملامحه الشاحبة المترقبة ..لايبدو عليه الإجرام أبداً على العكس تماماً ، وجهه فيه من البراءة ما فيه ..حاول فارس أن يقرأ لغة جسده فلكل جسد لغة من الممكن ان تكشف عن مكنونات مشاعره أثناء الحديث ..صمت فارس برهة من الوقت لكى يجعله يتوتر أكثر ويسهل استدراجه وقاطعاً عنه أى اسلوب للمراوغة من الممكن أن يلجأ إليه ثم قال فجأة :

- أنا عارف أنك مكنش قدامك حل تانى ..!

رفع هانى رأسه بحذر ناظراً إلى فارس الذى مال للأمام مقتحماً عينيه و تكلم وكأنه رآه يوم الحادث رأى العين وأردف قائلاً بثقة :

- كانت بتهددك كنت هتعمل أيه يعنى غير كده

حدق هانى فيه مندهشاً وقال متعجباً :

- عرفت ازاى أنها كانت بتهددنى !

قال فارس بهدوء وتركيز :

- أحكيلى كل حاجة وانا هقولك عرفت ازاى

نظر له هانى وهو يفرك كفيه فى اضطراب وتوتر كبيرين وقال متلعثماً :

- زى ما انت قلت مكنش فى أيدى حل تانى.. كانت عمالة تهددنى أنها تفضحنى فى كل حتة وتقول لابويا وانا خلاص كنت هتعين فى السلك الدبلوماسى وأى قلق كان هيحصل حواليا كان هيطير مني الشغلانة اللى كنت بحلم بيها طول عمرى..

ثم بدأ فى البكاء وهو يرتعش قائلاً :

- صدقنى أنا عمرى ما كنت احلم انى اعمل فيها كده.. بس هى اللى اضطرتنى ..

دفن وجهه بين كفيه وهو يرتعش بقوة ويقول:

- أنا مكنش قصدى اموتها أنا كنت عاوزها تسقط بس وخلاص.. مكنتش اعرف انها هتموت

سايره فارس فى الحديث وهو يربط على ساقه مهدئاً وقال :

- أهدى بس يا هانى أهدى .. أنا فاهمك طبعاً بس انت أيه اللى خلاك من الأول تعرف الاشكال دى يا أخى

جفف هانى دموعه ولكنه مازال يتلعثم وهو يتحدث من فرط الاضطراب فهذه أول مرة يعترف بها بما فعل وقال :

- كانت زميلتى فى الكلية وأعجبنا ببعض لحد ما صارحنا بعض بالحب وكنا متفقين أن محدش يعرف بعلاقتنا دلوقتى وكانت علاقتنا علاقة حب بريئة ..وبعد شويه صرحتنى أنها حكت لاختها الكبيرة وأختها كانت متفاهمة معاها حتى ساعات ..ساعات كانت بتخرج معانا وكانت متصورة كده أن علاقتنا بقت شبه رسمية وبقت مطمنة أكتر معايا ...

فى الأول كانت بتحاسب أوى على كل لمسة بينى وبينها وبترفض لكن بعد ما اختها الكبيرة عرفت ورحبت وهى من ساعتها وهى معتبرة علاقتنا رسمية .. وابتدت التنازلات بينا لحد ما حصل اللى حصل ..وجات قالتلى أنها حامل ..وفضلت شهر بحاله أحاول أتهرب منها ..

ألتقط أنفاسه بصعوبة وهو يتابع قائلاً :

- لحد ما هددتنى وقالتلى انها هتفضحنى فى كل حته وتبلغ ابويا ..

أجهش فى البكاء عندما وصل لهذه النقطة وهو يقول:

- مفكرتش ..معرفتش أفكر فى حاجة غير أنى اخلص من تهديها بس.. مكنتش اقصد صدقنى

أغمض فارس عينيه بألم وقد تيقن من أدانته ..ها هو يتجسد أمامه مثالاً لعقد الحرام عندما يُقطع فتنفرط حباته حبة تلو الأخرى بسرعة كبيرة لا نستطيع اللحاق بها أو جمعها.

تركه فارس يبكى ويعضه الندم على ما فعل حتى بدأ يهدأ ويسكن جسده المنتفض ثم قال :

- علشان كده أنكرت أنك تعرفها مش كده

رفع هانى كتفيه بحركة عصبية وهو يقول بأنفاس لاهثة :

- اومال كنت هعمل ايه كان لازم أنكر وكدبت الشهود اللى شافوا الحادثة وكدبت أختها لما قالت انها تعرفنى ...خفت اقول الحقيقة .. خفت يعدمونى

أخذ فارس كفه وقبض عليه بقوة وهو ينظر له بصرامة قائلاً:

- ومخفتش من ربنا ؟! .. إنت ممكن تاخد براءة وبعدين تموت عادى فى بيتك

ثم وضع أصبعه على صدره وضغطه وهو يقول :

- هتروحله ازاى وانت هاتك عرض واحدة ومش هى عايشة وبس لاء وهى ميتة كمان

حدق فيه هانى فزعاً وهو يقول منتفضاً :

- وهى ميتة يعنى أيه

- يعنى أهلها وصحابها وجيرانها وكل اللى يعرفوها عرفوا دلوقتى انها ماتت وهى حامل وهى مش متجوزة .. يعنى عرضها اتلوث والناس بتنهش فيه حتى وهى ميتة .. و بسببك انت

بدأت دموع هانى تنهمر بشدة وهتف صائحاً :

- أنا تبت لربنا تبت وندمت وربنا هيقبل توبتى انا متأكد

وضع فارس يده على كتفه وهزه بقوة وهو يقول :

- ممكن ربنا يقبل توبتك اه لما تغلط فى حق نفسك وبس ..لكن أنت غلط فى حق أنسانه متعلقه فى رقبتك عمرها اللى راح هى واللى كان فى بطنها وشرفها اللى أتنهش .. يعنى لازم تردلها حقها ..على الأقل خالص انك تعترف بغلطك وتتقبل العقوبة بشجاعة.. مش تنكر وتقول توبت

دفع هانى يد فارس حانقاً وقال :

- أنت عايز منى أيه ..أنت جاى تدافع عنى ولا جاى تلف حبل المشنقة حوالين رقبتى

هز فارس رأسه أسفاً وهو يقول :

- يابنى أنا بنصحك لوجه الله علشان لما عمرك اللى متعرفش هيخلص أمتى ينتهى ..تروح لربك نضيف

قال عبارته الاخيرة وتركه وأتجه لباب الحجرة لينصرف .. فتح الباب وخرج وتركه وحيداً يشعر بظلام قلبه وروحه الآثمة الملوثة ..والمُعذبة

****

بينما كانت أم فارس منشغلةً فى المطبخ تعد طعام الغذاء سمعت طرقاً خفيفاً على باب الشقة فتركت ما فى يدها واتجهت لتفتح الباب ..أبتسمت وهى تنظر إلى مُهرة التى وقفت على استحياء مطرقةً برأسها وقالت :

- أهلا يا مُهرة يا حبيبتى اتفضلى

قالت مُهرة بخفوت وقد بلغ الخجل منها مبلغة :

- معلش يا طنط مش هقدر أدخل ..

ثم ترددت قبل أن تقول :

- أنا بس كنت عاوزه اسأل على حاجة وهمشى على طول

جذبتها أم فارس من يدها وهى تقول :

- تعالى مفيش حد هنا غيرى

دخلت مُهرة وأغلقت أم فارس الباب خلفها فوقفت خلفه ولم تتحرك خطوة واحدة وقالت بخجل :

- معلش يا طنط بجد مش هقدر أقعد ..

قالت أم فارس وهى تمسكها من يدها وتتجه للمطبخ :

- طب تعالى معايا فى المطبخ قوليلى اللى انتِ عايزاه أحسن الأكل هيتحرق

وضعت مُهرة حقيبتها جانباً على المقعد المجاور للباب وتبعتها إلى المطبخ ..وقفت مُهرة بجوارها تنظر إليها وهى تقلب الطعام فى الإنائين ، أشفقت عليها من المجهود اليومى التى تقوم به وحدها وبحركة تلقائية تناولت ملعقة خشبية كبيرة ووقفت تقلب الأرز مساعدة لها ثم قال :

- فى حاجة يا طنط عاوزه اسألك عليها بس خايفة تقلقى

ألتفتت إليها أم فارس باهتمام وقالت :

- خير يا بنتى فى أيه

ظهرعلى وجهها الأضطراب والتوتر وهى تقول :

- بقالى كام يوم بحلم بكوابيس تخص الدكتور فارس وبقوم من النوم مفزوعة

عقدت أم فارس بين حاجبيها وهى تضيف صلصة الطماطم إلى الإناء وقد تسرب القلق لقلبها وقالت :

- بتشوفى أيه فى الكوابيس دى

أضافت مُهرة مرقة اللحم إلى الإرز وقلبته مرة أخرى ثم وضعت غطاءه جيداً والتفتت إليها قائلة :

- مش هينفع أحكيه يا طنط علشان مرة ..مرة الدكتور فارس قالى أن اللى يحلم بحلم وحش ميحكيهوش لحد خالص ويستعيذ بالله وهو مش هيضره

قالت كلمتها وتوجهت للمكان المخصص للأكواب بحثت بعينيها قليلاً وما لبثت أن وجدت ضالتها ..كوبها المخصص منذ زمن طويل لا يشرب منه أحد غيرها ، لونه مميز وعليه رسومات كرتونية كثيرة مختلفة ، أبتسمت وهى تتناوله وقالت :

- مكنتش متخيلة انى هلاقيه

أطلت نظرات الإشفاق فى عينيى أم فارس وقالت بحنان :

- حاجاتك اللى هنا فى الحفظ والصون مهما غبتى هترجعى تلاقيها

لمعت عينيى مُهرة بدمعة قاتلت لإخفائها وهى تتجه للثلاجة ووضعت فى الكوب بعض المياه الباردة وما أن انتهت حتى قالت لها أم فارس :

- كنتِ عاوزه تسألينى على أيه يا مُهرة

وضعت مُهرة الكوب على رخامة المطبخ أمامها وقالت :

- الكوابيس دى مش مريحانى يا طنط .. هو الدكتور فارس عنده مشكلة ولا حاجة ؟

توترت وهى تردف :

- انا والله مش بدخل فى خصوصياته.. بس انا بخاف من أحلامى دايما وبصدقها علشان كده بسأل

هزت أم فارس رأسها نفياً وهى تقول مطمئنة :

- محكاش ليا حاجة خالص لو فى مشكلة كان أكيد حكالى ..أطمنى

قالت مُهرة وهى تومىء برأسها قلقةً :

- يارب يكون كده فعلا .. معلش يا طنط عطلتك.. أمشى انا بقى علشان عندى مذاكره كتير

كادت أن تخرج من المطبخ الا أن أم فارس تذكرت أنها لم تسألها عن أحوالها مع زوجها وخصيصا بعد المشادة التى حدثت بينه وبين فارس فوضعت يدها على كتفها من الخلف وهى تقول :

- أستنى صحيح ..عاملة أيه مع جوزك يا بنتى ياترى لسه زعلان ولا خلاص

شعرت مُهرة بالحنق لمجرد ذكر أسمه وقالت بضيق :

- تفتكرى يا طنط أنا ممكن أفكر فى زعله بعد ما كان هيمد أيده عليا بعد أسبوع واحد من كتب كتابنا

عندما وصلت لهذه النقطة سمعت المفتاح يدور فى الباب ويُفتح لتفاجأ بفارس يدخل ويغلق الباب خلفه وقد بدا عليه الإرهاق والهم الشديد بعد جلسته مع هانى منذ قليل ..ألتفت بتلقائية لينادى والدته فوجدها تهم بالخروج من المطبخ وقد احمرت وجنتاها خجلا للقاءه فى بيته، نسى همه وأرهاقه وهو مازال واقفاً مكانه خلف الباب المغلق وتسللت النشوة إلى قلبه، تناولت حقيبتها بجوار الباب بارتباك شديد ووقفت تقول بخفوت :

- أزيك يا دكتور

لم يتنحى جانباً لتخرج إنما ظل واقفاً مكانه .. لا يعلم لماذا تسمرت قدماه وأبت أن تتحرك وقد ارتسمت النشوة والبهجة على ملامحة وقال :

- أزيك انتِ يا مُهرة .. عاملة أيه

تحشرج صوتها وهى تُتمتم :

- الحمد لله

كانت تتوقع أن يتحرك جانباً ولكنه لم يفعل ..أقتربت منه والدته وربتت على ذراعه وكأنها توقظه من غفوته وقالت :

- عديها يا فارس علشان متتأخرش على مامتها

ألتفت إلى والدته محدقاً بها وكأنه لم يراها إلا الآن فقط ، أغمض عينيه وفتحهما ببطء ثم تنحى جانباً لتمر من أمامه وتحت ناظري قلبه الذى يقاتل ليزيل الغمامة التى تعصب عينيه فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لحقيقة مشاعره ، خرجت وأغلقت الباب خلفها مسرعة وصعدت الدرج فراراً ، ولكن من منا يستطيع الفرار من قلبه .

تركته والدته وعادت للمطبخ ثانية لتُتمم على الطعام فدخل خلفها ووقف مستنداً بذراعيه على باب المطبخ قائلاً :

- مالها يا ماما فى حد ضايقها تانى

هزت رأسها نفياً وقالت :

- لا مفيش دى كانت بتسلم عليا بس

وقع بصره على الكوب الموضوع فوق رخامة المطبخ فارتسمت ابتسامة واسعة على شفتيه .. تقدم نحوه وأخذه ونظر إليه جيدا وهو يقول :

- طول عمرها مبتحبش تشرب غير من الكوباية دى

نظرت له والدته بدهشة وهو يتوجه إلى الثلاجه ويصب فيه بعض الماء البارد ويشرب بشكل تلقائى ولكن بحماس شديد.. وبتلذذ!

أنتهى ووضعها مكانها كما هى وخرج ليبدل ملابسه تحت ناظري والدته التى كانت تدعو الله بقلبها أن يرزقه راحة البال والقلب .

بمجرد أن جلسا حول مائدة الطعام قالت والدته :

- أومال مراتك مجاتش ليه يابنى لحد دلوقتى

عقد بين حاجبيه بضيق وقال :

- عاوزه تقعد فى بيت امها يومين

وكأنهما استدعاها حينما تحدثا عنها فلم يكد ينتهى من كلمته حتى سمع رنين هاتفه النقال أخذ الهاتف وأجابها فقالت على الفور:

- أيه يا فارس قافل تليفونك ليه

ظهرت الدهشة على وجهه وقال :

- أنا مقفلتش التليفون النهاردة خالص

تصنعت الدهشة وهى تقول :

- معقوله أومال كان بيدينى مغلق ليه

ثم استدركت وهى تقول :

- أومال أنت كنت فين من ساعتين كده لما كان بيدينى مغلق

- كنت مع المتهم بتاع قضية القتل

أدعت المرح وهى تقول :

- شكلك كده وافقت على القضية

هز رأسه نفياً وهو يقول :

- لاء رفضتها

أبتلعت ريقها بصعوبة فهذا ما كانت تتوقعه إلا أنها كان لديها بصيص من الأمل فى أن يقبلها ويريحها مما هى مقدمةً عليه .. قالت بتماسك :

- بلغت والده بالرفض ولا لسه

- لا لسه لما أروح المكتب بالليل هخلى السكرتارية تبلغه علشان يجى كمان ياخد الأوراق بتاعة القضية

شعرت بالوهن يدب فى أوصالها فهاهى ستضطر أن تلجأ إلى أكثر شخص تبغضه على وجه الأرض وسمعته ينهى المكالمة قائلا:

- طب معلش يا دنيا هقفل دلوقتى علشان ألحق أخلص غدا وأنزل

قالت بلهفة :

- رايح المكتب بدرى كده

- لالا أنا عندى ماتش كده مع الدكتور بلال وعمرو ويمكن اروح المكتب متأخر شوية ..يلا سلام

أنهى مكالمته بينما قالت والدته باهتمام:

- ليه يا فارس هتسيبها تقعد لوحدها يابنى فى حاجة مزعلاها ولا ايه ..طب شوف ايه اللى مزعلها .. مينفعش تقعد لوحدها كده ..دى دلوقتى بقت يتيمة يا فارس

نظر لها فارس وهو يشعر بالإشفاق تجاه والدته لطيبتها الزائدة حتى مع من يُسيئون معاملتها وقال :

- مفيش حاجة يا ماما.. هى طلعت فى دماغها النهاردة الصبح أنها تروح هناك شوية وصممت .. خلاص براحتها

نظرت له والدته بريبة ثم تذوقت الأرز وهى تتمتم بإعجاب :

- والله شاطرة

رفع فارس رأسه ناظراً إليها بتسائل وقال :

- مين دى اللى شاطرة

قالت والدته وهى تتناول طبقها :

- ولا حاجة .. مُهرة أصلها نفسها حلو فى الرز

رفع حاجبيه وقال :

- هى اللى عملته ؟!

أومأت برأسها وهى تكمل طعامها دون أن تنظر إليه فقال :

- فين طبق الرز بتاعى يا ست الكل

رفعت رأسها بدهشة وقالت :

- أنت مش قلت بتحب السبانخ مع العيش

مط شفتيه قائلا:

- هجربها مع الرز

نظرت له والدته وهو يأكل الإرز بإعجاب شديد وكأنه لم يأكله من قبل، فلاحت ابتسامة صغيرة على جانبى شفتيها رغماً عنها ، وبعد أن انتها من طعامهما ..أعد فارس الشاى كما يفعل دائماً ...وضع واحدة أمام والدته التى قالت :

- أنت هتقابل عمرو والدكتور بلال النهاردة

أرتشف رشفة منه وأومأ برأسه قائلاً :

- أيوا عندنا ماتش النهاردة بعد صلاة العصر على طول .. يدوبك أخلص وأرجع أغير هدومى وانزل على المكتب

أنهى فارس أغتساله وبدل ملابسه وارتدى حلته الرياضية استعداداً لماتش الملاكمة

****

نظر باسم لرقم الدنيا الذى تتضىء به شاشة هاتفه النقال بانتصار وخبث فقد كان متأكداً من اتصالها ولجوئها إليه من أجل المال فلقد صدق ظنه بها بل وثقته فى طمعها ... أجابها بترحاب شديد فقالت باقتضاب وهى تشعر بالتقزز منه وقالت :

- خلصنى وقولى هتعمل ايه.. فارس هيبلغ الراجل رفضه النهاردة

أصابه التوتر والقلق وقال بسرعة وهو يعتدل فى جلسته :

- لاء لازم تعطليه النهاردة بأى شكل .. مش لازم يكلم الراجل النهاردة خالص.. وإلا كل حاجة هتبوظ

قالت بتأفف :

- أمنعه ازاى يعنى أنا أصلا فى بيت ماما مش معاه وبعدين انت ناوى تعمل ايه انا لسه معرفش لحد دلوقتى ..

هتف بغضب :

- أنتِ غبية ولا ايه.. سبتى البيت ليه دلوقتى

صرخت به :

أنت أيه يا أخى مبتحسش ..انا مش عارفة انت ناويله على ايه .. مش قادره أحط عينى فى عينه

أطلت من عينيه نظرات بغض شديده وهو يقول :

- هعدى عليكى بالعربية دلوقتى ..هنروح مشوار مهم وهناك هقولك انا ناويله على أيه بالظبط

ضحكت ضحكة عصبية وهى تهتف :

- أنت عاوزنى اقابلك انت .. فى حد يروح يقابل التعبان مرتين

ضغط حروف كلماته بغل واضح وهو يقول :

- أسمعى بقى ..أنتِ وافقتى تتعاملى معايا بمزاجك مرة تانية يعنى لازم تكملى للآخر ومتخافيش يا أموره انا مش عاوز منك حاجة.. المقابلة هتبقى فى الشارع .. ولو خايفة أوى كده من مقابلتى هقولك هنتقابل فين علشان تطمنى

قالت بسرعة :

- فين ؟

نظر أمامه بحقد دفين وهو يقول :

- مباحث أمن الدولة

أتسعت عيناها رعباً وهى تردد خلفه :

- مباحث أمن الدولة !

غير نبرة صوته وهو يقول :

- متخافيش أوى كده .. أنا ليا واحد صاحبى هناك هيظبطنا فى الحكاية دى .. كل اللى عليكى انك تقدمى بلاغ صغير وملكيش دعوة بالباقى

هتفت ساخطة :

- وهقول ايه فى البلاغ ده واشمعنى انا اللى أقدمه

- أنتِ مراته .. يعنى بلاغك هيبقى أهم من عشرين بلاغ تانى.. متنسيش أحنا عاوزينهم يتحركوا بسرعة قبل ما يتصل بالراجل ويبلغه بالرفض ..ومتخافيش عليه يا ستى محدش هيلمسه ..هما بس هيضايفوه عندهم لحد ما القضية تخلص والفلوس تبقى بتاعتنا

قالت وكأنها منومة وقد أنتزعت أرادتها :

- وهقول ايه فى البلاغ ده

أبتسم وهو يقول :

- هتقولى أنك شاكه أنه منضم لخلية أرهابية وأنه بيجتمع بناس معينة فى البيت عندكوا وبيتكلموا فى السياسة.. وحطى أسم أى حد من صحابه.. ويا سلام لو مربى دقنه

تقطعت أنفاسها وانقبض صدرها وهى تقول :

- بس أنا معرفش حد من صحابه غير أتنين بس .. وواحد فيهم مربى دقنه

- ممتاز أوى حطى أساميهم الاتنين

صمتت وقد شعرت أن السماء والأرض تلعنها وضاقت بها جدران بيتها وانقبض عليها فلم تسمح لها بالتنفس، فشعرت بأضلاعها تتمزق صارخةً ببغضها تود الهروب ببعضها من بعضها ... لم ينتظرها حتى تستيقظ مما هى فيه وقال بسرعة :

- أنا مش عارف انتِ قلقانة من أيه.. قلتلك محدش هيلمسه بأى أذى ..صاحبى اللى هناك أكدلى كده ..كل الحكاية أننا هنكسب وقت لصالحنا مش أكتر من كده.. ومحدش هيعرف أن انتِ اللى بلغتى ولا حتى فارس نفسه ..ها قلتى أيه

أبتلعت ريقها وقت أمتقع وجهها بشدة وتحجرت مقلتيها وقالت بصوت مسحوق بأقدام الطمع:

- موافقة

****

وقف بلال على الحلبة وحيداً وهو يلوح لهما بذراعيه تارة ويضرب يديه بعضهما فى بعض تارة أخرى فتصدر قفازات الملاكمة التى يرتديها صوتاً عاليا وهو يهتف بهما :

- أيه محدش قادر يواجهنى ولا أيه

دفع عمرو فارس للحلبة وهو يقول لبلال :

- لالا أوعى يغرك جسمك .. أنت باين عليك متعرفش فارس .. ده أيده طارشة

دفع فارس يد عمرو بعيدا عنه ثم صعد إلى الحلبة وقال لـ عمرو :

- طول عمرى بقول عليك ندل ياض

بدا بلال يلاعبه بمرح شديد ويعلمه بعض الفنون التى تجعله يتفادى الضربات بحرفية شديدة ولقد كان فارس تلميذ بارع ..تعلم سريعاً وبدا يناوش بلال ببعض الضربات الخاطفة ولكنه لم يفلح فى أصابته إلا مرة واحدة ..ألتفت بلال إلى عمرو وهو يلوح له بالصعود هاتفاً :

- يالا يا عمرو دورك جه

صعد عمرو على مضض وهو يقول :

- انا لله وانا إليه راجعون الله يرحمك يا عمرو كنت أمور ومسمسم الله يرحمك يا غالى

ضحكا فارس وبلال وتنحى فارس جانباً ليصبح عمرو فى مواجهة بلال .. شعر بلال بالنشوة وهو يداعب عمرو بضربات لا تصل إليه إلا قليلاً مما أغرى عمرو على التقدم وصد تلك الضربات ... بعد قليل وقف بلال بينهما يلعب دور الحكم ، وبدأ عمرو وفارس فى مناوشة بعضهما البعض ، طالت المناوشات ولكن فارس كان متقدم على عمرو كثيرا فاستطاع أن يوجه له ضربات عدة مما جعل عمرو يشعر باليأس فوجه إلى فارس ضربة

غير مدروسة لم يراعى فيها المسافة بينهما رغماً عنه فاصابته فى فكه مباشرة واندفعت الدماء من فم فارس بغزارة

أمتقع وجه عمرو واقترب منه بلال بسرعة يحاول أسعافه حتى توقفت الدماء تماماً جلس عمرو يساعده وهو يعتذر لفارس قائلا :

- أنا آسف والله ما اقصد يا فارس .. معلش انا غشيم

أعتدل فارس فى جلسته بمساعدة بلال وعمرو وضربه فارس على كتفه بقوة وهو يهتف به :

- يخربيت العمى الحيسى اللى انت فيه يا أخى.. هروح شغلى أزاى دلوقتى

ساعده بلال على النهوض وهو يقول :

- لا شغل أيه بقى ده انت بؤك وارم خالص.. أرتاح النهاردة

****

هبطت دنيا على سلم مبنى مباحث أمن الدولة بعد أن قدمت بلاغها وقالت ما حفظته سابقاً بالاتفاق مع باسم ..ألتفت إليه وهو يهبط بجوارها ونظرت إليه بأشمئزاز وهى تقول :

- المفروض أيه الخطوة اللى جايه

قال باسم وهو ينظر أمامه بتفكير:

- هتروحى البيت دلوقتى وتحاولى تعطليه علشان ميروحش المكتب النهاردة.. والنهاردة قبل الفجر هيعملولوا زيارة ليلية

وضعت يدها على صدرها بخوف وقالت:

- بسرعة كده

وقف أمام سيارته والتفت إليها قائلا:

- الناس دى مش محتاجة تحريات .. وجوزك سهل علينا الأمر وساب دقنه .. وده دليل اتهام كافى علشان يبقى أرهابى يا مدام .. أنتِ مش عايشة فى البلد دى ولا أيه!

****

عاد فارس للمنزل فى آخر اليوم بعد أن ودعه عمرو وبلال عند باب المنزل وتركاه وأنصرفا ... ضربت والدته على صدرها وهى تنظر لفكه المصاب وقالت بلوعة:

- ايه اللى عمل فيك كده يا فارس

لف ذراعه حول كتفها وهو يقول مداعباً:

- متقلقيش كده يا ماما دى أصابة ملاعب

حاولت أن تتحسس مكان الأصابة قائلة :

- أنا بكلم جد.. مين اللى عمل فيك كده

حاول أن يضحك ولكنه تألم وقال :

- الواد عمرو الله يخربيته.. ده مش بيلعب ده بيطبش.. صحيح على رأى المثل ألعب مع اللئيم ومتلعبش مع العبيط

دخلت دنيا المنزل خلفه تماماً وأغلقت الباب خلفها وتبادلا نظرات الدهشة بين بعضهما البعض فقال :

- أنتِ مش قلتى هتباتى يومين هناك

قالت :

- رجعت فى كلامى.. بس انت مين عمل فيك كده

تركها واستدار ليجلس على المقعد وقال :

- مفيش دى حاجة بسيطة .. بكره هبقى كويس ان شاء الله

خفق قلبها هى تقول :

- يعنى مش هتروح المكتب النهاردة

أومأ برأسه دون أن يتكلم فقالت بسرعة :

- طب خلاص ارتاح انت وانا هلبس وأروح دلوقتى وهبلغه باللى انت عايزة

بدلت ملابسها فى غرفتها وهى شاردة الذهن، يكاد قلبها أن يقفز من حنجرتها من شدة الخوف من المستقبل، نظرت لنفسها فى المرآة فوجدت علامات الريبة تحتل ملامحها وصدق من قال ..يكاد المُريب أن يقول خذونى ..حاولت أن تتماسك وتجمدت ملامحها وخرجت من الغرفه ووقفت أمامه تنظر إليه كأنها تودعه وقالت :

- أنا ماشية.. عاوز حاجة

أشار إليها قائلا:

- متنسيش تبلغى السكرتارية يتصلوا بالراجل صاحب القضية ويبلغوا رفضى علشان يجى ياخد ورق القضية ويلحق يشوف محامى تانى

أومأت برأسها واتجهت للباب فاستوقفها منادياً :

- دنيا

وقع قلبها بأخمص قدميها وهى تلتفت إليه بعينين زائغتين فقال :

- ساعتين بالظبط وارجعى .. متتأخريش علشان مترجعيش بالليل متاخر لوحدك

أبتلعت ريقها وهى تسمع كلماته وأومأت برأسها وقالت :

- حاضر

***

ذهبت دنيا للمكتب وحضر إليها وائل واتفقا على تنفيذ الخطوات الاحقة .. ستتصدر هى القضية وسيتولى هو وباسم أمر الشهود وأمر ورقة التحريات التى ستُنتزع من ملف القضية لتصبح منعدمة الأدلة، خافت دنيا أن تعود للبيت وهى تعلم ما سيحدث قبل الفجر بدقائق، أتصلت بوالدة فارس وأبلغتها أنها ستضطر إلى الذهاب إلى شقة والدتها لانها قد نسيت هاتفها وبعض أشياءها الخاصة هناك ، وربما ستضطر للمبيت ، لم توقظه والدته لتُخبره بامرها وعزمت أن تخبره فى الصباح خوفاً من ردة فعله وهو منهك ومصاب هكذا

****

دقت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، ولكنها لم تدق وحدها ، لقد تبعتها دقات عنيفة على باب المنزل ..أستيقظ فارس فزعاً وكذلك والدته ولكن الدقات لم تنتظرهما ، كُسر الباب عنوة ليدخل زوار الفجر إلى المنزل باندفاع محطمين ما فيه، يبحثون عن أى شىء يدينه، ظل يصرخ بهم وهو يحمى والدته بذراعيه :

- أنتوا مين ، وبتفتشوا على أيه وفين أذن النيابة

خرج أحد الرجال من المطبخ وهو يرفع سكينة كبيرة قائلا :

- لقيت سكينة دبح كبيرة يا فندم وورق ألمونيوم

هتفت والدته :

- وفيها أيه دى حاجات المطبخ

خرج رجل آخر من الشرفة وهو يقول لنفس الرجل :

- لقينا تراب فيه حبات ظلت صغيرة يا فندم

تناول الضابط الذى كان يلقى الأوامر للجميع الأشياء الثلاث وقال موجهاً كلامه لفارس :

- رمل وظلت وورق الومنيوم ..أنت بتصنع قنبلة يديوية فى بيتك ولا ايه

أدرك فارس أنه مأخوذ لا محالة وأن دفاعه عن نفسه لن يجدى فقال بهدوء :

- ده مش رمل ده تراب بنزرع بيه فى البلكونه قصارى الزرع بس انا عارف انه هيتكتب رمل

أومأ الرجل برأسه ساخرًا وقال :

- شاطر

ثم صرخ فى الموجودين جميعاً ...هاتووا

****

وقف بلال يسد باب غرفة نومه بعد أن هتف بزوجته آمرا بارتداء ملابسها فورا وبأقصى سرعة ، أرتدت عبير ملابسها وهى تصرخ به :

- مش معقول هيدخلوا عليا الأوضه وانا كده

صرخ بها :

- ألبسى بقولك بسرعة

وبسرعة البرق وقبل أن يتكاثر عليه الرجال ويدفعوه بقوة ليدخلوا غرفته، كانت قد وضعت نقابها على وجهها ..دفعهم وهو يمر من بينهم ليحميها منهم وهم ينقضون على فراش السرير ليمزقونه بالمطواة ويخرجون ما به ويقلبون الخزانات والملابس التى بداخلها فيمزقونها عنوة ، أحاطها بذراعيه هى ووالدته وأبناءه من خلفه..لقد كان كل همه أن لا تنكشف زوجته ولا أمه على أحد منهم ،وعبير تردد بجسد مرتجف وهى متشبثة بظهره :

- اللهم اكفيناهم بما شئت وكيف شئت ...

وبعد أن انتهوا تكاثروا عليه مرة أخرى ليأخذوه معهم .. حاولت والدته أن تتشبث به تمنعهم ولكنهم لم يراعوا حرمة ولا امرأة عجوز .. دفعوها بمنتهى العنف وهم يقذفونها

باقذع الألفاظ لتسقط على رأسها مغشيا عليها فى الحال وخرجوا وتركوا البيت فى حالة دمار ..أمرأة مغشياً عليها وأخرى ترتعتش وتنتفض وتنتحب زوجها وحبيبها وأطفال يصرخون أبيهم ... أما عند عمرو فلم يكن الأمر بأقل منهما شأنًا، دمارا فى كل مكان وأثاثاً مبعثر وممزق فى كل مكان ومحطم وامرأة خلفها زوجها صارخة باكية جزعة تنادى على زوجها فلا تجد من يرد النداء .

****

الفصل الخامس والعشرون

كيف تنام العيون وقد فقدت كل الأحبة فى ليلة واحدة ، كيف ترتاح القلوب بين الصدور اللآهجة.. ألتف الجميع حول النساء الثكالى فى بيت أم فارس محاولين أن يخففوا عنهم ولكن كيف السبيل لذلك.. دفنت مُهرة وجهها فى صدر أم فارس تبكى وهى تستمع لكلام عزة وعبير عن ما حدث معهم هم أيضا فى بيوتهم قبل الفجر ، كل منهن تبكى دماً بعد أن جف نبع دموعهن ..الناظر إليهن لا يعلم من يواسى من ، ومن يطمئن من ، ومن يربت على كتف من .. الجميع مكلومين فى أحبائهم ، كل منهن تحتاج إلى صدر حنون يضمها ويطمئنها على رفيق دربها

ولقد كانت مُهرة هى ملهمتهم فى ذلك عندما ألقت نفسها بين أحضان أم فارس تبكيه وتخفف عنها فى نفس الوقت..كذلك فعلت عبير عندما ألقت نفسها فى حضن أم بلال وكذلك فعلت عزة وهى بين ذراعى أم عمرو وكأنهن بهذه الأحضان يتساندون ويشدوا أزر بعضهم البعض فالمفقود واحد .. ألتف حولهن بعض الجارات يستمعون لماساتهم محاولين التخفيف عنهن ومواساتهن ببعض كلمات الصبر ...بينما ذهب الرجال يبحثون عنهم فى كل الأقسام وبنايات أمن الدولة المبعثرة فى كل مكان ، وفى النهاية عادوا بخفى حنين.. لاشىء ..غير

موجودين فى أى مكان بشكل رسمى
وقف والد عمرو على باب شقة أم فارس من الخارج هو وبعض الرجال وقال بغضب وهو يكاد يمنع نفسه من البكاء بصعوبة هاتفاً:
- لفينا الاقسام كلها وروحنا كل مبنى بيقولوا عليه بتاع أمن الدولة.. وبرضة مفيش حس ولا خبر عنهم هما التلاتة هيكونوا ودوهم فين يعنى
رد والد عزة بحنق:
- للدرجة دى أى حد يتاخد من بيته بسهوله كده ويختفى ومالوش أثر ..أحنا فى مصر ولا فى شيكاغو
تدخل محمود أخو عمرو قائلا:
- أنا عارف كل ده ليه علشان اصحابه مربين دقنهم
أجابه يحيى:
- طب وأيه المشكله يعنى
قال محمود:
- المشكلة ان أى واحد مربى دقنه يبقى أرهابى وش
هتف مينا أبن العم عامر جارهم قائلا:
- يا سلام طب ما أحنا عندنا القس مربى دقنه هو الموضوع بالدقن يعنى
تمتم محمود حانقاً:
- يا عم انتوا مسيحين أحنا بنتكلم على المسلمين دلوقتى
قال عامر بحزن:
- يابنى انتوا جرانا من زمان وعمرنا ما شوفنا منكم حاجة وحشه .. فارس وعمرو وصاحبه بلال اللى زى المرهم ده.. يتعمل فيهم كده ليه ..أرهاب أيه وبتاع أيه .. الأرهاب ده مبنشفهوش غير فى الافلام والمسلسلات
ربت الحاج عبد الله على كتف عامر وهو يقول مؤكدا:
- معاك حق والله يا عامر متزعلش من محمود ميقصدش
قال والد عمرو مقاطعاً:
- طب دلوقتى هنعمل أيه.. هندور فين ولا هنلاقيهم ازاى بس يا ناس
أنتبه يحيى فجأة وقال:
- هى مش مرات الأستاذ فارس محامية.. أكيد هى ممكن تعرف تتصرف هى والمحامين اللى فى مكتبه
تقدم والد عمرو بسرعة وطرق باب الشقة المفتوح وهو يقول:

- يا ست أم فارس أومال مرات الأستاذ فارس فين ..أكيد هى محامية وهتعرف تتصرف
رفعت عزة رأسها من صدر أم عمرو وقالت بلهفة:
- ايوا يا طنط الله يخليكى هى فين يمكن تعرف تلاقيهم
صوب الجميع نظره إليها ، حتى مُهرة رفعت رأسها تنتظر جوابها فقالت وهى تمسح دموعها بكلتا يديها:
- مرضتش أتصل بيها وهى لوحدها وابلغها.. أتلهيت فى اللى حصل وخفت اقولها وهى لوحدها يحصلها حاجة ..كلمتها بس وقولتلها تيجى ضرورى ومش عارفة اتاخرت ليه لحد دلوقتى ؟!
أستندت عبير إلى ظهر أريكتها وأغمضت عينيها المتورمتين من البكاء فى حسرة وقد لاحت صورته فى عقلها وومض به قلبها وهى تستمع إليه وهو يقول لها بمرح:
- أوعى تاخرى الصلاة مرة تانية فاهمة ولا افهمك بطريقتى
وجدت الأبتسامة المتألمة طريقها إلى شفتيها وهى ترى ملامحه المداعبة لها وهى تتذكره وهو يداعب أطفاله بشغف طفولى ويجرى بينهم وهم يحاولون أمساكه ولا يستطيعون فيقفز ليعبر واحدا ويلتف حول الآخر بخفة ويجرى من الطفلان الآخران بسرعة ليدور حول المائدة وهم يدورون خلفه ويسقطون من فرط ضحكاتهم المجلجلة قبل أن ينجحوا فى الأمساك به أخيرا فيتكاثروا عليه ويتصنع هو السقوط فيتكالبون فوقه وهو يصرخ بمرح مستنجداً بها أن تنقذه من بين براثنهم.
فرت دمعة من عينيها واعتصر قلبها من الألم.. دخلت دنيا شارعهم وهى ترتدى نظارة سوداء تخفى بها عينيها وجزء كبير من وجهها ومرت بين نظرات الناس حولها المشفقة عليها ومما حدث لزوجها فجراً .. صعدت الدرج فى اضطراب وهى ترى الرجال مجتمعين أعلى الدرج أمام شقة زوجها ..تنحوا جانباً عندما رأوها وهم يقولون:
- قلبنا معاكى يا بنتى
عبرت من بينهم ودخلت الشقة لترى هذا الجمع الغفير من النساء وترى مُهرة بين ذراعى أم فارس وعيناها تكاد تختفى من كثرة البكاء ودموعها التى لا تجف ..كان الوضع أشبه بمأتم أجتمعت فيه النساء فقالت فى تلعثم:
- خير فى ايه يا طنط ايه اللى حصل
نظر لها الجميع بإشفاق حتى مُهرة نظرت لها برحمة وشفقة وهى تتوقع رد الفعل بعد علمها بما حدث.. وقفت أم فارس واقتربت منها وهى تبكى وقالت:
- فارس خدوه يا دنيا.. دخلوا علينا قبل الفجر وخدوه من وسطينا
قالت باضطراب وهى متوترة:

- هما مين دول؟
نظر لها الجميع بدهشة كبيرة فرد فعلها لا يتواكب مع ما تسمع من والدته بينما قالت أم فارس:
- بيقولوا أمن الدولة يابنتى.. ومش هو وبس لا كمان خدوا عمرو وبلال معاه
كان لابد أن تظهر بعض رد الفعل وإلا شك بها الجميع فتصنعت البكاء ولكنها لم تخلع عنها نظارتها السوداء حتى لا يعلم الجميع بخداعها ..أستندت إلى الحائط وأخذت تشهق بقوة وهى تضع يدها على فمها.. ربتت أم فارس على كتفيها وهى تقول:
- امسكى نفسك يابنتى ده انتِ اللى المفروض تقوليلنا نعمل ايه أحنا مش لاقينه فى أى حته
تماسكت دنيا سريعاً وتناولت منديلاً لتجفف دموعها التى لم تنزل أصلاً وهى تقول:
- معاكى حق يا طنط ..أنا هدور عليه فى كل حته لحد ما الاقيه عن أذنكم

وخرجت سريعاً وهى تشعر أن بكائهم قد أصبح لعنة تطاردها أينما ذهبت .. نظرت النساء إلى بعضها البعض متعجبةً من رد فعلها ولكن عادوا إلى ما كانوا عليه منذ قليل.. كلَ يبكى على ليلاه !.

***

عادت دنيا إلى بيت والدتها وأول ما فعلت أجرت اتصالاً هاتفيا بباسم الذى أجابها بسأم شديد :
- أيوا يا دنيا خير ؟
قالت فى سرعة:
- عاوزه اطمن عليه .. وأطمن أمه
زفر فى ضيق وقال حانقاً:
- هو طلع رحلة يا دنيا وعاوزة تطمنى عليه ..أنتِ عارفة كويس هو فين ولا ناسية
هتفت بغضب:
- أمه هتموت نفسها عليه حرام عليك
صاح غاضباً:
- هتعمليلى فيها حنينة ياختى ولا أيه.. ولا تكونى ناسية انك انتِ اللى بلغتى عنه يا ام قلب حنين
تحشرج صوتها وقالت ببكاء:

-عارفة انى أنا اللى أتزفت وبلغت.. بس عاوزه اطمن امه .. أنت وعدتنى محدش هيأذيه
رفع حاجبيه مندهشاً من كلامها الذى هو عكس تصرفاتها تماماً وقال ساخراً:
- والله انتِ لُغز يا دنيا.. طب لما انتِ قلبك عليه كده وافقتى ليه من الأول
هتفت باكية:
-علشان هو اللى اضطرنى لكده بغباءه ومثاليته الزايدة.. فاكر نفسه عايش فى الجنة
صمت باسم قليلاً ثم قال بهدوء حاسم:
- بصى يا دنيا.. أنا هتكلم فى الموضوع ده لآخر مرة علشان زهقت منه ومش عاوز وجع دماغ تانى.. فارس هيفضل فى المعتقل لحد ما القضية تتقفل وتخلص خالص .. يعنى أربع خمس شهور بالكتير.. وصلى الكلام ده لأهله بطريقتك المهم متوجعليش دماغى تانى.. فاهمة؟
أبتلعت ريقها بصعوبة وهى تحاول تنظيم أنفاسها وهى تمسح دموعها بتوتر وقالت:
- طب وهنعمل أيه فى القضية؟
رفع حاجبية متهكماً وقال:
-أيوا هو ده المهم دلوقتى.. كده انتِ دنيا اللى انا اعرفها ...ركزى معايا كده وفتحى مخك..
أستمعت إليه باهتمام وتركيز وهو يقول:
-أولا مفيش مخلوق فى المكتب عندكوا هيعرف بحكاية الاعتقال دى ..ولا حتى الدكتور حمدى وكويس أن نورا أجازة علشان هى اللى هتعمل قلق ومكنتش هتسكت ..دلوقتى انتِ المسؤلة عن كل حاجة فى المكتب ..وده فى صالحنا ..علشان كده عاوزك أول حاجة تعمليها أول ما تروحى المكتب النهاردة تكلمى الراجل صاحب القضية وتبلغيه ان فارس طالب الأتعاب وبعد ما توصلك الفلوس هقولك الخطوة اللى بعدها
قالت معترضة:
- لاء لازم أعرف كل حاجة دلوقتى

زفر بقوة ثم قال بملل:
-هقولك ..أنا خلاص وصلت لسكرتير النيابة اللى هيسحبلنا الورق المطلوب من ملف القضية قبل ما تروح على المحكمة ..وهتفاوض معاه النهاردة على المبلغ اللى هياخده .. ومش كده وبس ..أنا كمان وصلت لشهود الأثبات وبرضة هتفاوض معاهم على المبلغ .. والفلوس اللى هتاخديها من الراجل فى اقرب وقت هنكيشهم منها .. وكده لا هيبقى فيه دليل ولا شهود والحادثة هتبقى قضاء وقدر..ومش مقصودة والواد يطلع من عقوبة القتل العمد وبعد كده ممكن نفاوض أهل القتيلة لما يبقوا فى موقف الضعيف وممكن ساعتها يتنازلوا

بقرشين وتبقى القضية بخ.. فهمتى
قالت بشك:
- طب ماهو محامى البنت اللى ماتت ممكن يقدم فى المحكمة صورة من الورقة اللى هتتاخد دى وساعتها يتهمونا بالتزوير
قال بثقة مخلوطة بالسخرية:
- وانتِ يعنى فاكرة أن حكاية زى دى تعدى عليا.. المحامى بتاعهم أطلع على القضية بس ومصورش منها نسخة يعنى مفيش فى أيده ورق ضد يتكلم بيه..فهمتى يا فالحة

أعتدل فى جلسته ولمعت عينيه بخبث وهو يقول:
- ومذكرة المرافعة انا اللى هكتبهالك وهتحفظيها زى ما هى كده علشان تجلجلى بيها فى المحكمة ولما الحكم يتغير شوفى بقى ساعتها أسمك هيلمع ازاى..
لمعت الفكرة فى رأسها فلقد عرف باسم كيف يقضى على النبضة الأخيرة من نبضات ضميرها .. تخيلت حكم البراءة وكيف سيلع أسمها بعد ذلك فى سماء المحاماة لتتهافت عليها القضايا كما حدث مع فارس ويقصدها الناس ولكنها لن تفعل مثله ، لن تعيش بمثاليته التى دمرته وستدمره ، سيكون الحكم الوحيد فى قبول أى قضية هو الأتعاب ، فقط ليس إلا.. وستخطو فى نفس طريق باسم فى حل القضايا الشائكة ... وضعت الهاتف بجانبها وقد نسيت تماماً أمر فارس ، ولم تعد تذكر إلا مستقبلها فقط ..والذى ستجنيه من خلفه

حل المساء على النساء وحالهن هو البكاء .. لا يزلن مجتمعين فى بيت أم فارس ما بين متضرعة وباكية ومنهارة.. مُصابهن واحد ، يتلمسن أى خبر ولو غير مؤكد أى شىء يطمئنهن على الأزواج والأحبة ورفقاء الدرب ولكن لاشىء.. كأنهم اختفوا وذهبوا جميعاً ..خلف قرص الشمس ..ولم يعثروا على أجابة شافية من أى جهة.. الأجابة الوحيدة التى وجدوها كانت عن طريق دنيا ، بعد أن أبلغتهم بها فى الهاتف وقالت:
-عرفت أنهم فى المعتقل.. بس لسه مش قادرة أحدد مكانهم بالظبط ولا حتى قدرت أعرف تهمتهم أيه..
ثم أردفت وكأن أمرهم لا يعنيها:

-انا هفضل بقى فى بيت ماما لحد ما نعرف طريقهم هناك بتحرك أسرع ..سلام

وقبل منتصف الليل بقليل نهضت أم عبير وهى تمسك بيد أم بلال قائلة:
- يالا يا حجة أحنا هنروح تعالى معانا
قالت أم بلال وقد بلغ منها التعب والحزن مبلغهم:
- مينفعش يا أم عبير أنا هروح البيت

قالت أم عبير بتصميم:
-لاء هتروحى لوحدك فى البهدلة اللى حصلت دى أزاى.. طب على الاقل باتى معانا النهاردة
تدخلت عبير وقالت لوالدتها:
- معلش يا ماما انا كمان هروح بيتى ..

ثم نظرت أمامها فى شرود وهى تقول:
- بيت بلال ميتقفلش أبدا مهما حصل
ذهب الجميع وتركوا أم فارس وحدها على وعد اللقاء فى اليوم التالى لبداية رحلة بحث جديدة... ذهب الجميع وبقيت مُهرة بجوارها بعد أن قالت أم فارس لوالدتها وهى تتشبث بها فى حضنها:
- سيبيها معايا النهاردة يا أم يحيى

أغلق باب الشقة عليهما وحدهما ..ظلت مُهرة بحضنها تتلمس فيها رائحته بينما ظلت أمه متشبثةً بها تتلمس فيها قلبه... رفعت مُهرة رأسها قائلة:
- يالا يا طنط قومى ارتاحى فى اوضتك شوية ..أنتِ تعبانة أوى
نهضت أم فارس بمساعدتها ولكنها قالت:
- لا انا عاوزه انام فى أوضة ابنى

ثم عادت للبكاء مرة أخرى وهى تقول:
- وحشنى أوى يا قلب امه
أنهمرت الدموع من عينيى مُهرة وهى تحاول تهدئتها وتقول بصوت متقطع:
- أنتِ كده هتتعبى بزيادة وكمان مخدتيش الدوا النهاردة..
أخذتها مُهرة إلى غرفته .. كانت مبعثرة أشيائها وأثاثها نتيجة الاقتحام الغاشم المباغت..
عدلت مُهرة من وضع الفراش وساعدتها على الأستلقاء فوقه وجلست بجوارها وهى لا تعلم

هل تداوى جرح أمه أم تداوى جرحها الغائر .. تناولت والدته الدواء من يدها وأغمضت عينيها بعد أن شعرت أن سقف الغرفة يدور حول نفسه وراحت فى سبات عميق..
ظلت مُهرة تنظر حولها تتلمس أشياءه المبعثرة فى تأثر ودموع صامته حتى غابت عن الوعى وهى تجلس على مقعده خلف مكتبه الصغير ..أبت أن تنام على فراشه التى تقاسمه فيه امرأة أخرى ، خافت أن تشتم رائحتهما معاً ممزوجة فى بعضهما البعض.. كانت تعلم أنه لايسمح لأحد غيرها بأن يعبث بمكتبه لذلك فضلت أن تنام خلفه وهى متأكدة أنه لم يلمسه بعده سواها.

***

لا يستطيع أن يتكلم أحد عن الظلم إلا من ذاق مرارته ولا يقدر أحداً على وصف الظلام الا من عاش فيه... كانت غرفة أقل ما يقال عنها نتنة الرائحة تفوح منها رائحة النجاسة لا يوجد ولا حتى نافذة صغيرة ،لا يوجد إلا بصيص نور صغير يأتى من أسفل عقب الباب الحديدى لا يصدر عنها سوى صدى صوت الأنين الهامس والتأوهات الخافتة التى تخشى من الظهور رغم عِظم اللآلم ...والصمت هو سيد الموقف ... لا يقطعه سوى تمتمت بلال لبعض آيات القرآن ... همس عمرو فى أذن فارس قائلا:
- أحنا هنا من امبارح ومحدش قالنا تهمتنا أيه ولا حد عبرنا
مال فارس على أذنه وقال همساً:
- شكلنا كده مش جايين هنا رسمى وإلا كانوا حققوا معانا
شق الصمت صرير المزلاج الحديدى وهو يدور ليفتح من الخارج ويُرمى على الأرض شخصاً آخر لا يعرفونه.. شهق الجميع وانتفضوا عندما دققوا النظر به ..لقد كان عارياً تماماً ومؤخرته تنزف دماً... كان الرجل يأن أنات متواصلة دون أنقطاع وهو مازال مكانه لم يتحرك.. تردد بلال قليلا ثم اقترب ببطء وهو يتفحص وجهه فوجده متورماً تماماً حتى أنه لا يستطيع لأحد أن يتعرف على ملامحه أو يميزه... حاول بلال المساعدة ولكن الرجل انتفض للمسته لذراعه ثم زحف إلى ركن من أركان الزنزانة بعيدا عنهم وظل يبكى ويأن حتى انقطع صوته تماماً فظنوه قد نام من التعب من شدة التعذيب ... أنتفض عمرو وقد أدرك أنها النهاية ..حاول بلال أن يسرى عنهم وقال:
- متخافش كده يا عمرو أحنا مش متهمين فى حاجة
نظر إليه فارس
وقال بحدة:
- يعنى المسكين ده كان متهم فى ايه يعنى يا بلال هى وصلت للدرجة دى

شق الصمت الغرفة صوت آخر ولكنه آتى من الخارج ... صوت صياح رهيب وأصوات تصرخ وتستغيث شق سمعهم وانتفض له قلوبهم وخصيصاً أنهم استطاعوا تميز أصوات نساء تصرخ صرخات غير منقطعة وتستغيث ... هب عمرو واقفاً بحركة لا أرادية وهو يقول:

- ده صوت ستات ..أنتفض قلب كل واحداً منهم وقد حل فى عقولهم صور زوجاتهم..

كان هذا هو العذاب الحقيقى ، كل رجل منهم يتصور أن زوجته من بين النساء التى تصرخ فى الخارج وهو مكبل لا يستطيع الفكاك للذب عنها لا يستطيع أن يحمى شرفها من الانتهاك ..أنتفضت قلوبهم مرة أخرى عندما دار المزلاج ثانية ودُفع داخل الحجرة رجلين آخرين سقطا على الأرض فور دخولهما من شدة العذاب ... حاولوا مساعدتهما على الجلوس وتفقد جراحاتهما وكل رجل منهم يبكى من شدة التعذيب كالنساء.. الا رجل واحداً كان صامدا رغم انه كان أشدهم عذاباً ولم يكن لسانه يفتر عن قول لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ... هدأت الاصوات فى الخارج ولم يعودوا يسمعون شيئاً فهدأت نفوسهم قليلاً..

نظر أحد الرجلين إلى الرجل المعرى فى ركن الزنزانة وبكى وكأنه قد شهد عذابه ثم نظر ثلاثتهم إلى الرجلين وقال لهما فارس:

- أنتوا تهمتكوا أيه

قال رجل الأول بخفوت:

-أنا مش من القاهرة أنا من سينا.. عندى محل تصليح غسالات من يومين لقيتهم هجموا عليا وقلبوا المحل وغمونى وخدونى فى عربية ولقيت نفسى هنا قدام الظابط وواحد تانى بيقولوا عليه وكيل نيابة ، هتف فارس فجأة :

- عذبوك قدام وكيل النيابة.. أومال مين اللى بيطبق القانون

أجابه الرجل:

- قانون مين يا أستاذ ..وكيل النيابة هنا زيه زى الظابط اللى بيعذب بالظبط

ثم اردف قائلا:

- وكل اللى طالع عليهم مين اللى اشترى منك التايمر من يومين ..اقولهم انا بصلح غسالات وطبيعى أى حد يشترى تايمر غسالة من عندى ..يقولولى أنت كداب يابن ال ــــــــــــ وفجأة لقيت الظابط ولع سيجارة وقالى لو السيجارة دى خلصت من غير ما تعترف هتكره اليوم اللى اتولدت فيه .. فضلت احلفله مفيش فايدة لحد ما قام من ورا مكتبه وقالى أنا هعرفك مين هارون باشا وبعدين ندى على المخبر وقالوا حضرلى التونيك ..

قاطعه عمرو متسائلا:

-أيه التونيك ده

أجابه الرجل:

- ده الجهاز اللى بيصعقونا بيه بالكهربا .. وفضلوا يعذبوا فيا بالكهربا وانا عريان وفى الاخر ...

ثم اشار للرجل الاخر وقال:

- لقيت الراجل ده جايبينه برضه متغمى وبيقولولى هو ده اللى اشترى التايمر منك ؟.. بصتله كده وقلت لاء

نظر لهم الرجل الاخر وقال:

-انا اصلا من القاهرة ايه اللى هيودينى سينا علشان اشترى تايمر غسالة .. خدونى من بيتى من وسط ولادى وشدوا النقاب من على وش مراتى وكانوا عاوزين يعتدوا عليها قدامى لولا ستر ربنا وكل اللى طالع عليهم أنت بتصلى الفجر فين وسايب دقنك ليه ..زى ما تكون صلاة الفجر تهمه ودقنى جريمة ... فضلوا يعذبوا فيا أربع ساعات كهرباء ولما عرفت أنطق قلتلهم عاوز اصلى وقف الظابط قدامى وقالى صليلى ... قول سبحان هارون وبحمده سبحان هارون العظيم ....فضلت ابكى واقوله خاف ربنا ..يقولى ربنا مين مسمعتش الاسم ده قبل كده ..

تابع الرجل الاول حديثه قائلا:

- كان حلقى بيتقطع من كتر التعذيب قلتلهم عاوز اشرب رد عليا واحد منهم قالى مينفعش يا حبيبى أحنا خايفين عليك أنت متوصلك كهربا فشر السد العالى لو شربت هتموت..أول مرة أحس ان روحى بتطلع وترجع تانى مكانها

أردف الرجل الاخر:

- أنا لقيوا عندى سيديهات عن الويندوز وتصليحه والبرامج ولقيت وكيل النيابة وهو بيقرا عناوين السيديهات بيقول للى بيكتب جنبه .. انهم لقيوا سيديهات عن ازاى تركب قنبلة وتفجرها عن بعد ومرسومات لكنسية ازاى تتسلق وتدخل تحط قنابل فى اماكن محدش يكتشفها ..

أنتفضت أجسادهم مرة أخرى عندما سمعوا صوت الباب يفتح من جديد وكانوا يظنون أن هناك المزيد من المعذبين سيدخلون عليهم ولكن هذه المرة سمعوا صوت ينادى أسمائهم الثلاث ...بلال ..فارس ...عمرو

نظروا إلى بعضهم بعضا وكأنهم يودعون بعضهم ويشيعونهم ونظرا إليهم الرجلين نظرات

شفقة وخوف زادت من فزعهم... نهض ثلاثتهم ولكن بلال أمسكهم من أكتافهم ونظر إليهم قائلا:
- حافظوا على دعاء اللهم أكفنيهم بما شئت وكيف شئت...
تقدم الثلاث وهم يرددون الدعاء فى خفوت ولقد كان قلب فارس يُعتصر اعتصارا منذ أن علم أن التعذيب يتم بمعرفة وكيل نيابة وتحت نظره ..سار الثلاثة فى رواق ضيق طويل وصدورهم تلهج وتأجر إلى الله سبحانه وتعالى وبلال يتمتم :

- اللهم انهم لا يعجزونك
دخل ثلاثتهم غرفة صغيرة أخرى ولكن هذه المرة يتوسطها مكتب يجلس خلفه رجل عرفه فارس من أول وهلة .. حدق فارس به لبرهة فنهض الرجل قائلا:
- تعالوا
وجد فارس نفسه يقول دون وعى :
-أنت ازاى تشوف التعذيب ده وتسكت عليه
قال وكيل النيابة الذى كان زميلاً له فى الكلية:
- مفيش وقت للكلام ده يا فارس.. كويس انى عرفت انك هنا بالصدفة.. ربنا وحده هو اللى خلانى اشوف أسمك بالصدفة فى اللى جم أمبارح ...أسمع انت هتترحل دلوقتى على طره ..أهو أحسن من هنا على أى حال...
أعاد فارس سؤاله مرة أخرى هاتفاً به أن يجيبه ،فقال صديقة:
- يا فارس انا كنت زيك بحلم ابقى وكيل نيابة وربنا حققى حلمى ..مكنتش اعرف أنى هشتغل فى أمن الدولة ..ولما شفت المهازل اللى بتحصل هنا عملت فيها شجيع وقلت اروح اقدم بلاغ للنائب العام وقبل ما ادخله قابلت ولاد الحلال اللى يعرفونى وقالولى هو انت مكنتش تعرف أنه كان بيتشغل فى مباحث أمن الدولة عشر سنين وكان راضى عن اللى بيحصل هتدخل تقوله ايه... حافظ على نفسك وعيالك وحاول تتنقل لأى جهة تانية من غير ما تقول حاجة ولا تفتح بؤك... وانا يا فارس قدمت طلب نقلى وهنفذه قريب والحمد لله انك جيت قبل ما انا امشى ولا مكنتش هتخرج من هنا على رجلك زى ما دخلت ولا انت ولا اصحابك.. أنت متوصى عليك جامد يا فارس
نظر عمرو إلى بلال بذهول بينما حدق به فارس قائلا:
- مين اللى موصى علينا وليه
قال صديقه:
- معرفش .. كل اللى عرفته انك متوصى عليك انت بالذات.. ومكنوش هيخرجوك سليم من هنا... أنا ادخلت وهرحلك انت وصحابك على طره لحد ما تشوف هتخرج منها ازاى وأوعدك

انى اساعدك على قد ما اقدر
ضغط أحد الازرار أمامه فدخل على فور أمين شرطة يرتدى زى ملكى وقال له بلهجة صارمة:
- خد دول يابنى على عربية الترحيلات.. أوراقهم اهى
أستقل ثلاثتهم سيارة الترحيلات وهم يعتذرون فى داخلهم للوحوش التى يقال عنهم انهم مفترسين وبلا رحمة.

*****

نهضت مُهرة من نومها فزعة وهى تصيح :

- الدكتور حمدى ..

وأخذت توقظ أم فارس وتهزها بقوة جعلتها تستيقظ فزعة ونهضت جالسة وهى تهتف بها:
- مالك يا مُهرة فيكى ايه
صاحت مُهرة وكأنها غريق قد وجد لوح من الخشب فى قلب المحيط يتعلق بها لعلها تنجيه من الغرق وقالت:
-الدكتور حمدى يا طنط مفيش غيره.. هو اللى هيعرف طريق فارس ..فارس كان بيقول عليه بيحبه وبيعتبره زى ابنه
تلقت دنيا اتصالا هاتفياً وهى غارقة فى نومها على فراشها الوثير فى بيت والدتها.. تململت فى الفراش وهى تنظر للرقم ، أتسعت حدقتاها وخفق قلبها خوفاً وأجابة بتردد فقالت أم فارس لهفة:
- معلش يا بنتى صحناكى من النوم ...أنا عاوزه رقم الدكتور حمدى صاحب المكتب يا دنيا هو الوحيد اللى هيعرف طريق فارس ..ليه معارف كتير
أبتلعت دنيا ريقها وقد غارت عيناها وقالت:
- بس الرقم مش معايا هنا دلوقتى.. بكره اروح المكتب أجيبه
قالت ام فارس برجاء:
- ارجوكى يا بنتى مش هقدر استنى للمغرب مينفعش تروحى المكتب بالنهار
توترت دنيا أكثر وقالت بتلعثم:
- اه اه هحاول اشوف ينفع ولا لاء وهرد عليكى فى اقرب وقت وبعدين مفيش داعى تتعبى نفسك انا لما اروح المكتب هكلمه واطلب مساعدته متخافيش
أغلقت دنيا الهاتف وهى تلعن اليوم الذى جعلها توافق على اقتراح باسم وقالت بعصبية:

-هعمل ايه دلوقتى لو الدكتور حمدى عرف.. كل حاجة هتبوظ
ظلت تفكر منذ طلوع الفجر وحتى قرب وقت الظهر وهى ترتشف القهوة كوباً تلو الآخر حتى هداها شيطانها لفكرة لمعت فى رأسها على الفور وبلورها لها عقلها ...أنتظرت حتى بعد الظهر بقليل ثم أعادت الأتصال بام فارس مرة أخرى وقالت لها بأسى:
-انا آسفه يا طنط.. الدكتور حمدى تعبان أوى وسافر بره يتعالج.. مش موجود فى مصر ومش عارفة اوصله .

*****

أجرت مُهرة اتصالا هاتفياً تقوم به لأول مرة منذ زواجها وقالت بارتباك:
-علاء من فضلك محتاجة منك حاجة مهمة أوى
قال بتثاقل وهو ينهض من فراشه:
- طب مش تقولى صباح الخير يا حبيبى الأول

قالت بصوت مرتجف:
-أرجوك يا علاء مش وقته انا محتجالك
أنتبه وهو يجلس على فراشه وقال:
- خير يا مُهرة عاوزه أيه.. محتاجه فلوس ولا حاجة
قالت بصوت باكى:
- فارس جارنا ..أمن الدولة خدوه ومش عارفين نلاقيه.. بيقولوا معتقل بس فين مش عارفين .. وانت أكيد ليك اصحاب كتير معروفين ورجال أعمال ممكن يعرفولنا طريقه
هتف بها حانقاً:
- مش فارس ده اللى ضربنى ؟
بكت بشدة وأخذت تشهق وترجوه بمرارة أن يصفح عنه ولكنه قال بتشفى:
-أحسن خإليه يتبهدل ولا يقتلوه ويرحونا منه ..ربنا خادلى حقى
شهقت بشدة وأخذ صدرها يعلو ويهبط وهى تبكى وتقول:
-أرجوك يا علاء علشان خاطر ربنا .. أعمل كده لوجه الله طيب ..طيب علشان خاطر امه المسكينة

صاح بها وهو ينهى المكالمة:

- بقولك أيه يا مُهرة بلا امه بلا ابوه.. أنا راجل نجم عاوزه حد يعرف انى اعرف واحد معتقل ..عاوزه تضيعى مستقبلى ...

واغلق الهاتف بقوة وهو يزفر بقوة ، بينما سقط منها الهاتف وسقطت على الأرض من شدة البكاء ثم سجدت وهى تقول بنحيب:

- يارب مالناش غيرك يارب نجيه .. ده عمره ما أذى حد يارب

****

طرق صلاح باب حجرة مكتب إلهام ودخل وقد بدا القلق على محياه فاعتدلت وقالت بسرعة :

- ها يا صلاح وصلتوا لحاجة.. عرفتوا عمرو مبيجيش ليه

أومأ برأسه وقد ارتسم الحزن على قسمات وجهه وقال:

-أتقبض عليه من يومين ... خدوه الفجر من بيته

هبت واقفة وقالت بفزع:

- مين دول اللى خدوه وليه

رفع كتفيه باسى وقال بحيرة:

- مش عارف يا بشمهندسة بس طريقة القبض عليه دى بتقول انهم مش مباحث عادية شكلهم كده أمن دولة

هوت إلى مقعدها وارتجف قلبها بين أضلعها واتسعت عيناها وهى تفكر وفجاة تناولت سماعة الهاتف وضغطت عدة أرقام ثم قالت بسرعة لمديرة المكتب:

- وصلينى بالباشا حالاً.

****

الفصل السادس والعشرون

عالم السجون ... إنه عالم إختلفت فيه المعايير وتغيرت المقاييس .. لم يعد السجن هو مصير المجرمين والسفاحين فقط ، بل أصبح السجن مصير المتدينين وأصحاب الرأى أيضا وكل حر يأبى أن يضع رأسه فى التراب ويدفنها بين حبات الرمل .
دُفع ثلاثتهم بقوة داخل العنبر وأُغلق الباب الحديدى خلفهم ليصدر صريراً مزعجاً أيقظ على أثره النيام داخل العنبر... وقف ثلاثتهم ينظرون إلى بعضهم البعض وأعينهم تفيض بسؤال واحد فقط ..وماذا بعد ... وقعت أعينهم على رجل ملتحف ببطانية سوداء فى أحد الاركان على أرض العنبر فاقترب بلال منه بقلب مقبوض وكأنه يشعر لماذا هذا الجسد قد سُجى هكذا وقبل أن يلمسه ، هتف أحد الرجال الآخرين من زملاء العنبر:
- سيبوا ده ميت
أصابتهم غصة فى حلوقهم وهم يتبادلون النظرات ..أنحنى بلال لينظر فى وجهه فوجد ما كان يعتقده.. شاب صغير فى السن له لحية صغيرة واضح عليه اثار التعذيب بشدة ، أغمض بلال عينيه بألم وهو يقول:
- إنا لله وإنا إليه راجعون
غادر أربعة مسجونين سرائرهم واقتربوا منهم متسائلين:
- أنتوا جايين فى ايه.. مفيش مظاهرات الأيام دى..
قال الرجل الاخر:
- بس حظكوا حلو والله أنكوا جايين فى الوقت ده.. لو كنتوا جيتوا الصبح كنتوا حضرتوا حفلة الاستقبال
عقد فارس بين حاجبيه وقال:
- حفلة استقبال أيه
قال الرجل:
- حفلة الاستقبال دى يا سيدى بيستقبلوا بيها كل عربية ترحيلات بتوصل السجن بالكلاب البوليسية وانت وحظك .. وبعد ما تنزل وانت بتجرى من الكلاب قبل ما تتعض يستقبلوك العساكر بالعصاية الكهربا والكرابيج ساعة ساعتين لحد ما كله يقع على الارض ويستسلم للضرب .. بعدها بقى يوزعوهم على العنابر .. دى بقى حفلة الاستقبال

أومأ بلال برأسه وهو يربط على كتفهم مطمئناً ونظر لهم نظرات مطمئنة أنهم قد عبروا تلك المرحلة بأمان فمن الواضح أن صديق فارس كان يعلم هذا أيضا لذلك أمر بترحيلهم فى هذا الوقت من الليل.. شعر فارس بغصة فى قلبة وهو يرى بلاده لأول مرة بصورة حقيقية غير

التى كان يراها فى الخارج .. فى خارج ذلك العالم .. عالم السجون والمعتقلات .. أخذهم زملاء العنبر إلى أفرشتهم كل واحد منهم على سرير صغير عليه بطانية خشنة ..

جلس عمرو على طرف فراشه مشدوهاً لما رأى فى تلك الأيام، أولا فى أمن الدولة وثانيا هنا فى السجن .. وقال بغضب وعصبية موجهاً كلامه لفارس:
- وبعدين يا فارس هنفضل كده لحد أمتى حتى منعرفش تهمتنا ايه
جلس أحد الرجال على السرير بجواره قائلا:
- لا لازم تهدى وطى صوتك اللى بيعلى صوته هنا بيتسحب على عنبر التأديب
ألتفت عمرو إليه وحدق به قائلا:
- ايه عنبر التأديب ده كمان
أبتسم الرجل وقال:
- اه معلش كان المفروض أشرحلكم من الاول .. النظام هنا ... السجن متقسم كذا عنبر ..عنبر التأديب وده متقسم زنازين صغيره مترين فى مترين وده بيبقى أنفرادى..
وعنبر الجنائى ودول بقى تجار المخدرات وقتالين القتله وغيرهم وعنبر التخابر وده بقى مخصص للجواسيس وده بقى أنضف عنبر هو وعنبر القضاة وافراد الشرطة اللى بيجى هنا متهم فى قضية رشوة ولا فساد والمعاملة فيهم معاملة خمس نجوم ..
وهنا بقى العنبر السياسى وده كل اللى بيقول رايه فى البلد دى ومعظمه مشايخ زى ما أنت شايف ..أبتسم بلال وهو يومىء برأسه
وقال:
- ونسيت عنبر الاخوان
ضحك الرجل بصوت خفيض وقال لـ بلال:
- اظاهر انك جيت هنا قبل كده يا شيخ
قال بلال بجمود:
- جيت مرة واحدة بس عرفت كتير
كتم عمرو غضبه وقال:
- برضه محدش جاوبنى هنفضل كتير ومن غير ما نعرف تهمتنا ايه ؟
ربت الرجل على كتفه قائلا:
- طالما محدش حقق معاكوا يبقى مفيش تهمة وبما أنكوا جايين دلوقتى يبقى انتوا مش معتقلين رسمي
قال فارس بإقتضاب:

- يعنى أيه مش رسمي
تكفل بلال بالرد عليه قائلا:
- يعنى زي ما صاحبك قالك .. متوصى علينا
أقترب عمرو من فراش بلال وجلس على طرفه قائلا:
- مين اللى هيوصى علينا يتعمل فينا كده مين
قال بلال وهو ينظر أمامه بشرود:
- مش عارف يا عمرو بس الموضوع ده شكله هيطول ولازم نحاول نهدى علشان نعرف نفكر..
قال كلمته الأخيرة ثم نهض قائلا:
- تعالوا نصلى على الأخ اللى مات ده
قال الرجل الذى يحدثهم:
- هيجوا يخدوا جثته الفجر مع انهم عارفين ان فى واحد ميت هنا من بعد العشاء

****

- ميرسى يا فندم ..

نطقت دنيا بهذه العبارة وهى تتناول الشيك من والد هانى المتهم فى قضية القتل وبرقت عينيها وهى تنظر للمبلغ المدون فيه وقالت بابتسامة:
- حضرتك أطمن خالص أبنك هيبقى فى حضنك قريب جدا
قال الرجل بلهفة:
- يارب يا أستاذة ربنا يسمع منك ...

ثم قال بتساؤل:
- هو الدكتور فارس مجاش النهاردة ولا ايه
قالت بتمساك:
- الدكتور فارس مش بيجى كل يوم.. ولما بيكون مش موجود انا ببقى مكانة

أومأ الرجل برأسه متفهماً وقال:
- المهم عندى أنه هو اللى يشتغل القضية بنفسه
رفعت حاجبيها بدهشة مصطنعة وهى تقول:

- طبعاً يا فندم القضايا اللى زى دى الدكتور فارس هو اللى بيكتب فيها المذكرات وهو اللى بيترافع ..واحنا بس بنعمل الشغل الارى والمالى بتاعها علشان كده طلبت من حضرتك تكتب الشيك بأسمى يعنى حضرتك هتشوفوا فى المحكمة ان شاء الله..
بعد قليل أنصرف الرجل ودخل خلفه وائل مسرعاً وقال بعينين لامعتين:
- أداكى الشيك

ابتسمت بثقة وهى ترفع الشيك أمام عينيه ثم وضعته فى حقيبتها قائلة بقلق:
- أهى الفلوس بقت معانا والراجل جاب الاتعاب كلها مش نصها زى ما كنا فاكرين عاوز ابنه بأى طريقة ..يارب بقى باسم يخلصنا من القضية دى بسرعة بقى انا قلقانة أوى
قال وائل مشجعاً:
- متقلقيش يا أستاذة.. أنتِ قدها وقدود والأستاذ باسم خلاص ظبط الناس مش ناقص غير الفلوس علشان ينفذوا
ربتت على حقيبتها وهى تقول:
- وأهى الفلوس .. يلا بقى كلمه وخليه يخلصنا
تحدث وائل هاتفياً مع باسم وأخبره أن المال قد أصبح بحوزت دنيا .. مد وائل يده بالهاتف إلى دنيا قائلا:
- الأستاذ عاوز يكلمك
تناولت الهاتف وقالت بتعالى:
- أيوا

ابتسم باسم عندما لاحظ نبرة صوتها المتعالية وقال بسخرية:
- طب حتى استنى لما تصرفى الشيك وبعدين ابقى اتغرى براحتك
مطت شفتيها بضيق وقالت:
- خير يا أستاذ باسم
- بكرة هنروح نصرف الشيك سوا ونطلع على طول على سكرتير النيابة نكيشه ونخلص معاه وبعدين نقعد مع بعض ونقسم الاتعاب علينا زى ما اتفقنا ماشى..
قالت بإقتضاب:
- بس هنقعد فى مكان عام مش عندك فى المكتب
أطلق ضحكة عالية أشعرتها بالاشمئزاز وقال بخبث:
- أيه موحشتكيش ولا ايه

أتسعت عينيها وشعرت أنها ستتقيأ عندما ذكرها بما حدث سابقاً.. أغلقت الهاتف فى وجهه وهى تتمتم:
- حيوان
****

وقف صلاح ينظر إلى إلهام التى كانت تتحدث فى الهاتف بلهفة وهى تقول لمحدثها:
- طبعاً يا باشا من رجالتنا ومينفعش نسيبه كده .. دى حتى تبقى وحشه فى حقنا وبعدين اللى موصى عليه ده مش أكبر من معاليك
صمتت بعض الوقت تستمع إليه ثم قالت بثقة:
- يافندم أرهاب أيه.. بقول لمعاليك من رجالتنا
صمتت قليلا ثم قالت وهى تنقر على سطح مكتبها بأطراف أصابعها بعصبية:
- ماشى يا فندم اللى تشوفه .. ساعتك المهم بس ميطولش كتير..
أغلقت الهاتف وزادت عصبية نقرها على المكتب فقال صلاح متلهفاً:
- ها يابشمهندسة ايه الاخبار

ضربت المكتب بقبضتها وهى تقول بضيق:
- لو كان لوحده كان طلعه بسهولة.. المشكلة فى الاتنين اللى معاه.. علشان كده بيقولى الموضوع هياخد وقت
قال صلاح بحزن:
- يعنى الولد المسكين ده هيفضل مرمى كده من غير ذنب
قالت بعصبية:
- مش قادره اعمل اكتر من كده يا صلاح.. أنا وصلت لأعلى المستويات كل اللى وعدونى بيه أن محدش هيقربله وهيفضل هناك معزز مكرم لحد ما يطلع ..
خبطت سطح مكتبها مرة أخرى حتى آلمتها قبضتها ففركتها بغيظ وضيق وهى تقول:
- لو كان لوحده كنت عرفت اطلعه النهاردة.. المشكله فى الاتنين اللى مربين دقنهم اللى معاه دول.. أنا عارفة أيه الأشكال اللى بيعرفها دى!

****

فُتح باب العنبر مرة أخرى فتعلقت أبصار الجميع به .. دخل الشاويش المسئول عن العنبر وتقدم باتجاه عمرو وفارس وبلال وأشار إليهم بحزم وقسوة قائلا:

- تعالوا معايا انتوا التلاتة

نظر ثلاثتهم إلى بعضهم البعض بتساؤل فصرخ بهم بصوت كريه مرة أخرى:

- بقول قوم انت وهو

نهض ثلاثتهم وهم ينظرون إليه بحنق وتعلقت به أبصار شركائهم فى العنبر وهم ينظرون إليهم بشفقة.. سار ثلاثتهم خلفه وبعد أن أغلق العنبر أمرهم ان يسيروا خلفه ..ساروا قليلاً حتى توقف بهم أمام أحد الزنازين وشرع فى فتح بابها وهو يقول متبرماً:

- حظكوا من السما ...

فتح الزنزانة ثم دفعهم داخلها بقسوة مرة أخرى وأغلقها خلفهم ، كانت الزنزانة أقل عددا من العنبر الآخر بكثير.. كانت تبدو أكثر آدمية من التى قبلها .. والفُرش والأغطية كانت تبدو أكثر راحة من العنبرالأول نوعاً ما ..نظر زملائهم إليهم متسائلين كما يُفعل مع كل مُعتقل جديد ، فالقى بلال السلام ..فأجابه البعض بخفوت

ألقى ثلاثتهم أجسادهم على فُرُشِهم بإنهاك شديد ولأول مرة تذوق عيونهم طعم النوم منذ اعتقالهم...

بعد ساعة استيقظ بلال على هزات خفيفة ..أنتبه من نومه دفعة واحدة بإنفعال فربت الرجل الذى كان يوقظه على صدره يهدئه وهو يقول:

- أهدى يا أخى انا بصحيك علشان تلحق الصلاة متخافش

نهض بلال وهو يشعر أن عظامه مختلطة ببعضها البعض فى ألم شديد ..توجه إلى فارس وعمرو وأوقظهما بنفس الهزات الخفيفة فاستيقظوا بنفس الأنتباه المفاجىء واتساع حدقاتهما بإنفعال شديد فطمئنهم وهو يقول:

- يلا قوموا علشان نلحق الصلاة

زفر عمرو بقوة وهو يقول:

- يا أخى حرام عليك ده انا مصدقت يغمضلى جفن

توجه فارس إليه وهو يمسك بيده لينهضه رغماً عنه قائلا:

- قوم صلى يا عمرو .. الله أعلم احنا أعمارنا هتخلص أمتى هنا

وقف بلال بعد أن توضأ ليصلى بهم ولكن الرجل الذى أيقظه اقترب منه وقال محذرا:

- كل واحد يصلى لوحده يا دكتور .. صلاة الجماعة ممنوعه هنا

أومأ بلال برأسه وقد تذكر ..فألتف إليه فارس قائلاً:
- ويمنعوا صلاة الجماع ليه
ضرب عمرو كفاً بكف وهو يقول :

- هو أحنا فى غوانتانمو ولا ايه

أنتهى الثلاثة من صلاتهم تباعاً واحداً تلو الآخر.. مر يومان والحال هكذا لم يتغير..
كانت بوابة الزنزانة تغلق عليهم فى تمام الخامسة والنص مساءا وكذا يكون أنتهى اليوم داخل السجن فيبدأ بلال فى أعطائهم بعض التمرينات الرياضية التى تقوى عظامهم لتستطيع تحمل خشن العيش داخل السجن ، وليستطيع مقاومة الرطوبة المنتشرة فى كل مكان فيه ...
كان الجميع يستجيب له إلا واحداً ، لاحظ بلال أنه يرمقهم بنظرات غاضبة
وكارهة لهم ، يظهر ذلك فى عينيه جلياً كلما التفت إليهم على مدار يومين كاملين ، ولأول مرة يتدخل هذا الرجل بالحديث عندما رأى فارس ينهض من فراشه ويجلس على طرف فراش بلال وهو يقول بقلق:
- مفيش أى وسيلة هنا نطمن الناس اللى برا علينا .. زمانهم دايخين علينا فى كل حته دلوقتى ومش لاقين لنا أثر..
فقال هذا الرجل هاتفاً:
- والله أهلكوا زمانهم مستريحين منكوا ومن التشدد بتاعكوا
ألتفت إليه فارس بغضب بينما ربت بلال على ذراعه حتى لا يرد عليه بغضب فصمت فارس وترك المجال لـ بلال بالرد

فقال له بابتسامة:
- هو فى أهل فى الدنيا يبقوا مستريحين وولادهم فى السجن
ترك زملائهم فى الزنزانة ما كانوا منشغلين به وبدأوا فى متابعة الحوار ظنا منهم أنه سينتهى بمعركة تكون نهايتها زنزانة تأديب منفردة لكل منهما..نظر له الرجل بحنق قائلاً:
- لا طبعا بس اللى زيكوا أهلهم هيستريحوا منهم .. تلاقى كل واحد فيكم عنده أخت بيجرجرها من شعرها وينزل فيها ضرب لو شافها بتسمع أغانى ولا بتتفرج على فيلم
آخر عبارة نطقها جعلت فارس وبلال ينظران إلى بعضهما البعض ويبتسمان رغماً عنهما..
مال فارس للأمام وهو يقول له:
- حضرتك العنوان غلط .. اللى بيعملوا كده الممثلين اللى بيطلعوا فى التلفزيون مش أحنا
نظر له الرجل بتهكم وقال:
- الممثلين دول بيمثلوا حياتكم واللى بتعملوه فى أهلكوا بسبب تشددكوا فى الدين

تدخل بلال قائلا:

- ممكن اسأل حضرتك سؤال ..مش زمان كنا بنسمع أن الممثل علشان يندمج فى الدور بتاعه لازم يروح يعيش فى وسط الناس اللى هيمثل دورهم فى المسلسل

يعنى مثلا كنا زمان نسمع ان واحد راح دخل السجن علشان يعرف يمثل حال المساجين صح ولا لاء

أومأ الرجل برأسه قائلا:

-أه طبعا سمعنا كده كتير

ابتسم بلال ثم قال:

- طيب هل الممثل اللى بيمثل دور الملتزم ده بيروح يعيش مع الملتزمين فى بيوتهم وبيشوفهم بيعاملوا أهإليهم أزاى واخوتهم وزوجاتهم

قال الرجل ساخرا:

- هيروح ازاى يا شيخ يعيش معاهم فى بيوتهم هو طبعا بيتصور حياتكوا مع اهاليكوا

رفع بلال حاجبيه وقال بهدوء:

- طيب مش يبقى ده ظلم أنه يحكم علينا اننا بنضرب اخواتنا وزوجاتنا وهو عمره ما عاش وسطنا ونجرجرهم من شعرهم كمان علشان بيسمعوا أغانى ويطلع يمثل كده فى التلفزيون ويخلى الناس تصدق عننا كده وتخاف مننا وأحنا مش بنعمل كده أصلا

تدخل زميلاً آخر لهم وقال:

- والله أنت معاك حق يا شيخ ده أنا ليا جار زيك كده لما مراته بتقعد مع مراتى يرغوا مع بعض شوية بترجع مراتى تقولى أنت مش رومانسى ليه زى جارنا الشيخ

قال الرجل الاول معترضاً :

- والله بقى أحنا خدنا عنكوا الفكره دى بسبب التشدد اللى أنتوا فيه وكل حاجة حرام حرام حرام .. حرمتوا علينا عيشيتنا

أتكأ بلال على أحدى جانبيه وقال:

- طب ممكن اسألك سؤال كمان ومعلش تعإلى على نفسك وجاوبنى

قال الرجل بملل:

- أتفضل

قال بلال بجدية:

- حضرتك عندك سخان غاز ولا كهربا؟

نظر له الرجل بدهشة وقال متهكماً:
- سخان غاز يا سيدى ليه
ابتسم بلال قائلاً:
- ممتاز ... فاكر حضرتك أول مرة ركبته فيها
- فاكر
أعتدل بلال فى جلسته وقال باهتمام:
- يا ترى شغلته لوحدك
زاد الرجل مللاً وهو يجيب قائلاً:
- لاء طبعاً صاحب المحل قالى معاه كتالوج ولازم أمشى على الخطوات اللى فيه بالظبط
قصد بلال ان يقول ببرود:
- وسمعت كلامه ليه
هتف الرجل بعصبية:
- يعنى ايه سمعت كلامه ليه مش هما اللى عاملينه وأدرى بيه
عقد بلال بين حاجبيه وقال:
- صاحب المحل اللى اشتريت منه السخان متشدد زينا

صوب الجميع نظرة لبلال الذى كان يتحدث باريحية وسلاسة فى الحديث والغلاف الذى كان يميز حديثه هو المنطق والهدوء ... وخصيصاً عندما ظهرت علامات الدهشة على وجه الرجل وقال بحيرة:
- مش فاهم
عقد بلال ذراعيه بهدوء وهو يقول:
- يعنى ربنا سبحانه وتعالى هو اللى خلقنا وهو اللى قالنا عن طريق رسولنا محمد صل الله عليه وسلم أن ده حرام وده حلال سواء فى القرآن أو فى السُنة ..
يعنى القرآن والسُنة دول ومن بعديهم اقوال السلف الصالح هما الكتالوج بتاعنا
علشان كده لما أنا أقرا فى الكتالوج ده وأعرف أن ده حرام واقولك عليه مينفعش حضرتك تقول عليا متشدد لانى كل اللى عليا أنى بنقل لحضرتك كلام ربنا وأوامره ونواهيه مش أكتر من كده يبقى انا متشدد ليه بقى

أطرق الرجل مفكراً وسادت همهمة بسيطة خافتة بين شركائهم فى الزنزانة معجبين بحديث بلال بينما ابتسم فارس وهو ينظر لبلال بإعجاب شديد..

فأردف بلال قائلاً:
- وزى ما حضرتك متأكد ان المصنع اللى صنع السخان وعمل الكتالوج وحط فيه ضوابط للتشغيل هو أدرى بالسخان وباللى ينفعله واللى مينفعلوش
واللى يبوظه واللى ميبوظوش يبقى برضة لازم حضرتك تبقى متأكد أن الحرام والحلال دول مش علشان يضايقوا حضرتك،، لاء،، ده علشان ربنا سبحانه وتعالى هو اللى خلقنا وهو أدرى بينا وبقلوبنا وايه اللى يخلينا عباد الله المؤمنين وايه اللى يخلى قلوبنا فاسدة والعياذ بالله .
****

فتحت عبير باب شقتها لعزة التى دخلت مسرعة وقالت بلهفة:
-عبير عرفنا مكانهم يا عبير
أتسعت عيناها وتشبثت بملابسها وهى تقول بلهفة أكبر:
- بالله عليكى يا عزة عرفتوا مكانهم.. طب هما فين وعاملين ايه وعرفتوا ازاى ؟
جاءت أم بلال على صوت عبير الملهوف وتعلق بصرها بعزة وهى تنقل بصرها بينهما وتقول:
- الأستاذ صلاح اللى عمرو كان شغال عندهم فى الشركة كان جه سأل على عمرو من يومين كده ..ولما عرف اللى حصل قالى أنهم هيحاولوا يعرفوا طريقهم .. واتصل بيا النهاردة من شوية وبلغنى أنهم عرفوا انهم موجودين فى سجن طره وانهم كويسين أوى وبيتعاملوا كويس أوى ومفيش تهمة معينة متوجهالهم وهيخرجوا قريب ان شاء الله
وضعت أم بلال يدها على صدرها وهى تقول:
- الحمد لله

هوت عبير إلى الأرض ساجدة تبكى وتدعوا وهى تشعر أن قلبها لم يعد ينبض منذ أن غادرها فى ذلك اليوم المشئوم ولكنها بدأت تطمئن شيئا قليلاً بعد هذه الأخبار وأخذت تدعوا الله أن يرده إليها رداً جميلاً وأن يحفظه.
عانقت أم فارس مُهرة وهما يبكيان من الفرحة لمجرد أن علموا أنه بخير ولم يصبه مكروه مما كانوا يسمعوا عما يحدث للمعتقلين من قبل ... أبتعدت مُهرة قليلاً وهى ممسكة بيد أم فارس وقالت بهيستيرية:
- لازم نعمل المستحيل ونروح نشوفه يا ماما

أبتسمت أم فارس وهى تستمع لتلك الكلمة من فمها لأول مرة وقالت:

- يابنتى الحمد لله اننا عرفنا مكانه وأنه بخير هو وصحابه الحمد لله.. مش عارفة بقى حكاية الزيارة دى هتنفع ولا لاء وهنعملها ازاى ...

صمتت قليلاً ثم قالت:
- انا هتصل بـ دنيا علشان ابلغها الأخبار الحلوة دى .. وأكيد هى مش هتسكت وهتحاول تروحله وساعتها تبقى تاخدنا معاها ..

هرولت مُهرة إلى الهاتف وهى تقول بلهفة:
- طب يا ماما كلميها دلوقتى مش لازم نضيع وقت
أخذت أم فارس الهاتف وقصت عليها ماحدث مما جعل دنيا تبتلع ريقها بصعوبة واستشعرت الخوف من احتمالية خروج فارس بهذه السرعة فالقضية ما زال أمامها شهرين على الأقل قبل النطق بالحكم، سمعت أم فارس وهى تقطع عليها أفكارها فقالت:
- ايوا معاكى .. طيب انا هشوف الحكاية دى وابلغك بالتطورات قريب أوى ان شاء الله.. أنا هقفل دلوقتى علشان معايا شغل مهم..
أغلقت أم فارس الهاتف وهى تنظر له مندهشة وتقول متعجبةً:
-غريبة أوى .. كنت فكراها هتطير من الفرحة مش عارفة كلمتنى كده ليه أنا قلبى مش مطمن
قالت مُهرة بسرعة:
- خلاص يا ماما متزعليش نفسك انا هحاول مع علاء تانى
نظرت لها أم فارس غير راضية وقالت باستنكار:
- لاء مش عاوزين منه حاجة.. مش كفاية اللى عملوا فيكى قبل كده.. هترجعى تتذليلوا تانى
نظرت أمامها بشرود وهى تقول بخفوت:
- زى بعضه تانى وتالت كله فداهم

****

وضعت أم يحيى أكواب الشاى أمام علاء ومُهرة وهى تقول برجاء:
- معلش يا علاء علشان خاطرى انا حاول
هز علاء رأسه نفياً وهو ينظر إلى عينيى مُهرة الراجية ويقول:
- كله إلا سمعتى ،، مقدرش ،، أنا نجم ولو سُمعتى حصلها خدش واحد موهبتى مش

هتنفعنى
نظر له يحيى بإزدراء ، لأول مرة يراه على حقيقته، زال الأنبهار الذى كان يشعر به تجاهه وقال بنفور:
- كل ده ميجيش حاجة قدام حياة تلاتة كنا بنعتبرهم مثلنا الأعلى
نظر له علاء متهكماً وقال بسخرية:
- مثلك الاعلى أنت مش أنا
شعرت مُهرة ببغض شديد تجاهه وهى تتبادل النظرات المعاتبة مع والدتها وهى تقول موجهةً الحديث إليه:
- والدكتور بلال ميخصكش هو كمان.. مش ده كان ليه فضل عليك بعد ربنا
وضع علاء كوب الشاى بعصبية وقال:
- أنا أول مرة اعرف أن لما راجل يروح يزور مراته تقعد تكلمه على رجالة تانين أنا لو كنت اعرف كده مكنتش جيت من أساسه..
هب واقفاً وانصرف بعصبية ..كان يشعر بوخز الضمير تجاه بلال ولكن كرهه لفارس جعله يتناسى أمرهم جميعاً .. أقترب يحيى من أخته وهو يقول بأسى:
- معلش يا مُهرة متزعليش نفسك
نظرت لوالدتها مرة أخرى وهى تقول:
- انا مش زعلانه منه ..أنا زعلانة عليه ..اللى زى ده بيفضل طول عمره عايش لنفسه وبس ..علشان كده لما عمره هيخلص محدش حتى هيفتكر يترحم عليه.

****

مر شهراً كاملاً ثلاثون يوماً حتى تكونت صداقة بين أبطالنا الثلاث وزملائهم فى الزنزانة حتى جاء ذلك اليوم الذى فُتحت فيه بوابة زنزانتهم الحديدية معلنةً عن قدوم أحد ما ... دخل الشويش المسؤل عنهم و بصوته الغليظ أشار لـ عمرو قائلاً:
- يالا علشان هتخرج يا عمرو
هب عمرو واقفاً غير مصدق لما سمع ونظر إلى بلال وفارس وقال:
- طب وهما
صرخ الشاويش فيه بنبرة قاسية:
- يالا ياخويا.. هى رحلة؟ .. أنت بس اللى هتخرج
نهض فارس وبلال ،عانقاه بحرارة وقد دمعت عينيه وهو يقول:
- مش هسيبكوا وامشى

أبتسم فارس وهو يدفعه فى كتفه قائلا:
- يالا يابنى هتعملى فيها بطل ولا أيه.. ده احنا مصدقنا حد يطلع يطمنهم علينا.. يالا..
أمسكه بلال من كتفه قائلاً بعينين دامعتين:
- خلى مراتك تروح لمراتى وتطمنها عليا

ثم ابتسم وهو يردف قائلا:
- وعلشان تصدق انى انا اللى باعتلها الرسالة الشفوية.. دى خاليها تقولها..بلال بيقولك انتِ وحشتينى أوى وبضمير..

أومأ عمرو وقد حفظ رسالة بلال ونظر لفارس الذى احتار ماذا يقول ،ماهى الرسالة التى يرسلها لأهله فقال:
- وانا كمان روح البيت عندنا وطمنهم كلهم عليا.. وقولهم ان شاء الله اننا هنخرج احنا كمان
تقدم الشاويش وجذب عمرو من ذراعه بقسوة وهو يصيح به:
- يالا ياخويا بدل ما خاليك تكمل معاهم هنا

خرج عمرو ينظر إلى الطريق غير مصدق أنه مازال على قيد الحياة حتى هذه اللحظة نظر خلفه وكأنه يرى أصدقاء محنته قابعون فى زنزانتهم يودعونه بنظراتهم الدامعة.. أخذ شهيقاً كبيرا ليملأ صدره بالهواء النقى خارج حدود أسوار السجون المظلمة بما فيها من رائحة الرطوبة العفنة وأصوات المعذبين واتجه إلى أول سيارة أجرة قابلته.. لم يسال عن وجهتها كل ما كان يريده هو الأبتعاد .... الابتعاد وفقط ...

غادر عمرو سريعاً وهو يتذكر تلك الليلة المظلمة التى دخل عليهم فيها ذلك الشاب متقطعة أنفاسه من كثرة التعذيب ..تفوح منه رائحة شواء جلده من كثرة الكهرباء التى تعرض لها وكل هذا ليس لذنب اقترفه ولا ذنب ألم به سوى أنه قال لظابط أمن دولة كان يقبض على صديقه دون حق فقال له .. أتقى الله .. لم يلبث الفتى الصغير بينهم سوى دقائق ثم نطق بالشهادة بعد أن سالت دموعهم عليه تروى جرحه كما تروى السحب بامطارها حشاش الأرض.

****

الفصل السابع والعشرون

عاد إلى شارعهم يطوى الأرض طياً .. يهرول تارة فينهكه التعب فيمشى تارة أخرى ... وقف عند بداية المنعطف ينظر إلى بداية شارعهم ، إلى البيوت المتلاصقة والقهوة البعيدة وهو يشعر أنه افتقد دفأهم وحمايتهم ورعايتهم لمن حولهم وهو يتسائل فى نفسه، لماذا لا تكون الدنيا كلها شارعهم بقلوب أهله الطيبة ، ما هؤلاء البشر الذى تعامل معهم وكيف ينتمون إلى فئة البشر... أليسوا أقرب إلى مصاصين الدماء الذين رآهم كثيرا فى الأفلام لا بل مصاصين الدماء لايقتلون بهذه البشاعة التى رآها، أنما هى عضة نتيجة لاحتياجهم للدماء.. أما هؤلاء فهم يشوهون ويقتلون ويعذبون لا لشيء الا للمتعة الا للضحك على صرخات وأنين المُعذبين لا لشيء الا للقتل.. لالشيء الا لكره الكرامة ومن ينادون بها.. أى بلد هذه التى لا نحيا بها كراماً ..

قطعت أم فارس قراءتها للقرآن ووضعت المصحف بجوارها وهى تنادى على مُهرة ... خرجت مُهرة مسرعة من المطبخ فقالت لها أم فارس بوهن:

- شوفى يا مُهرة فى أيه فى الشارع أيه الزيطة دى

تناولت مُهرة أسدال الصلاة وارتدته بسرعة وخرجت إلى الشرفة.. أتسعت عيناها وهى تنظر إلى عمرو وأهل شارعهم مجتمعين حوله مهنئين له فى جلبة شديدة ، فرحين به وبعودته سالماً.. بحثت بعينيها سريعاً بين الوجوه وقد خفق قلبها بشدة تبحث بين العيون والوجوه لاشيء.. لم يعد .. أنهمر دمعها رغماً عنها ومسحته بيديها وهى تجيب نداء أم فارس وتقول بصوت متقطع:

- عمرو رجع يا ماما

انهمرت دموعها مرة أخرى وهى تتمتم:

- رجع لوحده

هرولت أم فارس إلى الشرفة بلهفة ، بحثت هى أيضا عن ولدها بين الناس فلم تجده، خرجت من الشرفة متوجهة إلى باب الشقه مسرعةً .. لحقتها مُهرة وهى تتشبث بذراعها هاتفةً:

- أستنى يا ماما هتنزلى كده ازاى ..أنتِ بهدوم البيت

نظرت أم فارس لملابسها وهى تضع يدها على شعرها لاتعلم ماذا تفعل وكأنها مسلوبة الأرادة ..لم تنتظر مُهرة كثيرا أندفعت للداخل وأحضرت لها عباءة الخروج وحجاب .. أرتدتهم بسرعة وهى واقفة على باب الشقة ولسانها يلهج بفزع:

- يا حبيبى يابنى.. ياترى انت فين يابنى

ألبستها مُهرة حذائها سريعاً والتقطت مفتاح الشقة ونزلا سويا يهرولا إلى حيث عمرو . لم تستطع عزة أن تنتظر كثيرا وهى تراه من النافذة ، أندفعت تفتح باب الشقة لمقابلته ، لا تعلم كيف كانت تقفز درجات السلم ... كان قد سبقها وصعد السلم بقفزات أسرع وأوسع منها .. وأخيرًا التقيا ... تعانقا .. تعانقا بقوة واندفاع ، كل منهما رمى بجسده باتجاه الآخر .. البكاء هو سيد الموقف .. كانت تشهق وهى بين ذراعيه وتضمه بقوة وهى تهتف باسمه بقلبها قبل شفتاها ... أما هو فقد ضمها إلى صدره وأغمض عينيه وهو لا يصدق أنه رآها مرة أخرى ... أسرعت أم عزة تتصل بعبير وتخبرها بالأمر .. صعد بها للأعلى وهى مازالت متعلقةً به ..دخلا شقتها بين والدها ووالدتها التى هتفت:

- حمد لله على سلامتك يابنى

جلس على الأريكة وهو يلف كتفها بذراعه وتنفس بقوة وهو ينظر إليهم بشوق قائلا:

- الله يسلمكم..

كان الباب مفتوحاً ولم هناك مجالاً لطرقه، أندفع والده ووالدته وأخيه محمود نحوه يقبلانه ويعانقانه من بين دموعهما ثم تركوا المجال لأخيه ليعانقه بلهفة وشوق لصدر أخيه الأكبر الذى طالما استمع إليه وأرشده فى طريقه .. دخلت أم فارس بعدهم مباشرة وفى أعاقبها مُهرة ..أطمئنت أم فارس عليه ونظرت له متسائلة وهى تخشى السؤال عن أبنها حتى لا يأتيها خبر مفجع ... ولكن مُهرة لم تنتظر كثيراً فهى على يقين أنه بخير، لو كان حدث له شىء كانت قد شعرت بذلك .. فقالت بلهفة:

- فين دكتور فارس ودكتور بلال يا بشمهندس

أبتسم عمرو والجميع محيط به وهو يقول:

- الحمد لله كويسين أوى وبيطمنوكوا عليهم

قالت أم فارس بلهفة بعد أن أطمئن قلبها:

- مخرجوش معاك ليه

هز رأسه نفياً وهو يقول:

- مش عارف.. مقدرتش اعرف حاجة خالص.. بس اطمنوا طالما انا خرجت يبقى هما كمان هيخرجوا قريب ان شاء الله.. بس هما كويسين والله وباعتين السلام ليكوا كلكوا وبيطمنوكوا

قالت أم فارس بجزع:

- ازاى يابنى بس.. ده الظابط اللى جه خده قعد يقول بتعمل قنبله فى بيتك

طمئنها عمرو قائلا:

- صدقينى يا طنط والله كويسين ومفيش تهمة متوجهه لحد خالص ..وكل اللى عرفناه ان فى حد هو اللى شكنا بلاغ ووصى علينا.. بس مين هو.. ده منعرفوش لحد دلوقتى.. بس متقلقوش.. أنا هفضل ورا الموضوع ده مش هسيبوا غير لما اعرف

قال كلمته والتفت إلى زوجته الجالسة بجواره ومستندة برأسها على ذراعه وقال:

- أتصلى باختك وطمنيها على جوزها

خرجت أم فارس ومُهرة من بيت والد عزة مُطرقتان برأسيهما بحزن وأسى، لا يعلمان ماذا ينتظرهما فى المستقبل.

****

أستندت عبير إلى ظهر سريرها وعينيها تلمع بالدموع، ألتفتت إلى الوسادة الخالية بجانبها وإلى الفراغ الذى طالما كان يحتله جسده بجوارها وارتسمت على جانبى شفتاها ابتسامة حزينة وهى تتذكر الرسالة الشفوية التى أرسلها مع عمرو .. وحشتينى أوى وبضمير ... تناولت وسادته وهى تستلقى على جانبها الأيمن واحتضنتها بقوة وهى ترويها بدموعها هامسة :

- وانت كمان وحشتنى أوى يا بلال

طرقت والدته باب غرفتها فوضعت الوسادة مكانها ومسحت دموعها واتجهت للباب وفتحته وعيونها المُعذبة تفضح حزنها ..أخذتها والدته من ذراعها وخرجت بها خارج غرفتها إلى الأريكة التى يعتادون الجلوس عليها ، أجلستها كالاطفال والتفتت إليها قائلة :

- عارفة يا عبير أول مرة خدوا بلال فيها .. كنت هموت من الرعب والخوف عليه وكانت دماغى كل ثانية تودى وتجيب مش عارفة عايش ولا لاء .. لما قعد هناك كام شهر وطلع بعدها .. حسيت أن بلال اتغير أوى ..أتغير للأحسن .. وساعتها قالى كلمة عاجبتنى أوى

قالى الدهب لازم يتعرض للنار علشان يبقى نقى .. علشان كده مش عاوزاكى تخافى من المحن دى ... المحن دى اللى بتنقينا وتنضف قلوبنا وتشيل منها أى حاجة غير ربنا ...

أومأت عبير برأسها وهى تنظر لها قائلة :

- معاكى حق يا ماما

ثم قبلت كفها وقالت:

- ربنا يخاليكى لينا

ربتت أم بلال على رأسها بابتسامة حنونة فقالت عبير :

- المركز مش هينفع يفضل مقفول كل ده ..أنا هتصل بالممرض اللى كان مسؤل عن المركز واخاليه يرجع تانى وكل الناس اللى جلساتها اتلغت من غير سبب يتصل بيهم يقولهم ان المواعيد كلها اتأجلت علشان بلال مايفقدش المرضى اللى كانوا بيتابعوا معاه واهو يفضل فى المركز يعمل اللى يقدر عليه.. أكيد بلال كان بيعلمه شغله يعنى ممكن يمشى المركز شوية لحد ما بلال يرجع بإذن الله ..المهم المركز مايتقفلش أبدًا

****

وقف عمرو أمام حجرة مكتب إلهام وتنفس بقوة ثم طرق الباب .. أتسعت ابتسامتها وهى تنهض من خلف مكتبها مسرعة نحوه بلهفة وقالت وهى تمسك بذراعيه :

- حمدلله على سلامتك يا حبيبى

أنزل عمرو يدها بهدوء ثم مد يده أمامها بورقة قائلا :

- ياريت حضرتك تقبلى استقالتى

نظرت إلى الورقة ثم رفعت رأسها إليه ثانية وهى تقول باستنكار :

- أستقالتك !! .. ليه يا عمرو ليه كل ما اقرب منك تبعد عنى

أتجه نحو مكتبها ووضع الأستقالة عليه بهدوء والتفت لها عاقدا ذراعيه أمام صدره قائلا :

- هكلمك بصراحة .. أنا الأول كنت متردد فعلا ..وكنت بقول مفيهاش حاجة طالما مش بعمل حاجة غلط وبينى وبينك كنت معجب بكلامك ليا

أبتسم ساخراً وهو يقول :

- راجل بقى وفرحان بشبابى وان فى واحدة بتحبنى وعايزانى وبتعمل المستحيل علشان تقربلى

تجهم وجهه وهو يردف بصوت خرج من بين جدران السجون قائلا:

- لكن اللى شوفته يخلينى أبيع الدنيا دى كلها.. واعرف ان الدنيا دى متسواش حاجة

ألتفت إلى مكتبها وهو يستند عليه قائلا:

- فى عز الوقت اللى كنت فرحان بيه بنفسى وبوسامتى شوفت شباب صغير قد اخويا محمود بيتعذب ويتجلد ويتكهرب وفى الآخر يموت لمجرد أنه بيحافظ على صلاة الفجر.. لمجرد انه قال لظابط أتقى الله .

ألتفت إليها مرة أخرى وهو يقول :

- كل ده وانا كنت عايش مع نفسى ولا اعرف أى حاجة.. عايش علشان اكل واشرب والبس واشتغل وبس .. معرفش الظلم وصل لحد كده ازاى.. معرفش حاجة عن الناس اللى بتموت كل يوم من غير حس ولا خبر ولا كأنهم حيوانات ..

هتفت الهام مقاطعة :

- عمرو.. أنت شكلك أعصابك تعبانة.. خد أجازة ارتاح شوية

هز رأسه نفيا وقال بتصميم :

- آسف يا مدام.. أنا مصمم على الأستقالة

لمعت عينيها بالدموع وهى تحاول الوصول لنقطة اتفاق قائلة :

- طب اسمع بس يا عمرو .. خاليك فى الشركة وانا اوعدك انى مش هتكلم معاك تانى كلام يضايقك.. أو يحسسك أنك بتعمل حاجة غلط

نظر لها بترقب وهو يقول :

- مقدرش .. مينفعش أحط نفسى فى الفتنة واقول انا جدع وقدها وقدود

أبتلعت ريقها وقالت بتماسك :

- طب يا عمرو لو فى شغل بعيد عنى تقبله ؟

قال بشك :

- شغل ايه

ابتسمت بتوتر وهى تقول :

- شركتنا داخله شراكة مع شركة سياحة ..هنبنى فندق سياحى فى مكان جديد اسمه وادى الريان.. هنبقى أول فندق فى المكان ده ..المشروع ده ضخم ياعمرو وهيطلعلك منه مكافأة حلوة أوى ..ممكن تبدء بيها حياتك العملية وتفتح شركة هندسة صغيرة كده على قدك ... ها قلت أيه؟

صمت قليلاً يفكر فى الأمر فقالت :

- متقلقش مش هتبعد عن بيتك كتير.. هتنزل أجازة يومين فى الأسبوع ..تلات شهور والمشروع يخلص مش كتير.. يعنى بالنسبة لطبيعة شغلك

نظر إليها بتسائل وقال :

- واشمعنى أنا اللى عاوزانى اشتغل المشروع ده .. ليه مدتيهوش لنادر ولا حد تانى غيرى

عقدت ذراعيها وقالت بخفوت :

- مش هينفع اجاوبك علشان وعدتك انى مش هقولك كلام يحسسك انك بتعمل حاجة غلط ..ها فهمت ولا اقول بصراحة ؟

صمت قليلاً يفكر ..وجدها فرصة من الممكن يبدء بها حياته بعيدًا عنها وعن فتنتها وستضمن له مستقبل جيد بالحلال وأخيرًا خرج عن صمته قائلا :

- موافق ... بس محتاج شوية وقت علشان عاوز اتابع موضوع صحابى اللى حضرتك مهتمتيش بأمرهم

ابتسمت وقالت بثقة :

- متقلقش هيخرجوا قريب .. اللى خرجوك هيخرجوهم ..هما بس معرفوش يطلعوهم معاك بسرعة علشان واحد فيهم متوصى عليه جامد والتانى أُعتقل قبل كده ..

أستدار عمرو بإنفعال قائلا :

- معرفتيش مين اللى وصى عليه بالطريقة دى

تناولت خصلة من شعرها تلفها حول أصبعها وقالت متعجبة :

- الحقيقة عرفت بس مستغربة أوى

قالت كلمتها الاخيرة ثم توجهت لمكتبها وجلست خلفه وهى تنظر إليه بتأمل وهو يقول متلهفاً :

- مين .. مين اللى عمل كده

مطت شفتاها وهى تقول ببطء :

- مراته

توجه نحوها وأتكأ على المكتب بقبضتيه وهو يقول منفعلاً :

- مرات مين

رفعت حاجبيها وقالت :

- مرات صاحبك المحامى ده

أتسعت عينيه وهو يردد بذهول :

- دنيا

رفعت كتفيها بحيرة وهى تقول :

- مش عارفه ..كل اللى عرفته ان مراته هى اللى بلغت عنه وحطت أساميكم معاه

هتف صائحاً بغضب :

- أنتِ متأكدة من الكلام ده

مالت للأمام وقالت بثقة :

- طبعا يا عمرو .. المعلومة دى من فوق أوى

تركها وخرج مهرولا للخارج والغضب يعتمل فى صدره والغريب أنه لا يدرى لماذا تفعل زوجة بزوجها هذا مهما كانت بينهما خلافات ومشاحنات كيف تستطيع أن تفعل به ذلك ما الداعى إذن.. ما الداعى..؟!!

****

هبت أم فارس واقفة وهى تهتف به مستنكرة :

- بتقول ايه يا عمرو انت اتجننت ولا أيه

وضعت مُهرة يدها على فمها فزعاً وهى تحدق به وهو يقول :

- زى ما بقولك كده يا خالتى.. اللى جابلى المعلومة هو اللى خرجنى من هناك قبلهم .. دلوقتى بقى انا عاوز اعرف ..أيه اللى يخلى زوجة تبلغ عن جوزها وعن صحابه كمان

جلست أم فارس هاوية وهى تقول بشرود :

- والله يابنى ما اعرف ..فارس مكنش بيحكيلى على حاجة خالص تخص حياته معاها

تدخلت عزة وهى تقول بحدة وغضب :

- علشان كده مكنش باين عليها الزعل ولا الخضة ..الحقيرة ...

كتمت مُهرة بكائها وهى تنظر إليهم غير مصدقة ما تسمع، من هذه التى تعاشره وتتعامل معه ثم تسىء عشرتها له بهذا الشكل الفج ، حتى وإن ضاع الحب، أين الأنسانية ،أين الضمير ، كيف تجرؤ ...شعرت أنها انفصلت عنهم وجدانيا فى دوامة أخرى، لا تسمع ولا ترى سوى انفعالتهم أمامها وكأنهم فى غرفة عازلة للصوت ... ظلت هكذا وأخيرا استطاعت أن تسمع هتاف عمرو وهو يقول :

- أنا هعمل المستحيل علشان اطلع تصريح بالزيارة.. لازم اقابله واقوله على كل حاجة

لم تشعر بنفسها إلا وهى تهتف برجاء قائلة :

- لا لاء حرام عليك .. مش كفاية عليه عذاب السجن كمان يعرف كده وهو مش عارف يتحرك ولا يعمل حاجة ولا قادر يعرف هى عملت كده ليه.. أنت كده هتزود عذابه

نظرت لها عزة نظرة متفحصة بينما قالت أم فارس :

- صح مُهرة معاها حق .. بس الله يخاليك يا عمرو تحاول تخالينا نزوره ..أحنا مش هنقوله على حاجة بس نزوره ونطمن عليه وحشنى أوى

هدأ عمرو قليلاً وجلس بجوار عزة قائلا :

- محدش يجيبلها سيرة اننا عرفنا حاجة.. ولو اتصلت كلموها عادى ... وانا هروح للدكتور حمدى وهو ان شاء الله هيقدر يخالينا نشوفهم ونطمن عليهم

قالت أم فارس بلوعة :

- ماهى قالتلنا انه تعبان وسافر يتعالج

نظر عمرو أمامه باشمئزاز وهو يقول :

- مش لازم نصدقها فى أى كلمة قالتها ..أنا هدور عليه بنفسى لحد ما الاقيه وبعدين هو يبقى اخو صاحبة الشركة اللى انا شغال فيها يعنى سهل أوصله .

****

- عاوزه أيه يا نورا.. أنا مش فايقة

قالت دنيا عبارتها تلك وهى تستند إلى ظهر مقعدها فى تأفف شديد بينما نظرت لها نورا باستنكار وهى تقول :

- أنتِ بتكلمينى كده ليه يا دنيا.. هو انا جاية اشحت منك .. وبعدين متنسيش انى مديرة المكتب يعنى أسلوبك لازم يكون أحسن من كده معايا

ضربت دنيا سطح المكتب بعصبية وقالت :

- مديرة على نفسك ..أنا يا ماما ابقى مرات فارس ودراعه اليمين هنا فى غيابه.. عارفة كده ولا لاء؟

عقد نورا ذراعيها بتحدى قائلة :

- الدكتور فارس مدانيش تعليمات بكده ولو حضرتك عاوزه تقعدى فى المكتب ده مكانه يبقى لازم هو اللى يقولى كده فى الأول

زفرت دنيا بقوة وقالت بتعالى :

- قولتلك مسافر مسافر ..أنتِ مبتفهميش

خرجت نورا مباشرة و صفقت الباب خلفها بقوة ودخلت مكتبها ..جلست خلفه بانفعال وهى تضرب بأناملها بسرعة وتوتر وهى تمتم:

- أنا مش مستريحة أبدا للموضوع ده ..لازم الدكتور حمدى ياخد خبر

******

بعد خروج نورا مباشرة من حجرة فارس التى احتلتها دنيا، زفرت بضيق وغضب ولملمت أوراقها الخاصة لتنصرف ولكن رنين هاتفها استوقفها وجعلها تنظر إلى الرقم الغير مسجل لديها بتفكير ولكنها قررت أن تجيب المتصل وقالت :

- مين

أجابها المتصل ببرود :

- أنا حسن يا أستاذة دنيا

عقدت ما بين حاجبيها وهى تقول :

- حسن مين

أجابها بنفس البرود :

- حسن اللى كنت شغال فى مكتب الدكتور حمدى معاكوا وبعدين روحت اشتغلت مع الأستاذ باسم

أومأت برأسها وقد تذكرته وقالت :

- خير يا حسن فى حاجة

- عاوز سلفية صغيرة منك ..حوإلى نص مليون جنية بس

أتسعت عينيها وهتفت ساخرة :

- أنت بتكلمنى علشان تهزر معايا ولا أيه

- أنا مبهزرش معاكى .. أنا بتكلم جد ودخلت فى الموضوع دوغرى

عقد حاجبيها بشدة وقد شعرت بالخوف وقالت :

- أتكلم على طول

- زى ما قلتلك كده نص مليون

قالت بجمود :

- مقابل أيه

- مقابل اللى سمعته بيحصل بينك وبين الأستاذ باسم يوم ما جيتيله المكتب بالليل لوحدك وخرجتى متبهدلة من عنده .. ومقابل انك اتفقتى معاه انك تودى جوزك فى داهية علشان تقسموا انتوا الاتعاب سوا وتهبروا الملايين لوحدكوا.. ها كدة كفاية ؟

أتسعت عيناها وصاحت بغضب وسبته بشدة رافضة ابتزازة لها ثم قالت:

- وشوف بقى هيحصلك أيه من باسم لما يعرف انك كنت بتجسس عليه

ضحك حسن متهكما وهو يقول :

- بمنتهى البساطة لو قولتى لباسم هفضح حكاية التزوير اللى عملتوها فى القضية

صاحت متهكمةً :

- شوف يا بابا ..أنا مش هجيب سيرة لباسم علشان بس انا مبحبش أذى حد .. لكن تنسى حكاية الفلوس دى خالص واللى انت بتهددنى بيه مرمى فى المعتقل ولو ضايقتنى تانى هتحصله .

قالت كلمتها وأغلقت الهاتف بشدة وعنف ، نظر حسن إلى الهاتف وقال بغضب :

- ماشى يا أستاذة .. لما نشوف

****

ضحك باسم ضحكات رنانة فى ذلك المكان العام المُطل على كورنيش النيل ثم قال :

- بقى فى حد فى الدنيا يقعد يتكلم فى قضية على البحر كده .. معقول لسه بتخافى مني ده انتِ قلبك اسود أوى يا شيخة

مالت للأمام وقالت بإنفعال :

- وطى صوتك شوية .. الناس بتبص علينا

هدأت ضحكاته أخيراً وتحولت ملامحه للجدية مباشرة ثم قال :

- خلاص خالينا فى المهم ... الجلسة اللى فاتت كانت جلسة أجراءات شكلية بس .. زى ما انتِ شوفتى كده مجرد تسجيل أوراق وحضور المتهم وكلام من ده .. الجلسة بتاعة بكره هى اللى لازم تبدعى فيها .. لازم تترافعى وانتِ واثقة من نفسك وعارفة بتقولى أيه

أومأت برأسها بأنصياع وهى تقول :

- هاخد المذكرة اللى كتبتهالى دى احفظها صم من النهاردة لبكره

أخذ رشفة من القهوة التى وضعت أمامه وقال :

- برافوا عليكى ..عاوزك تصميها صم

*****

نهض الدكتور حمدى من مقعده وهو يتناول مفاتيح سيارته ويقول لـ عمرو مسرعاً :

- تعالى معايا يا بشمهندس

توجها إلى المكتب مباشرة بعد أن علم من عمرو ماذا حدث لفارس وماذا فعلت دنيا والبلاغ الذى قدمته ضده وأكدت له أخته إلهام ماحدث وما عرفته من معلومات .. تفاجأ جميع المحامين بدخول الدكتور حمدى بصحبة عمرو ..أبتسم البعض وغضب الآخر وهم ينظرون إليه وهو متجه لمكتبه فى عجلة من أمره ..فتحه بقوة متوقعا وجودها ولكنه لم يجدها .. حضرت نورا فورا ونقلت بصرها بينهما بقلق بينما قال الدكتور حمدى بغضب :

- ليه يا نورا مكلمتنيش لما فارس اختفى فجأة كده

حدقت به بقلق وهى تقول :

- أختفى ازاى يا دكتور ..دى مراته قالتلى انه مسافر

قال عمرو بحنق :

- مسافر !.. اه يا بنت ال .. ولا بلاش ابوها كان راجل غلبان

هز الدكتور حمدى رأسه بقوة غير مصدق ما حدث فى غيابه وقال لها :

- لا يا نورا فارس مش مسافر ..فارس فى المعتقل ومراته هى اللى بلغت عنه وقدمت شكوى بالكذب ضده

عقد حاجبيه بغضب ثم قال لها محذرا:

- البت دى لو دخلت المكتب تانى تطردوها فورا فاهمانى ولا لاء

أومأت برأسها موافقة وقد لمعت الدموع فى عينيها وقالت :

- طب ليه تعمل فى جوزها كده

نظر عمرو للدكتور حمدى وقال :

- طب وموضوع فارس والدكتور بلال هنعمل فيه أيه

شبك الدكتور حمدى يديه وهو يستند إلى المكتب قائلا :

- الأول نعمل تصريح لوالدته تطمن عليه وتشوفه وبعدين نشوف هنعمل ايه علشان نطلعه منها هو وصاحبه

*****

بكت مُهرة بقوة وانسابت الدموع فى عينيها وهى بين ذراعى أم فارس التى قالت:

- خلاص بقى هدى نفسك شوية ..والله يا بنتى كان على عينى.. كان نفسى تيجى معايا بس عمرو بيقول مينفعش غير للقرايب بس

أنسابت دموعها أكثر وهى تقول :

- كان نفسى اشوفه حتى من بعيد من غير ما اكلمه

مسحت أم فارس على رأسها وتمسح دمعها بيدها وتقول :

- أنا هقوله انك بتسلمى عليه وانك كنتِ عاوزه تيجى

هتف عمرو فى عجلة منه :

- يالا بقى يا جماعة لازم نتحرك دلوقتى الدكتور حمدى مستنينا بالعربية تحت

تشبثت مُهرة بها وهى تقول برجاء :

- طب مش هدخل هستنى بره

نظرت لها أم فارس بإشفاق وقالت لعمرو :

- مينفعش يا عمرو يابنى تيجى معانا وتستنى بره

مطت عمرو شفتيه وهو يقول :

- ماهو انا كمان هستنى بره ..طيب يالا تعالى معانا ..قولتى لوالدتك

أومأت برأسها وهى تقول :

- ايوا قلتلها

ثم اندفعت للداخل وهى تقول :

- ثوانى هجيب حاجة واطلع على طول

دخلت مُهرة غرفته و فتحت مكتبه وأحضرت أحد الصور لهما معاً وهى طفلة صغيرة وأخذت قلما وضعتهما فى حقيبتها وخرجت على الفور هاتفه :

- أنا جاهزة يالا بينا

نزلت خلفهم تهبط الدرج بسرعة ...أتصطدم عمرو بعلاء الذى كان صاعدا إليها .. وقال :

- معلش يا كابتن مخدتش بالى أصلى مستعجل

نظر له علاء بريبة وقال :

- هو مش أنت كان مقبوض عليك برضة.. طلعت أمتى

تغيرت ملامح عمرو وقال بلهجة عدوانية :

- متكلم كويس يا أخى .. قول حتى حمدلله على السلامة

نظر له علاء نظرة متعالية ثم نظر لمُهرة قائلا :

- خارجة كده على فين

نظر له عمرو بغضب ثم نظر إلى مُهرة قائلا :

- خلاص يا مُهرة خاليكى انتِ

هتفت مُهرة وهى تستوقف أم فارس وتمسك بذراعها قائلة :

- لاء .. أنا جاية معاكوا

أشار لها علاء بالصعود قائلا :

- تروحى معاهم فين ..أتفضلى على فوق

تدخلت أم فارس قائلة له برجاء :

- معلش يابنى علشان خاطرى سيبها تيجى معانا دلوقتى وابقوا أتكلموا بعدين ..

هبطت مُهرة درجة من السلم فتقدم نحوها يحذرها قائلا:

- بتكسرى كلامى يا مُهرة ..أنا اقولك اطلعى وانتِ تنزلى معاهم عادى كده

نظرت له بتحدى فنظر لها نظرة نارية وقال :

- لو كسرتى كلامى ونزلتى معاهم وسبتينى هطلقك ومش هسأل فيكى تانى فاهمانى

تدخلت أم فارس وقالت لها :

- خلاص يابنتى اطلعى مفيش داعى للمشاكل

هزت مُهرة رأسها بعنف ونظرت له بتحدى أكبر وهبطت درجات السلم بثقة وهى تقول لأم فارس :

- يالا بينا يا ماما هنتأخر

مرت بجواره وهو مصدوم من رد فعلها، كان متوقع أن تهديده سيأتى ثماره معها وسترجع معه رغماً عنها ، شعر بالغضب الشديد واستدار إليها وهى تهبط درجات السلم أمام نظرات عمرو وأم فارس المصدومة فناداها بغضب شديد ..ألتفتت إليه ببرود فقال بجمود :

- أنتِ طـالـق

أبتسمت وكأنها لم تسمع شيئاً نظرت لعمرو وأم فارس قائلة :

- يالا يا جماعة هنتأخر

تحركت السيارة نحو سجن طرة ... جلست مُهرة فى السيارة فى الخلف بجوار أم فارس وأم بلال بينما كان عمرو فى المقدمة بجوار الدكتور حمدى الذى كان يجلس خلف عجلة القيادة وهو عاقد جبينه فى تركيز محاولاً التفكير فى مخرج ما لتلميذه النجيب الذى طالما اعتبر نفسه أباه وأستاذه وموجهه .

ساد الصمت على الجميع داخل السيارة .. حتى قال الدكتور حمدى :

- خلاص يا جماعة كلها ربع ساعة ونوصل

قال كلمته ونظر لعمرو الذى كان ينظر إلى الطريق قلقا ، لا يعرف لماذا راوده هذا الشعور، كلما اقتربت المسافة كلما اضطربت نبضات قلبه وكأنه يقترب من الموت ، كلما اقتربت المسافة كلما رأى وسمع ما حدث داخل السجون ورآه بعينيه وسمعه بأذنه ونجاه الله تعالى منه بقدرته ... بينما فى الخلف أخرجت مُهرة الصورة الصغيرة من حقيبتها وقلبتها على الوجه الآخر الأبيض وأخرجت قلمها وهى تنظر إلى أم بلال وأم فارس وهما منهمكتان فى الحديث ... أخذت نفساً عميقاً وكتبت بخط صغير منمق يعرفه جيداً:

- الحب الحقيقى هو الذى يرسم لك طريقاً تتلمس فيه ..أجمل الذكريات ..أفضل العطاء .. حُسن الأخذ .. سكن البُعد ...مودة القرب ... فإن لم تجد فيه غير الشقاء فاعلم أنه ألم متنكر .. أنزع عنه قناع الحب واتركه وارحل ...بلا أسف ...

أمضاء

الفارس الصغير

****

الفصل الثامن والعشرون

عانق كل منهما والدته فى لهفة وشوق كبيرين وقبلا رأسيهما وأيديهما بدموع العيون ..كانت كل منهما تنظر إلى ولدها غير مصدقة أن الله سبحانه وتعالى قد مد فى عمرها حتى رأت ولدها حى يرزق من جديد .. كان العناق بالقلب والعيون أكبر شوقاً من عناق الأجساد .. جلسوا بجوار بعضهما البعض غير مصدقين هذه اللحظة التى جاءتهم منحة من الله عزوجل فى عز أزمتهم المظلمة بين جدران السجون ... صافح الدكتور حمدى ، بلال ، وهو ينظر إليه بإعجاب شديد بينما ربت على كتف فارس مشجعاً وهو يقول بتاثر :

- أنا عارف انك راجل يا فارس وهتتحمل الأزمة اللى بتمر بيها وهتخرج ان شاء الله انت وصاحبك قريب أوى

أومأ فارس برأسه ممتناً وهو يقول :

- متشكر أوى يا دكتور على اللى عملته معانا

ربت حمدى على يديه وهو يشد عليها قائلا:

- هو انا لسه عملت حاجة يا راجل ...أجل الكلام ده لما تطلعوا ان شاء الله من هنا

مال بلال على والدته قائلاً :

- عبير والولاد عاملين أيه يا ماما ... كويسين ؟

عانقت يدها يده وهى تقول بإشفاق :

- كويسين يابنى وزى الفل متقلقش عليهم أبداً .. وبيسلموا عليك أوى.. وعبير بتقولك رسالتك وصلتها وانت كمان وحشتها أوى ومستنياك على نار

شرد قليلاً وهو ينظر أمامه بوجوم قائلاً :

- وحشونى أوى

ثم أعاد النظر إليها قائلاً :

- كلكوا وحشتونى أوى يا أمى

لمعت الدموع فى عينيها وهى تقول :

- عبير كانت عاوزه تيجى معانا بس انا مرضتش أجيبها معايا علشان عارفة رأيك فى الحكاية دى كويس

قبل يدها وقال بحنان:

- كويس يا أمى انك عملتى كده.. أنا محبش مراتى وولادى يجوا مكان زى ده ولا حد من اللى هنا عينه تقع عليها

نظر الدكتور حمدى لفارس وقال باهتمام:

- فى حد حقق معاكوا يا فارس

هز فارس رأسه نفياً وهو يقول :

- لا يا دكتور مشوفتش أى محقق خالص من ساعة ما روحت أمن الدولة لحد دلوقتى ..

ثم مال عليه قليلاً وقال :

- مفيش غير واحد صاحبى ربنا بعته لينا هناك وهو اللى جابنا هنا

نقل الدكتور حمدى بصره بين فارس ووالدته وقال موجهاً حديثه لفارس :

- هو انت فى عداوة بينك وبين حد معين يا فارس

أعتدل فارس وهو يفكر بتركيز شديد ثم قال :

- أنت عارف شغلنا يا دكتور ممكن يبقالك أعداء مش راضين عن طريقة شغلك لكن حتى لو فى عداوة معتقدش حد يفكر يبهدلنا بالشكل ده

نظر الدكتور حمدى لوالدته نظرة ذات معنى ثم قال :

- غريبة

حاولت أم فارس تغير مجرى الحديث قائلة :

- على فكرة.. عمرو ومُهرة بره وبيسلموا عليكوا أوى

نظر بلال إلى أم فارس قائلاً :

- أيه ده بجد وعمرو جاله قلب يرجع هنا تانى

نظر له فارس وابتسما سويا فى وقت واحد ولكن فارس تغيرت ملامحه وانتبه فجأة وهو يلتفت لوالدته متفاجأ وقال :

- وأيه اللى جاب مُهرة هنا يا ماما .. إزاى تجيبيها معاكى يا ماما بس

تابع بلال الحديث باهتمام عندما قالت أم فارس :

- والله يابنى أنا وعمرو غلبنا فيها واتحايلنا عليها كتير تستنى فى البيت .. بس هى اللى كانت مصممة تيجى تشوفك وتطمن عليك.. حتى لما عرفت أنها مش هينفع تدخل علشان مش من قرايبك برضة صممت تيجى وقالت هستناكوا بره ..

ثم نظرت إليه نظرة ذات معنى وهى تقول :

- حتى علاء معرفش يمنعها

ألتفت بلال إلى فارس الذى ظهر الضيق على وجهه وهو يقول :

- مكنش ينفع تيجى يا ماما ..كان لازم انتِ اللى تمنعيها مش الواد اللى اسمه بتاع ده

أبتسمت والدته وهى تقول قاصدة :

- اذا كانت مخافتش من تهديده بالطلاق وصممت تيجى معانا حتى لما طلقها ولا همها حاجة ونزلت وسابته واقف يرن

عقد فارس ما بين حاجبيه وهو ينظر فى عينيها التى كانت تحمل معانى كثييرة وقال ببطء :

- طلقها .... ؟!!

نظرت إلى عينيه وهى تقول :

- ايوا طلقها

ثم قالت مؤكدة :

- كل ده علشان تجيلك

ألقى بلال نظرة سريعة على فارس ثم أعاد رأسه إلى والدته وأكمل حديثه الخاص معها تاركاً فارس فى حيرته ...أمسكت والدته يده بشكل تلقائى حتى لا يلاحظ أحد ووضعت الصورة المطوية فى راحت يده ثم همست له وهو ينظر ليده بدهشة :

- وباعتالك الصورة دى

قبض فارس على الصورة المطوية داخل قبضته ثم تابع حديثه مع الدكتور حمدى بشكل طبيعى ولكن عقله كان يعمل فى أتجاه آخر ...

****

أنتهت الزيارة وتفرق الأحرار، فمنهم من خرج لعالمه ومنهم من عاد لجدران سجنه الكئيبة ... جلس فارس على فراشه وأخرج الصورة من راحته وفتح طياتها بهدوء ...نظر إلى الصورة وابتسم ..كانت ملامحهما المشاكسة فى الصورة كفيلة بجلاء صدره من أى هم وحزن يعتمل به... طفلة وصبى يتشاكسان بطريقتهما الخاصة ... أتسعت ابتسامته وهو يتأمل فى الصورة ..جلس بلال بجواره وهو ينظر لابتسامته الواسعة التى احتلت شفتيه ثم مال عليه وقال بخفوت :

- مش هتقرى الرسالة اللى ورا الصورة دى

قلب فارس الصورة على الجانب الأبيض منها ومرر عينيه بين سطور كلماتها وهو يتمتم هامساً بما خطت يدها الصغير ...قرأها مرة ثانية وثالثة فى صمت ما إن تصل عينيه إلى آخر كلمة فيها حتى تعود إلى أولها من جديد محاولاً فهم ما بين سطورها بصعوبة شديدة

وضع بلال يده على ذراع فارس وهو يقول بخفوت :

- ها يا فارس

رفع رأسه إليه وقال بعينين حائرتين :

- نعم !

أقترب بلال منه أكثر وقال هامساً:

- أنت قولتلى من كام يوم انك هتنفصل عن مراتك بس مقولتش أيه السبب ساعتها

حاول فارس استجماع شتات نفسه الحائرة وهو يقول:

- مشاكل يا بلال ... مشاكل مالهاش دوا .. ومش هينفع يبقى ليها حل غير الانفصال وعموما أحنا متفقين على كده من زمان وهى موافقة ومرحبة كمان .. الموضوع منتهى خلاص

نظر بلال إلى عينيه بعمق وقال بجدية :

- مُهرة ليها علاقة بالمشاكل دى ؟

رفع فارس حاجبيه متعجباً من سؤاله وهو يقول :

- وأيه علاقة مُهرة بالموضوع ده

حرك بلال رأسه بلامبالاة وهو يقول :

- يعنى ممكن تكون مراتك أصلاً مضايقة من اهتمامك بمُهرة واهتمام مُهرة بيك

تبسم فارس ساخراً ثم قال :

- لالا الموضوع مش كده خالص الحكاية أكبر من كده بكتير

ثم نفض رأسه وهو يقول بثقة :

- وبعدين يعنى اهتمامى بمُهرة شىء عادى.. ده انا اللى مربيها وهى بتعتبرنى مثلها الأعلى فى الحياة

نظر إلى التوقيع وأشار إليه بأصبعه وهو يقول له :

- شايف موقعة أيه تحت ... الفارس الصغير

أبتسم بشرود وهو يقول بإعجاب :

- طول عمرها بتحب تقلدنى من وهى عندها سنتين

وأردف ضاحكاً وهو يكمل حديثه بشجن :

- عارف يا بلال لما بقى عندها تلات سنين كانت بتشد التيشرت بتاعى من دولابى وتقعد تلبس فيه ساعة لحد ما تنجح تلبسه فى الآخر.. ويبقى طويل عليها وتقعد تتكعبل بيه وهى ماشية ..

وتبسم ضاحكاً وهو يقول :

- أصلها طول عمرها أوزعة ... وبرضة مكنتش بتحرم أبدا.. ترجع تاني تلبس قمصانى وهدومى

أبتسم بلال رغماً عنه بتأثر وهو يخفى ضحكاته الخافتة ويستمع إلى نبع ذكرياته المتدفق قائلا:

- مفيش يوم كنت برجع فيه من بره إلا والاقيها واقفالى على السلم مستنية العسلية والحلويات بتاعتى

ألتفت إلى بلال وهو يقول مؤكداً:

- ولعلمك هى رغم حبها للحلويات والعسلية لكن عمرها ماخدتها من حد غيرى أبداً

ثم شرد مرة أخرى ناظراً للفراغ وقال :

- هى كده على طول فى كل حاجة .. مبتسمعش كلام حد غيرى مبتستناش هدايا غير مني عمرها ما فرحت بهدية قد ما تكون هدية انا اللى جايبهالها علشان كده لما كانت تعبانة بعد ما اتجوزت دنيا كل اللى فكرت فيه ساعتها انى أجيبلها هدية علشان افرحها بيها ... ساعتها مجاش فى بالى خالص انى مينفعش أجيبلها هدية دلوقتى كل اللى كان فى بالى انى أدخل السعادة على قلبها وبس .

ظهر الضيق على ملامحة فجأة ويتابع حانقاً :

- المرة الوحيدة اللى مخدتش رأيى فيها فحاجة تخصها ..هى المرة اللى وافقت فيها على الواد اللى اسمه علاء ده .. ومش عارف ليه عملت كده .. يمكن اتكسفت ..مش عارف

حرك بلال رأسه بتعجب شديد ومال للأمام وهو يضع يده على الصورة بين يدى فارس قائلاً:

- أنا مش عارف ازاى راجل ناضج زيك عنده ٢٨ سنة ومش قادر يحكم على مشاعره ويفهمها صح ..

ونظر إلى عينيه بثقة وأردف قائلاً :

- شوف يا فارس انا واخد بالى من الحكاية دى من ساعة ما مُهرة تعبت يوم جوازك وانت مكنتش عاوزنى أدخل اشوفها.. ومن ساعة ما كانت واقف قدام قاعة المناسبات وعروستك قاعدة فى العربية مستنياك وانت مش عاوز تسافر وتسيبها تعبانة لوحدها .. وحكاية ضربك لعلاء على السلم مكنش علشان شوفته بيتعامل معاها وحش وبس لاء ..

قال كلمته الأخيرة ونظر بعمق داخل عينيه وهو يقول :

- أنت كنت غيران منه .. ومستنى أى فرصة علشان تعمل فيه كده وتفش غلك فيه .

أتسعت عينيى فارس وهو يستمع إلى بلال الذى تابع قائلاً :

- أنا من وقت ده ما حصل وانا كنت بفكر اقولك بس كنت متردد انى افتح معاك الموضوع ده .. أولا لأنى مكنتش اعرف حكاية الطلاق اللى انت ومراتك كنتوا متفقين عليها دى وخصوصا كمان انها مجاتش النهاردة مع والدتك وانت مسألتش عليها .. ثانياً أنها كانت وقتها متجوزة هى كمان ومكنش ينفع بأى حال من الأحوال نجيب سيرة واحدة متجوزة فى كلام زى ده ... رغم أنى كنت متأكد من مشاعرها ناحيتك .

هتف فارس قائلاً بحيرة ممزوجة بلهفة واضحة :

- يعنى أيه عرفت مشاعرها ناحيتى

أبتسم بلال وهو يرفع حاجبيه قائلاً :

- هقولك يا سيدى .. يوم فرحك لما كانت تعبانة وسخنة وانا دخلت أشوفها هى حمى ولا سخونية عادية ..كانت بتهلوس باسمك وبتقول متسبنيش يا فارس.. بس صوتها مكنش باين وامها من كتر العياط اللى كانت بتعيطة مكنتش واخدة بالها.. لكن اللى انا متأكد منه أن والدتك خدت بالها هى كمان زيى بالظبط .

أخذ بلال نفساً عميقاً يملأ به رأتيه وقد شعر أنه بلغ جهداً مضنياً وهو يحاول أن ينتقى كلماته وفى نفس الوقت يقرأ ملامح فارس وردود فعله السريعة الواضحة التى كانت تظهر عليه على أثر كلماته ثم زفر ببطء وقال :

- وأظن بقى بعد كل اللى حصل ده وبعد ما هى اطلقت وانت كمان هتسيب مراتك زى ما قولتلى يبقى مينفعش بعد كده غير الحلال .

شد على يده وهو يقول بجدية :

- عجل بالحلال يا فارس أول ما تخرج من هنا إن شاء الله ...أنا لولا انى عارفك وعارف أخلاقك مكنتش قلتلك كل ده وكنت خفت عليك من تصرفاتك ومشاعرك معاها.. لكن انا علشان عارفك كويس وعارف انت هتعمل أيه لما اصارحك بمشاعرك دى ..قولتلك ونبهتك وعارف انك هتاخد الخطوة الصح

نظر فارس لبلال بدهشة وهو يتابعه بعينيه وبلال ينهض واقفاً ويقول مداعباً :

- أصلاً انتوا بصراحة حالتكوا صعبة أوى مينفعش فيها غير الحلال

تركه بلال واتجه إلى فراشه وفارس مازال يتبعه بعينيه فى حالة ذهول شديدة ، يقاومة عقله بشدة وهو يتردد داخله كلمات بلال ..

خفض رأسه إلى الصورة مجدداً ومرر عينيه على حروفها ثانيةً لتتسلل إلى عقله وتفتح أبوابه المغلقة ليهرع قلبه إلى أجراس عقله يدقها فى صخب عنيف منادياً مستصرخاً ثائراً قائلاً:

أيا عقلى فصدقه حبيساً بين قضبانى ... أنا المسجون لو تعلم وأنت الآن سجانى

ضممتُ حبيبتى دوماً سنيناً بين جدرانى .. فكيف الآن تأمرنى بكبح جماح وجدانى

فدعنى أنطلق شوقاً إلى سكنى وعنوانى ... ودعنى أرتوى عطشاً وأسكن نهر بستانى

فلا تعجب على قلبٍ كنتُ أظنه ينسانى ... فرسم اليوم لى نبضاً فأصبح كل ألحانى

و خط اليوم لى شعراً فأطربنى وأشجانى ...وأرسل لى بصورته فأيقظنى وأحيانى

****

صُفعت صفعة قويةً أردتها إلى صدر أمها وهى تبكى بشدة ووالدها يصرخ بها مهدداً :

- أطلقتى يا مُهرة ..أتطلقتى .. وعلشان أيه ..علشان عاوزة تمشى كلامك على جوزك علشان دماغك ناشفة وعاوزة تتكسر ستين حتة ..أنا بقى هكسرلك دماغك دى وهرجعك لعلاء غصب عنك

هتفت أمها باكيةً وهى ترجوه قائلةً :

- مش كده يا ابو يحيى حرام عليك البت هتموت فى أيدك

صرخت مُهرة وهى تشهق بقوة وتلتقط أنفاسها بصعوبة:

- مش هرجعله حتى لو قطعتنى مش هرجعله حرام عليك يا بابا أنا بكرهه بكرهه حرام عليك

جذبها من شعرها إليه بقوة جعلتها تصرخ بشدة من الالم ونظر إلى عينيها بتحدى هاتفاً بغضب :

- ماهو يا ترجعيله يا هحسبك هنا فى البيت ..مفيش محاضرات .. مفيش جامعة ولا دراسة تانى من أساسه .. وأبقى شوفى بقى دماغك الناشفة دى هتوديكى لفين ..

لم يكتفى بألقاء توعده لها فقط وأنما ألقاها هى الأخرى بعنف وقوة جعلتها ترتطم بالجدار لتسقط مغشياً عليها فى الحال .

****

كانت الساعة الثامنة صباحاً وبدت قاعة محكمة الجنايات خاوية إلا من بعض المنتظرين لقضاياهم التى سوف تُنظر اليوم .. وكان من بين هؤلاء محامى المجنى عليها الذى جلس فى الصف الأمامى وقد شرد بعقله قليلاً وهو يتذكر اليوم الذى دخل فيه على سكرتير المحكمة وأطلع على أوراق القضية وقام بتصويرها وقد اكتشف أن محضر الشرطة تم تزويرة ومن بينهم أقوال الشهود حول الحادثة وقد تأكد لديه دون شك أنه تم تزويرة عمداً ولكنه تأكد أيضاً أن لكل مجرم لابد أن يترك خلفه أثراً ما يدل على جرمه وابتسم ابتسامة أنتصار وقد وقعت عينيه على مقدمة محضر تحقيقات النيابة والذى كانت هناك فيه جملة تشير إلى الأقوال الحقيقية للشهود ولكن المزور لم يلتفت إليها .

أستفاق من شروده على صوت والد المتهم وهو يحادث دنيا بنبرة قلقة مضطربة وهو يقول لها :

- أومال فين الأستاذ فارس يا أستاذة مش قلتى انه هو اللى هيحضر ويترافع

قالت دنيا بفتور وهى تجلس أمامه وبجوارها وائل وتقول :

- الأستاذ فارس تعب جدا أمبارح بالليل ومكنش ينفع خالص أنه ينزل النهاردة وبعدين مالك حضرتك خايف كده ليه هو أنا هترافع من دماغى هو اللى كاتب المذكرة وانا هقول اللى فيها وخلاص يعنى مش هجيب حاجة من عندى متخافش ...

بدأت وقائع الجلسة وسمحت المحكمة لمحامية المتهم بالحديث وبدأت دنيا فى سرد ما حفظته عن ظهر قلب من المذكرة التى أعطاها أياها باسم حتى وصلت إلى نقطة أقوال الشهود وأكدت على أن اقوال الشهود أثبتت خطأ المجنى عليها وأنها هى المتسببة فى الحادث وعندما انتهت من مرافعتها سمحت المحكمة بدفاع محامى المجنى عليها والذى قال بأن أوراق المحضر قد تم تزويرها وإخفاء أقوال شهود الإثبات ، وأنه قد حدث تزوير متعمد فى أقوال الشهود .. ثم قدم الدليل الدامغ على صدقه بأن فجر قنبلته فوق رأس دنيا مباشرة حينما ذكر للمحكمة بأنه قد ورد في مقدمة محضر تحقيقات النيابة إشارة إلى أقوال الشهود الحقيقية والمخالفة لأقوالهم فى المحضر المزور وأثبت بمرافعته التناقض بينهما واتهمهم بالتزوير فى أوراق رسمية.

وتم تأجيل القضية أسبوعين لإستدعاء الضابط والشهود ، وقعت المفاجأة مدوية على دنيا وزلزلت أركان خطتها كاملة وتبادلت النظرات الحائرة مع وائل وخرجت مهرولة من القاعة وهى تجرى إتصالا هاتفياً بباسم تستنجد به مما حدث .. أجابها باسم ببرود :

- ومالك قلقانة كده ليه مفيش مشكلة ..أنا هجيبلك أرار الظابط ده هو والشهود وهبعت وائل يتفاوض معاهم زى ما حصل قبل كده .

هتفت به وهى تتلفت حولها قلقاً :

- ونفرض بقى الظابط ولا حد من الشهود مرديش يغير كلامه ... أنت شكلك كده حاطط إيدك فى المية الباردة علشان اسمك بعيد عن كل حاجة

قال بثقة :

- اللى ميرضاش بالذوق هيرضى بالعافية ..أنتِ باين عليكى لسه متعرفنيش كويس .. بكره هبعتلهم وائل يخلص معاهم هما التلاتة علشان نعرف مين معانا ومين ضدنا ونتصرف على الأساس ده

شعرت بالتوتر الشديد والخوف وهى تقول بإضطراب :

- يعنى أيه اللى ميرضاش بالذوق يرضا بالعافية دى فهمهالى

صمت قليلا ثم قال بجمود أرعبها :

- هو بالظبط اللى أنتِ فهمتيه ده مالهاش معنى تانى .. يا أما يحضروا ويقولوا اللى أحنا عايزينه يا اما تتقدم شهادات وفاتهم للقاضى .

****

وضعت عزة رأسها على صدر زوجها وقالت بحزن :

- يا عمرو أنا مصدقت انك رجتعلى بالسلامة.. تقوم تسيبنى وتسافر تانى

مسح على شعرها بحب وقال :

- مش سفر زى ما انتِ فاكرة يا حبيبتى.. ده انا هاجى يومين فى الأسبوع وبعدين كلها كام شهر والفندق يخلص ونطلع بمبلغ كويس نبدأ بيه حياتنا

رفعت رأسها من على صدره ونظرت إليه وقالت بغيرة واضحة :

- طب واشمعنى بقى صاحبة الشركة مهتمية بيك انت بالذات بالشكل ده

نظر إليها وقال بحذر :

- تقصدى أيه

رفعت كتفيها وهى تقول بتبرم :

- قصدى أنها سألت عليك ولما عرفت اللى حصلك فضلت ورا الموضوع لحد ما طلعتك وطلعتك لوحدك كمان.. وبعدين قالتلك أن دنيا هى اللى بلغت عنكم وبعدين تديك شغل مهم وفيه فلوس كتيرة كده ..كل ده ليه ؟ !

مسح على وجنتها بظهر يده وهو يقول بمرح :

- أنت بتغير ولا أيه يا جميل

أمسكت بيده بين راحتيها وقالت بخفوت :

- أه طبعاً بغير ..مالها مهتمية بيك كده

ضحك ضحكة هادئة ونظر إلى عينيها وقال :

- أنتِ عارفة اللى بتغيرى منها دى عندها كام سنه ؟! وبعدين انتِ عارفة كويس أوى أن محدش بيملى عينى غيرك ..صح ولا لاء

نظرت إليه بشك وهى تقول:

- مش عارفة يا عمرو.. هدوءك ده مش مطمنى خالص

ضحك مرة أخرى وظهر عليه الاستمتاع بالحديث وهو يقول :

- ليه بس يا حبيبى

أستندت إلى ظهر الأريكة وعقدت ذراعيها أمام صدرها ثم قالت :

- أصل انت من عوايدك يعنى انى لما بقولك حاجة غلط بيبان عليك انك مضايق وبتقعد تدافع عن نفسك .. لكن دلوقتى هادى كده زى ما تكون بتأكدلى أحساسى

ضرب كفاً بكف وهو يحرك رأسه متعجباً منها وقال :

- والله انتِ مجنونة يا حبيبتى

نظرت إليه بدهشة فأومأ برأسه مؤكداً وهو يقول بمرح :

- اه والله مجنونة صدقينى .. يعنى انا أتعصب تقوليلى أنت عصبى وبتتخانق ..أبقى هادى تقوليلى هدوءك مش مريحنى ..أعمل فيكى أيه دلوقتى

نظرت إليه وقالت بجدية :

- شفت بقى أنت بتوهنى ازاى وبتهرب من الكلام

لف ذراعه حول كتفها وجذبها إليه وقال :

- طيب أنا هريحك .. أولا الست دى أكبر منى بكتير جدا ومتجوزة راجل أعمال و ملياردير ومديها الشركة دى تديرها .. وانا واحد من مئات المهندسين اللى شغالين عندها زيى زى غيرى ..كل اللى يميزنى أنها عارفة أنى أهم الدكتور حمدى أخوها علشان كده لما الأستاذ صلاح سأل عنى لما غبت وده طبيعى طبعا أى موظف يغيب لازم يعرفوا غايب ليه ... وعرف منك اللى حصلى قالها وهى علشان عارفه انى أهم الدكتور حمدى أدخلت فى الموضوع بمعارفها الكتير.. وطبعا كده ولا كده كانت هتعرف بموضوع دنيا والست كتر خيرها قالتلنا علشان ناخد بالنا منها ...أما بقى موضوع الشغل فترشيحها ليا للسفر فدى حاجة تشكر عليها ..هى عارفة انى فى بداية حياتى وعاوزه تخدمنى علشان خاطر أخوها برضة .. ها أقتنعتى ولا لسه ..؟

نظرت إليه بعيون غير مطمئنة ولكنها لم تجد ما تقوله .. أستطاع أن يسكتها ولكنه لم يستطع أن يقنع نفسه بما قال ، دارت الشكوك برأسه مرة أخرى ولكنه نفضها جميعا عندما سمعها تقول :

- عمرو أنا بجد متشكرة أوى

التفت إليها متعجبا وهو يقول :

- متشكره على ايه

قالت بابتسامة رقيقة :

- علشان وافقت انى اروح الدكتورة واشوف موضوع الحمل ده اللى اتأخر .

نظر أمامه بشرود ثم قال :

- أنا كنت غلطان يا عزة .. أنا كنت بفكر فى نفسى وراحتى وبس ..مفكرتش فى مشاعرك انتِ ورغبتك فى انك تبقى أم زيك زى أختك تمام .. نفسك يبقى عندك ولاد كده زيها تربيهم وتهتمى بيهم وتشبعى غريزة الأمومة فيهم ...لكن الحمد لله انى انتبهت لخطأى ده بدرى ..اللى شوفته فى المعتقل ده خلانى اراجع أمورى فحاجات كتير أوى فى حياتى واحس انى تافه وأنانى ومبفكرش غير فى نفسى

لاحظت عزة الوجوم الذى ظهر على قسمات وجهه واحتلها بضراوة مما غير ملامحه كثيراً .. شعر بأناملها تعبث بوجنته وهى تقول هامسة:

- أنا بحبك فى كل حالاتك

أبتسم وهو يلتفت إليها وقد عادت إليه روحه المرحة وقال :

- وبعدين الحمل متأخرش ولا حاجة.. أنا اللى مكنتش هنا !

****

جلست أم فارس بجوار مُهرة على طرف فراشها وأخذتها بين أحضانها ومسحت على شعرها بحنان ثم نظرت إلى والدها وقالت بغضب شديد :

- أنت ازاى تعمل كده فى بنتك يا ابو يحيى.. مش حرام عليك

لوح والدها بيده وهو يقول بعصبية :

- معلش بقى يا ست ام فارس.. دى بنتى وانا حر فيها.. أضربها اموتها محدش له عندى حاجة

أطلت من عينيها نظرات غاضبة ولأول مرة تخرج عن شعورها وتتكلم بعصبية شديدة وأخذت تهتف به قائلة :

- بنتك؟! .. تعرف ايه انت عن بنتك .. بنتك دى كانت بتقعد عندى أكتر ما كانت بتقعد فى بيتك ..كانت بتلجالى وتحكيلى مشاكلها أكتر من أمها نفسها.. لما كانت بتتعب ونوديها للدكتور ويكشف عليها ويسألنا عن أسامى الأدوية بتاعتها ولا تعبت أمتى ..أمها مكانتش بتعرف.. أنا اللى كنت برد.. مفيش دكتور روحناله إلا لما افتكر أن انا اللى أمها مش مراتك يا ابو يحيى .. أبنى كان بيعلمها ويوجهها ويذاكرلها وانت حتى متعرفش هى فى سنة كام ... أنت كنت بتخرج الفجر ترجع نص الليل وامها كانت بتخرج تشتغل علشان تكفى طلباتها هى ويحيى وكنتوا بتسيبوها لوحدها فى البيت وهى عيلة ..أتربت فى حضنى وكبرت فى حضنى ..

بكت أم يحيى كثيرًا وهى تستمع لكلمات أم فارس ولقد كانت تعلم أنها محقة ..تابعت أم فارس وهى تشير إلى مُهرة وتقول :

- بصلها كده بعد ما كبرت وبقت عروسة.. وشوف لبسها وأخلاقها وطريقة تعاملها مع الناس علشان تعرف انى عرفت اربى صح.. وشوف كده لو كانت فضلت قاعدة لوحدها وانتوا سابينها مع اخوها وصحابه والمدرسين الرجاله اللى كانوا داخلين خارجين لما كان يحيى فى الثانوية العامة وشوف كانت ممكن يحصلها أيه .. وكل ده وانت بعيد متعرفش عنها حاجة ...

ضمت مُهرة أكثر إلى حضنها وهى تصيح بهما :

- حد فيكوا عمره سألها مالك .. حد فيكوا عمره عرف حتى أسامى اصحابها أيه واصحابها شكلهم أيه .. حد فيكوا عارف قلبها فى أيه.. بتحب أيه وبتكره أيه؟ ... محدش فيكوا يعرف عنها زيى أنا .. جاى دلوقتى وتقولى بنتى وانا حر فيها.. أموتها واضربها أنا حر ..

وهبت واقفة بصرامة وجذبت مُهرة من يدها وأخذتها تحت ذراعها وقالت لهما بقوة لا تعرف كيف واتتها حينها :

- البت دى بنتى انا.. وهاخدها عندى ومحدش فيكوا هيقربلها .. والواد اللى اسمه علاء ده لو هوب ناحيتها هخلى عيال الشارع يطلعوه من هنا بفضيحة .

جذبتها خلفها بحسم وانصرفت بها أم فارس أمام أنظارهما المبهوتة ، ينظران لبعضهما البعض وكل منهما يحاول أن يحمل الآخر مسؤولية أهماله وسوء تصرفه .

******

أستطاع باسم الحصول على رقم هاتف الضابط محرر محضر القضية وأتصل بـوائل وأعطاه رقم هاتفه وطلب منه أن يقابله فى مكان عام ولا يذهب إليه فى قسم الشرطة .. بالفعل قام وائل بالاتصال بالضابط وأتفق معه على مقابلة سريعة فى مكان عام ...

ذهب الضابط لمقابلة وائل وعندما حاول وائل إغراءه بالمال ليغير أقواله رفض بشدة

و تركه الضابط وانصرف بحدة ووائل يتابعه بنظراته القلقة الخائفة وأخرج الهاتف على الفور وهاتف باسم وأخبره بما حدث ..فقال باسم :

- خلاص سيبك منه ..هو اللى عاوز يروح لقبره برجليه .. دلوقتى بقى تروح تقابل الشهود وتشوف مايتهم هما كمان وبعدين تبلغنى باللى حصل بينكوا بالظبط ..

قال وائل بارتباك :

- بس دلوقتى يا أستاذ باسم معظم الفلوس معاك هندفعلهم منين

قال باسم بابتسامة متهكمة :

- ملكش دعوة روحلهم بس واتفق معاهم وسيب الباقى عليا

حاول وائل أقناع الشهود بالإستجابة لطلبه وإغراءهم بالمال ولكنهما كانا مذبذبين بشدة وقال أحدهما :

- يا أستاذ وائل بقولك محامى البنت القتيلة لسه نازل من عندنا قبل انت تيجى على طول وهددنا أننا لو غيرنا أقوالنا ومقولناش الحقيقة هيفضحنا قدام المحكمة ويحبسنا بتهمة التزوير .

مال وائل للأمام وقال بثقة :

- ولا يقدر يعملكوا حاجة ..أنتوا هتقولوا اللى شفتوه

وضيق عينيه وهو يقول مؤكدا:

- مش كده ولا ايه

نظرا الرجلين إلى بعضهما البعض بقلق وخوف وقال الآخر :

- طيب يا أستاذ وائل سيبنا نفكر فى الموضوع ده مع نفسنا

نهض وائل وهو يضع أمامهم أرقام هاتفه وقال :

- كده نبقى متفقين .. تكلمونى بعد يومين علشان نقعد مع بعض ونتفق على كل حاجة

غادرهم وائل سريعاً وهو يبتسم بثقة وأغلق الباب خلفه ... نظر أحداهما للآخر وقال :

- هنعمل أيه دلوقتى.. الراجل ده شكله شرانى أوى وفى نفس الوقت المحامى التانى هددنا بالحبس بتهمة التزوير .

قال الاخر :

- طب وبعدين ...

وقبل أن يجيبه سمعا طرقاً على باب الشقة فنهض أحدهما وهو ينظر للآخر مترقباً وفتح الباب ونظر إلى القادم بتساؤل ورهبة وهو ينظر إلى حلته العسكرية وهو عاقداً ذراعيه أمام صدره ويقول بهدوء ولكن بلهجة صارمة :

- ها اتفقتوا على المبلغ ولا لسه !

****

وبعد أسبوعين مرتقبين كانت تجلس فى قاعة المحكمة وهى تنظر إلى محامى المجنى عليها، يحمل وجهها قسمات انتصار واثقة بعد أن أكد لها باسم أن الشهود سيغيرون أقوالهم و عدم حضور الضابط الذى يستند إليه محامى المجنى عليها فى أثبات جناية التزوير ، بدأت الجلسة وأمر القاضى حاجب المحكمة بالنداء على الشهود الثلاث .... نظرت دنيا إلى الأوراق أمامها وهى تشعر بأن كل شى قد انتهى ، فبمجرد أن يشهد الشهود بنفس الشهادة التى أمام القاضى فى المحضر فسوف يتغير الحكم كما قال لها باسم ..وأخذت ترسم أحلام وردية فى دنياها الخاصة وترى اسمها يسطع فى سماء الشهرة كنجمة متلألأة بين النجوم ..ولكن شعرت بزلزال شديد يفتت أحلامها وينثرها لتسقط من السماء إلى الأرض فى خسف شديد وهو تستمع إلى صوت الضابط الذى وقف أمام المحكمة بهئيته وقد ألقى عليها هى ووائل نظرة استخفاف .

بدأ القاضى بسؤاله عن أقواله وبدا هو فى سرد الوقائع الحقيقية التى حدثت بالفعل وعندما ناقشه القاضى فى الأقوال التى بين يديه فى التقرير المزيف أجاب الضابط بالنفى وأنه لم يكتب هذا المحضر وأن أقوال الشهود فيه مزيفة عن الأقوال التى أدلوا بها من قبل .

أنهى القاضى مناقشة الضابط ثم استدعى الشاهدين اللذين أكدا أقوال الضابط و أنكروا بشدة الأقوال الموجودة فى المحضر المزيف ... شعرا كل من دنيا ووائل بأن الأرض قد ضاقت عليهما وأن السماء قد سقطت كسفاً على رأسها ودرات بها الدنيا وهى تهمس لوائل أن يقوم ويناقش الشهود ويحاول تضليل المحكمة

ولكن الصدمات تاتى تباعاً دائماً ، فجأة سمع الجميع هتاف هانى من خلف القضبان فى انهيار شديد وبكاء حار وهو يعترف بجريمته ويشهق كالنساء ويرتجف خلف قضبانه بعد ان أدلى باعتراف مفصل وظل يهتف صارخاً :

- مكنش قصدى اقتلها مكنش قصدى كل ده يحصل مكنش قصدى

سقطت دنيا مغشياً عليها عندما سمعت القاضى بعد المداولة ينطق بالحكم ويأمر بغحالة أوراق هانى للمفتى ويأمر بعودة أوراق القضية للنيابة العامة للتحقيق فى واقعة التزوير!

*****

الفصل التاسع والعشرون

صرخت دنيا فى وجه وائل وصاحت بعصبية شديدة :

- يعنى أيه مش لاقيه.. هيكون راح فين.. أختفى يعنى

تبادل معها الصراخ وأخذ يصيح بانهيار :

- بقولك اختفى.. أختفى ..لا تليفون ولا مكتب.. ومعرفش بيته.. عاوزانى أعمل أيه اضرب الودع ولا افتح الكوتشينه

جلست ودفنت رأسها بين كفيها وهى تنوح وتبكى ثم تنهضت وتدور حول نفسها فى المكان هائمةً على وجهها وهى تقول بهيستيرية :

- يعنى أيه .. وقعنا فى المصيبة دى وسابنا وخلع ..ده احنا قدامنا أقل من شهر والتحقيقات تبدأ معانا وساعتها هنتحبس على ذمة التحقيق وياعالم هنطلع تانى ولا لاء ..

ألتفتت إليه صارخة بجنون :

- ما ترد عليا يا بنى آدم هنعمل ايه

أتجه نحوها ودفعها من كتفها وهو يصيح :

- معرفش معرفش .. ياريتنى ما كنت سمعت كلامه.. ياريتنى ماكنت بصيت لفلوس القضية أدينى هتحبس معاكى ومستقبلى هيضيع

نظرت له بذهول وهى تقول غاضبة :

- طب ليه عمل كده ليه .. كان قصده أيه من كده.. ياخد الفلوس ويحبس فارس ويضيع مستقبلى ويحبسنى وخلاص ..طب ليه

ضرب وائل قبضته فى الجدار وهو يقول بخزى :

- هو انتِ لوحدك؟ .. منا كمان ضيعلى مستقبلى وهيحبسنى بسببه ..قالى ملكش دعوة.. أنا هوقف الظابط عند حده ومش هيروح المحكمة وطلع بيضحك علينا .. زى ما يكون كان قاصد يعمل فينا كده من الأول وكان بيلاعبنا بصوابعه زى عرايس الخشب ..يخلينا نروح نتفق مع سكرتير النيابة وندفعله الفلوس وهو بعيد.. ويخالينى اروح للظابط اساومه هو الشهود وهو بعيد

ضرب الجدار بقبضته مرة تلو مرة وهو يهتف حانقاً :

- غبى ..أنا غبى.. كان لازم أخد بالى

تقدمت نحو الباب وفتحته بعنف وهى تصرخ فيه :

- أطلع بره يا وش النحس .. أطلع بره

خرج وهو ينظر إليها نظرات محتقرة بإزدراء، فصفعت الباب خلفه بقوة وأخذت تتنفس بصعوبة وهى تفرك يديها بتوتر وخوف

*****

كادت أم فارس أن تتابع حديثها مع مُهرة لولا أن سمعت طرقات أخرى على باب الشقة .. عدلت مُهرة من جلستها بينما اتجهت أم فارس لتنظر من الطارق .. فتحت الباب فوجدت شاب لم تره من قبل، ولكنه ابتسم وقال باحترام :

- السلام عليكم يا حجة

نظرت إليه بتسائل وهى تقول :

- وعليكم السلام يابنى

قال باهتمام :

- مش دى شقة الدكتور فارس سيف الدين

قالت وهى تومىء برأسها :

- أيوا يابنى هيا

مد يده لها بخطاب قائلاً :

- الجواب ده للأستاذ فارس

وقبل أن تتكلم قال بسرعة :

- أنا عارف أنه مش موجود دلوقتى بس لو سمحتى الجواب ده مهم جدا من فضلك تحاولى توصليه ليه بأى طريقه عن أذنك

حاولت أن توقفه ولكنه لم يعطيها الفرصة وهبط درجات السلم سريعاً ، أغلقت الباب وهى تقلب الخطاب بين يديها بدهشة متسائلة :

- ياترى من مين الجواب ده

نهضت مُهرة وتوجهت إليها وهى تنظر إلى الخطاب بين يدها وقالت :

- من مين الجواب ده يا ماما

- معرفش يا بنتى بس بيقولى أنى لازم أوصله لفارس ضرورى

قالت كلمتها وهى تفتحه وتقول :

- لما نشوف فى أيه ده كمان

حاولت أن تدقق النظر فيه ولكن الخط كان صغيرا فلم تستطع أن تقرأه بوضوح فدفعته لمُهرة وهى تقول :

- خدى أقريهولى يا مُهرة لحسن الخط صغير أوى

أخذته مُهرة من يدها ونظرت فيه وبدأت فى القراءة بصوت مسموع :

- عزيزى دكتور فارس.. مش مهم تعرف أنا مين ..المهم انى عندى معلومات مهمة جدا ليك .. أنا مش عارف انت اتخدعت بسهولة كده ازاى.. لكن انا أحب اشيل الغمامة دى من على عينك واقولك أن مراتك بعد أبوها مات على طول راحت لباسم مكتبه بعد ما حطت لأمها منوم و........

لم تستطع مُهرة القراءة شهقت وهى تضع يدها على فمها .. حثتها أم فارس على المتابعة وهى تمسكها من ذراعها وتقول بجدية :

- كملى يا مُهرة سكتى ليه

تلعثمت مُهرة وهى لا تعرف ماذا تفعل فقالت :

- ماما الجواب ده مش لازم يوصل لفارس أبدا

شدت أم فارس على ذراعها وقالت بتصميم :

- هتكملى ولا أنده حد تانى يكملهولى

أعادت مُهرة قراءة الخطاب فى تردد وبصوت مضطرب ... بينما أخذ وجه أم فارس يمتقع وهى تحدق فى الفراغ، حتى أنهت مُهرة قراءته فرفعت وجهها إلى أم فارس وربتت على كتفها قائلة :

- ماما الله يخاليكى أهدى شوية.. أنتِ الضغط بيعلى عندك بسرعة

لمعت الدموع فى عينيها وهى تقول :

- يا حبيبى يابنى .. وكنت كاتم فى نفسك كل ده وساكت.. طب ليه يا فارس سكت ليه

نظرت لها مُهرة بعدم فهم وقالت متسائلة :

- يعنى أيه الكلام ده هو فارس كان عارف

عقدت حاجبيها وهى تقول غير مصدقة :

- كل تصرفاته بعد ما رجعوا من اسكندرية كانت بتقول أنهم مش كويسين مع بعض .. مع أنهم مكانش لسه بقالهم أسبوع متجوزين جديد .. وهو شكله كان كأنه شايل هم كبير أوى ومش عارف يا حبيب امه يتكلم مع حد ..

دمعت عينيها وهى تقول بتاثر :

- أتاريه مكنش عاوز يفضحها .. تقوم فى الآخر تعمل فيه كده ! .. بقى يسترها ويخبى سرها وفى الآخر تبهدله البهدلة دى وكل ده علشان كانت طمعانة فى القضية وفلوسها .

وضعت مُهرة الخطاب بجوارها ولفت ذراعيها حول ذراع أم فارس وأسندت رأسها على كتفها وقد انزلقت دمعتين من عينيها فى صمت .. ثم قالت :

- مش لازم يشوف الجواب ده يا ماما.. أحنا لازم نقطعه.. ده ممكن يتهور ويعمل فيها حاجة

قالت كلمتها ومدت يدها للخطاب وقبضت عليه فى راحتها بقوة ونهضت لتلقى به فى القمامة، ولكن أم فارس أوقفتها وجذبت الخطاب منها وقالت بتصميم :

- مش هنسترها تانى.. لا انا ولا ابنى.. خلاص .. لازم يشوف الجواب ولازم تاخد جزائها علشان نارى تبرد شوية.. وانا عارفة انه مش هيأذى نفسه.. بس كفاية انه يبرد ناره شوية ويعرف اللى حواليه عملوا فيه كده ليه .

مسحت مُهرة دموعها براحتيها عندما سمعت رنين هاتف المنزل وتوجهت لتجيب المتصل وهى تقول :

- السلام عليكم

أتاها صوتاً محملاً بالفرحة واللهفة .. صوتاً كان ولا يزال محملاً بالحنان الجارف دائماً ..سقطت السماعة من يدها المرتعشة على أثر المفاجأة الغير متوقعة عندما سمعته يقول بشوق :

- مُهرة ؟

ألتقطت السماعة سريعاً ووضعتها على أذنها غير مصدقة وأم فارس تنظر إليها متعجبة منها ولكن دهشتها زالت وقفزت فرحاً من مكانها عندما سمعتها تقول بأنفاس متقطعة :

- فارس ؟

أخذت أم فارس سماعة الهاتف من يدها ووضعتها على أذنها تمسكها بيدها الاثنتين فى شوق ولهفة وهى تقول :

- فارس ..أبنى.. أنت بتتكلم منين

وضعت مُهرة يدها على صدرها وهى تشعر أن قلبها سيقفز من مكانه فرحاً واحتقن وجهها بشدة وهى تستمع لأم فارس تقول من بين دموعها :

- يعنى انت طلعت يا فارس ؟.. بجد يابنى طلعت.. طب انت فين

ثم أخذت تقبل السماعة وهى تبكى قائلة :

- تعالى بسرعة يا فارس.. تعالى بسرعة.. نفسى اخدك فى حضنى يابنى وحشتنى أوى

أنهى فارس المكالمة وهو يمسح دموعه ويد الدكتور حمدى تربط على كتفه قائلا بمرح :

- أيه ده.. هو انت لسه شوفت حاجة ..أومال لما تروح بقى هتعمل أيه

ثم مد يده بالهاتف إلى بلال قائلاً :

- يالا خد انت كمان التليفون وكلم والدتك وبلغها أنك خرجت

أبتسم بلال واستنشق الهواء النقى خارج جدران المعتقل حتى أمتلأ صدره به ثم زفر بهدوء وقال :

- لا يا دكتور معلش ..أنا عاوز اعملهم مفاجأة

ضحك الدكتور حمدى وهو يقول :

- حرام عليك يلاقوك قدامهم كده فجأة

ضحك فارس ثم قال :

- طول عمره بتاع مقالب يا دكتور.. هو كده من زمان

ضحك ثلاثتهم وهم يستقلون سيارة الدكتور حمدى فى طريقهم إلى منازلهم ، كان الدكتور حمدى يقود السيارة وهو ينظر إلى فارس الجالس بجواره نظرات خاطفة ورأسه يدور لا يعلم ماذا يفعل .. لابد أن يخبره بأمر زوجته التى قدمت ضده بلاغ وزجت به فى معتقلات الأهوال تلك ظلماً ، ولكن هل يخبره الآن أم ماذا ؟... قطع فارس عليه تفكيره وقال متسائلا :

- معرفتش يا دكتور مين اللى عمل فينا كده ؟

ألتفت إليه الدكتور حمدى ثم أعاد النظر للطريق وقد حسم أمره ثم قال :

- فارس .. لازم تعرف الدنيا دى كلها فيها الكويس وفيها الوحش فيها اللى بيعمل خير لوجه الله من غير سبب وفيها برضة اللى بيأذى الناس من غير سبب ولو الأذيه جاتلك من اقرب الناس ليك أوعى تزعل نفسك .. واعرف ان ربنا بيكشفلك اللى حواليك علشان متفضلش عايش موهوم ومخدوع فيهم ..

أستدار فارس بجسده إليه ونظر للخلف إلى حيث بلال التقت نظراتهما فى تساؤل صامت قطعه فارس وهو يلتفت إلى الدكتور حمدى قائلا :

- الكلام ده معناه ان حضرتك عرفت مين

أومأ الدكتور حمدى برأسه وهو يقول :

- أيوا عرفت ... بس كنت محتار اقولك دلوقتى ولا لما تروح بيتك وترتاح شويه من اللى شفته

أعتدل بلال فى جلسته وقد شعر أن الدكتور حمدى يقصد شخصاً قريب جدا من فارس بينما قال فارس سريعاً :

- مين يا دكتور قولى مين

أضطرب صوت الدكتور حمدى وهو يقول ببطء :

- مراتك دنيا

أتسعت عيني فارس هلعاً ونظر إلى بلال الذى لم تكن الصدمة عليه أقل من فارس .. حدقا فى بعضهما البعض بينما هتف فارس :

- دنيا مراتى .. أزاى و ليه .. حضرتك متأكد يا دكتور متأكد انها مراتى اللى عملت فيا كده

ظهر الأسف على وجه الدكتور حمدى وهو يقول بإشفاق :

- هو ده اللى انا عرفته.. ولعلمك محدش هيقدر يجاوب على سؤالك .. إلا انت بس .. أنت بس اللى ممكن تقولنا ليه هى عملت كده

أعتدل فارس فى جلسته مصدوماً واستند بظهره إلى مقعده وقد احتقن وجهه غضباً وحنقاً وضرب باب السيارة بقبضته بقوة وهو يهتف :

- سؤال أيه اللى اجاوب عليه .. هو فى حاجة بين راجل ومراته مهما كانت تخاليها تعمل كده فيه .. ليه يا دنيا تعملى فيا كده ليه ده انا ..

بتر كلمته وابتلعها قبل أن يكملها .. كان سيقول:

- ده انا سترتك ومرضتتش افضحك .. ولكن فروسيته المعهودة أبت ذلك ... ربت بلال على كتفه من الخلف ثم قال :

- أستنى يا فارس لما تقابلها وتتكلم معاها بهدوء.. أحنا لسه مش عارفين حاجة.. أستنى لما تسمعلها الأول

ألتفت إليه فارس غاضباً وهو يقول :

- هتقولى أيه يا بلال ..هتقولى بلغت عنى وعن صحابى ليه .. ليه

ربت على كتفه مرة أخرى وهو يدعوه للهدوء مرة أخرى وأن ينتظر حتى يسمع منها حتى هدأ فارس بعض الشىء وصمت غضبه خارجياً ولكن قلبه كان مشتعلاً .. كيف تفعل فيه ذلك بعد كل ما فعله من أجلها .

****

أقتربت سيارة الدكتور حمدى من منزل بلال الذى شعر بنشوة وانتشاء حينما لاح جانب المنزل من بعيد فقال سريعاً :

- كفاية هنا يا دكتور معلش تعبناك معانا

أبتسم الدكتور حمدى بوقار وقال ضاحكاً:

- تعب أيه بس هو انا اللى اتعلقت ...

قال كلمته وضحك بينما انفجر بلال ضاحكاً ثم قال :

- بعد اللى شوفته فى المعتقل ده بيتهيالى مفيش مصرى متعلقش

ضحكا الأثنان بينما كان فارس واجماً شارداً فى عالمه الخاص .. ترجل بلال من السيارة وانحنى باتجاه فارس وضع يده على كتفه قائلا :

- الهدوء هو اللى هيعرفك السبب مش الغضب.. أهدى وتوكل على الله

أومأ له فارس برأسه بينما شرع الدكتور حمدى فى الأنطلاق بالسيارة إلى حيث منزل فارس

صعد بلال درج منزله بهدوء ومر بجوار باب المركز الخاص به ونظر نظرةً فى الخفاء متعجباً .. المركز خاوى ولكنه مفتوح وكأنه يعمل، وكأنه لم يُغلق يوماً ، وفى هذه اللحظة شعر بمن يضع يده على كتفه من الخلف قائلا بخشونة :

- مين حضرتك

ألتفت إليه بلال وابتسم فى وجه الممرض المساعد له فى المركز والذى ما أن رآه حتى كاد أن يهتف متفاجأً باسمه، لولا أن وضع بلال يده على فمه وكممه حتى هدأ ثم رفع يده عنه وهو يشير له بالصمت .. هتف المساعد بسعادة:

- رجعت من السفر أمتى وأيه المفاجأة الحلوة دى

أبتسم بلال وهو يجيبه بصوت خفيض :

- الله يسلمك ..ها أخبار المركز أيه

رفع المساعد كتفيه وهو يقول :

- حضرتك مشيت من غير ما تقولى.. وطبعا الناس ابتدت تضايق من سفرك المفاجىء.. قفلنا شوية بس زوجة حضرتك فتحته تانى ورجعنا كلمنا الناس وبلغناهم ان سبب سفرك كان ضرورى ومسألة حياة أو موت .. والناس تفهمت الوضع وبلغناهم اننا هنتصل بيهم تانى لما المركز يرجع يشتغل

ظهرت البشاشة على وجه بلال مقدراً لمجهود زوجته فى الحفاظ على سمعته كطبيب فلم تكن عبير تطمح فى أن ينتظره المرضى ، فالمرض لا يمكن الصبر عليه ، ولكن كل طموحها كان فى الحفاظ على سمعته كطبيب حتى لا تتأثر بهذا الاختفاء المفاجىء وانتقطاعه عن متابعة المرضى ... ألتفت إلى مساعده وقال متسائلا:

- وانت كنت فاتح ليه دلوقتى

قال المساعد :

- مش انا دى زوجة حضرتك .. وانا كنت نازل اشترى شوية حاجات كده للمركز

رفع بلال حاجبيه قائلا:

- يعنى هى جوه دلوقتى ؟

أومأ المساعد برأسه ثم قال :

- قالتلى اجيب الحاجات دى.. ولما ارجع هى هتمشى على طول

أخذ بلال الأشياء من يد المساعد وقال :

- خلاص امشى انت .. النهاردة أجازة بمناسبة رجوعى

كانت عبير تجلس على مقعده خلف مكتبه وهى تقلب أوراقه وتحاول فهم ما بها برغم صعوبتها .. شعرت بمقبض الباب يفتح فعقدت جبينها وأنزلت النقاب على وجهها ونهضت واقفة بتوتر .. عقدت جبينها بقوة وهى لا تعلم أنها سترى أحب الوجوه إليها على الأطلاق .. فُتح الباب ولكن أحداً لم يدخل ولكنها سمعت صوته يقول :

- خايف ادخل فجأة تتخضى

صرخت عبير ووضعت يدها على فمها وجرت باتجاه الباب وفتحته بلهفة لتنظر إليه وإلى ابتسامتة التى زينة وجهه وابتلعت ريقها وهى تحدق به غير مصدقة أنه يقف أمامها .. لم تمضى عليها ثوان حتى دارت رأسها وسقطت مكانها ولكنها لم تفقد الوعى ... حملها بلال وأغلق الباب خلفه بقدمه وتوجه بها إلى مقعد الكشف الكبير ووضعها برفق ورفع النقاب عن وجهها وهو يقول بلوعة :

- عبير.. أنتِ كويسة ؟

نظرت إليه بعيون دامعة وهى تقول بوهن :

- أنت بجد ولا حلم؟

أبتسم وهو يمسح على وجنتها ويمرر أنامله على وجهها وهو يقول هامساً :

- بجد يا حبيبتى ..أنا طلعت النهاردة وقلت أعملكم مفاجأة بس اظاهر انى غلط

وضعت يدها على وجهه تتحسسه باضطراب وهى مازالت غير مصدقة وتقول :

- يعنى انا مش بحلم ..

قالت كلمتها وبدأت فى بكاء مرير ولفت ذراعيها حول رقبته وعانقته بقوة وهى تتشممه وتبكى وتنتفض وتقول هاتفة :

- يارب مكنش بحلم .. يارب تكون حقيقى يا بلال.. يارب تكون رجعتلى يا حبيبى

ضمها إليه بقوة وهو يمسح على ظهرها برقة وقد اغرورقت عيناه بالدموع من فرط تأثره بكلماتها وهو يقول مطمئناً :

- أطمنى يا حبيبتى.. أنا هنا والله.. أنا بجد .. أطمنى ... وحشتينى وحشتينى أوى

رفعت رأسها من صدره ونظرت إليه مرة أخرى وهى تمسك بوجهه بين راحتيها وقالت :

- شفت الولاد وماما ولا لسه

هز رأسه نفياً وهو يقول مبتسماً :

- أنا لما عرفت انك هنا مقدرتش أروح فى حته تانية.. دخلتلك على طول

أنتبهت عبير وهى تقول :

- هو الممرض بره ؟

هز رأسه نفياً مرة أخرى وتلمس وجنتها وهو يتأملها قائلاً بشوق :

- متقلقيش ..أنا مشيته وقفلت باب المركز من جوه .. يعنى أحنا لوحدنا دلوقتى

نظرت له وابتسمت بحب فقال بمرح :

- فاكرة الكرسى ده لما قعدتى عليه أول مرة وكنتِ خايفة أحسن اكشف عليكى

ضحكت وهى تحيط عنقه بيدها قائلة :

- فاكرة

نهض من مقعده وجلس جوارها قائلا بخفوت :

- هى رجلك عاملة أيه دلوقتى ؟!

ضحكت عبير برقة وحب وشوق كبير .. ها قد استعادت الزهرة عبيرها وشذاها الخلاب وكأنها عادت للحياة من جديد ، بلمسة من بستانيها الخبير، لتتفتح وتزدهر على ألحان قلبه وهو يسقيها بعذب كلماته التى ينتقيها دائما لها، كما يتلمس البستانى زهوره بحب واهتمام ورقة ... وضمير .

****

هتفت أم فارس وهى توجه كلامها لأم يحيى قائلة :

- يالا بسرعة يا ام يحيى زمانهم على وصول

وضعت أم يحيى القدر على النار وهى تقول :

- مش كانوا بلغونا من بدرى كنا عاملنا أصناف كتير

مسحت مُهرة العرق من جبينها بظهر يدها وهى تقول بحماس:

- كده خلاص الرز كمان خلص ..

قالت أم يحيى لمُهرة :

- تصدقى يا بت يا مُهرة.. أول مرة أعرف أنك بتعرفى تطبخى

قالت أم فارس معاتبة :

- وهتعرفى منين متخاليناش نتكلم بقى

ضحكت مُهرة وهى تضع قبلة صغيرة على وجنة أم فارس قائلة :

- خلاص بقى المسامح كريم

غيرت أم يحيى مجرى الحديث قائلة :

- أنا حاسة ان الأكل ده مش كفاية

قالت مُهرة مبتسمة وهى تقطع خضروات السلطة :

- اصلاً الدكتور فارس لما بيكون مبسوط مش بياكل كتير.. علشان كده متتعبيش نفسك المهم بس السلطة جنب الأكل علشان بيحبها أوى

توجهت أم يحيى خارج المطبخ وهى تقول :

- أنا سامعة دوشة تحت ..هروح اشوف خناقة دى ولا أيه

خرجت أم يحيى بينما انتفض قلب مُهرة وهى تقول بخفوت :

- شكلهم وصلوا

نظرت لها أم فارس متسائلة بينما خرجت مُهرة تهرول متوجهة إلى غرفة أم فارس وبدلت ملابسها التى كانت ترتديها فى المنزل وارتدت ملابسها ووضعت الحجاب على رأسها وخرجت مسرعة إلى المطبخ فلم تجد أم فارس وسمعت صوتها وصوت والدتها آتى من الشرفة فخرجت إليهما سريعاً وهى تلتقط أنفاسها بصعوبة والابتسامة الواسعة مرتسمة على شفتيها وقد أيقنت أنه قد جاء .. وقفت بجوارهما فى الشرفة لتنظر إلى جيرانهم وأهل

شارعهم البسيط وهم ملتفون حوله والدكتور حمدى يقف بجواره مبتسماً وسعيداً بهذا الحب الذى يحظى به فارس من الجميع ... شعرت أن قلبها سيخرج من صدرها ويقفز من الشرفة إليه وضعت يدها على صدرها تمنعه وتصده عن الجنون واحمر وجهها بشدة وتسللت الدموع من مقلتيها رغماً عنها مختلطة بابتسامتها التى ملأت وجهها ...

رفع فارس وجهه للشرفة وهو يحاول تخطى الجميع بصعوبة ليستطيع أن يرى والدته التى كانت تهتف باسمه وتدعوه للصعود بسرعة .. كانت تلك النظرة كفيلة أن يراها ولو لثوان ويرى تعابير وجهها ودموعها .. تراجعت مُهرة خطوة للوراء وهى تلتقط أنفاسها بصعوبة وشعرت أنها لن تستطيع أن تحتمل هذا اللقاء ..

خرجت من الشرفة تجرى إلى باب الشقة ، فتحته وصعدت مسرعة وهى تسمع وقع أقدامه على السلم يصعد بسرعة أكبر من التى تصعد هى بها ، ولكن خوفها من لقاءه جعلها تسرع أكثر حتى وصلت لباب شقتها .. أختفت بعيدة عن السلم واستمعت لوقع أقدامه وهو يقترب من شقته ويتبعه الدكتور حمدى .. وسمعت والدته وهى تبكى وتهتف باسمه .

عانقته والدته بلهفة وحنان وضمته إلى صدرها بقوة وهى تبكى .. جعل يمسح على رأسها وظهرها وهو يقول :

- وحشتينى أوى يا أمى .

دخل شقته وهو يلف ذراعه حول كتفها وهو يقول للدكتور حمدى :

- أتفضل يا دكتور أتفضل

ثم نظر إلى أم يحيى التى كانت تقول بفرحة :

- ألف حمدلله على سلامتك يا دكتور

أبتسم فارس وهو يومىء برأسه قائلا:

- الله يسلمك يا ست أم يحيى

تجولت عيناه فى المكان سريعاً ... كان يتوقع أن يراها ولكنها غير موجودة .. تحول بنظرة إلى المطبخ فربما تكون هناك ، وهنا قالت والدته وهى تضيق عينيها بمكر :

- بتدورعلى حد ؟

ألتفت برأسه إليها وقال متلعثماً :

- ها لالا مفيش ..أنا بس هموت من الجوع وحشنى أكلك أوى يا ماما

قالت وهى تشير لعينيها :

- من عنيا يا حبيبى

سمع أم يحيى وهى تقول موجهة كلامها لأم فارس :

- هى البت مُهرة مش كانت واقفة معانا فى البلكونة.. أختفت فين البت دى فجأة

قالت أم فارس مبتسمة :

- شكلها طلعت فوق

ظلت مُهرة واقفة أعلى الدرج أمام باب شقتها، لا تعرف ماذا تفعل ، تخاف من مواجهته ، أن ينظر إليها بعد الخاطرة التى كتبتها على ظهر الصورة وأرسلتها إليه قاصدة أن تخفف عنه وتلهمه الحل وهدوء النفس فى حالة معرفته بما فعلت زوجته به .

****

رفع فارس وجهه بعد أن انتهى من قراءة الخطاب الذى قدمته إليه والدته بعد انصراف الدكتور حمدى وأم يحيى وكان وجهه محتقناً بشدة وصدره يعلو ويهبط بجنون ، الآن فقط علم لماذا ! ، هب واقفاً واتجه نحو الباب بغضب شديد ، حاولت والدته منعه ولكنها لم تستطع .. أتجه إلى بيتها فى غضب شديد وبمجرد أن اقترب أخرج سلسلة مفاتيحه الخاصة لسوء حظ دنيا كان مازال محتفظ بمفتاح شقتها منذ أن كان معها هناك بعد وفاة والدتها .. وبدون مقدمات فتح الباب ودخل فلم يجد إلا الهدوء والسكون .. دار فى الشقة سريعاً وقسمات وجهه تنطق ضيقا وغضبا فلم يجدها ، دخل غرفتها مرة أخرى وأخرج ملابسها من الخزانة بعصبية وقذف بها فى كل مكان باحثا عن أى شىء آخر يدينها .. أمتلأت أركان غرفتها بملابسها وانقلبت الغرفة رأساً على عقب .. وأخذ مقعد وجلس ينتظرها والشرر يتطاير من عينيه .. مرت ساعة من الوقت وإذا به يسمع المفتاح يدور فى الباب من الخارج فعلم أنها قد حضرت أخيراً .. فتحت دنيا الباب بارهاق واضح ووضعت بعض الأطعمة التى أحضرتها على الطاولة ثم توجهت إلى غرفة نومها لتبدل ملابسها ولكنها تسمرت مكانها بمجرد أن فتحت الباب لتجد ملابسها مبعثرة فى كل مكان، حدقت فى الغرفة لبرهة قبل أن تشعر بيد تمتد إليها من خلف الباب لتجذبها من شعرها بقوة وتطرحها أرضاً ... سقطت دنيا على الأرض وهى تصرخ ولكن صرختها تحاشت فى حلقها عندما نظرت إلى وجه مهاجمها .. وقالت بفزع :

- فارس !

تقدم نحوها وعينيه ينبعث منها الشرر والغضب ، تراجعت للخلف وكأن لسعات غضبه تطولها فتحرقها .. نظر لها بأحتقار ورفع يده وصفعها بقوة على وجهها وهو يهتف بها :

- حقيييرة

وقعت على المقعد الصغير وقبل أن تنهض تقدم منها بسرعة وقبض على شعرها بقوة وهو ينظر إليها بتقزز واشمئزاز قائلا بصوت مُخيف :

- قبلتى تتجوزينى ليه لما انتِ مش عاوزانى من الأول .. روحتى لباسم علشان يخلصك منى ها ..

صرخت من قبضته التى تمزق شعرها وهو يهزها منه بعنف متابعاً :

- وتضحكى عليا وتقوليلى سواق تاكسى خطفنى واغتصبنى .. وكمان عملتى عملية علشان تخدعينى أكتر.. لولا أن ربنا كشفك وعمليتك باظت ... وبعد ما سترت عليكى ومفضحتكيش تسجنينى أنا واصحابى علشان القضية يا حقيرة ...

دفعها بقوة إلى الفراش وهى تصرخ وتنظر إليه بفزع ،حاولت أن تتشبث بالفراش لتنهض ولكنه جذبها إليه ووضع يده حول رقبتها وهو يحدق بها بنظرات لم تراها منه أو من غيره طيلة حياتها .. نظرات مُميتة ... وسمعت صوته التى كان يأتى من بئر سحيق وهو يقول بصوت أرعبها :

- كنتِ عاوزاهم يقتلونى فى أمن الدولة وتخلصى مني؟ .. كنتِ مستعجلة على الفلوس أوى كده ؟ بتحبي الدنيا أوى كدة ؟.. طالما بتحبيها كده ..أنا بقى هحرمك منها ودلوقتى .. حالاً ..

وبدأ يقبض على رقبتها بقبضته بقوة وهى تنتفض بين يديه وتحدق به مذعورة وقد احتقن وجهها وبدأت دماء الحياة تفارقه .. وشعرت أنها ستموت فى هذه اللحظة وتنتهى ..

ولكن فجاة شعرت أن الدماء بدأت تعود إليها من جديد والهواء يعانق رئتيها وشعرت بارتخاء أصابعه حول رقبتها ونظرت إليه وهو يقول لها :

- أنتِ خسارة فيكى الواحد يضيع نفسه علشانك ..

وارتطمت وجنتها بصفعة أخرى وصرخ فيها قائلا:

- بس مش هطلقك واريحك.. خاليكى مرمية هنا علشان وقت ما يجيلى مزاجى وأعوز اقتلك ابقى عارف طريقك

بصق عليها ونظر إليها باحتقار وغادر المكان وهو يشعر بالتقزز والنفور وأغلق الباب خلفه بقوة أرعبتها وانتفض لها جسدها الذى لم يعد يستطع أن يتحمل كل هذا الرعب والخوف والفزع، أغمضت عينيها وابتلعت ريقها وهى ترتعش وبدأت فى بكاء هيستيرى .. كانت تريد كل شىء ففقدت كل شىء ، حتى حياتها كادت أن تفقدها ...فى لحظة غضب

****

عاد إلى منزله مساءا وهو يشعر أنه قد فقد جميع قواه وبذل مجهوداً نفسياً مضنياً .. هبت والدته منتفضةً واتجهت إليه متلهفةً وقالت :

- كده يا فارس تعمل كده فيا انا كنت هموت من الخوف عليك

تنفس بعمق ثم ربط على كتفها مطمئناً وهو يقول بإرهاق:

- معلش يا أمى أنا آسف كان جوايا شحنة وعاوز اطلعها فى مكانها اللى يستهالها

نظرت إليه متفحصة بقلق وهى تتسائل :

- روحتلها مش كده ؟ عملت فيها حاجة ؟

هز رأسه نفياً وهو يقول بابتسامة واهنة :

- متخافيش عليا.. أنا فشيت غلي فيها وخلاص.. هو أنا مجنون أضيع نفسى فى واحدة زى دى

أخذته من يده كالأطفال وذهبت به إلى غرفته وأجلسته إلى فراشه قائلة :

- نام شوية طيب ..شكلك تعبان أوى ده انت حتى مستريحتش من ساعة ما رجعت

خرجت وتركته يهوى بجسده المنهك فوق فراشه وهو يفكر فى زوجته وما فعلته به منذ أول يوم زواجهما وحتى هذه اللحظة ويتسائل عن سبب واحد فعله معها جعلها تنكر كل شىء وتقذف به خلف ظهرها وتخطوا فى طريقها على جثته بهذا الشكل القبيح .. فلم يجد شىء إلا دنائتها .. فالشخص الدنىء لا يؤثر فيه معروف ولا يستقبح مُنكراً ..

لقد أخطاء منذ اللحظة الأولى عندما قبل الأرتباط بفتاة مثلها ، لم يعطى بالا وهو يقرر الارتباط بها لحديث النبى صل الله عليه وسلم أظفر بذات الدين تربت يداك...

وكانت هذه هى النتيجة، غطى الطمع عينيها ولم تجد ديناً يُردعها فما كان منها إلا الخيانة ... أغمض عينيه فى سكون وهو يشعر فيهما بألم شديد وكأن نغزات شوك شديدة تنغزه من كثرة الإرهاق والتعب والجهد ، ورغم أنها الليلة الأولى التى سينامها على فراشه بعد كل ما مر به إلا أنه لم يرتاح ، وظلت رأسه تدور حتى سقط فى نوم عميق فجأة وكأن النوم بئر قد أسقط فيه رغما عنه على حين غره

****

فى الصباح استيقظ على صوت رنين الهاتف فنهض وهو يشعر بألم فى عظامه شديد .. نهض بتاكسل وتثاقل وعندما فتح الباب سمع والدته تتحدث فى الهاتف قائلة :

- لاء لسه مصحيش .. يابنتى أطمنى ليه القلق اللى انتِ فيه ده .. قلتلك امبارح أنه جه كويس ودخل نام .. لاء متخافيش لو كان حصل حاجة كان هيبان عليه يعنى ..... طيب ماشى خلاص ..مع السلامة

أنهت المكالمة واستدارت لتجده يقف بجوار باب غرفته عاقداً ذراعيه أمام صدره والابتسامة تعلو وجهه وهو يقول :

- كانت بتطمن عليا مش كده ؟

أبتسمت والدته بمكر وهى تقول بلامبالاة :

- هى مين دى قصدك مين

اقترب منها وقبل وجنتها وهو يقول بمرح :

- مش عارفة مين يا ست أم فارس

ضحكت وهى تتجه للمطبخ فدخل خلفها وهو يقول بأصرار :

- ممكن بقى تحكيلى كل حاجة مكنتش واخد بالى منها

ألقت عليه نظرة وهى تعد الأفطار ثم قالت :

- وانا مالى أسأل صاحبة الشأن

تنهد بقوة وهو يقول :

- اسألها ازاى بس.. مش هينفع اكلمها أصلا

وضعت والدته طبقين فى يديه ثم أخذت بقية الأطباق وخرجت من المطبخ وهو يتبعها وقالت :

- والله لو دخلت البيت من بابه هينفع تكلمها ونص كمان

جلس على المقعد خلف المائدة وهو يقول مراوغاً:

- أنتِ شايفة كده يعنى ؟

نظرت له نظرة جانبية وضربته على كتفه وهى تقول :

- يا واد بطل تتلائم عليا .. ده انت عاوزها النهاردة قبل بكره

ضحك وهو يمسك يدها التى ضربته بها وقبلها ثم قال :

- هو انا معرفش أهزر معاكى شوية يا حجة.. علطول فقسانى كده

أبتسمت فى سعادة وقالت :

- تحب احددلك معاد أمتى

أخرج هاتفه من جيبه ووضعه أمامها على المائدة قائلا:

- دلوقتى

نظرت إلى الهاتف ثم نظرت إليه بدهشة وقالت :

- أنت بتكلم جد يا واد

أخذ الهاتف وضغط رقم منزلها وأعطاها الهاتف وهو يومىء برأسه أى ..نعم

أخذت الهاتف مبتسمة بدهشة من تصرفاته الصبيانية وكأنها ترى ولدها لأول مرة !

******

نظرت أم يحيى إلى مُهرة التى كانت تفرك يديها بتوتر بالغ وقد احمرت وجنتيها بشدة بعد أن أخبرتها بطلب فارس وقالت لها :

- يعنى مردتيش عليا يا مُهرة.. أوعى تكونى مستغربة زيى انا وابوكى

لم تستطع أن ترفع وجهها ، كان الخبر كفيل بأن يفقدها وعيها ويلجم لسانها .. ها هو حبيب العمر يتقدم طالباً الزواج منها ثانى يوم تحرره من الأسر وكأنه لم يكن فى أسر السجون فقط .. هزتها أمها من كتفها وهى تقول :

- يابنتى ردى على ابوكى

رفعت مُهرة رأسها إلى والدها الذى قال :

- هتعملى فيها مكسوفة.. ما تردى على طول ها اقوله أيه.. موافقة ولا رافضة

همهمت فى خفوت فلم يسمعها أحد منهما ...هتف والدها بصوت عالى انتفضت له وهو يقول :

- متعلى صوتك

جلست والدتها بجوارها وهى تقول :

- حبيبتى .. المرة دى مش هنجبرك على حاجة.. أنتِ حره متخافيش.. أنا عارفة انه أكبر منك بعشر سنين واكتر وانتِ بتعتبريه زى اخوكى الكبير و........

قاطعتها مُهرة فجأة وهى تقول بسرعة :

- موافقة

******

- فارس أنت بتهزر ولا بتكلم جد؟!

ضحك فارس وهو يجيب عمرو عبر الهاتف النقال :

- هى الحاجات دى فيها هزار يا عبيط اخواتك انت ..طبعا بتكلم جد

قال عمرو بمرح :

- أصل مش معقول .. أنت عارف انت اكبر منها بكام سنة ولا ناسى ...طب وهى وافقت ازاى

تنحنح فارس وهو يقول :

- وأيه المشكلة .. مش فاهم

تنهد عمرو وقال :

- طب وهى قالتلك أيه ..وافقت على أساس أيه يعنى

أبتسم فارس ابتسامة واسعة وهو يقول :

- بينى وبينك انا كنت هموت واشوفها واتكلم معاها.. لما طلعت عندهم فى البيت لما كنت بتفق مع والدها على التفاصيل، بس هى بقى مرضيتش تخرج وامها قالتلى انها لو خرجت دلوقتى هيغمى عليها من الكسوف ..

ضحك مرة أخرى وهو يقول :

- حتى لما اتلككت وقلتلهم طيب لو هى عاوزه تسألنى على حاجة هتعمل أيه ..وانا لو عاوز اسالها على حاجة هعمل ايه ... مامتها دخلت كلمتها وخرجت تقولى .. بتقولك لو عاوز تسألها على حاجة قول لماما .. وماما هتقولى وانا هرد عليك عن طريقها ..وانا مش عاوزه اسأله على حاجة علشان انا عارفة كل حاجة!

ضحك عمرو ضحكات رنانة وقال :

- للدرجة دى مكسوفة منك ..سبحان مُغير الأحوال ... قولى بقى الخطوبة أمتى كده

رفع فارس حاجبيه وقال :

- خطوبة ايه يا عم الحاج ..هو انا بتاع خطوبة ..تفتكر يعنى لسه هخطب بقى وأغض البصر وكده ..وبعدين هى كمان بقت تكسف منى أوى وأنا عاوز أخاليها تاخد عليا شوية .. أحنا اتفقنا على كتب الكتاب على طول

عمرو:

- طب قولى أمتى بقى علشان أجى احضر

فارس :

- كنا هنخاليها الخميس بس علشان سيادتك بقى هنخاليها الجمعة

قال عمرو مداعباً :

- تصدق يا فارس انا عمرى ما شوفتك كده أبداً .. حتى فى جوازتك الأولى مكنتش فرحان أوى كده للدرجة دى بتحبها

زفر فارس بقوة محاولاً أخراج جميع انفعالاته وقال :

- بحبها أيه يا أخى.. أنا مش لاقى كلمة توصف أحساسى بيها .. أنا لما بلال كلمنى فى السجن ونبهنى.. حسيت بعدها انى عاوز أكسر حيطان الزنزانة وأخرج اشوفها .. كان نفسى اشوفها أوى يا عمرو.. ساعتها حسيت بالسجن فعلا كان هو ده سجنى الحقيقى .. أنا مش عارف انا ازاى مخدتش بالى العمر ده كله

****

الفصل الثلاثون

فى مساء اليوم التالى دخل فارس مكتب الدكتور حمدى بعد أن هاتفه وطلب منه الحضور على الفور لأن والد هانى قد جاء إلى المكتب وينتظره هناك ... طرق فارس باب حجرة مكتب الدكتور حمدى ودلف إليه وهو ينقل بصره بين الدكتور حمدى ووالد هانى الذى كان يقبع أمام حمدى وقد ظهر حول عينيه السواد من شدة الإرهاق والأكتئاب الذى يعانيه منذ أن حُكم على ولده بأحالة أوراقه للمفتى ..

جلس الرجل يستمع إلى فارس وهو يقص عليه ما حدث معه منذ أن دخل مكتبه أول مرة وطلب منه الدفاع عن ابنه هانى فى قضية القتل ، كان يستمع إليه وهو محدق به تتسع عينيه شيئاً فشيئاً غير مصدق ما تسمعه أذنه حتى انتهى فارس قائلا:

- يعنى مش ابنك لوحده اللى اترمى فى السجن بسبب القضية دى .. أنا كمان اترميت ظلم وده الفرق بينى وبين ابنك

ضاقت عينيى الرجل وهو يقول بذهول :

- يعنى مراتك هى اللى عملت كل ده لوحدها بعد ما رميتك فى السجن هى و وائل

أومأ فارس برأسه وقال بأسى :

- أيوا مراتى ووائل

صاح الرجل بانهيار :

- يعنى مراتك تتمتع بالفلوس وانا ابنى يتعدم واخسره

رفع فارس رأسه إليه وقال بجدية :

- ومين قالك انها هتتمتع بالفلوس .. دى زورت أوراق رسمية يعنى هتتحبس هى واللى ساعدها

دفن وجهه بين كفيه وهو يبكى هاتفاً :

- وابنى يا ناس ..أبنى هيروح مني

مال فارس للأمام وقال بهدوء:

- الحكم ده مش نهائى .. ده غير ان المحكمة هتراعى انه اعترف على نفسه

رفع رأسه ونظر إليه وهو يضرب كفيه بحسرة :

- يعنى كل التعب اللى تعبت فيه ده كله وانا بربيه وبكبره وبصرف عليه وبعمله اللى هو عايزة وفى الاخر ياخد مؤبد ولا أعدام .. ليه كده يا هانى انا قصرت معاك فأيه يابنى

تبادل فارس مع الدكتور حمدى النظرات المشفقة على الرجل وانحنى فارس باتجاهه وربت على كتفه قائلا:

- التربية مش معناها انك تديله فلوس وتخليه مش عاوز حاجة .. أنت كنت مخصصله شقة بتاعته من غير رقيب ولا حسيب على تصرفاته .. أنت اديته فى أيده الأداه اللى دمر بيها نفسه وانت فاكر انك بتسعده

مسح الرجل دموعه وهو يقول بحزن:

- أنا كنت بقول ده راجل مش بنت علشان أخاف عليه

ربت فارس على كتفه وقال :

- الحلال والحرام مفيهوش راجل وست .. كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. أنت لو كنت ربيته على الحلال والحرام كنت كسبت راجل فى ضهرك دلوقتى يقف جنبك ويساندك..

نهض الرجل بتثاقل وقد شعر أن جبلاً قد وُضع على ظهره فلم يعد يحتمله وقال بوهن :

- متشكر يا دكتور فارس .. بس انا فوقت متأخر أوى بعد ما ابنى ضاع مني وماليش حيلة خلاص

وقبل أن يخرج من حجرة المكتب تبعه الدكتور حمدى مربتاً على كتفه مطمئناً له وقال :

- متقلقش زى ما قالك فارس الحكم مش نهائى

أومأ الرجل برأسه حزناً وهو يشعر بالضياع .. لم تنفعه أمواله فى أن ينشىء رجلا حقيقياً يعتمد عليه فى مراحل عمره المتقدمة ومرضه الذى بدأ يزحف إليه رويداً رويدًا .

بعد خروج الرجل من مكتبه أخرج فارس جواب استدعاء من النيابة وقدمه للدكتور حمدى قائلا:

- الآستدعاء ده جالى النهاردة الصبح علشان قضية التزوير،قرأ الدكتور حمدى جواب الاستدعاء وهو يومىء برأسه ثم قال :

- ده كان متوقع يا فارس طبعا .. متنساش أن أسمك فى التوكيل أول أسم ..

مط شفتيه قائلا:

- عموما متقلقش فى أكتر من اثبات أنك مكنتش شغال القضية دى

تنهد فارس بعمق وقال :

- أنا مش قلقان يا دكتور .. أنا عارف انى هطلع منها بسهولة ان شاء الله .. أنا هروح بكره واحط أقوالى وربنا ييسر الأمر والموضوع يخلص على كده

نظر له الدكتور حمدى بإشفاق قائلا:

- معلش يا فارس أنا عارف أن اللى حصل مش سهل عليك وصدمتك فى مراتك مش قليلة بس انت قدها وهتتجاوز الأزمة دى بسرعة زى عادتك دايما ..

ثم ابتسم قائلا :

- وبعدين عندى ليك خبر حلو هينسيك كل ده

نظر فارس إليه بفضول فقال حمدى على الفور بمرح :

- هو انت يابنى مش معاك الدكتوراة ولا أيه

أومأ فارس برأسه وهو ينظر إليه بفضول كبير فأردف الدكتور حمدى قائلا:

- طب استعد بقى علشان تستلم شغلك فى الجامعة يا دكتور

حدق فارس به غير مصدق وعلى وجهه ابتسامة وقال بسرعة:

- بجد يا دكتور

أبتسم الدكتور حمدى وقال بخشوع:

- ربنا كبير أوى يا فارس

****

كانت عبير تضع الأطباق على المائدة وقد ارتسمت ابتسامة رضى على شفتيها ثم ضحكت ضحكة صغيرة وهى ترى بلال يمرح مع الأولاد ويداعبهم ويقوم بتعليمهم الملاكمة وهم يتدربون فيه ، فمنهم من يلكمه فى معدته ومنهم يلكمه فى وجهه ومنهم من يقفز على ظهره ويلكمه فى ساعديه وهو يصرخ بمرح ويصيح :

- ألحقينى يا عبير ولادك هيموتونى

ضحكت وهى تقول :

- أحسن ..أنت اللى علمتهم

ثم صفقت بيدها وهى تقول للأولاد:

- يالا يا ولاد أدخلوا صحوا تيتة علشان نتغدى سوا

ولكنهم لم يعبأوا ظلوا يلكمونه ويضربونه ولكنه استطاع أن يفلت منهم جميعاً ويهرول بأتجاه عبير وهو يصيح بمرح:

- ألحقونى هيموتونى

وهم يهرولون خلفه ويضحكون بشدة .. جرى بلال حتى وصل إلى عبير ولف خلفها وأحاط خصرها من الخلف وهو يحتمى بجسدها منهم وكلما جاؤه عن يمينه أدارها ناحية اليمين واذا جاؤه عن شماله أدارها باتجاههم وكأنها دمية يلعب بها وهى تضحك ولا تستطيع الفكاك من ذراعيه المحيطة بها .. خرجت أم بلال من غرفتها على أصوات الضحك ونظرت إلي بلال محدقة به وهو يحيط عبير من الخلف ويضمها إلى صدره والأولاد يضحكون وهى تضحك ..

نظر بلال إلى والدته وقال :

- لا أرجوكى يا أمى متفهمنيش غلط

حاولت عبير فكاك يده من حولها وهى تشعر بالخجل وهو مازال مطبقاً عليها بقوة لا يريد تركها فصاحت فى والدته :

- ألحقينى يا ماما خاليه يسيبنى

جلست والدته على الأريكة وهى تهتف به :

- سيبها وبطل استعباط

نظر الأولاد إلى بعضهم البعض وكأنهم يقررون خطةً ما لفك أسر والدتهم ... أندفعوا بقوة نحوهما وسقط الستة أرضا وسط ضحكات عالية .. أستطاعت عبير أن تتحرر وتنهض مسرعةً تجرى باتجاه المطبخ وهى تصيح :

- حرام عليكوا الأكل هيتحرق

دخل بلال خلفها بعد أن أعطى والدته دوائها ووقف خلفها ينظر إليها وهى تُعد الطعام والعرق ينبت على جبينها من الأبخرة المتصاعدة فى وجهها وهى تزيل غطاء القدر وتقلب فيه بهمة وتتذوقه لتشعر بالرضا تجاهه .. وضعت الغطاء مرة أخرى والتفتت لتجده واقفاً يشاهدها قالت وهى تضيق عينيها :

- نعم يا فندم جاى تكمل هزار هنا ولا أيه

ضحك وهو يقول :

- لا والله مش قصدى

ثم تقدم منها ومسح حبات العرق التى تجمعت على جبينها وقال :

- أنتِ بتتعبى أوى يا عبير .. أنا مش عارف من غيرك كنت هعيش أزاى

نظرت له بحب وقد تناست تعبها تماماً على أثر كلماته العذبة المُقدرة لمجهودها وقالت :

- أنت كمان بتتعب فى شغلك

هز رأسه نفياً وقال :

- لا انا لازم أساعدك قوليلى اعمل ايه و هتلاقينى فوريره على طول

قالت بخجل :

- ممكن تحضر الأكل معايا بس

رفع حاجبيه قائلا بدهشة :

- بس كده

أومأت برأسها فانحنى بخفة أمامها وهو يقول باحترام مرح :

- تحت أمرك يا مولاتى

ضحكت وضربته بخفة على كتفه ثم أعطته أحد الأطباق فى يده قائلة :

- أتفضل بقى للخلف دور

ألتفوا جميعاً حول المائدة وشرعوا فى تناول الطعام ولكنه فجأة ترك الملعقة من يده لتصدر صوتاً عاليا وهى ترتطم بالطبق أمامه وعقد جبينه هاتفاً :

- أيه ده يا عبير أيه الأكل ده

نظر الجميع إلي وقالت عبير بتوتر :

- أيه ماله

عقد جبينه أكثر وقال بصرامة:

- طبيخ ده ولا بسبوسة

تذوقت والدته الطعام وقالت :

- ماهو كويس أهو يابنى

بينما قالت عبير باضطراب :

- بسبوسة ازاى يعنى

ألتفت إليها بنفس الصرامة وقال :

- المعلقة يا هانم اللى دوقتى بيها الأكل ولمست بؤقك .. حطتيها فى الحلة تانى علشان كده الطبيخ بقى مسكر

رفعت عبير حاجبيها بينما نظرت له والدته ثم ضحكت وقالت :

- والله انت عاوز علقة

ثم نظرت لعبير وقالت :

- الله يعينك عليه يا بنتى.. أنتِ مستحملة رخامته دى ازاى

زفرت عبير وهى تقول :

- الله يسامحك يا بلال خضتنى.. أنا قلت حطيت سكر بدل الملح

ضحك وهو يمسك بيدها ويقبلها وهو يقول :

- مش انا قلتلك قبل كده أى حاجة بتمسكيها بتبقى مسكره

قاطعه أحد الأولاد قائلا:

- أبى أنا عاوز حته من الفرخه دى

نظر له بلال وقال لعبير :

- الواد ده طالعلى .. بياكل بضمير أوى

بعدما هدأت الضحكات قالت عبير وقد تبادلت النظرات مع أم بلال :

- بقولك ايه يا بلال أنا عندى فكرة كده يارب توافق عليها

أبتلع الطعام وقال :

- خير يا حبيبتى

- أيه رأيك تعلمنى الحجامة زى ماما كده .. ونعمل جزء فى المركز للستات .. الحجامة ابتدت تنتشر والستات مش لاقية واحدة ست تعمل عندها .

فكر بلال قليلا ثم قال :

- طب والبيت والولاد

تدخلت والدته قائلة :

- أنا هساعدها وهنتبادل الشغل وبعدين يعنى مش هتبقى زحمة ... الناس لسه لحد دلوقتى ميعرفوش فوايدها ومش هيبقى فيه أقبال كتير وخصوصا فى الاول كده ..

أردفت عبير قائلة :

- حتى لو بقت زحمة ممكن نجيب ممرضة تساعدنا

نظر بلال إليهما وقال :

- شكلكوا متفقين وانا اخر من يعلم

تبادلت مع أم بلال النظرات القلقة فقال بهدوء :

- بصى يا عبير أنا مش ضد شغل الستات بالعكس .. الست ممكن تفيد الست اللى زيها .. علشان كده أنا نفسى الدكاترة الستات يبقوا أكتر من كده ويبقوا فى كل التخصصات

قالت بفرحة :

- يعنى موافق

أشار بيده قائلا:

- موافق بشرط .. أن ده ميأثرش على بيتك وولادك

أومأت برأسها بفرحة وهى تنظر إلى والدته التى ابتسمت بسعادة وهى تنظر إلى عبير بامتنان ، فلقد كانت هذه رغبتها هى ، ولكنها خشيت من رفض بلال للفكرة خوفا على

صحتها وسنها المتقدم ، كانت تشعر أنها لابد أن تفعل شىء تخدم به الناس من حولها، لن تظل هكذا حبيسة الجدران تهتم بأحفادها وفقط ، لابد أن يكون لها دور فى المجتمع مفيد وهى وسط النساء بجوار زوجة ولدها التى تعتبرها ابنتها منذ أن رأتها فى بيت والدها، فهناك أناس يموتون فنشعر بعد موتهم بفقد الكثير والكثير وهناك أناس يموتون فنتفاجىء بأنهم كانوا لايزالون أحياء.

****

وقف فارس ماثلاً أمام النيابة يدلى بأقواله فى القضية وهو يذكر كل تفصيلة مرت به فى هذه الأثناء، وبعد أدلاء سكرتير النيابة باعترافاته وأنه فعل ذلك بعد تحريض من وائل وأنه استلم المال من دنيا يداً بيد بشكل مباشر وأنه لم يتقابل مع فارس ولم يراه من قبل .. خرج فارس من هناك دون أن توجه له تهمة واحدة .

وهو فى طريقه فى الرواق أمام مكتب النيابة تقابل مع دنيا ووائل وهم فى حالة مذرية ومن الواضح أنهم قد تم حبسهم على ذمة التحقيق .. نظر لها فارس بازدراء واطرقت هى برأسها أرضاً تخشى من مواجهته، حثه الدكتور حمدى على عدم التوقف والحديث معها ولكنه لم يفعل .

وقف أمامها قائلا :

- أنا عمرى ما عملت فيكى حاجة وحشة ، ومغصبتكيش علشان تتجوزينى، ليه وافقتى على كتب الكتاب وانتِ رافضانى ، بدل ما كنتِ تهربى من امك كنتِ كلمينى وقوليلى مش عاوزاك صدقينى كنت هحترم ده وانسحب من حياتك بهدوء ، كنتِ وفرتى علينا سنين ضاعت فى لاشىء .

صمتت واطرقت إلى الأرض تريد أن تبتلعها الأرض فى أحشائها ولا تقف أمامه مثل هذا الموقف .. سمعت صوتا من الخلف يقول :

- حمدلله على سلامتك يا دكتور

ألتفت فارس ودنيا ليجدا حسن الذى اقترب منها وقال :

- مش كنتِ وفرتى على نفسك البهدلة دى

حدقت به وقالت صارخة :

- يعنى انت اللى قلتله مش كده يا ندل

أبتسم حسن وقال لها :

- مش انتِ اللى مسمعتيش الكلام وكنتِ عاوزه تاخدى نص الفلوس لوحدك ..أديكى هتصرفيها على المحامين

ثم نظر إلى فارس وقال بزهو :

- انا اللى بعتلك الجواب يا دكتور فارس علشان اعرفك الحقيقة

أحتقن وجه فارس وهو يسمتع الحديث الذى يدور بين حسن ودنيا وشعر أنه سيتقيأ ما فى معدته من فرط التقزز الذى يشعر به تجاهمها وتجاه ما يقولان ..

دفعها أمين الشرطة تجاه مكتب وكيل النيابة لتدخل إليه تستكمل التحقيقات بينما ألتفت إليها فارس وناداها قائلا :

- دنيا

ألتفتت إليه بنظرات متسائلة وعيون باكية .. فقال بهدوء :

- أنتِ طالق

واستدار بجسده إلى حسن الذى كان ينظر إليها بشماتة .. فأمسك بتلابيبه ودفعه بالاتجاه الآخر وهو يصيح به :

- أمشى من هنا يا ديل الكلب انت

نظر الدكتور حمدى إليه متسائلا وهو يقول :

- أيه علاقة حسن باللى بيحصل يا فارس

أطرق فارس برأسه وهو يحركها يمينا ويسارا قائلا بأسف:

- معلش يا دكتور أنا تعبان ومحتاج أروح دلوقتى

وضع حمدى يده على كتف فارس وقال متفهماً :

- روح أنت أرتاح ...

ثم أبتسم وهو يقول :

- بس أعمل حسابك بعد كتب كتابك على طول هتنزل الشغل ..ماشى

- ماشى يا دكتور

****

وقبل عقد القران بيوم واحد كانت عزة وعبير فى زيارة مُهرة التى كانت كانت تظن أن شمس اليوم التالى ستشرق من أجلها وأن القمر سينتصف السماء من أجلها، لا لينير الأرض كما يفعل كالعادة ولكن سيحذو حذو الشمس وسيفعل ذلك لها وحدها .

قبلتهما مُهرة وهى ترحب بهما فى منزلها بسعادة وجلست أمامهم وهى تلاعب الأطفال وعزة تنظر إليها بدهشة بينما قالت عبير بمرح :

- علشان تعرفى بس أن قلبى كان حاسس ها

ضحكت مُهرة بخجل وهى تدفن وجهها بين الاطفال حياءا منها وقالت عزة متسائلة :

- بصراحة يا مُهرة انا مستغربة أوى .. محدش كان يفكر أبدا ان العلاقة بينك وبين فارس تبقى أكتر من علاقة بنت باخوها الكبير

نظرت لها عبير معاتبة بينما قالت مُهرة بخفوت :

- أنا عمرى ما شوفت فارس اخويا .. كنت دايمًا بشوفه قدوتى وانى نفسى ابقى زيه.. حتى ساعات كنت بتمنى ابقى شبهه فى الشكل من كتر منا كنت بحب اقلده فى كل حاجة ..عارفة العلامات اللى بتبقى مرسومة على الطريق علشان ترشد الناس .. أهو كان بالنسبإلى كده .. لاء ده انا كنت بحس انه هو الطريق نفسه اللى من غيره أضيع واتوه .

تبادلت عزة مع عبير النظرات وهما ينظران إلى مُهرة وهى تتحدث بعيون حالمة وهائمة فقالت عبير على الفور :

- أنا بكره إن شاء الله هبقى عندك من أول اليوم.. وهجيبلك الكوافيرة هنا فى البيت وهجيبلك البنات اللى هيعملولك فرح زى فرحى بالظبط مش انتِ فاكراه ولا نسيتى

***

نظر إلى سترته فى المرآة متمماً عليها بقلق ثم خرج إلى والدته التى كانت تنتظره بالخارج ودار حول نفسه ببطء مستعرضاً حلته أمامها وقال متسائلاً:

- ها أيه رأيك يا ست الكل

أبتسمت والدته وأقبلت عليه وقبلته بعينين دامعتين وقالت :

- زى القمر يا حبيبى

قال على الفور :

- تفتكرى هعجبها كده

ضحكت وهى ترفع كتفيها وتنزلهما قائلة :

- أنت عاجبها من زمان ..من ساعة ما كانت فى اللفة

قبل يد والدته ولف ذراعه حولها قائلا:

- تصدقى يا أمى مشوفتهاش من ساعة ما رجعت غير مرة واحده لما كانت فى البلكونة.. ومن ساعتها مش عارف اشوفها ولا حتى صدفة .. مش عارف مكسوفة مني كده ليه.. كأنى غريب عنها.. كأنها متعرفنيش .. مش عارف اخاليها تاخد على الوضع الجديد ده ازاى

أجلسته والدته على الأريكة وجلست بجواره وقالت بجدية :

- أنا عاوزة اقولك كلمتين يا فارس تحطهم حلقة فى ودنك .

أعتدل وبدا عليه الأهتمام وهو يستمع لها وهى تقول :

- مُهرة يابنى بالنسبالك مش هتبقى مراتك وبس .. دى كمان هتبقى بنتك ولازم تاخد بالك من كده وانت بتتعامل معاها ... أنا عارفة ان فارق السن بينكوا مش كبير ولا حاجة .. أنا بينى وبين ابوك الله يرحمه ١٥ سنه وطول عمره واحنا متفقين الحمد لله لحد آخر لحظة .. عارف ليه يا فارس .. علشان ابوك طول عمره كان حنين ومكنتش بحس أنه جوزى وبس كنت بحس انى بنته بيدينى حنان الأب زى ما بيدينى حب الزوج .. فاهمنى يا فارس

أومأ برأسه وهو يحاول استيعاب نصائحها فقالت متابعة:

- لو عملت كده مراتك هتحبك أكتر واكتر.. وهتبقى أغلى حاجة فى حياتها ومش هتقدر تزعلك أبداً

أبتسم ونهض يقبل رأسها قائلا:

- ربنا يخليكى ليا يا أمى.. ممكن بقى نطلع أحسن من ساعة ما قولتليلى كلمة مراتك دى وأنا عاوز أطلع مش عارف ليه

ضحكت والدته بشدة وهى تضع يدها على قلبها وتقول :

- سبحان الله كأنى أول مرة اشوفك بتتجوز فيها كأنك واحد تانى خالص

أخذ بيديها يساعدها على النهوض واتجه بها نحو الباب وقد فاضت نظرات الحب من عينيه وهو يقول :

- صدقينى يا ماما.. أنا كمان حاسس أنى أول مرة بتجوز وأول مرة بحب

****

تزينت مًهرة حتى أصبحت تبدو أكبر من عمرها الحقيقى ووقفت تنظر لزينتها بالمرآة وهى تستغرب شكلها الجديد وهيئتها، شردت بعقلها بعيداً وتذكرت يوم عقد قرانها على علاء ذلك اليوم الذى لم تنظر لنفسها فيه فى مرآتها أبداً ، ولا تعرف كيف كان يبدو شكلها وقتها ..

لم ترى إلا فستانها وهى تنظر إليه عندما كانت مطرقة برأسها حتى لا تراه وهى تجلس بجواره مطرقةً برأسها حزناً.. تذكرت كيف أبدت موافقتها على الزواج منه بدون عقل واعى رغم النفور الذى شعرت به تجاهه عندما تقدم لخطبتها ..

نطق لسانها بالموافقة رفض عقلها وقلبها .. حدقت بوجهها فى المرآة أكثر وقد تذكرت الطريقة التى كانت تتعامل بها مع علاء ، لم تعتبره يوما زوجها حتى أنها لم تظهر أمامه الا بالملابس المحشمة وبالحجاب ..

لم يرى شعرها رغم إلحاحه الدائم ، كانت ترفض دائما لشعورها أنه غريب عليها لا تعرفه ولا تطيقه .. كانت تعتبر رفض قلبها له دليل على عدم صحة زواجهما، لذلك هو ليس زوج ولا حتى خطيب .. كان طلاقها تحصيل حاصل سيحدث فى أى وقت ولكن فى أى حال من الأحوال ما كانت ستكمل معه مشوار حياتها أبدا .

كانت تراه مُختطف قد اختطفها من بيئتها التى نشأت بها يريد أن يقذف بها فى مجتمع آخر غريب عليها خالى من دفىء المشاعر التى اعتادت عليه فى مجتمعها الصغير، مجمتعها التى تربت ونشأت فيه وأحبته بكل ذرة فيها .

أنتفض جسدها فجأة عندما هزتها أمها بقوة هاتفة بها :

- مالك يا مُهرة سرحانة فإيه كل ده

أنتبهت إلى والدتها بعيون شاردة ولكنها عادت إلى أرض الواقع سريعاً وهى ترى عبير وعزة ووالدة فارس يدخلون غرفتها وقد ملأت الضحكات قسمات وجوههم وعبير تقول :

- الفرقة داخلة يا مُهرة .. أجهزى ببدلة الرقص

ضحك الجميع وبدأت البنات فى الدخول إليها وجلست هى كالملكة بين الجميع تنظر إليهم وتضحك ببراءة وهم ينشدون وعبير وعزة يرقصان ويرتطمان فى بعضهما البعض ويضحكان فى سعادة وبعد قليل أخذوا بيد والدة فارس لترقص معهم ولكنها خجلت واحتضنتهم وخرجت من حلبة الرقص وجلست بجوار مُهرة وهى تربط على قدمها بسعادة وحب، ضحكت مُهرة أكثر بخجل عندما أخذت عبير الدُف من أحدى الفتيات وبدأت تنشد وهم يرددون ورائها

فارس حلم بتتمنيه
واللى حلمتى فى يوم تلاقيه
بيكون وصفه يا مسلمة ايييه
يلا قوليلنا ..يلا قوليلنا ..يالا قوليلنا واحكى عليه

***ما تشوف عينه الا حلاله**
ولا غير ربه بيشغل باله
ويطاطى ويراضى الوالد
والوالدة بتبات داعياله
ومصلى والمولى هاديه
آدى اللى حلمت انى الاقيه

قولى كمان يا صبيه عليه
فارس حلم بتتمنيه
بيكون وصفه يا مسلمة ايه
يلا قوليلنا ..يلا قوليلنا ..يالا قوليلنا واحكى عليه

***يتعب جسده ويعرق اكتر**
ليرتاح قلبه الاخضر
وبيرجعلى بايده نضيفة
نفسه عفيفة وزى السكر
وطيابته بتبان فى عينه

آدى اللى حلمت انى الاقيه

قولى كمان يا صبيه عليه
فارس حلم بتتمنيه
بيكون وصفه يا مسلمة ايه
يلا قوليلنا ..يلا قوليلنا ..يالا قوليلنا واحكى عليه

***بتمناه انه يقدرنى**
يبقى ولى القلب وأمرى
والليل لو بتطول اوقاته
يبقى ونيسى ونجمى وقمرى
وانا عمرى عمرى ما اعصيه
آدى اللى حلمت انى الاقيه

قمر العاطى انك تلاقيه
زى ما كنتِ بتحلمى بيه
واهو جالك دلوقتى الفارس
يسعد قلبك ويهنيه
يسعد قلبك ويهنيه

قمر العاطى انك تلاقيه
زى ما كنتِ بتحلمى بيه
واهو جالك دلوقتى الفارس
يسعد قلبك ويهنيه
يسعد قلبك ويهنيه

أما فى الخارج وعند الرجال جلس فارس أمام والد مُهرة وبدأ المأذون فى أجراءات عقد القران .. نظر فارس حوله نظرة سريعة فلم يجد أثر لـ عمرو رغم وجود والدته وزوجته بالداخل ولكنه لم يأتى حتى الآن .

كان يريد أن يكون عمرو أحد الشهود على الزواج ولكنه تأخر للغاية عن الموعد المتفق عليه ... لاحظ بلال نظرات فارس فنهض من مكانه وذهب إلى فارس وانحنى يحدثه فى أذنه قائلا :

- يتدور على أيه

همس له فارس :

- عمرو أتاخر أوى

أخرج بلال هاتفه واتصل به ولكن الهاتف مغلق .. أنحنى مرة أخرى وقال لفارس:

- التليفون مقفول .. بس متقلقش يمكن الشبكة واقعة ولا حاجة وبعدين ده جاى من سفر يعنى يمكن السوبر جيت اتأخر على ما طلع

أومأ فارس برأسه بقلق وانشغل مع المأذون فى الأجراءات حتى انتهى العقد وبدأت رحلة الأمضاءات الطويلة، أنهى فارس آخر توقيع له وارتسمت على وجهه علامات السعادة والفرحة والشوق والحب قد عبرت تسللت وانطلقت مرتحلة أخيرًا من بين قضبانها بداخل قلبه ولتنطق بها قسمات وجهه معلنةً عن شوقها البالغ لزوجة العمر وشريكة الطفولة والصبى .. خرجت والدة فارس وأخذت الدفتر الكبير ودخلت إلى مُهرة لتوقع هى الأخرى موافقةً على أهداء عمرها وقلبها وكيانها له بدون منازع ولا شريك كما كان دائما، ولكن هذه المرة يرتبطان برباط مقدس لا ينفك بينهما أبدًا برغبتهما.. كانت توقع على العقد ويديها ترتعش وجسدها ينتفض ، لا تستطيع تفسير هذه الحالة .. ربما من الجائز أن نقول عنها .. حالة حب!

أغلق المأذون دفتره وهو يدعوا لهما بالبركة والرزق وبدأ الجميع فى ترديد الدعاء لهم خلف بلال الذى كان يردد .. بارك الله لهما وبارك عليهما وجميع بينهما فى خير...

غادر المأذون وبعد قليل وقف بلال فى المنتصف بين الجميع وقال بصوت عالى :

- ودلوقتى جه وقت الامتحان وده للكل ها

نظر له الجميع بتساؤل فقال :

- انا هسأل سؤال واحد ولازم الكل يجاوب عليه

بدأت الابتسامات تعلو الوجوه وبلال يقول :

- هو سؤال واحد ... كل واحد فيكوا أتجوز ليييييه؟

نظر له الجميع وبدأوا بالضحك فاشار لهم أن يصمتوا وقال :

- مبهزرش انا عاوز أجابة

بدأ الجميع فى الهتاف بمرح :

- ايه يا عم ده.. بنتجوز علشان نتجوز

- بنتجوز علشان نخلف ويبقى عندنا عيال

- بنتجوز علشان أهالينا يرتاحوا

- بنتجوز علشان أمهاتنا دعوا علينا فى ساعة عصارى

ضحك الجميع من أجابات بعضهم البعض ، فتوجه بلال إلى فارس وأخذ بيده يوقفه وقال :

- وانت بقى يا عريس بتتجوز ليه

أبتسم بلال وقال :

- علشان أفتح بيت مسلم وأخلف عيال أربيهم تربية صحيحة.. أنفع بيهم الدنيا والدين من الأنسانة اللى اخترها قلبى

صفق بلال بيديه فاستجاب له الجميع وصفقوا وهم يضحكون بينما قال بلال :

- دى أجابه نموذجية يا جماعة

ثم نظر إلى والد مُهرة وقال متعجبا:

- ينفع بقى البنت اللى اخترها قلبه تبقى قاعدة جوا وهو قاعد مع الشنابات دى

ضحك الجميع مرة أخرى ونهض والد مُهرة مبتسماً وهو يقول :

- طب استنى لما ادخل اشوف الطريق

دخل والد مُهرة وطرق على الباب فخرجت له أم يحيى فقال لها :

- خلى البنات تلبس علشان العريس عاوز يقعد مع عروسته شويه

ابتسمت ودخلت على الفور وقالت بصوت مرتفع :

- يالا البسوا يا بنات العريس عاوز يدخل

أحتقن وجه مُهرة وهى تبحث عن ملابس أو حجاب أو أى شىء

فضحكت عزة وهى تقول لها :

- يابنتى ده خلاص بقى جوزك يا هبلة

أرتدت النساء ملابسها ووضعت عبير نقابها على وجهها وقبلت مُهرة وانصرفت .. بدأت النساء فى الأنصراف ونهض فارس ليدخل لحبيبة قلبه ليراها لأول مرة دون محاذر أو قيود أو خجل ، ولكن تأتى الرياح دائما بما لا تشتهى السفن .. دخل والد عمرو وأخيه محمود وهو يهتف موجها حديثه لفارس :

- أحلقنا يا فارس يابنى.. عمرو اتقبض عليه وهو جاى فى السكة

حدق به فارس وابتلع ريقه وهو يصيح به :

- أتقبض عليه يعنى ايه و ليه

صاح والد عمرو وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة :

- وهو جاى فى السكة طلعت حملة تفتش السوبر جيت ولقوا فى شنطته حتة آثار فرعونى

تمتم فارس بذهول :

- آثـــار فرعونــى !!

******

الفصل الحادى والثلاثون

عانق فارس عمرو وربت على ظهره مطمئناً وأجلسه وجلس بجانبه ممسكاً بذراعه وهو يقول :

- متخافش يا عمرو إن شاء الله هتطلع منها.. أحكيلى كل حاجة حصلت معاك وازاى حتة الآثار دى دخلت شنطتك ؟!

أستند عمرو برأسه بين كفيه وهو يهزها نفياً قائلاً بإنهيار:

- مش عارف يا فارس مش عارف

ثم رفع رأسه إليه وقد بدا فى عينيه الرجاء وهو يقول :

- أنت مصدقنى يا فارس مش كده .. أنت مصدق انى ماليش دعوه بالحاجات دى ولا اعرفها

أمسك فارس ذراعه وهو يشد عليه مطمئناً ويقول :

- مصدقك طبعاً يا عمرو .. أنت صاحبى واخويا وأنا عارفك كويس .. بس براحة كده علشان نفهم ازاى ده حصل .. أحكيلى كل حاجة .. فى حد فى شغلك مضايق منك ولا بيكرهك ؟

ضرب عمرو كفيه فى بعضهما البعض وهو يقول :

- انا دماغى متشتته يا فارس مش عارف أجمع أى حاجة ..أنا علاقتى بزمايلى فى الشغل علاقة كويسة أوى ..

ثم تنبه فجأة وهو يقول بإضطراب :

- يمكن بس واحد هو اللى كان بيكرهنى فى الأول بس من فترة كده بقى كويس معايا خالص وبقينا اصحاب

عقد فارس بين حاجبيه وقال مكرراً :

- مين ده وكان بيكرهك ليه وبقى كويس معاك من أمتى بالظبط ؟

مسح عمرو وجهه بيديه بقوة نافضاً عن نفسه التشتت الذى يشعر به وقال :

- بص يا فارس أنا هحكيلك كل حاجة بس الكلام ده يبقى بينا وبين بعض علشان الكلام مايوصلش لمراتى بأى حال من الاحوال ..

أومأ فارس برأسه وهو يشعر أن المشكلة أكبرمما كان يظن .. مال عمرو للأمام مستنداً على قدميه وبدأ يقص على فارس ما حدث له فى هذه الشركة منذ أول لحظة وطأت قدمه فيها وحتى هذه اللحظة كان فارس يستمع إليه مشدوهاً مما يقول .. كيف تكون المهندسة إلهام بهذه الأخلاق وهى أخت الدكتور حمدى !!.. الرجل الذى لا يقبل قضية مشبوهة أبداً ومبادئه غير قابلة للمساومة أو التجزئة .. ماهذه العائلة الغريبة التى تحيط بالدكتور حمدى ألايكفى فى عائلته شخص مثل باسم ابن خالته لتصبح إلهام أخته أيضا بهذا الأنحدار الأخلاقى الذميم .!

أنتهى عمرو من سرد قصته على فارس الذى تمتم بحيرة :

- سبحان الملك .. سيدنا نوح كان نبى وابنه كان كافر وسيدنا ابراهيم كان نبى وابوه كان مشرك بالله يبقى المفروض مستغربش من اللى بسمعه ده ..

ثم نظر إلى عمرو بريبة وهو يقول :

- علشان كده اهتمت أنها تطلعك بسرعة أنت لوحدك وقالتلك أن دنيا هى اللى قدمت البلاغ ضدنا مش كده ؟

قرأ عمرو الشك فى عينيى فارس فقال مدافعاً عن نفسه:

- متفهمنيش غلط يا فارس .. أنا متجاوبتش معاها أبداً فى أى حاجة ..أنت عارف أنا بحب مراتى قد أيه ومش ممكن اخونها

فارس:

- ولما هى الحكاية كده يا عمرو ليه وافقت أنك تكمل شغل معاها وتسافر تشتغل مشروع كبير زى ده لشركتها.. وكمان مع نادر اللى انت عارف كويس انه بيكرهك وعاوز يأذيك

قال عمرو مُطرقاً برأسه :

- دى غلطتى الوحيدة يا فارس ..واللى انا مُعترف بيها .. بصراحة أنا كنت مصمم على الاستقالة علشان ابعد عن أى مصدر للفتن لكن لما لقيت نفسى هشتغل بعيد عنها وكمان الشغل هيجيب مبلغ كويس اقدر ابدأ بيه حياتى طاوعت نفسى وقلت وماله وياريتنى ما كنت وافقت

وضع فارس يده على قدمه مشجعاً وقال :

- أحكيلى بقى بالراحة كده ايه اللى حصل من امبارح للنهاردة

مسح عمرو على شعره ثم قال بتركيز يحاول أن يتذكر كل شىء وقال :

- أنا المفروض كنت هاجى يوم الخميس بالليل .. بس طبعا زى ما قلتلك نادر كان صلح علاقته بيا من أسبوع تقريبا وبقينا اصحاب ..قابلنى يوم الخميس وقالى انه مضطر يرجع القاهرة علشان ظروف فى البيت عنده وهيجيلى الجمعة على بعد الظهر كده ويستلم هو الشغل مكانى واسافر أنا الجمعة بعد الظهر .. أنا طبعا كنت عارف أن كتب كتابك هيبقى بعد العشا فقلت هلحق مفيش مشكلة .. وفعلا نادر سافر يوم الخميس بالليل ... جهزت انا شنطتى بالليل والصبح خدتها معايا الموقع وحطيتها فى كشك الراحة بتاع المهندسين اللى بنتغدى فيه فى مكان الموقع .. وقلت علشان أول ما نادر يرجع أخد الشنطة وامشى على طول من بره بره .. وفعلا جالى فى معاده بعد الظهر على طول وخدت الشنطة وركبت السوبر جيت .. وانا جاى فى الطريق طلعت حملة تفتيش عادية بس حسيت انهم بيدوروا

عليا انا بالذات لأنهم اهتموا أوى بشنطتى ولقيتهم مطلعين منها تمثال صغير شكله كده فرعونى مش عارف دخل شنطتى ازاى يا فارس.. ومن ساعتها وانا هنا .

****

عاد فارس إلى بيته قُبيل الفجر بوقت قليل وهو يحمل هم الدنيا فوق رأسه حزناً على صديق عمره ورفيق دربه .. كيف سيخرجه من هذه الورطة فهو لم يعمل فى مثل هذه القضايا من قبل ولكن كلام عمرو وحديثه أشعراه بأن نادر هو الفاعل هو من وضع قطعة الآثار فى حقيبة عمرو الخاصة عندما تركها عمرو فى مكان استراحة المهندسين أثناء العمل فالقاعدة تقول إذا أردت أن تؤذى أحدا فاقترب منه واكتسب ثقته لتعلم عنه ما يستحيل عليك أن تعلمه وأنت عدوه ..

من الواضح أن نادر هو من قام بترتيب كل شىء ليوقع عمرو فيما وقع فيه ...أستلقى فارس على فراشه بعد أن أبدل ملابسه .. نظر إلى ساعة الحائط أمامه وزفر بضيق وهو يقول بحنق :

- طبعاً زمانها نامت مش معقول تفضل صاحية لحد دلوقتى

سمع طرقاً خفيفاً على باب غرفتة فالتفت تجاه الباب وقال :

- أتفضلى يا أمى

فتحت والدته الباب ودلفت وقد بلغ القلق منها مبلغه .. أعتدل على فراشه فاقتربت منه وجلست بجواره قائلة :

- عمرو عامل أيه يا بنى طمنى عليه

قال وهو يومىء برأسه مطمئناً :

- متقلقيش عليه يا ماما عمرو كويس وموضوعه ده إن شاء الله يخلص على خير .. زمان والده وأخوه روحوا البيت وطمنوا مراته وأمه عليه.

قالت والدته بأسى :

- دى مراته يا عينى قطعت نفسها من العياط عليه وفين وفين لحد ما أمها هدتها وعرفت تاخدها معاها البيت .. وكلنا روحنا معاها حتى مُهرة .

ألتفت فارس إلى والدته وقال متسائلاً بانفعال :

- ومُهرة نزلت بقى بفستان الفرح كده فى الشارع

هزت رأسها نفياً وأردفت قائلة:

- مُهرة برضة هتعمل كده يا فارس ؟.. دى غيرت هدومها ياعينى وفضلت مع عزة لحد ما هديت ورجعنا كلنا من عندها من ساعة كده ..وفضلت واقفه جانبى لحد ما اتصلت بيك وانت قلتلى انك جاى فى السكة .

وجدت الأبتسامة طريقها أخيراً إلى شفتيه وهو يتسائل:

- تفتكرى زمانها نامت ؟

قالت بحيرة :

- مش عارفه يابنى

ثم ربتت على قدمه قائلة:

- عموما انت كمان شكلك تعبان أوى .. نام دلوقتى والصباح رباح

أومأ برأسه موافقاً لها فتركته ونهضت وفتحت باب غرفته وخرجت وهو يتتبعها بعينيه الحائرتين .. يريد أن يتحدث معها على الأقل فى الهاتف ولكن يخشى أن تكون قد نامت فيوقظها ويقلقها بعد كل هذا العناء الذى عايشوه فى يومهم هذا .

لم يستطع النوم تململ فى الفراش كثيراً دون جدوى ، نهض منه وجلس على طرفه وهو يفكر فى يوم عقد قرانه الذى انتهى بهذا الشكل المأساوى ..تركها وذهب دون أن ينظر لها نظرة واحدة .

نهض من فراشه ووقف أمام الفراش وهو يمسح على شعره متردداً .. هل يجازف أم ينتظر للغد ولكن فى الصباح سينطلق إلى عمرو مرة أخرى وبالتالى فلن يراها أيضا إلا إذا سمحت له الظروف فى المساء .. زفر بقوة واتجه إلى النافذة يفتحها ويستنشق الهواء بقوة لعله يتخلص من التردد الذى اعتمل بصدره .. كان الشارع مُظلماً إلا من بقعة صغيرة أمامه تعكس ضوءاً لغرفة عُلوية .. نظر للأعلى وقلبه قد استعاد الأمل من جديد فتأكد أن غرفتها هى مصدر الضوء ..تيقن من كونها مازالت مستيقظة.. أتجه فوراً باتجاه مكتبه وأخذ هاتفه النقال من فوقه وطلب رقمها الخاص بشوق كبير .

أغلقت الكتاب التى كانت تقرأ فيه والتفتت إلى الهاتف الذى تضىء شاشته باسمه ويهتز مع انتفاضة قلبها ، لا تعلم أيهما أسرع وأقوى .. تناولت الهاتف بابتسامة كبيرة فهذه هى المرة الأولى التى سيتحدث معها بعد أن أصبحت زوجته .. ظلت تنظر للهاتف بتوتر شديد والعرق يتصبب من جبهتها على استحياء وقلبها يقفز بجنون يكاد يخرج من حلقها ، وفجأة توقف الرنين وأظلمت الشاشة مرة أخرى كما أظلمت الأبتسامة التى كانت تنير ثغرها منذ قليل ..

حاولت أن تهاتفه هى ولكنها شعرت بخجل شديد وامتنعت عن ذلك واكتفت أن ترسل له رسالة صغيرة تقول فيها :

- أنا صاحية

بعد ثوان وجدت الهاتف يعلن أسمه بأصرار من جديد .. تنفست بعمق وابتلعت ريقها وضغطت زر موافق ، وضعت الهاتف على أذنها باضطراب شديد فسمعت صوت أنفاسه المشتاقة ، وتسلل صوته الحانى بهدوء وخفوت إلى أذنها ومنه إلى قلبها وهو يقول :

- صحيتك ؟؟

هزت رأسها نفياً كأنه يراها وحاولت أن تُخرج صوتها بصعوبة فقالت بصوت مبحوحاً :

- لاء منمتش

أبتسم وهو يستمع لصوتها الذى غلفه الخجل فخرج مضطرباً وقال :

- كنتِ بتعملى أيه

مضت تبحث عن حروفها فلم تجدها، تبعثرت وتاهت فى سماء صوته الرخيم ..أعاد سؤاله مرة أخرى على مسامعها .. فتماسكت قليلاً وقالت بارتباك :

- كنت مستنياك

تنهد بقوة وهو يتكأ على فراشه وقال بهمس:

- أنتِ كده على طول.. مبتعرفيش تنامى وانتِ قلقانة عليا ؟

مرت بها سحابة الخجل وأخذت بيدها إلى سماء الحياء فأمطرت صمتاً له صوت كصوت الندى يقطُر على قلبه فينبت فيه الشوق الهائل والحنان البالغ وجد لذته على لسانه كما وجدها فى قلبه وكيانه وهو يقول أسمها بحب كبير :

- مُهرة

أختلج قلبها وهى تستمع إلى اسمها يخرج منه بهذا الدفء وأجابته :

- نعم

أغمض عينيه يضم صوتها الخجِل إليه وقال ببطء :

- وحشتينى

لم تجبه على الفور فقال دون تردد :

- بحبك

تدرجت وجنتيها بحمرة الخجل وهى تبتسم بحب وقد خفق قلبها لكلمته وللطريقة التى نطقها بها تشعر أنها تراه الآن وتشعر بدفء كلماته التى اختلفت عن كل الكلمات ..أما هو فلا يعلم كيف استمع إلى دقات قلبها وهو يطرق باب قلبه منادياً :

مهلاً حبيبى مهلاً ..قد انتظرتك دهراً

ذاب قلبى فى شفاهك فـ بهِ اليوم رفقاً

****

فى الصباح الباكر كان فارس يقف بجوار عمرو أمام النيابة ويتابع معه سير التحقيقات ..طلب فارس من النيابة تقريراً لمفتش آثار متخصص من هيئة الآثار للوقوف على صحة هذه القطعة الأثرية من زيفها.. وهل هى أصلية أم لا، و طالب بالأفراج عن عمرو بضمان محل أقامته لحين ورود التقرير المطلوب ... وبالفعل تمت الإستجابة لطلباته وتم تحويل القطعة الأثرية لهيئة الآثار للكشف عنها وتم الأفراج عن عمرو بضمان محل أقامته .

بعد خروجهما من النيابة وقف عمرو ينتظر فارس الذى كان يتحدث فى الهاتف مع الدكتور حمدى ويخبره بآخر التطوارات ويقول:

- بس انا مش مطمن يا دكتور ممكن التقرير يجى بأن الحتة الفرعونى دى سليمة وكده عمرو هيروح فى داهية

قال الدكتور حمدى مطمئناً :

- أنت مش بتقول زميله فى الشغل هو اللى انت شاكك فيه وان فى بينهم ضغائن خلاص سيبلى الحكاية دى هتكلم مع إلهام واشوف ممكن تساعدنا ازاى

قال فارس بتوتر:

- لا بلاش يا دكتور

قال الدكتور حمدى متسائلاً :

- ليه يا فارس

حاول فارس البحث عن شىء آخر يقول غير الذى بداخله فقال:

- يعنى انا لسه مش متأكد مش عاوز نتهم حد ظلم

- ملكش دعوة انت .. أنا مش هاتهمه ..أنا هحاول اعرف بس أى حاجة عن شغله منها يمكن يكون بيشتغل فى حكاية الآثار دى من وراها ويوديها فى داهية هى وشركتها .. ماهى الآثار دى محدش بيلاقيها فى الشارع كده.. الموضوع شكله كبير يا فارس

أنهى فارس مكالمته مع الدكتور حمدى ونظر إلى عمرو الذى كان يقف بجواره ويتحرك بشكل عشوائى بإضطراب فقال فارس :

- ما تهدى شوية يا عم انت خيالتنى

مسح عمرو على شعره بتوتر بالغ وهو يقول :

- أنا مش مطمن يا فارس القضية ممكن تلبسنى كده

حاول فارس تهدئته وقال :

- طب ايه رأيك نعملهم مفاجأة ونروح دلوقتى.. أنا كنت كلمتهم من ساعة وقلتلهم هنتأخر لو روحنا دلوقتى هتبقى مفاجأة حلوه.. دى مراتك هتموت من القلق عليك

قال عمرو فى شرود :

- لاء انا عندى مشوار ضرورى لازم اروحه حالا قبل ما اروح

أمسكة فارس من ساعده وقال متسائلا :

- رايح فين يا عمرو

ربت عمرو على كتفه وقال مسرعاً :

- هقولك بعدين متقلقش عليا روح دلوقتى ومتخاليش حد يشوفك من عندى.. وانا ساعة وهاجى وراك على طول

قال عمرو كلمته ولم يعطى فرصة لفارس للمناقشة والسؤال وأنما أنطلق على الفور فى طريقه

****

تناولت أم فارس قطعة قماش كانت بجوارها وقالت لأم يحيى وهى تشاهدها بدقة :

- القماشة دى حلوة أوى يا ام يحيى تصدقى أنا عندى عباية من نفس نوع القماش ده وكنت بدور على واحدة زيها لأنها مريحانى أوى ..أنا هاشتريها منك وابقى هاتى غيرها

نظرت لها أم يحيى بعتاب وقالت :

- ده كلام برضة يا ست ام فارس دى هدية مني ليكى ..وبقولك ايه هاتيلى العباية اللى بتقولى عليها وانا أفصلك أختها بالظبط .. ده أنا بقيت لهلوبة فى التفصيل

هزت أم فارس رأسها نفياً وهى تقول بتصميم :

- انا ماليش دعوة بالكلام ده هادفع تمنها يعنى هادفع تمنها

ثم التفتت إلى مُهرة وقالت وهى تمد يدها إليها بمفتاح الشقة :

- خدى يا مُهرة مفتاح الشقة وانزلى هاتيلى العباية الكحلى بتاعتى علشان أمك تشوفها

وقفت مُهرة تنظر إلى يدها الممدودة بارتباك فقالت أم فارس ضاحكة :

- متخافيش فارس مش جاى دلوقتى.. أتصل وقال هيتأخر

ضحكت أم يحيى وقالت :

- فاكرة يا ام فارس لما قلتلك على مُهرة وهى صغيرة .. الله يكون فى عون جوزها من اللى هتعمله فيه

تبادلت معها أم فارس الضحكات وهى تحرك رأسها موافقةً لها وقالت وهى تنظر إلى مُهرة :

- هو حر بقى مش هو اللى مستعجل على الجواز

أحمرت وجنتها والتقطت المفتاح سريعاً من يد أم فارس وقالت وهى تهرب من أمامهما :

- أنا هنزل بدل ما تتسلوا عليا

فتحت مُهرة باب الشقة ودلفت للداخل وعلى وجهها ابتسامة كبيرة .. انطلقت على الفور تجاه غرفته ودخلتها وأغلقت الباب خلفها ووقفت فى المنتصف تنظر لها بشوق كبير وكأنها تبثها حبها لساكنها وترجوها أن تنقل مشاعرها له عنده حضوره ..

جلست على فراشه ومسحت عليه برفقة تتلمسه لمساً وتستشعر دفأه بعينين هائمتين .. أخذت وسادته وضمتها إلى صدرها برقة ونعومة وقبلتها بحب كبير .. حانت منها التفافة إلى خزانة الملابس الخاصة بدنيا .. روادها شعور بالغيرة واتجهت إليها وهى تدعو من قلبها أن تجدها خالية حاولت أن تفتحها ولكنها وجدتها مغلقة بالمفتاح فعلمت أنها مازالت محتفظة بملابس صاحبتها بداخلها .. أشتعلت نار الغيرة بقلبها لمجرد وجود ملابسها معه بنفس الغرفة، شعرت بالدماء تتصاعد إلى رأسها بقوة وشعرت بحرارة جسدها التى ارتفعت بشدة وفى تلك اللحظة فُتح باب الغرفة فجأة، فصرخت وسقطت مغشياً عليها على الفور .. أنتابه الهلع الشديد عليها وهرول نحوها وهى ملقاة أمام الخزانة وحملها ووضعها على فراشه برفق وأخذ يبحث فى الغرفة عن زجاجة عطره فوجدها أخيراً وأخذها وحاول أن يجعلها تشمها حتى تستفيق من غيبوبتها وأخيراً استجابت للرائحة النفاذة التى تسللت إلى عقلها ، فتحت عيونها ببطء واصطدمت بوجهه وهو جالس بقربها على الفراش يمسح على وجنتها برفق وينادى عليها بقلق شديد ، جلست على الفراش فجأة وهى تنظر إليه بخجل واضطراب وقالت :

- انا آسفة

أبتسم وهو يتأمل وجهها وشعرها ويمسح عليه برفق وقال مداعباً بخفوت :

- يعنى أول مرة اشوفك فيها يغمى عليكى كده

شعرت بارتفاع آخر فى درجات حرارتها ولكن هذه المرة من الخجل، مسحت على وجهها وهى مطرقة بوجهها وقالت بخفوت :

- آسفة أنى خضيتك

رفع وجهها إليه ونظر إليها متأملاً :

- دى تانى آسفة على فكرة .. طب آسفة التانية وعرفناها.. آسفة الأولى ليه بقى

أشاحت بوجهها بعيداً تخفى احمرار وجهها عن عينيه وقالت وهى تضع خصلة من شعرها خلف أذنها :

- آسفة انى دخلت اوضتك كده

أعاد وجهها إليه مرة أخرى بأنامله وقال هامساً :

- أنتِ مراتى .. يعنى تدخلى أوضتى براحتك ..وبعدين انتِ بتدخليها من زمان أوى.. ولا نسيتى

هربت الابتسامة من شفتيها عندما تذكرت خزانة الملابس فأشاحت بوجهها مرة أخرى ونهضت من فراشه مسرعةً وقالت بحنق :

- لازم أنسى طبعاً .. لأنها فى وقت من الأوقات كانت متحرمة عليا ..واظاهر ان الأوقات دى غالية عندك أوى

عقد حاجبيه وهو ينظر إليها بتسائل وقال :

- أيه اللى خلاكى تقولى كده

أشارت للخزانة وقالت بضيق :

- علشان لسه محتفظ بهدومها فى الدولاب .. شكلها كانت هدوم غالية عليك أوى ..

ثم عقدت ذراعيها أمام صدرها وقالت بغيرة واضحة :

- شكلها ليها معاك ذكريات كتير علشان كده مقدرتش تفرط فيها

رفع حاجبيه ووضع يديه فى جيبيى بنطاله واقترب منها حتى وقف أمامها مباشرة وقال وهو ينظر فى عينيها:

- بس الدولاب مقفول بالمفتاح عرفتى منين أن هدومها لسه فيه

أستدارت وهى ترفع كتفيها وقالت متبرمة :

- باينة أوى .. مش محتاجة فقاقة يعنى

أبتسم وهو يكرر ورائها :

- فقاقة ؟!... وحشتنى اللغة بتاعتك أوى

أتجه نحو مكتبه وأخرج منها مفتاح صغير وعاد إلى الخزانة وفتحها بالمفتاح وقال وهو يشير إليها :

- أتفضلى شوفى الذكريات اللى بتقولى عليها

ألتفتت مُهرة إلى الخزانة فوجدتها خاوية، فنظرت إليه بدهشة متسائلة فأومأ براسه وهو يقول :

- أيوة فاضية .. علشان أمى كانت عاوزه تعلق البدل الزيادة اللى زحمة دولابى فيها وانا قفلتها بالمفتاح علشان أمى متعملش كده.. عارفة ليه؟ .. علشان مش عاوز هدومى تتحط مكان هدومها من كتر منا بقرف كل ما افتكرها

وضعت راحتها على جانب رقبتها وهى مطرقةً برأسها لأسفل فى خجل فقال بحنان وهو يداعب وجنتها قائلا:

- أنا ماليش ذكريات مع حد غيرك يا عبيطة .. ولا نسيتى أجمل الذكريات اللى قولتيلى عليها فى رسالتك وانا فى السجن

رفعت نظرها إليه بتأثر وقد لمعت عينيها وهى تستمع إليه وهو يقول :

- الحب الحقيقى هو الذى يرسم لك طريقاً تتلمس فيه .....أجمل الذكريات

فرت دمعة من عينيها وهى تتذكر تلك اللحظات المريرة عندما ابتعد عنها غدرًا وظالماً .. شعرت بيده وأنامله تمسح دمعتها فأغمضت عينيها واستمعت لصوته وهو يقول لها همساً وبشوق كبير :

- من ساعتها وانتِ وحشانى أوى.. ومن ساعتها وانتِ بتهربى مني.. ومش عارف اشوفك شعرت بقربه ودفئ يديه المحيطة بوجهها وأنفاسه القريبة .. رحلت فى عالم آخر لم ترد العودة منه .. بل قررت فيه الرحيل والعودة منه بغير دليل.. تنسج بيديها دروباً يحفها أريج الأزهار.. بلاشاطىء.. بلا عنوان .. ولا رغبة سوى التعمق أكثر والأبحار.

أنتفض جسدهما على صوت والدته وهى تنادى عليها بعد أن أغلقت باب الشقة خلفها .. أبتعدت عنه سريعاً وهى تمسح وجهها بيدها بارتباك وهو ينظر إليها نظرة جديدة عليها لم ترها فى عينيه من قبل، ولكنها فهمتها فاخفضت نظرها خجلاً ، واتجهت صوب باب الغرفة مهرولة وفتحته فوجدت والدته تبحث عنها فى الشقة ،عندما رأتها نظرت إليها بقلق وهى تقول :

- خضتينى عليكى يا مُهرة كنتِ ...

بترت كلمتها عندما رأت فارس يظهر خلفها .. نظرت إليه من خلف كتفها وابتسمت وهى تقول له بمكر :

- هو انت هنا ..يبقى انت بقى اللى أخرتها

أتجهت مباشرة إلى باب الشقة وهى تحاول تحاشى النظر فى عيني والدته وهى تقول بخجل :

- أصل لما شفت فارس فجأة اتخضيت وأغمى عليا ..

ثم قالت بإرتباك :

- انا طالعة بقى

فتحت باب الشقة ولكنه عقد بين حاجبيه وهو يناديها ، فتوقفت ولم تلتف فتوجه إليها ووضع يده على الباب وهو يقول بجدية وهو يشير إلى ملابسها وشعرها :

- هو انتِ نازلة كده أصلا

نظرت إلى ملابسها وقالت بتلقائية :

- آه وفيها ايه

قال بضيق:

- يعنى أيه وفيها أيه .. خارجة من شقتك ونازله لحد هنا بهدوم البيت دى وشعرك كده يا مُهرة

تنحنحت مضطربة وقالت على الفور:

- منا قلت هنزل بسرعة واطلع بسرعة مفيهاش حاجة

أشار إليها وهو يقول حانقاً :

- أنتِ محجبة ولا لاء ؟

نظرت إليه بتسائل وحيرة فقال :

- محجبة يعنى شعرك ده وهدوم البيت حدودهم باب الشقة وبس .. لا سلم ولا بلكونة ولا شباك ..فاهمانى

أبتلعت ريقها وبللت شفاها بلسانها وهى تقول بخفوت :

- حاضر بس انا متاكدة أن محدش هيشوفنى

وضع يده على كتفها وقال بجدية :

- متأكدة منين.. مش يمكن تخبطى فى حد طالع ولا نازل صدفة ..ساعتها هتعملى أيه .. على ما تجرى بقى هيكون شاف جسمك وشعرك يا هانم

تدخلت والدته وقالت على الفور:

- هى أصلا مبتنزلش كده دى أول مره تعملها

ثم نظرت إلى مُهرة وقالت :

- أدخلى يا مُهرة خدى العباية بتاعتى وطرحة.. البسيهم قبل ما تطلعى

دخلت على الفور لترتدى العباية وتضع على رأسها الطرحة بينما قالت له والدته بخفوت :

- براحة عليها شوية يا فارس ..لما تخرج بقى ابقى صالحها .. أنا داخله اشوفها لتكون بتعيط ولا حاجة

دخلت والدته فوجدتها تلف الطرحة وتكاد أن تنتهى ، فربتت على كتفها وقالت مبتسمة :

- متزعليش ده بيحبك وبيغير عليكى

ابتسمت وهى تقول بعينين لامعتين :

- منا عارفة

ضحكت أم فارس وهى تضرب يدها فى بعضهما وهى تقول لها :

- وانا اللى كنت فاكراكى بتعيطى !

****

خرج فارس من بيته فى المساء متوجهاً إلى مكتب الدكتور حمدى وفى الطريق صادف عمرو متوجهاً إليه ، تفاجأ عمرو به فى الطريق وقال :

- كويس أنى قابلتك يا فارس أنا كنت جايلك دلوقتى

وضع فارس يده على كتف عمرو وسار به فى طريقه وهو يقول :

- تعالى نتمشى سوا ونتكلم واحنا ماشين

قال عمرو على الفور وهو يمشى بجوار فارس :

- الدكتور حمدى أتصل بيك النهاردة ؟

هز فارس رأسه نفياً وهو يقول :

- لاء مكلمنيش بتسأل ليه ؟

ظهر التوتر على ملامح عمرو وهو يقول :

- أصلى قابلته النهاردة فى مكتب إلهام فى الشركة

ألتفت إليه فارس وتوقف عن السير وقال :

- فى ايه يا عمرو أتكلم على طول قلقتنى

قال عمرو على الفور :

- لما سيبتك قدام النيابة ومشيت روحت الشركة وانا مخنوق من إلهام ونادر وحاسس أن نادر عامل فيا كده علشان خايف أحسن أخدها منه .. دخلت عليها وانا ثاير جدا وقعدت أزعق وجبتلها القديم والجديد كله وقلتلها أن نادر عمل فيا كده علشان خايف أخدها منه واتكلمت كلام كتير أوى وهى واقفة مش عارفة ترد عليا وواقفة تبصلى بذهول وكل اللى طالع عليها ..أزاى نادر يعمل كده ...

خلصت كلامى من هنا ولقيت الدكتور حمدى دخل علينا وبصلها باحتقار بعد ما سمع كل حاجة وعرف اللى اخته بتعمله وقالها أنسى أن ليكى أخ اسمه حمدى ..

سيبتهم ومشيت على طول لما شفت الألم فى عينه وحسيت أنه محرج منى ومش عارف يبص فى وشى علشان كده افتكرت أنه كلمك وقالك حاجة ..

أستمع فارس إليه بدهشة كبيرة وهو عاقداً لحاجبية وقال ببطء ثقيل :

- وطبعا تلاقيه توقع انى انا كمان عارف عن أخته الكلام ده ..

نظر إلى عمرو وقال بألم :

- وأنت بقى متوقع أنه يكلمنى .. طب هيكلمنى يقولى ايه

صمت فارس يفكر فى الحال الذى وصل إليه الدكتور حمدى وكيف ستعامل مع هذا الموقف المحرج فقال عمرو على الفور :

- فى حاجة كمان حصلت يا فارس

ألفت إليه فارس فقال عمرو :

- طلعت بعدها على هيئة الاثار من كتر منا كنت قلقان وعاوز أطمن ..قلت اسأل وأشمشم كده حوالين الحتة اللى راحتلهم من النيابة .. وقبل ما أدخل شفت نادر خارج منها ومعاه واحد كده معرفوش

أثارت كلماته حفيظة فارس وحواسه فقال بسرعة :

- تفتكر كان رايح ليه ومين اللى كان معاه ده

رفع عمرو كتفية بحيرة وهو يقول :

- معرفش يا فارس مش عارف انا هتجنن خلاص

وضع فارس يده على كتف عمرو قائلا:

- طب أنا دلوقتى هروح المكتب يا عمرو وهحاول أتكلم مع الدكتور حمدى وهشوف الحكاية وصلت لأية ..ولما أرجع بالليل هبقى أكلمك تانى يالا روح أنت دلوقتى

دخل فارس حجرة مكتب الدكتور حمدى بشىء من الخجل وقال:

- حضرتك طلبتنى يا دكتور

أشار له الدكتور حمدى بالجلوس أمامه وقد بدا عليه الالم والاستياء ثم قال:

- أنا كنت متوقع برضه أنك هتتكسف تدخلى أول ما توصل علشان كده نبهت عليهم أول ما توصل تدخلي على طول

حاول فارس أن يحتفظ له بماء وجهه وقال:

- مش فاهم حضرتك تقصد أيه

أبتسم الدكتور حمدى بأسى وهو يقول :

- لاء أنت فاهم بس مش عاوز تحرجنى

صمت فارس ولم يجيبه فقال حمدى :

- لو سمحت يا فارس أنا مش عاوز أى كلام عن القضية دى فى مكتبى تانى ..أنا خلاص أتبريت من أختى ومش عاوز أى حاجة من ناحيتها تانى

رفع فارس رأسه إليه وقد فهم ما يرمى إليه فأومأ برأسه وحاول أن يُخرج الكلمات منه بشكل تلقائى وقد حضرته فكرة وليدة اللحظة حتى يرفع عنه الحرج وقال :

- بعد اذن حضرتك يا دكتور أن كنت بفكر أفيد أهل الشارع بتاعى ..والناس الغلابة اللى فيه وافتح مكتب خاص بيا هناك وتبقى الأتعاب على قد مصاريف القضية بس .... لأن فى ناس كتير هناك أحوالهم المادية ضعيفة جدا وأصلا المرتب يدوب بيكفى اكل وشرب بالعافية...

أعتصر الالم قلب الدكتور حمدى وهو يستمع إلى فارس واقتراحه وهو يعلم جيدا أن هذا الأقتراح ماهو إلا محاولة منه لرفع الحرج الذى استشعره فارس بعد أن علم عن أخته الذى تفعله وهى متزوجة ... ولم يكن فارس مخطىءً فى ظنه لذلك قال حمدى وهو يومىء برأسه متفهماً :

- ربنا يوفقك فى حياتك يا فارس.. أنا مش هقدر امنعك انك تحقق ذاتك بعيد عني رغم أنى مش هقدر أستغنى عنك ولا عن مجهودك فى الشغل أبداً

قال فارس مبتسماً وقد أيقن أنه كان محقا :

- أنا تلميذ حضرتك يا دكتور أتعلمت منك أخلاق المهنة قبل ما أتعلم الشغل فيها ومن غير ما أكون بشتغل فى المكتب هنا أنا تحت أمرك فى أى حاجة سواء كان شغل أو غيره أنا مش هنسى فضلك عليا بعد ربنا

نهض حمدى وعانق فارس بمشاعر الأبوة التى يشعرها تجاهه دائماً وربت على كتفه قائلا بمرح :

- هتنافسنى فى المحاكم يعنى وهتاخد مني الزباين

ضحك فارس وهو يشد على يده قائلا بتواضع :

- ده انا يدوب تلميذك يا دكتور

*****

هتف عمرو فى الهاتف وهو يتحدث إلى فارس قائلا :

- يعنى ايه سبت المكتب يعنى انا السبب

ضحك فارس وهو يقول :

- أنت السبب فعلا بس مش سبب حاجة وحشة.. أنت السبب فى أنى أبدأ أحقق ذاتى وأعملى أسم كويس

هتف عمرو بانفعال مرة أخرى :

- يعنى أنت هتشتغل القضية لوحدك ولا ايه

قال فارس مداعباً :

- ومالك مرعوب كده متخافش هجيبلك تأبيدة بس

صاح عمرو بضيق :

- يا فارس مبهزرش دلوقتى .. وقولى ناوى على ايه

قال فارس بجدية :

- أنا الاول كنت مستنى تقرير هيئة الاثار لكن بعد ما قلتلى أنك شفت نادر وواحد تانى خارج من هناك قلقت

- قلقت أزاى فهمنى

- مفيش حاجة تخلى نادر يروح هناك غير سبب واحد بس .. أنه يكون عاوز التقرير يطلع بطريقة معينة

عقد عمرو بين حاجبيه وقال قلقاً :

- يعنى هيدفع فلوس علشان يثبت أنها سليمة يعنى ولا ايه معنى كده ......

قاطعه فارس قائلاً بثقة :

- بالظبط كده معنى كده أنها مش حقيقية ومزيفة لأنها لو كانت حقيقية مكنش راح هناك

قال عمرو بشرود وكانه يحادث نفسه :

- حتى لو كده طب ماهو لو تحليلك ده صح يبقى برضه هروح فى داهية لأن التقرير هيطلع زى ماهو عاوز

قال فارس مطمئناً :

- متقلقش أنا واثق من تحليلى ولو التقرير طلع زى ماهو عاوز هشكك فيه وهطلب أن الحتة دى تتحال للجنة تانية

قال عمرو ساخطاً :

- طب ماهو ممكن يرشى اللجنة التانية برضه

قال فارس وهو يضيق عينيه بثقة :

- متقلقش ساعتها هسبقه بخطوة

تأفف عمرو بضيق وزفر ثم قال :

- طب وهو هيعمل كل ده ليه.. ما كان يحطها سليمة وخلاص

قال فارس متهكماً :

- أنت عبيط يابنى عاوزه يضحى بحتة سليمة ويخسر فيها ملايين .. لا طبعاً هو أحسنله يدفع رشوة كام ألف لكن يحطلك حتة بملايين لمجرد انه يوديك فى داهية لاء ...

ثم رفع فارس حاجبيه وقال بتفكير عميق :

- وده بقى اللى بيأكدلى أن الواد نادر ده بيشتغل فى حكاية تهريب الاثار دى

استند عمرو إلى سور الشرفة وقال بتركيز :

- وانت جالك الاحساس ده أزاى ؟

جلس فارس خلف مكتبه واستند إليه وهو يعبث بصور مُهرة الخاصة بعقد القران والتى وضعتها والدته على مكتبه فقال عمرو بقلق :

- فارس أنت معايا

أنتبه فارس وقد شرد قليلا فى صور مُهرة وقال بسرعة :

- ها معلش يا عمرو انا معاك أهو

أعاد عمرو سؤاله من جديد وهو يقول :

- كنت بسألك أحساسك ده جه أزاى

قال فارس على الفور :

- بص يا عمرو الانسان لما بيحب ياذى حد أول حاجة بتيجى فى تفكيره الحاجات اللى هو بيتعامل معاها دايما .. اللى بيشتغل فى المخدرات أو بيتعاطاها لما بيحب يأذى واحد تانى بيعمل ايه .. بيحطله مخدرات ويبلغ عنه .. واحد بياخد رشوة لما يحب ياذى يعمل للى عاوز

ياذيه قضية رشوة ويلبسهالوا .. واللى حصلك مع نادر بيقول أن نادر ليه فى حكاية الاثار دى علشان كده لما فكر ياذيك فكر يأذيك بنفس الحاجة اللى هو دايس فيها .. فهمت

أعتدل عمرو وقال على الفور وكأنه قد تذكر شيئاً هاماً وقال :

- الله يفتح عليك ..أنت فكرتنى بحاجة مهمة مكنتش واخد بالى منها

أنتبهت حواس فارس وهو يقول :

- افتكرت ايه

قال عمرو بتركيز :

- فى مرة أخدت أجازة يومين ونادر هو اللى كان ماسك النبطشية بدالى ولما رجعت وبصيت بالنهار على الموقع لقيت آثار حفر على عمق أكتر من العمق المسموح بيه ولما سألته قالى انها غلطت العمال بس هو لحقها

مسح فارس على شعره وقال بقلق :

- أظاهر كده يا عمرو ان الموضوع كبير وخطير وأن نادر مش لوحده فيه ..المكان اللى بتبنوا فيه الفندق ده معروف أنه مكان اثرى واصلا مش عارف التصريح بالحفر والبُنى خرج ازاى للمكان ده ...

زفر عمرو وهو يقول بضيق :

- الموضوع شكله كبير علينا أوى يا فارس ... أنت لو بصيت على الاثار اللى خرجت بره مصر وشفت حجمها وعرضها هتعرف ان الاثار دى مش ممكن تكون أتهربت .. الاثار دى خارجه تحت عين أكبر راس فى البلد وباتفاق كمان

نظر فارس أمامه بعينين حازمتين وقال بأصرار :

- أنا بقى مش هسيب الموضوع ده يا انا يا هما ...

******

وفى الصباح وقف فارس ينتظر مُهرة أمام باب شقته وابتسم عندما وجدها تهبط إليه فى الملابس الجديدة التى أهداها أياها .. نظرت إليه وابتسمت بخجل ، تأملها بإعجاب ثم عقد جبينه وقال بضيق مصطنع :

- لاء مينفعش أطلعى غيريها

رفعت حاجبيها وقالت باعتراض :

- ليه دى جميلة أوى وواسعة أهى

صعد درجة من السلم ليقف أمامها مباشرة وقال وهو يداعب وجنتها :

- ماهو علشان كده عاوزك تغيريها.. حلوه أوى عليكى وخايف حد يبصلك

أبتسمت وهى ممسكةً بيده التى تداعبها وقالت بخجل :

- يالا بقى هتأخر كده على المحاضرة

رفع يديها لشفاه وقبل أناملها وقال بحب :

- أتأخرى براحتك .. أنا اللى هديكى أول محاضرة... يعنى هتروحى مع الدكتور

عقدت ذراعيها وهى تقول بعناد :

- أنا بقى مبحبش الكوسة ..واصلا محدش هيعرف علاقتنا

ضحك ضحكات رنانة أهتزلها قلبها عشقاً ثم قال :

- علاقتنا ! هو انتِ مش مراتى لا سمح الله

وضعت يدها على لحيته تمسح عليها وتخلل أصابعها برفق داخلها وهى تقول بشغف :

- أنا بحب أوى كلمة مراتى دى منك

تلاشت البسمة من وجهه وزاغت أنظاره وهو ينظر إليها شاعراً بأحاسيس قوية تجتاحه تجاهها قائلا بصوت رخيم :

- أنتِ اتعلمتى الحركة دى من مين

قالت بحياء :

- عبير هى اللى علمتهالى وقالتلى انها هتعجبك

أبتلع ريقه وهو يقول بتماسك :

- كل اللى تقولك عليه ابقى اسمعى كلامها فيه ماشى

ضحكت وهى تقول :

- ليه بقى

أومأ برأسه وهو يغمض عينيه قائلاً بمرح :

- علشان عارف انها هتعلمك بضمير

****

بحث فارس عن مكان يصلح ليستأجرة ويبدأ فيه تأسيس مكتبه الخاص ويكون قريباً من شارعهم وأخيرا وجده على مسافة قريبة جدًا منهم وبدأ فى تاسيسه وحاول البحث عن بعض الأثاث زهيد الثمن ولكنه فى يوم من الأيام تفاجا بدخول مُهرة عليه المكتب وهى تقول بسعادة :

- يالا بسرعة يا فارس العربية واقفة تحت

نهض وهو ينظر إليها بدهشة وقال :

- عربية ايه يا مُهرة اللى واقفة تحت

قالت على الفور وهى تجذبه من يده :

- يالا بس الناس هتطلع الحاجة تعالى علشان تقف معاهم

وفجأة وجد بعض الرجال يدخلون عليه المكتب كل منهم يحمل قطة أثاث خاصة بالمكتب وبدأوا فى وضعها فى الداخل وهو واقف ينظر إليهم بدهشة .. جذبها من يدها إلى أحد الأركان وقال بجدية :

- فهمينى ايه ده وجبتى الحاجات دى منين وازاى متقوليليش

قالت بمرح وحماس:

- انا عندى واحدة صاحبتى فى الجامعة باباها عنده محل أثاث صغير كده على قدهم ..قولتلها مرة تجيبلى معاها كتالوج من المعرض ولما شفت الحاجات اللى فيه لقيتها حلوه ورخيصة .. فنقيت واحد للمكتب هنا وأدتها العنوان وبس ..

قال بحدة :

- أنتِ بتتصرفى تصرفات عيال .. والفلوس ؟ هدفع فلوس الحاجات دى منين يا مُهرة

تألمت من قبضته قليلاً حول ذراعها وقالت بخفوت وهى مطرقةً للأسفل :

- الفلوس أدفعت خلاص متخافش

أرخى قبضته عنها وعقد حاجبيه قائلا:

- جبتى الفلوس منين ؟

قالت ببراءة :

- بعت الشبكة بتاعتى اللى جبتهالى

نظر إليها لا يعلم ماذا يقول ، هل يحتد عليها وعلى تصرفها التى قامت بها دون الرجوع إليه أم يأخذها بين ذراعيه وضمها على تضحيتها بالذهب الوحيد الذى كانت تملكه والذى كان عزيزًا عليها فقال بنبرة معتذرة :

- بس الشبكة دى كانت غالية عندك أوى ليه عملتى كده

ظلت مطرقةً برأسها وهى تقول بصدق :

- هى كانت غالية عندى علشان منك انت .. بس انت عارف انى أصلا مش بحب الدهب ولما لقيتك مزنوق فى فلوس العفش اللى هيتحط فى المكتب ملقتش قدامى حل تانى غير ده ومرضتش اقولك علشان عارفة انك هترفض

أكتسى صوته عذوبة ورقةً وهو يقول بامتنان :

- بس انتِ مكنش عندك غيره يا حبيبتى

نظرت له بعتاب وقال بخفوت دون أن تنظر إليه :

- انا معنديش غيرك انت يا فارس

****

بدأ العمل فى المكتب على قدم وساق وأخيرا تم وضع اللافتة التى تحمل أسمه .. دكتور فارس سيف الدين المحامى ، ولكن أين يذهب فارس من أقداره هو مُهرة ..بعد أسبوع واحد من بداية العمل فى المكتب الجديد وذات مساء زاره أبو يحيى والد مُهرة ومعه العم عامر بصحبة ولده مينا وقد كان فارس مشغولا بالتحدث فى الهاتف مع عمرو الذى كان يخبره أن التقرير قد أُعد أخيرا وذهب إلى النيابة وأنهما لا بد ان يذهبا فى الغد على الفور .

أنهى فارس المكالمة سريعاً ورحب بأبو يحيى والعم عامر ترحيب شديد ولكن وجههما كان يعلوه العبوس وخصيصا وهما ينظران إلى بعضهما البعض شذراً .. فقال فارس على الفور :

- خير يا جماعة ايه الحكاية

نظر أبو يحيى إلى عامر ومينا بثقة وكأنه يعرف إلى أى جهة سينضم فارس وبدء فى سرد ما حدث بينهما من شقاق ونزاع

******

الفصل الثانى والثلاثون

(قبل الأخير)

- خير يا جماعة ايه الحكاية

نظر أبو يحيى إلى عامر ومينا بثقة وكأنه يعرف إلى أى جهة سينضم فارس وبدء فى سرد ما حدث بينهما من شقاق ونزاع وقال:

- شوف يا فارس يابنى .. من مدة كدة مرات عامر كانت عاوزه تشترى مكنة خياطة ومعهاش المبلغ كله .. لجأت لمراتى التانية وطلبتهم منها ..ومراتى اشترطت عليها أنها تردلها المبلغ بعد كام شهر بس بزيادة ٥٠٠ جنية دلوقتى بقى مراته جاية ترجع المبلغ من غير الزيادة والحريم اتخانقوا مع بعض، حاولت افهمه أن احنا عندنا فى شرعنا أن العقد شريعة المتعاقدين وهما اتفقوا من قبل ما تاخد الفلوس برضه مش مصدق

ويقولى ده حتى عندكوا اسمه ربا ، حاولت افهمه واشرحله واقوله أن السلف ده زى قرض البنك كده بالفايدة بتاعته مش ربا ولا حاجة .. ولا حياة لمن تنادى .. برضة راكب رأسه ومش راضين يدفعوا الزيادة .. أتفضل بقى انت فهمه يمكن يفهم منك.. أصله فهمه على قده شويه

هتف مينا أبن عامر بغضب :

- لو سمحت حسن ملافظك شوية يا عم ابو يحيى.. ولا يعنى علشان هو جوز بنتك ومتأكد أنه هيحكملك .. أنا اصلا مكنتش مقتنع أننا نيجي هنا ما انا عارف أيه اللى هيحصل ..

تنهد فارس ببطء وهو يشعر أنه مقدم على مشكلة كبيرة سوف تحدث وقال لـ مينا :

- وعرفت منين اللى هيحصل بقى يا مينا

لوح مينا بضيق وهو يقول :

- طبعا هتحكمله هو مش انت جوز بنته ..وغير كده هتقول ده مسلم ودول مسيحين يبقى احكم للمسلم اللى زيى

ثم نظر إليه نظرة ذات معنى وهو يقول :

- مش كده برضه يا شيخ فارس

جذب عامر ذراع ولده ونهره بقوة قائلا:

- عيب كده يا مينا ..أحترم الدكتور وانت بتتكلم

ثم التفت إلى فارس وقال معتذراً :

- أنا آسف يا دكتور.. أمسحها فيا معلش .. مينا لسه صغير وميعرفكش كويس زيى

ألتفت فارس إلى مينا وقال بهدوء :

- أيه بقى حكاية شيخ فارس دى.. تقصد بيها ايه

نظر له مينا بحنق ولم يجبه فكرر عامر أعتذاره لـ فارس فقال فارس على الفور وهو ينظر إلى عامر :

- أتفضل أحكيلى ايه اللى حصل يا عم عامر

قال ابو يحيى معترضاً :

- منا حكتلك الحكايه كلها يا دكتور هو هيقول ايه يعنى مختلف عن اللى قلته

نظر له فارس مبتسماً وحاول أن يعطيه احساس بأنه ليس ضده وقال :

- معلش يا أبو يحيى أى حد بيحكم بين طرفين لازم يسمع من الاتنين .. حتى لو انتوا الاتنين قدام بعض لازم اسمع من الطرفين قبل ما اقول أى حاجة .

هز عامر رأسه موافقاً بإعجاب وهو ينظر إلى فارس و فقال :

- أنا كلامى مش هيختلف يا دكتور فارس هو نفس الكلام .. مراته سلفت مراتى واتفقت معاها على زيادة ٥٠٠ جنيه .. بس مراتى خبت عليا موضوع الزيادة دى ..ومكنتش اعرفها ولما كنت قاعد مع الحاج عبد الله وبحكيله قالى أن ده عندكو اسمه ربا يعنى انا مجبتش حاجة من عندى .. وده كده فى ظلم كبير لينا لأننا معناش المبلغ ده دلوقتى.. المكنة باظت ومستفدناش منها بحاجة

مال أبو يحيى مستندا بيده على مكتب فارس وهو يقول :

- طب أنا ذنبى ايه.. العقد شريعة المتعاقدين ومراتك وافقت من الأول

أبتلع فارس ريقه وهو يشعر أنه يقف بقرب فوهة بركان تكاد أن تنفجر فى وجهه فى أى وقت ولكن الحق أحق أن يتبع ..سلم أمره لله ونظر إلى عامر الذى كان ينتظر كلمة حق ..شعر بسخونة تسرى فى جسده فهو يعلم ماذا سيفعل به أبو يحيى إذا ما نصر عليه غريمه .. لكن هل يقول كلمة تقرب بينه وبين حبيبته وزوجته وتبعده عن الجنة وتلقى به فى الجحيم .. وبحسبة بسيطة حسم فارس أمره ونظر إلى عيونهم المتعلقة به وأخذ نفساً عميقاً وقال :

- عم عامر على حق .. ده ربا فعلا

ارتسمت ابتسامة رضا على وجه عامر بينما حدق مينا فى فارس بدهشةً وانفجر بركان ابو يحيى فى وجهه كما توقع تماماً وقال صائحاً :

- أنت بتنصره عليا يا جوز بنتى .. يعنى انت موافق على اللى بيقوله ده

نهض فارس محاولاً تهدئته وقال على الفور :

- اسمعنى يا عمي بس أنا هافهمك ليه

صاح فيه ابو يحيى قائلا:

- كويس أنى عرفتك قبل ما أديك بنتى ..راجل بوشين صحيح.. أومال دقن وعاملى فيها شيخ وكمان بتنصر المسيحى عليا يا عم الشيخ .. ملكش عندى بنات للجواز عن اذنك

لحق به فارس عند باب الحجرة وجذبه من ساعده برفق محاولا إيقافه وتهدئته وهو يقول برجاء :

- هفهمك انا قلت كده ليه .. ده شرع ربنا مش كلامى

دفعه ايو يحيى بثورة عارمة وهو يصيح شرع ربنا ايه أنتوا كل واحد فيكوا يربى دقنه ويتاجر بشرع ربنا يا نصابين .

قال كلمته بعد أن دفع فارس بقوة وصفع الباب خلفه بعنف ، زفر فارس وهو يمسح بكلتا يديه على شعره بقوة وهو يقول :

- لا حول ولا قوة الا بالله.. ليه كده بس.. طب كنت استنى لما تفهم

تبادل عامر مع ولده مينا النظرات المتعجبة واتجه عامر إلى فارس قائلا بأعتذار :

- انا آسف يابنى

رفع فارس رأسه إليه وقال بعدم تركيز :

- لا..لا وانت ذنبك ايه يا عم عامر

أقترب مينا من فارس وقال بإرتباك :

- أنا آسف انا كمان يا دكتور فارس مكنتش أعرف أنك هتيجى فى صف الحق مهما كان هو مع مين

حاول فارس أن يرسم ابتسامة مجاملة على شفتيه ولكنه عجز عن ذلك فعقله يدور ولا يعلم ماذا سيفعل مع والدها وماذا سيحدث بعد ذلك ..

****

ظل والدها يصرخ فى وجهها صائحاً :

- هيطلقك يعنى هيطلقك وانتِ اللى هتطلبى الطلاق منه.. أنتِ فاهمة ولا لاء

أنسابت عبراتها وهى تهتف :

- ليه بس يا بابا طب حتى استنى لما تسمع منه

صاح بصوت هادر :

- اللى بقولك عليه تعمليه .. وإلا والله أمك هرميها فى الشارع ومش هتلاقى مكان يلمها

بكت مُهرة بشده وجسدها يرتجف وينتفض بقوة وهى تستغيث بالله أن ينقذها مما تقاسيه ... تدخلت والدتها وقالت له بجمود :

- هو انت كل ما يحصل حاجة تهددنى بالطرد والطلاق .. أنت فاكرنى هترمى فى الشارع يعنى من غيرك

توجه إليها فى غضب عارم ولوى ساعدها خلف ظهرها وهو يصرخ فيها :

- ايوا هتترمى فى الشارع ياختى ..ولو مش عاجبك الباب يفوت جمل

دفعته بكل طاقتها بعيدا عنها بعد أن شعرت أن يدها ستتكسر فى قبضته وهرولت نحو باب الشقة وهى تاخذ محفظتها وتجذب حجابها وتضعه على شعرها وهى تقول بغضب :

- سايبهالك مخضرة.. أبقى هات مراتك التانية تعمرها بقى

خرجت وأغلقت الباب خلفها ونسيت أن ابنتها فى أشد الحاجة إليها، غضبت لنفسها وانفجر بركان صمتها الذى كان هامداً طوال تلك السنوات والآن انفجر ولكنه لم ينفجر فى وجهه وحده وأنما فى وجه مُهرة ايضا .. فتحت أم فارس باب شقتها عندما سمعت صوت الصراخ الاتى من شقة مُهرة فوجدت أم يحيى وهى تهرول هابطة للأسفل حاولت إيقافها ولكن عينيها كانت تتطاير منها الشرر وهى تصيح فيه وكأنه مازال يسمعها :

- روح هات الغندورة التانية تقعدلك فيها ..أنا مستحملة وصابرة على بلاويك.. فى الآخر حصلت تمد ايدك عليا

لم تسمع نداءات أم فارس ولم تعيرها اهتماماً ، نظرت للأعلى لدقيقة ثم عادت إلى شقتها مرة أخرى عندما سمعت صوت رنين الهاتف ... أجابته قائلة :

- السلام عليكم .. أيوا يا فارس

قال بسرعة :

- ماما مُهرة عندك ؟

قالت متعجبة :

- لاء يابنى ده أنا سمعت صوت خناق جاى من عندهم وشفت أم يحيى وهى نازلة تزعق على السلم وبتقول انا سايبه البيت وماشيه.. شكل جوزها مد ايده عليها

سمعت صوت زفيرة الحار وهو يقول :

- أنا جاى حالا اقفلى دلوقتى

عادى فارس سريعاً إلى المنزل فوجد والدته تنتظره على باب الشقة ويظهر عليها القلق الشديد وقالت سرعاً :

- ايه اللى حصل يابنى بينك وبين ابوها .. البنت كلمتنى ومفحومة من العياط مفهمتش منها حاجة كل اللى فهمته ان ابوها كان هيضرب امها وأنه عاوزها تطلب الطلاق منك

قال فارس بلهفة :

- مد أيده على مُهرة ؟

هزة رأسها نفياً وهى تقول :

- مش عارفه يابنى فهمنى طيب ايه اللى حصل

لم يستطع أن ينتظر أكثر من هذا صعد الدرج قفزاً حتى توقف أمام باب الشقة تنفس بقوة وطرق الباب لحظات وفتح والدها الباب وعينيه ينبعث منها الغضب والحنق قال فارس سريعاً :

- يا عمى عاوز اتكلم معاك الله يخاليك مش كده ...

قال والدها بغضب :

- قلتلك ملكش عندى بنات للجواز وياريت تطلقها بالذوق بدل ما نروح المحاكم

سمع فارس صوت بكائها من الداخل فاستشاط غضباً .. لايستطيع أن يراها أو يطمئن عليها وهى وحيدة حتى والدتها تخلت عنها وتركتها معه بمفردها .. لم يستطع أن يتحكم فى أعصابه أكثر من ذلك فهتف فيه :

- وانا مش هطلقها.. دى مراتى ومش هطلقها ..حتى لو هى اللى طلبت الطلاق بنفسها وبعدين ليه كل ده .. كل ده علشان حكمت بشرع ربنا.. وانت حتى مش عاوز تسمعنى لما اقول كل اللى عندى

لم يجد أجابة من أبو يحيى إلا أن صفع الباب فى وجهه مرة واحدة بدون سابق انذار ..ضرب فارس سور الدرج بقبضته حتى آلمته بشدة وهو يهتف بحنق :

- والله ده حرام حرام اللى بيحصل ده

لحقت به والدته وأخذته وهبطت به للأسفل وهى تقول :

- تعالى يابنى استنى لما النفوس تصفى وبعدين نتكلم معاه.. تعالى احكيلى ايه اللى حصل

أما فى غرفة مُهرة فقلد كانت تبكى وتشهق وهى تضع يدها على فمها حتى لا تصدر صوتاً يستفزه من جديد وهو واقف أمامها مصدراً لأوامره وهو يقول :

- مفيش خروج ولا دخول ولا جامعة ولا غيره خلاص .. وتليفونك هيفضل معايا .. وهجيب مراتى التانية تقعد معاكى هنا وتحرسك ..ويبقى يورينى نفسه بقى سعادت الباشا الدكتور.. تراجعت فى فراشها حتى التصقت بالحائط وضمت ركبتيها إلى صدرها وهى تأن أنين المعذبين وتدفن رأسها بين قدميها وتشكوا بثها وحزنها لله وحده

وبالفعل هاتف زوجته الثانية وأمرها أن تاتى ببعض ملابسها لتكون بجوار مُهرة مراقبة لتصرفاتها فى غيابه وقص عليها ماحدث.. كانت زوجته سعيدة بما فعل بأم يحيى وأنها أنتصرت على ضرتها وآلمتها وستؤلمها أكثر حينما تنام فى فراشها وتتحكم فى ابنتها وجاءت مسرعة إليه ...

بات فارس ليلته وقد جفاه النوم وذاق السهاد مستلقياً على فراشه ينظر للأعلى يتأمل سقف الغرفة .. غرفتها فوقه تماماً لا يفصلهما عن بعضهما البعض سوى سقف الغرفة فقط، ظل مصوب نظراته إليه تكاد أن تخترقه لتراها وترى حالها الآن وتعود إليه تخبره عنها .. ماذا تفعل هل تبكى هل تضم قدميها إليها كما تفعل دائماً عندما تشعر بالوحدة .. يود أن يمده يدها لينتشلها مما هى فيه يود أن يأخذها بين ذراعيه ويحتضنها بقوة ليشعرها بالأمان .. أنا هنا يا حبيبتى ..لا تجزعى .. لا تخافى ..لا تفزعى .. لاتحزنى .. أطمئنى واسكنى صدرى كما سكنتِ قلبى دائماً ...

وفى الصباح أخبرته والدته أن زوجة أبيها جاءت لتسكن معهم فى نفس الشقة ، أستشاط غضبا وهو لا يعرف ماذا يفعل ، لا يريد أن يتدخل بشكل أكثر قوة حتى لا تفسد العلاقات بين العائلتين أكثر من هذا، وكان مضطرًا للحاق بعمرو فى النيابة ليتعرف على نتيجة تقرير هيئة الاثار ..

توجه إلى النيابة من جديد وهناك كانت النتيجة ليست مفاجئةً له بل كما توقع تماماً .. يقول مفتش الاثار الخبير بان القطعة الاثرية التى عرضت عليه قطعة حقيقية غير مزيفة .. شكك فارس فى نتيجة الفحص وطالب بفحصها مرة أخرى عن طريق لجنة أخرى .. تم الاستجابة لطلبه وأعيدت لعرضها على لجنة أخرى .. تقدم عمرو تجاه فارس وهو يقول بقلق :

- هنعمل ايه دلوقتى يا فارس

تنهد فارس وقد ظهرت علامات الاستياء على وجهه وهو يقول :

- زى ما قلتلك بالظبط هنسبقهم بخطوه المره دى

نظر له عمرو متعجباً وقال :

- مالك يا فارس فى حاجة مضايقاك

أومأ فارس برأسه وهو يشعر أنه يحمل هماً تنوء منه الجبال وقص على عمرو ما حدث بالامس مع والد مُهرة .. ما كاد ينتهى من حديثه حتى وجد والدته تتصل به بألحاح أجابها على الفور فقالت بإضطراب :

- مرات حماك التانية خبطت عليا وقالتلى أن جوزها راح يشوف محامى علشان يرفع قضية طلاق

أغمض فارس عينيه وقال بحزن :

- طيب يا ماما اقفلى دلوقتى معلش وهبقى أكلمك تانى

نظر إليه عمروهو يقول في إضطراب :

- حصل ايه

خالطت ابتسامة متهكمة حزينة شفتيه وهو يقول :

- حمايا شكله كان بيتلكك علشان يطلقها مني .. راح يدور على محامى يرفع قضية الطلاق

وضع عمرو يده على كتف فارس وهو يقول مطمئناً :

- متخافش مش انت واثق أنها عايزاك

أطلت نظرات القلق والحزن من عينيه وهو يقول :

- انا خايف عليها اوى يا عمرو لوحدها فى وسط كل ده

****

ذهب فارس بصحبة عمرو كما اتفقا مسبقاً لهيئة الاثار ليحاول فارس استباق نادر بخطوة كما كان يخطط من قبل .. صافحه فارس وهو يعرفه بنفسه ويقدم الكارت الشخصى الخاص به مبتسماً ... نظر مفتش الاثار إلى الكارت ثم إلى فارس متفحصاً له وهو يضيق عينيه ثم قال متسائلا :

- هو مش حضرتك كنت بتشتغل فى مكتب الدكتور حمدى مهران

أنتبهت حواس فارس وهو يومىء ببطء قائلا:

- ايوا هو حضرتك تعرفنى قبل كده

ابتسم الرجل ويهز رأسه قائلا :

- سبحان الله الدنيا صغيرة أوى .. هو حضرتك مش فاكرنى ولا ايه يا استاذ فارس

تأمله فارس قليلاً محاولا تذكره ثم قال :

- الحقيقة هو شكل حضرتك مش غريب عليا بس مش فاكر بصراحه

استند الرجل إلى مكتبه وشبك اصابع كفيه فى بعضهما وقال بتاثر :

- مش فاكر الراجل اللى مراته رفعت عليه قضية طلاق وعلشان مكنش عاوز يديها حقوقها جالكوا المكتب بتاعكوا وكان عاوز يتهمها فى شرفها ظلم ويفترى عليها وانت قعدت تنصحه وتقوله حتى لو هانت عليك مراتك أزاى عيالك يهونوا عليك تلطخ سمعتهم بالشكل ده وميقدروش يرفعوا رأسهم قدام الناس بعد كده وفضلت تذكره بالله لحد ما قام مشى من قدامك وهو بيقول أنا مش عارف هو ده مكتب محاماه ولا جامع ..

أنتبه فارس متذكراً وهو ينظر إلى الرجل وقد عرفه وقال بدهشة :

- مش معقول

أومأ الرجل برأسه وهو يقول :

- شفت بقى الدنيا صغيرة ازاى ؟

أطرق فارس مفكراً وقد شعر برفض طلبه قبل أن يطلبه وحاول أن يبحث عن مخرج آخر لعمرو الذى كان ينظر إليهما بحيرة ودهشة لا يعرف ماذا يقول .. قطع مفتش الاثار شروده وهو يقول موجهاً حديثه لفارس :

- أؤمرنى يا أستاذ فارس حضرتك كنت جايلى ليه

رفع فارس رأسه ببط ونظر فى عينيه وهو يقول بأحباط :

- الحقيقة أنا كنت جاى متحمس بس دلوقتى مبقتش عارف هتساعدنى ولا لاء

نظر له الرجل بابتسامة ونهض من خلف مكتبه وجلس على المقعد أمامه ووضع يده على قدم فارس وهو يقول ممتناً :

- أنت ليك جميل فى رقبتى عمرى ما هنسهولك أبداً

علت الدهشة وجه فارس وهو ينظر إليه بصمت فاردف الرجل قائلا:

- أنا بعد ما مشيت من عندك فكرت فى كلامك كويس وضميرى فضل ينقح عليا وانا بسمع كلامك عمال يدور جوا عقلى .. وفضلت طول الليل صاحى مش عارف اسمع اى حاجة غير الحوار اللى دار بينا فى المكتب عندك ... حسيت انى ندل وأنى كنت هلوث سمعت ست شريفة عاشرتها سنين طويلة مشفتش منها غير كل شرف وامانه .. كنت هضيع مستقبل ولادى وسمعتهم علشان العند .. علشان بس أثبتلها أنها مش هتاخد منى حاجة غصب عنى بالمحاكم .. وأكتشفت انى مقدرش استغنى عنها وان الموضوع كله كان عند فى عند .. روحتلها وأعتذرتلها واتصالحنا ومن يومها وانا شايلك جميلك ده فى رقبتى وبدعيلك ليل نهار ...

رغماً عنه لمعت الدموع فى عينيه وهتف فى قلبه :

- يااااه يا ما أنت كريم يارب .. صحيح اللى عند ربنا مبيضعش ابداً

ربت الرجل على قدمه مرة اخرى وقال مطمئناً :

- قولى بقى أنت عاوزنى اساعدك فى ايه وانا رقبتى ليك

خرج فارس وعمرو من هيئة الآثار وقد بدت السعادة فى عينيى كل منهما وقال له فارس بحماس :

- شفت بقى مش قلتلك أن ربنا مش هيسيبنا أبدا

رفع عمرو يده للسماء وهو يقول :

- الحمد لله يارب ..

ثم نظر إلى فارس متسائلا وهو يقول :

- ودلوقتى المفروض هنعمل ايه الخطوه اللى جايه

ابتسم فارس بمكر وهو يقول :

- الخطوة الجايه هما اللى هيعملوها مش أحنا وساعتها هيبقوا كتبوا نهايتهم بأديهم

بمجرد أن انتهى مفتش الآثار من وضع الملفات التى بيده فى درج مكتبه حتى سمع طرقات خفيفة على باب حجرته ورأى رجلين يراهما لأول مرة ... مد نادر يده يصافحه وهو يقول :

- أقدملك نفسى مهندس نادر

وأشار إلى صاحبه وقال :

- وده الأستاذ باسم المحامى .

******

- أيه أنت مش هتروح بيتك ولا ايه ...

قال فارس تلك العبارة وهو يمشى بجوار عمرو الذى كان يسير بجواره فى طريقه إلى بيت والدته .. فقال عمرو:

- لا أنا هبات عند ابويا النهاردة أصل حماتى تعبانة شوية ومراتى وأختها بايتين عندها

ثم ألتفت إلى فارس وقال متسائلا:

- وأنت مش رايح المكتب

هز فارس راسه نفياً وقد علت قسمات وجهه سحابة حزن وقال :

- ماليش نفس اعمل حاجة خالص يا عمرو ..أنا هروح البيت يمكن اعرف اشوفها ولا أكلمها

ربت عمرو على كتفه وحاول أن يكون مرحاً وقال :

- أنا مكنتش أعرف أنك هيمان اوى كده يا عم فارس

ألتفت إليه فارس بصمت حزين ثم سار فى طريقه .. ودعه عمرو دخل بيت والدته بينما دلف فارس إلى بنايته المقابلة له صعد الدرج ولكنه لم يطرق باب شقته وإنما صعد درجات عدة أخرى ووقف أمام بابها لا يعرف ماذا يفعل .. أفتقدها بشدة يريد أن يملأ عينيه بوجهها البرىء ولو لمرة واحدة فقط وقف مترددا تدور الافكار برأسه تعذبه وتقتله .. وأخيرا وضع رايته مستسلماً وهبط درجات السلم مرة اخرى متوجهاً إلى شقته .. وضعت والدته طعام العشاء امامه على المائدة وهو شارداً فى وجوم وكأنه فى عالم آخر عاقدا ذراعيه امام صدره وقد تقابلا حاجبية بشدة .. وضعت يدها على يده وهى تقول بهدوء :

- مش هتاكل يا فارس

أوما برأسه وأمسك ملعقته وظل يعبث فى طبقة الذى امامه وهو مطرق الرأس وقد عاد إلى وجومة الدائم فقالت :

- يابنى مش كده ده انت مكلتش من امبارح ولا بتدوق طعم النوم حتى

تنهد بقوة وقال باسى :

- مش عارف اعمل ايه يا ماما ياريتنى ما كنت كتبت الكتاب كنا عملنا الفرح على طول

رفع رأسه إليها وهو يقول بضعف :

- ماما أنتِ مبتشوفيهاش خالص

شدت على يده وهى تقول بسعادة مصطنعة:

- شوفتها النهاردة وهى نازله مع مرات ابوها وكان شكلها باين عليه أنها كويسه

نظر إليها بلهفة وقال على الفور :

- كلمتيها

ابتسمت وقالت :

- كلمتها وهى مرات ابوها هتمنعنى أكلمها كمان.. وبتسلم عليك وبتقولك متقلقش عليا

خفق قلبه وضغط على يد والدته دون ان يشعر وهو يقول :

- بجد يا ماما بجد كويسه

أبتسمت والدته وهى تؤكد له ما قالته ثم عادت لتكمل طعامها فى صمت بعد ان رأته قد بدا فى تناول طعامه .. نظرت إليه نظرة خفية بأسى وهى تهتف داخلها .. اقولك ايه بس يابنى اقولك الوردة دبلت فى يوم وليلة من كتر الهم والبكى ..

وقفت مهرة فى الليل فى نافذتها ترجو أن تراه ولو لمرة واحدة تطل برأسها للأسفل بشدة لعلها تلمح ظله فتفاجأت بصوت زوجة أبيها تقول ساخرة :

- أدخلى من الشباك .. أبوكى قال مفيش واقفة فى الشبابيك

ألتفتت إليها مُهرة وعادت إلى الوراء وأغلقت النافذة بهدوء فهى لا تريد أن تدخل فى مجادلة كلامية مع هذه المرأة على الأطلاق .. جلست على الفراش بعد أن أغلقت النافذة وتناولت أحد الكتب بجوارها وشرعت فى قراءتها فنظرت إليها زوجة أبيها نظرات ساخرة وعادت أدراجها من حيث أتت .. بعد قليل دخل يحيى بعد طرق الباب عليها وأطل بوجهه فتبسمت له وقد لمعت الدموع فى عينيها فاقترب منها وجلس بجوارها وأمسك يدها وهو يقول بإشفاق :

- متزعليش نفسك بكره ابوكى يصفى ويرجع فى كلامه

أنسابت العبرات على وجنتيها وهى تقول متسائلة :

- ماما عاملـه ايه

أومأ برأسه وهو يقول :

- ما أنتِ عارفه انها قاعده عند خالتك وبتسلم عليكى وبتقولك متزعليش منـها هى مشيت وسابتك فى ساعة غضب ومعرفتش ترجع تانى من لما ابوكى جاب مراته هنا

أطرقت برأسها وقالت لـه متسائلة :

- وانت يا يحيى قاعد فين دلوقتى

قال مبتسماً :

- عند واحد صاحبى

أطرقت برأسها ثانية وهى تقول باسى :

- يارب دايما تبقى مرتاح يا يحيى

نظر إليها بشفقة ورفع وجهها إليه بيده وقال مبتسماً :

- هخاليكى تشوفيه متزعليش

أمسكت ذراعيه بلهفة وهى تهتف به :

- بجد يا يحيى

أشار لـها ان تخفض صوتـها ثم قال بخفوت :

- اه والله صدقينى بس أدينى يومين كده .. ماشى ..

أومأت برأسها فرحاً وهى تمسح دموعها براحتيها وهى تقول ممتنـة:

- متشكرة اوى يا يحيى ربنا يخاليك .. بس يومين كتير اوى مينفعش قبل كده

كتم ضحكته وهو يقول بمرح :

- طب اعملى مكسوفة طيب .. طب استنى

نـهض واتجه إلى الباب ليطمئن أن زوجة أبيه لا تتجسس عليهما ، وبعد ان اطمئن تماماً أخرج هاتفه وهو يقول لـها بخفوت :

- تعرفى توطى صوتك على الآخر وانتِ بتتكلمى فى التليفون ؟

قفزت من فراشها فرحاً كالفراشة وقال بخفوت مماثل :

- ربنا ميحرمنيش منك يا يحيى

أشار لها أن تفتح النافذة وتطل منها وهى تتحدث حتى لا يظهر صوتها خارج الغرفة بينما وقف يحيى مراقباً من طرف خفى حتى لا يحدث أى هجوم مباغت من زوجة أبيه عليهما وهى تتحدث فى الهاتف .. أنتفض فارس وهو مستلقى فى فراشه سابحاً فى شروده وذكرياته على صوت رنين الهاتف .. نظر إليه فوجد رقماً غريباً غير مسجل لديه فزفر بضيق ..تركه وعاد إلى استرخاءه من جديد وهو لايعلم أن نصفه الآخر الذى اشتاق إليه هو من يهاتفه الان .

جذب يحيى الهاتف من مُهرة ووضعه فى جيبه فى اللحظة التى دخلت فيها زوجة أبيه واضعة يدها فى خصرها قائلة :

- أنت هتبات هنا ولا ايه يا يحيى

تنحنح بحرج وهو يقول :

- لا انا ماشى دلوقتى

قالت بابتسامة صفراء :

- براحتك يعنى انا مش قصدى أمشيك ولا حاجة

ربت يحيى على كتف مُهرة وهو يقول بنظرة تفهمها :

- هجيلك بكره ماشى

أومأت له مُهرة برأسها وهى تمسك بيده التى على كتفها

خرج يحيى من غرفتها واتجه إلى باب الشقة مباشرة حتى لا يحدث احتكاك بينه وبين زوجة أبيه ينتج عنه مشكلة أخرى .. خرج وأغلق الباب خلفه بينما جلست مُهرة على فراشها محتضنة قدمها كما تفعل دائما وتنظر لأرضية الغرفة وكأنها تناديه وتحاول ان تخترقها لتراه ..

خرج فارس يقف فى نافذة غرفته يستنشق هواء الفجر العليل ويملأ به رأتيه بقوة ويزفر بهدوء وهو يسبح ويستغفر ببطء .. نظر للأعلى مرات عديدة يتلمس ظلها أو ضوء غرفتها سمع صوت هاتفه فهرول إليه ونظر فيه فزفر بضيق عندما وجد أسم عمرو هو المتصل ..

كان يعتقد انها هى ولكن انقطع الامل .. عاد مرة أخرى إلى النافذة وهو يجيب عمرو بحنق :

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ايه اللى مصحيك لحد دلوقتى ؟

قال عمرو مشاكساً :

- انا كنت قلقان شوية وقفت فى الشباك لقيت العاشق الولهان واقف هو كمان عمال يبص لفوق يمكن يعرف يشوف الست جوليت ولا حاجة

نظر فارس إلى البناية التى تقبع أمامه عن يمين بنايته قليلا فوجد عمر يقف فى الشرفة ويشير إليه بيده واضعا الهاتف على أذنه وقال :

- معلش بقى شوفتنى انا.. طبعا عارف انك كان نفسك تشوف حد تانى النهاردة

تنهد فارس بعمق وهو يقول بشوق :

- وحشتنى أوى

قال عمرو مبتسماً :

- معلش يا روميو.. أصبر بكره تبقى فى بيتك

هتف فارس بحنق وهو يضرب سور الشرفة بيده :

- امتى بس يا عمرو وازاى بعد اللى حصل ده

أنتفض جسدها وهى تجلس على فراشها ضامةً لركبتيها بعد أن سمعت صوته ياتى إليها ويتسلل إلى مسامعها فى سكون الليل وقد نامت العيون وخلا الأحبة بعضهم إلى بعض .. خرجت سريعاً من غرفتها لتتأكد من أن الجميع نيام ثم عادت إلى غرفتها ، وضعت حجابها على شعرها وفتحت النافذة وأطلت منها بنصف جسدها تقريباً فرأته وهو يتحدث فى الهاتف بغضب ، أبتسمت وهى تنظر إليه، كم افتقدته كم اشتاقت إليه وإلى نظرة عينيه العاشقة ... تفاجأ فارس بعمرو وهو يقول له بمرح :

- قول لجوليت تدخل جوه شوية أحسن هتقع كده

أستدار فارس كلية بجسده وهو ينظر للأعلى فرآها ، لم يستطع أن يتبين ملامحها جيدا وعينيها بسبب الظلام ولكن رآها ورأته ! ، أبتسم عمرو وعاد أدراجه إلى الداخل وأغلق الشرفة ليتركهما وحدهما يخطفا من الوقت لحظات كفيلة بأن تعيد إليهما الحياة من جديد.. أرسل لها قبلة فى الهواء بيده استقبلتها بقلبها الذى عانقها بقوة وضمها داخله ككنز ثمين

لا ينفك أن يتركه أبداً ..ضمت يدها إلى صدرها وهى تنظر إليه كانها تضمه هو .. لمحت والدها آتى من بعيد فاشارت إليه وعادت للداخل سريعاً .. عاد فارس للداخل وحاله كحال الظمآن الذى بلل شفتيه بلسانه .

****

- ها يا حضرة الظابط أيه الاخبار ..

قالها فارس وهو يجلس فى المقعد المقابل للضابط الذى قال بثقة :

- كل حاجة ماشيه زى ما أحنا متفقين بالظبط .. باسم ونادر هيتسجلهم ويتقبض عليهم متلبسين بالرشوة

أبتسم فارس بسعادة وهو يقول بأمتنان :

- الحقيقة يا فندم مش عارف اشكر حضرتك أزاى ..

ثم تنحنح فى حرج وهو يقول بحيرة :

- هو ليه حضرتك عرضت عليا المساعدة فى الموضوع ده رغم أن القضية مكانتش معاك من الأول

أبتسم الضابط وقال :

- فاكر قضية القتل اللى طليقتك كانت ماسكاها ..أهو انا كنت الظابط اللى عرضوا عليه رشوة علشان يغير أقواله فيها.. من يومها وانا متابع القضية دى وعرفت اللى حصل معاك واستجدعتك اوى.. ده غير انى كنت متأكد إن فى حد تانى بيساعد وائل وبيخططله من بعيد من غير ما يورط نفسه فى الحكاية

ثم استند بظهره إلى المقعد وهو يقول بتصميم:

- ولما عرفت موضوعك أنت وعمرو بالصدفة حبيت اساعدك .. وواحدة واحدة اتأكدت أن باسم ليه علاقة بالموضوع ده كمان .. واللى زى باسم ده عاوزله تخطيط جامد أوى وأدلة قوية علشان نقدر نقضى على فساده.. ولا زم نحط أيدنا فى أيد بعض علشان نعرف نحوط عليه كويس أوى وميعرفش يطلع من ثغرات القانون اللى هو حافظة كويس .

أستدرك فارس قائلا:

- يعنى خلاص مش فاضل غير التسجيل وبعدين نطلع أمر بالقبض عليهم

أومأ الضابط برأسه وقال مؤكدا :

- التسجيل هيتم بكره زى ما اتفقنا مع خبير الاثار .. فى نفس اليوم بالليل هنقبض عليهم إن شاء الله

نظر إليه فارس بإعجاب وهو يقول :

- نفسى اسألك سؤال بيلح عليا دايما

أومأ الضابط برأسه فقال قال فارس :

- أنت ليه مخفتش لما وائل هددك

ضحك الضابط وقال :

- وائل ده كان شكله يضحك أصلا .. وبيعرض الرشوة بسذاجة غريبة .. علشان كده كنت متأكد ان فى حد وراه عاوز يوديه فى داهية

****

كان نادر بصحبة باسم فى شقته الخاصة ليلاً بينما سمع باسم صوت رنين هاتف المنزل فقال نادر بقلق :

- أيه ده مين بيكلمك دلوقتى

نهض باسم متوجهاً إلى الهاتف وهو يترنح ثملاً ، وضع سماعة الهاتف على أذنه وقبل أن يجيب سمع صوت أنثوى يصيح به :

- أنتوا ايه اللى أنتوا عملتوه ده يا أغبيا

نظر باسم لسماعة الهاتف وهو يعقد جبينه بدهشة ثم أعادها على أذنه مرة أخرى وهو يقول بتشتت :

- أنتِ مين

صاحت بغضب :

- أنت غبى انت واللى معاك .. وهتدفعوا تمن غبائكوا ده غالى أوى

ضحك باسم وهو يقول بترنح :

- أهدى بس يا حلوة

صرخت فيه بشدة :

- بقى علشان انت بتكره واحد والغبى اللى معاك بيكره التانى تقوموا تلفتوا النظر لينا ولشغلنا والعين تبقى علينا .. اللى عملتوه ده مش هيعدى بالساهل أبدا .

وأنهت المكالمة بعنف .. نظر باسم إلى سماعة الهاتف باستنكار وهو يهوى إلى المقعد بجوار الهاتف ويهتف :

- طب متعرفناش طيب

نهض نادر قائلا:

- فى ايه يا باسم مين دى

ناوله باسم الكأس فى يده وهو يقول مترنحاً :

- أشرب ياعم .. خالينا نفرفش شوية.. أنت مالك رخم كده ليه النهاردة

****

جلست عزة بجوار عبير فى بيت والدتهما وحدقت بها وهى تقول :

- بتقولى أيه يا عبير .. مُهرة عارفة انى كنت بحب فارس ..

أومأت عبير برأسها مبتسمة وهى تضع ولدها على الفراش بعد أن نام على ذراعها وقالت بخفوت :

- أنتِ فاكراها عبيطة ولا أيه.. ولا ناسية انها كانت ملازمة لفارس ووالدته من وهى صغيرة وقاعدة عندهم فى البيت على طول

أسندت عزة رأسها على راحتها وهى تقول بحرج :

- يادى الكسوف .. وانا بكلمها عادى وهى بتكلمنى عادى ولا باين عليها حاجة

ضحكت عبير بخفوت وهى تنهض وتجلس على الأريكة بجوار النافذة فتبعتها عزة وجلست بجوارها وهى تقول :

- ده انا كده هتكسف احط عينى فى عنيها تانى

هزت عبير رأسها نفياً وهى تقول :

- بتهزرى ؟... يابنتى هى عارفة ان الكلام ده كان زمان قبل ما تتجوزى عمرو

عقدت عزة ذراعيها أمام صدرها وقالت بتبرم:

- وانتِ عرفتى ازاى اصلا توقع كده ولا هى لمحتلك

رفعت عبير كتفيها وقالت :

- مش هى المشكلة دلوقتى.. أنا مش عارفة أيه اللى فتح السيرة دى ..أحنا دلوقتى فى مشكلة مُهرة وباباها لازم أكلم بلال يدخل ويحاول يحلها بطريقته... ياريتك يا عزة قولتيلى أول ما عمرو قالك

لوحت عزة بيديها وهى تقول :

- ياختى نسيت مش شايفه ماما كانت تعبانه ازاى

دفعتها عبير لتنهض وهى تقول بمكر :

- طب أمشى بقى شوفيلك حته تنامى فيها علشان عاوزه أكلم جوزى شويه براحتى

رفعت عزة حاجبها وهى تقول :

- بتطردينى من أوضتى اصلا ماشى يا عبير .. وبعدين أنتِ فاكرانى ماليش جوز انا كمان ولا ايه طب انا بقى هروح البلكونه ونقعد نشاور لبعض زى الحبيبة ...

ثم ضحكت وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها

أخرجت عبير هاتفها وهاتفت بلال وبمجرد ان اجابها حاولت أن تغير نبرة صوتها وهى تقول :

- مين معايا

كان بلال مستلقياً على الفراش يستعد للنوم فابتسم وهو يتكأ على جنبه الأيمن وقال :

- حضرتك انتِ اللى متصله

قالت عبير بدلال :

- طيب ممكن نتعرف .. أصل صوتك عاجبنى أوى

أعتدل جالساً على الفراش بحماس وقد أعجبته اللعبة وقال :

- بس انا متجوز

رفعت كتفيها وهى تقول برقة :

- وايه يعنى الشرع محلل اربعة

قال هامساً :

- بس انا بحب مراتى ومفيش واحدة غيرها تملى عينى حتى لو كان الشرع محلل عشرة

كتمت ضحكتها وقالت بتبرم طفولى :

- خلاص بلاش جواز نتعرف بس

هتف ضاحكاً :

- أيه ده يا عبير أنتِ أنحرفتى أمتى يا حبيبتى

ضحكت وهى تقول :

- ياسلام يعنى دى اللى وقفت عندها يعنى

قال بحنق :

- كده برضه تضحكى الضحكه دى وانتِ بعيد عنى.. طب انا هاجى أخدك دلوقتى

حاولت ان تخفض صوت ضحكاتها و تسائلت قائلة :

- ياسلام يعنى هتضحى بوقت نومك وتنزل وتيجى تاخدنى

همس قائلا بحرارة :

- الضحكه دى تخالينى اضحى بعمرى مش بنومى بس

قالت على الفور:

- لالا أنا بهزر معاك أهدى كده علشان احكيلك على حاجة مهمة أوى تخص فارس ومُهرة

أنتبه وأرهف سمعه لها وهى تقص عليه ما قاله عمرو لعزة فى الهاتف عن مشكلة فارس ومُهرة وحتى هذه اللحظة .

****

أستيقظت مُهرة فزعة على صوت صراخ زوجة أبيها وهى توقظها صائحة :

- قومى معايا ياختى.. بقولك قومى

نهضت مُهرة بفزع وهى تصيح :

- فى أيه

صرخت بوجهها :

- جيرانى اتصلوا بيا وقالولى أن شقتى اتسرقت.. قومى يالا تعالى معايا

نهضت مُهرة سريعاً من فراشها وتوجهت للحمام على الفور توضأت وعادت لحجرتها ارتدت ملابسها وزوجة أبيها تصرخ :

- بسرعة ياختى لسه هتقعدى تلفى عشر سنين فى الطرحة

قالت مُهرة بارتباك وهى تحاول لف خمارها :

- حاضر حاضر

غادرتها زوجة أبيها وهى ترتدى حذائها وعادت إليها تصرخ بها ، أرتبكت مُهرة أكثر ووضعت دبوس الحجاب فى أصبعها فتألمت بشدة وهى تنظر لأصبعها الذى أخذ يقطر بعض قطرات الدم وهى تبحث عن منديل ورقى لتضعه عليه

فصاحت زوجة أبيها بغضب :

- انا هسبقك وتعالى ورايا .. متتأخريش انتِ عارفة البيت كويس

تركتها وهبطت درجات السلم فى عجلة منها ..لفت مُهرة الخمار مرة أخرى ووضعت الدبوس بحرص هذه المرة ثم ارتدت حذائها وهبطت تهرول على درجات السلم .. وفجاة شعرت بيد تجذبها بقوة وتدخلها للداخل ووجدت نفسها فى شقة فارس وبين يديه .!

****

الفصل الأخير

أغلق الباب خلفها على الفور واستندت بظهرها إلى الباب المغلق وحدقت به لبرهة وهو يقف أمامها مباشرة محيطاً خصرها بذراعيه وهو يكاد يلتهمها بعينيه والصمت محيط بهما لا يجروْ أحدهما على شقه .. تمالك فارس قواه وقال هامساً وهو ينظر فى عينيها متعمقاً بها سابحاً بداخلها بل غارقاً فيها حتى أذنيه:

- وحشتينى

حدقت به فى ذهول غير مدركة لما حدث فجأة ..فاقترب منها وطبع قبلة على جبينها قائلاً :

- لسه مفوقتيش من المفاجأة

زاغت نظراتها وهى تحاول التقاط أنفاسها بصعوبة وهى تراه ينزع الدبوس المثبت للخمار ونزعه عنها برفق وهو يبتسم لها بشوق وقال :

- بقولك وحشتينى

وأخيراً تكلمت بصوت مبحوح وقالت :

- أنت عرفت منين أنى نازلة دلوقتى لوحدى

أخذ شهيقاً قوياً وهو يحاول أن يبدو هادئاً وقال :

- أصل شقة مرات ابوكى متسرقتش ولا حاجة .. دى لعبة اخترعتها انا ويحيى علشان هى تتلبخ وتنزل وتسيبك واعرف اشوفك .. بس بصراحة مكنتش اعرف انك هتنزلى وراها ..أنا افتكرت انها هتنزل وتسيبك لوحدك بس اتفاجأت بيكى نازلة وراها فقلت اخطفك

حاولت أن تنظر للداخل ولكن كتفيه منعاها وعيناها لا تصل لما بعدهما فقال سريعاً :

- ماما مش هنا ..عند والدة عزة بتزورها

ثم قال بعتاب خافت وهو يرفع رأسها إليه بأنامله :

- طب مفيش وانت كمان وحشتنى

مسحت وجهها براحتها بالكاد فهو لايعطيها مساحة للحركة كافية وقالت بخجل :

- وحشتنى

ضمها إلى صدره وهو يغمض عينيه بقوة مبتسماً بحب وقال :

- أنا خلاص مش هسيبك تانى .. أنتِ هتفضلى معايا هنا

أبتعدت برفق ونظرت إليه بحيرة ودهشة قالت :

- يعنى أيه هفضل هنا

مسح على وجنتها ثم خلل أصابعه بين خصلات شعرها يداعبه وهو يقول :

- يعنى انتِ مراتى ومش هسمح لحد انه يفرق بينا.. ومش هسيب ابوكى يبعدك عنى تانى ومش هتخرجى من بيتى بعد كده

بللت شفاهها بلسانها بتوتر غير مستوعبة لما يقول وقالت بتلعثم :

- أزاى يعنى مينفعش يا فارس نقعد مع بعض واحنا مكتوب كتابنا بس .. طب هنقول للناس ايه ..

هزت رأسها لعلها تستفيق من وقع كلماته وهى تردد :

- مش فاهمة حاجة

أمسكها من كتفيها ونظر إلى عينيها بقوة وقال بحسم :

- خلاص احنا مش هنفضل مكتوب كتابنا طول عمرنا .. أنتِ هتعيشى هنا معايا وهنعلن كده قدام كل الناس .. أنتِ كده كده مراتى وابوكى عاوز يبعدك عنى وبيضغط عليكى علشان تطلبى الطلاق.. وانا مش هاسمحله.. لازم احطه قدام الأمر الواقع ..

نظر إلى عينيها بقوة أكبر وقال بهدوء :

- انا هدخل بيكى يا مُهرة .. وهنا.. زينا زى أى اتنين متجوزين .. ويبقى ابوكى بقى يورينى هياخدك مني ازاى تانى

شعرت أنها تختنق واحمر وجهها من فرط حرارة جسدها المتصاعدة وقالت باضطراب :

- أنت اتجننت يا فارس بتقول أيه ..سيبنى امشى

أحكم يديه حولها وهو ينظر إليها بتصميم قائلاً :

- أيوا اتجننت .. ولو مش بمزاجك هيبقى غصب عنك ..أنتِ مراتى فاهمة يعنى أيه مراتى

حاولت أن تتحرر من يده وهى تقول بخوف:

- سيبنى يا فارس بقولك سيبنى

حملها رغماً عنها ليبعدها عن باب الشقة وأدخلها غرفته وهى تهتف به :

- لا يا فارس لاا

أغلق باب غرفته وهو يتوقع أن تصرخ أو تحاول الهرب أو تستغيث أو حتى تستسلم، ولكنها لم تفعل ذلك ، نظرت إليه بهدوء وهو يغلق باب الغرفة وبمجرد أن عاد إليها عازماً على فعل ما قرره ..أقتربت هى منه بسرعة ولفت يدها حول خصره ودفنت وجهها فى صدره وهى تبكى قائلة :

- أحمينى منك يا فارس.. أحمينى منك

بدء صدره يعلو ويهبط بقوة ويديه متجمدة بجواره وهو ينظر إليها وهى فى هذا الوضع وتقول ببكاء ولوعة :

- فاكر لما قلتلى لو أى حد فى الدنيا ضايقك ولا قرب منك تعالى قوليلى وانا هاحميكى ..فاكر لما كنت بتقولى أوعى تخافى من حد وانا موجود ..أنا ضهرك وانا حماكى .. فاكر لما قلتلى بعد كتب الكتاب حتى لو انا زعلتك يا مُهرة تعالى اشتكيلى مني وانا هخدلك حقك مني ..أنا دلوقتى عاوزاك تحمينى منك يا فارس.. وانت عمرك ما خلفت وعدك معايا ..أحمينى منك يا فارس ..أحمينى منك

أغمض عينيه بقوة وهو يشعر أن كلماتها خناجر موجهة إلى قلبه بقوة وحسم ، لم تخطأ هدفها أبداً ، أصابته فى مقتل ، تعرفه جيداً ، وتعرف نبله وشهامته وقيامه تجاهها بدور الأب والأخ قبل أن يكون الزوج والحبيب، هو من رباها وكان يحملها فوق كتفه ولم يجروْ أحدا على مسها خوفا منه، فكيف الآن هو من يؤذيها، كيف تلتجأ إليه ويخذلها .

ظلت تدفن رأسها بقوة فى صدره وكأنها تريد أن تختلط بعظامه وتتسلل داخل قلبه ليحيطها ويضمها ويشعرها بالأمان ... وأخيراً وبعد طول انتظار منها وجدته يلف يديه حول رأسها ويضمها أكثر فى صدره ويمسح على شعرها ويقبله قائلا بحنان :

- متخافيش .. متخافيش

أغمضت عينيها وانسابت عبراتها لتغرق قميصه وتبلل صدره ..شعر بسخونة تلك العبرات فعض شفتيه بألم وقال :

- أنا مش ممكن أذيكى وانتِ عارفة كده كويس

ثم رفع وجهها بأنامله ونظر إلى عينيها وهو يقول بابتسامة حزينة:

- أهو ده عيب اللى يتجوز واحدة فاهماه كويس

خالطت الدموع ابتسامتها وهى تنظر إليه بلهفة فمد يده ومسح عنها العبرات قائلا:

- كفاية بقى عياط.. مش عارف اشوف عنيكى من كتر الدموع

أومأت برأسها وهى تبتسم وتمسح عبراتها براحتيها وهى تقول بحب :

- خلاص مش هعيط تانى

طبع قبلة على جبينها وقال بهدوء :

- أنتِ بتعملى فيا كده ازاى .. أنا بحس انى ببقى واحد تانى خالص وانا معاكى

وضعت يديها على صدره وقالت بصوت مرتجف من فرط التاثر :

- أنا بحبك يا فارس وعمرى ما هطلب منك الطلاق أبدًا إلا اذا حسيت ان انت اللى مش عاوزنى.. أصبر بس شوية مش عاوزينه يعند معانا .. نفسى العلاقة بينكوا تبقى كويسة زى الأول .. وانا أوعدك أنى هصبر على أى حاجة تحصلى فى سبيل اننا نبقى مع بعض فى الآخر وأهالينا راضيين عننا مش غصب عنهم .

أمسك وجهها بيديه ونظر فى عينيها بقوة وهو يقول بحب :

- أنتِ بتجيبى الكلام الكبير ده منين

أشارت بأصبعها إلى صدره وهى تقول :

- منك انت .. ولا ناسى انى كنت ماشية وراك ولازقة فيك بسمع كل الكلام اللى بتقوله وبخزنه فى مخى ومش بقدر انسى منه ولا حرف

أبتسم وقال مداعباً :

- طب ما تجيبى أطه كده على الماشى

ضحكت وهى تبتعد عنه وقالت :

- لا يا سيدى أحسن بعدين تتهور ولا حاجة

أرتدت خمارها ثانية واتجهت باتجاه باب الشقة ، فلحق بها ووضع يده على الباب قائلا:

- طب يعنى هشوفك ازاى تانى؟

زاغت نظراتها يمينا ويسارا وهى تفكر ثم قالت :

- قولى معاد رجوعك بالليل أمتى بالظبط .. وانا هبصلك من الشباك واهى تصبيرة كده لحد ما ربنا يفرجها

ضمها إليه مرة أخرى مودعاً وهو يقول :

- ربنا يجمعنى بيكى يا حبيبتى فى أقرب وقت

لمعت الدموع فى عينيها وهى تودعه وتذهب وتغلق باب شقته خلفها برفق ..ظلت عينيه متعلقة بباب الشقة وهو يشعر بوهن شديد فى جسده وكانه قد تسلق جبلا دفعة واحدة دون توقف .. هوى إلى أقرب مقعد بجوار الباب وأغمض عينيه وهو يدعو الله أن يقرب بينهما ويجمعه بها فى القريب العاجل

****

فى اليوم التالى مباشرة كان بلال يجلس فى بيت فارس ويقول بعتاب موجهاً حديثه إلى فارس :

- مقولتليش ليه يا فارس على اللى حصل ده كله.. هو انا مش صاحبك ولا أيه

تنهد فارس بعمق وقال بحزن :

- مرضتش اضايقك يا بلال ..وبعدين انا عارف انك مش فاضى

شد بلال على يد فارس وهو يقول بلوم :

- كده برضه ده انا افضيلك نفسى مخصوص يا اخى ده أحنا اخوه فى الله مش مصاحبين بعض لدنيا ولا لمصلحه

قاطعته والدة فارس وقالت :

- ربنا يكرمك يابنى بس ابوها مش عاوز يسمع لحد خالص ومش مدى فرصه لحد انه يتكلم ولا يشرح حاجة

أردف فارس قائلاً:

- وبعدين انا قلت اسيبه لما يهدى من ناحيتى يمكن يرضى يسمعنى واقدر اشرحله

وضع بلال يده على كتف فارس وقال بثقة :

- سيب الموضوع ده عليا أنا ربنا يقدرنى وأقدر أحله

نظر له فارس بلهفة فقال :

- توكل على الله يا فارس وأدعى وإن شاء الله ربنا هيلين قلبه من ناحيتك وانا هحاول معاه على قد ما اقدر ... يالا هات رقمه

نظر فارس إلى والدته وقال بحرج:

- معلش يا ماما ممكن تعمللنا دور شاى تانى

شعرت والدته أنه يريد ان يتحدث مع بلال على انفراد فنهضت على الفور وهى تقول مبتسمة :

- حاضر من عنيا

توجهت والدته إلى المطبخ وتركتهما وحدهما فألتفت فارس إلى بلال واقترب منه وقال هامساً :

- بلال انا عاوز اسألك فى حاجة مش متأكد منها كده

اشار له بلال بأن يتحدث فقال :

- هو انا لو دخلت بيها من غير اذن ابوها ينفع ؟

أطرق بلال مبتسماً ثم رفع رأسه ونظر إلى فارس قائلاً :

- لاء طبعاً مينفعش

عقد فارس حاجبيه وقال حانقاً :

- ليه يا بلال دى مراتى أومال عقد الجواز اللى بينا ده ايه

رفع بلال حاجبيه وقال :

- على اساس انك مدرستهاش فى الكليه مثلا

زفر فارس بضيق قائلا:

- نسيتها يا عم .. هو انا فى أيه ولا فى أيه

ابتسم بلال وهو ينظر إليه وشد على يده قائلاً :

- أنت عقدت عليها والاشهار كان للعقد بس يعنى هى لسه فى بيت ابوها حقوقها وواجباتها دلوقتى غير المدخول بيها وانت كده هتلغبط الدنيا فى بعض .. ده غير أن ده مش هيحل حاجة غير أنك هتزود عناد ابوها

هتف فارس حانقاً :

- أنت هتعملى زيها وتقولى ده مش هيحل حاجة وكده ابويا هيعند أكتر .. وبعدين ده لو حصل مش هوديها عند ابوها تانى وهتقعد معايا هنا ويبقى ده اعلان الدخول اللى بتقول عليه

عقد بلال حاجبيه وقال باستنكار :

- هى كمان قالتلك كده .. معناه ايه الكلام ده هو أنت حاولت يا فارس

أشاح بوجهه قائلا:

- أعمل ايه.. هتجنن عقلى طار مني مش لاقى حل

لانت ملامح بلال وهو يربت على كتفه قائلا:

- ياسيدى قلتلك سيبها على الله وبعدين مش قادر تصبر شويه يعنى خلاص .. ما أنت كده ولا كده مكنتش هتدخل دلوقتى وكنت هتستنى سنة كمان

مسح فارس على شعره وهو يقول بحنق :

- معرفش بقى يا بلال انا كنت بدور على أى حل وخلاص.. الموضوع بالنسبالى مش زى ما انت فاكر .. أنا كنت هعمل كده علشان أحط ابوها قدام الأمر الواقع ويبطل يقولى طلقها وكل اللى كنت عاوزه انى أجيبها تعيش هنا وابقى مطمن عليها بدل ماهى قاعدة لوحدها مع مرات ابوها الله أعلم بتعاملها ازاى .

أخرج بلال هاتفه وقال على الفور :

- طب هات رقم أبوها

****

- لقوهم مقتولين فى شقة باسم ... أظاهر ان علاقتهم ببعض قديمة ومن زمان أوى

حدق فارس وعمرو فى الضابط وهو يتحدث إليهم من خلف مكتبه وهتف فارس

على الفور :

- أمتى حصل الكلام ده

مطت الضابط شفتيه وقال :

- الشغالة معاها مفتاح وكانت بتروح كل يوم الصبح بدرى تنضف الشقة ..واضح انهم كانوا بيسهروا كل ليلة .. دخلت النهاردة الصبح لقيتهم مرمين على الأرض ومقتولين .. صرخت طبعا والعمارة كلها اتلمت واتصلوا بالبوليس

نظر عمرو إلى فارس بخوف وقال :

- يعنى ايه الكلام ده طب مين اللى عمل كده

قال الضابط بتركيز :

- البحث الجنائى شغال بس لحد دلوقتى ملقيوش حاجة بصماتهم وبصمات الشغالة بس .. واضح كمان من المعاينة ان الباب متكسرش يعنى القاتل عارفهم وعارف طريقهم ومعاه مفتاح أو هما فتحولوا الباب بأرادتهم.. مفيش دليل على أى حاجة خالص وشكلها كده هتتأيد ضد مجهول .

تقطعت أنفاس فارس وهو يشعر انه يختنق و ينظر إلى عمرو الذى كان ينظر إليه هو الآخر بذهول وهتف عمرو بلوعة :

- يعنى القضية كده باظت ولا أيه .. أنا مش فاهم حاجة

شعر فارس بالأسى تجاه الدكتور حمدى بينما سمع الضابط يقول لـ عمرو:

- أنت كده قضيتك خلصت خلاص.. التقرير هيتقدم انها مزيفة وانت هتطلع براءة والقضية تتقفل ... قضية الرشوة هى اللى باظت بموت باسم ونادر ومنعرفش مين اللى وراهم ولا مين اللى كان بيحركهم .. وده اللى مخالينى متأكد أن اللى قتلهم هو اللى وراهم ومش عاوز يتكشف ..بس هتجنن واعرف ..عرف منين انهم هيقعوا خلاص .. واننا هنقبض عليهم تانى يوم .

تبادل النظرات مع فارس الذى قال باصرار :

- أنا بقى مش هسكت والموضوع متقفلش على كده.. المكان اللى الفندق بيتبنى فيه ده مكان أثرى وانا هقدم بلاغ للنائب العام بالكلام ده وهطلب انهم يكشفوا بأجهزة الدولة اذا كان فيه أثار تحت الحفر ده ولا لاء .. ولازم اجيب اللى ورا نادر وباسم بأى شكل .

مال عمرو للأمام وهو يقول :

- متكبرش الموضوع يا فارس الناس دى ايديها طايله

أستدرك الضابط قائلا:

- بلاش يا دكتور فارس .. أنا عارف حاجات كتير عن الشغل ده انت متعرفوش ..وبنصحك بلاش

نهض فارس وهو يقول باصرار :

- انا رايح اقدم البلاغ حالاً

*****

هاتف بلال والد مُهرة وأاتفق معه على موعد فى المركز الخاص بالدكتور بلال وبالفعل ذهب إليه والدها فى الميعاد المتفق عليه، نهض بلال من خلف مكتبه مصافحاً أياه بحرارة وجلس قبالته فقال والد مُهرة على الفور :

- انا عارف انت كنت عاوز تقابلنى ليه يا دكتور ووالله لو مكنتش غالى عليا مكنتش وافقت اجى اقابلك

أخرج بلال زجاجة مسك وأعاطها له قائلاً بابتسامة :

- طب مش هتقبل هديتى كمان ولا ايه

أخذها والدها على استحياء قائلا:

- هديتك مقبولة يا دكتور

قال بلال مبتسماً :

- أوعدنى بقى انك هتسمعنى من غير ما تقاطعنى ولا تتعصب

أومأ والدها برأسه موافقاً بغير ترحيب .. فقال بلال :

- أنا عارف انك بتحب النبى عليه الصلاة والسلام وبتحب تسمع كلامه مش كده ؟

قال والدها على الفور :

- عليه الصلاة والسلام

تمتم بلال :

- عليه الصلاة والسلام ..

ثم قال بهدوء :

- بص بقى يا راجل يا طيب النبى عليه الصلاة والسلام قال :

- " درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشد من ستة وثلاثين زنية"

وقال كمان عليه الصلاة والسلام

"لعن الله آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه. وقال: هم سواء"

وأنا بحبك يا عم أبو يحيى ومرضالكش أبدا أنك تاكل ربا.. وعلشان كده فارس قال ان عم عامر على حق.. علشان هو كمان بيحبك وخايف عليك

قال أبو مُهرة حانقاً :

- يا دكتور بلال ده مش ربا.. ده زى قرض البنك كده وليه فوايد وبعدين هما اتفقوا من الاول والعقد شريعة المتعاقدين

قال بلال على الفور :

- بس اللى نعرفة أن ما بنى على باطل فهو باطل.. ولو العقد ده عقد ربا يبقى باطل ويبقى الاتفاق بينهم باطل برضه.. الكلام ده لو العقد ده بيوافق شرع ربنا لكن لو يخالفه ميبقاش شريعة المتعاقدين ولا حاجة..أما بقى بالنسبة لحكاية أن البنك بيسلف بالفوايد .. بغض النظر عن حكمها انت جار بيسلف جاره يا ابو يحيى مش بنك

طرق الباب فقال بلال :

- أتفضل

دخل عامر ومعه ولده مينا ومد يده يصافح أبو يحيى الذى صافحه ببرود وجلسا بجواره

فقال ابو يحيى متبرماً وهو يوجه حديثه لـ بلال:

- بس برضة مكنش يصح ينصفه على حسابى.. ده انا حماه وهو حتى مش من دينه

نظر له عامر ومينا بضيق فقال بلال على الفور :

- بس فارس معملش حاجة غريبة.. فارس عمل زى ما الرسول عليه الصلاة والسلام عمل بالظبط ..

عقد أبو يحيى جبينه بينما انتبهت حواس عامر وولده مينا وبلال يقول :

- فى واحد راح للرسول عليه الصلاة والسلام وقاله ان فى دقيق أتسرق منه وأنه تتبع اثره فوجد الاثار موديه على بيت يهودى .. ولما شافوا بيت إليهودى فعلا لقوا اثار الدقيق من بيت الراجل صاحب الدقيق لحد بيت إليهودى.. وكان ده دليل قوى ضد إليهودى.. لكن الحقيقة أن اليهودى مكنش هو اللى سرق ..وان واحد تانى مسلم هو السارق الحقيقى.. وانه خبى الدقيق عند اليهودى لما حس انه هيتكشف ... ساعتها تنزل الوحى على النبى عليه الصلاة والسلام بالآيه الكريمة اللى بتقول:

(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا {إلى قوله تعالى} :وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)

الآية دى يا عم ابو يحيى كانت آيه تبرئة اليهودى ... كان ممكن الرسول عليه الصلاة والسلام يسكت ويقول خلاص بقى ماهو يهودى يعنى معقوله أطلع اليهودى شريف والمسلم حرامى ... لكن لاء.. الرسول عليه الصلاة والسلام أنتصر لليهودى وبرأه وأدان المسلم اللى سرق فعلا.. هو ده الإسلام وهو ده شرع ربنا .

****

لم يصدق فارس نفسه وهو يدخل المدرج فى الكلية ليجد مُهرة جالسة أمامه وسط زميلاتها تنظر له وتبتسم ابتسامة واسعة ... تعلق بصره بها فى دهشة وألقى محاضرته بسرعة وبمجرد أن انتهى أشار لها بعينيه أن تلحقه .. جمعت مُهرة أشيائها وخرجت مسرعة فى فرحة غامرة.. أخذها للخارج وهو يقول بلهفة :

- أحكيلى اللى حصل بقى وبالراحة كده

قالت بسعادة :

- بابا رجع امبارح من عند الدكتور بلال وقال لمراته تمشى وترجع بيتها وراح جاب ماما ويحيى رجع البيت ..وقعد اتكلم معايا وهو مسكوف من اللى عمله وكان عاوز يتاسفلك بس محرج ..

تنهد بقوة وهو يقول بفرحة :

- بركاتك يا دكتور بلال

ضحكت مُهرة وشرعت فى التوجه إلى المدرج مرة أخرى وهى تقول :

- سيبنى بقى كفاية عليك كده

جذبها من يدها قائلا بابتسامة سعيدة :

- لاء أحنا هنتغدى مع بعض بالمناسبة الحلوة دى

رفعت حاجبيها وقالت معترضة :

- لاء طبعا مش موافقه أنت مبذر أوى على فكره

قال بحنان وهو ينظر فى عينيها محاولا التاثير عليها قائلا:

- طب لو قلتلك علشان خاطرى .. نفسى اقعد معاكى شوية

نجحت خطته فقالت على الفور وقد احمرت وجنتيها :

- موافقة.. بس نقعد فى حته فيها بحر

عقد حاجبيه وهو يقول مداعباً :

- دلوقتى بتتشرطى.. مش لسه كنتِ بتقولى لاء من شوية

عقدت ذراعيها أمام صدرها متبرمة وهى تقول بمرح طفولى :

- خلاص مش عاوزه منك حاجة

ضحك وهو يجذبها من يدها ليخرج بها خارج الجامعة ليجلسا وحدهما مرة أخرى لتعود المهرة الأصيلة إلى حضن فارسها المغوار.

****

عادا من نزهتهما بعد صلاة العصر ليجدا حالة من الهرج والمرج داخل شارعهم ودخان كثيف يخرج من أحد المحلات الجانبية الصغيرة فى الشارع .. نظرت إليه مُهرة وهى تقول بقلق :

- ياترى حصل ايه

أخذها إلى بنايتهم ودفع بها برفق داخلها وهو يقول :

- أطلعى انتِ لما اشوف أيه اللى بيحصل

توجه فارس إلى الحاج عبد الله صاحب محال البقالة ليسأله عن الأمر فقال له :

- مش عارفين حصل ازاى ده يا دكتور فارس .. أحنا فجاة كده لقينا النار طالعة من المحل المقفول ده .. قعدنا نطفى فيه والناس كلها اتلمت تساعدنا وكانت هوجة فى الشارع بس الحمد لله لحقناها قبل ما تكبر

عقد فارس حاجبيه بدهشة وعاد أدراجه إلى بنايته، وما إن دخلها حتى وجد مُهرة تتصل به وهى تهتف :

- ألحقنى يا فارس ..

لا يعلم كيف صعد تلك الدرجات إليها .. فى لمح البصر كان واقفا أمام شقتها المفتوحة ووجد والدته خارجة منها وعلى وجهها علامات الفزع وقالت له :

- تعالى يا فارس شوف أوضة مُهرة

توجه فارس على الفور إلى غرفة مُهرة فوجدها تقف فى منتصفها تنظر إلى ملابسها المبعثرة فى كل مكان وعلى وجهها قد رسم الخوف لوحة ظاهرة للعيان بمجرد النظر إليها .. نظرت إليه وهى تقول بفزع :

- ألحقنى يا فارس

تقدم إليها فوجد فى يدها ورقة مدت يدها بها إليه وهى تقول :

- لقيت الورقة دى على سريرى محطوطة هنا

وأشارت إلى كومة ملابس موضوعة بشكل معين ..ليست مبعثرة مثل بقية الملابس ولكن موضوعة فى مكان ظاهر على فراشها بعناية ... كانت كومة من ملابسها الداخلية !.. اتسعت عينيى فارس وأعاد النظر للورقة سريعاً فوجد بها كلمات قليلة :

- المرة دى أوضتها وهدومها.. المرة الجاية هى نفسها.. ومتلومش غير نفسك

رفع رأسه بفزع إلى كومة ملابسها الداخلية .. نعم لقد وصلت الرسالة .. طرقت عقله بجنون .. تهديد بالاغتصاب ... ولكن من ... من يجروْ على هذا ... أستدار إلى والدتها صائحاً :

- أزاى ده حصل وأمتى

قالت والدتها وهى تضع يدها على صدرها مكان قلبها وهى تلهث من شدة الخوف :

- انا كنت تحت عند الست ام فارس وفجأة لقينا ناس بتزعق فى الشارع وبيقولوا حريقة . طلعنا انا وهى ووقفنا فى البلكونة .. ولما لقيناك انت ومُهرة راجعين من بره سيبت الست ام فارس وطلعت شقتى ولقيت مُهرة طالعة ورايا ولقينا باب الشقة مكسور وأول ما دخلت أوضتها لقيناها كده على حالتها دى واتصلت بيك...

أخرج فارس هاتفه وأتصل على الضابط صديقه وقص عليه ما حدث فصمت الضابط لحظة بعد ما سمع ما سرده عليه فارس وقرأ عليه الرسالة فقال :

- نصيحة مني أبعد عن حكاية الآثار دى خالص يا دكتور فارس

صاح فارس بانفعال :

- يعنى انت شايف ان قضية الآثار دى ليها علاقة باللى حصل ؟

قال الضابط بثقة :

- انا مش شايف .. انا متاكد ... شوف يا فارس قضية صاحبك خلصت وطلع براءة والحكاية خلصت والبلاغ اللى انت قدمته اتحفظ حتى من غير ما يحققوا فيه ..وقضية القتل كمان اتحفظت برضه من غير ما نوصل لحاجة فيها ..وكل الأدله أطمست .. مبقاش فيه دلوقتى غير عنادك.. واعتقد اللى حصل ده والتهديد ده خطوة.. ونصيحة مني تبعد وتقفل موضوع الاثار ده خالص

مسح فارس على رأسه بعنف وهو يهتف :

- يعنى أيه ..يعنى فعلا دى عصابة بقى ومش عاوزين أى شوشرة حواليهم ودلوقتى بيهددونى بمراتى

أجابة الضابط بهدوء :

- بالظبط كده واديك شفت نادر وباسم اتقتلوا لمجرد انهم لفتوا الأنظار ليهم.. شوف انت بقى ممكن يحصلك أيه لو مشيت فى الموضوع ده اكتر من كده ... خدها نصيحه من واحد شغال فى مكان ماليان فساد بالشكل ده.. أقف لحد كده يا فارس ..لو حصلك حاجة انت ولا مراتك محدش هيسأل فيكوا وبرضه القضية هتتحفظ ...

جمع فارس بلال وعمرو والضابط وقص عليهم ما حدث وما قاله الضابط صديقه فأعاد الضابط كلماته مرة أخرى أمامهم فأطرق بلال فى سكون ثم قال دون أن ينظر إليهم :

- حضرة الظابط معاه حق يا فارس ..أديك شفت لما اتشدينا كلنا على المعتقل محدش حس بينا ولا حد سال علينا واللى خرجنا من هناك هما هما نفس الناس اللى احنا شاكين فيهم دلوقتى.. والخوف دلوقتى مش علينا احنا.. الخوف دلوقتى على الحريم اللى ممكن يتبهدلوا معانا لو كملنا

ضغط فارس قبضته فى راحته وهو يقول بغضب :

- عارف لو هددونى بالقتل مكنش همنى حاجة ... المشكلة انهم بيهددونى بمراتى .. مراتى يا بلال

وضع عمرو وجهه بين راحتيه وهو يقول موبخاً نفسه :

- ياريتنى ما كنت رحت اشتغلت فى الشركة دى ..ياريتنى لما قدمت استقالتى صممت عليها ومشيت ولا كنت سافرت ولا اتهببت

هتف فارس بحنق :

- لازم نلاقى حل مش معقول نسيبهم ينهبوا البلد كده واحنا خايفين على نفسنا لازم نوصل لأكبر مسؤل فى البلد

نهض الضابط صديقه من مكانه واقفا ً وهو يقول فى شرود :

- أكبر مسؤل اللى انت عاوز توصله ده هو اللى خد أوامر من اللى أكبر منه أن محضر القتل يتقفل والحفر يفضل شغال فى وادى الريان مكان الفندق واهو نفذ الأوامر وقفل المحاضر واتحفظ عليها من غير تحقيق .. عارف لما جارك يتعدى عليك وتروح لابوه تشتكيله تلاقى ابوه هو اللى مسلطه.. أهو هو ده بالظبط .

وضع يده على كتفه وقال بأسى :

- شيل أيدك من الموضوع يا فارس ..الفساد فى البلد دى من سنين كتير.. فوق الستين سنة ويمكن أكتر.. لدرجة ان الناس تعايشت معاه واتعودت عليه .. مينفعش تواجهه لوحدك أستنى شوية .. محدش عارف بكرة هيحصل أيه !

****

جلست بجواره حول المائدة وهى تقول بنعومة :

- معلش يا فارس اشرحلى الحتة دى تانى.. مش فاهماها كويس ..الجنائى ده صعب أوى

مال عليها وهمس فى أذنها :

- طب خشنى صوتك شوية انا كده مش هعرف اشرح حاجة خالص

ضحكت بصوت خفيض ثم قالت :

- معلش استحملنى خلاص الامتحانات قربت تخلص

تافف وهو يغلق الكتاب بيده وقال :

- ما انتِ لو حنيتى عليا بأطه هستحمل

ضحكت ثانية وامتزجت ضحكاتها بصوت والدته وهى تعود من المطبخ حاملة أكواب الشاى بيدها ووضعتها أمامهم وهى تنظر إليهما بمكر قائلة :

- أيه الدرس اللى كله ضحك ده

أمسك يد والدته وأجلسها أمامهما وقال متبرماً :

- بصى بقى يا ست الكل ..أنا عاوز اتجوز ماليش دعوه اتصرفى ..مش انتِ امى ومسؤلة عنى.. أنا كده هنحرف

تبادلت النظرات مع مُهرة وقالت بلامبالاة :

- استنى بقى لما تخلص الكلية بتاعتها

هتف فارس على الفور :

- نعم ؟! .. لالالا ..أنا يدوب هستحمل لحد امتحانات السنة دى ما تخلص

ثم نظر إلى مهُرة نظرة ذات معنى وقال :

- وبعدها بقى محدش يلومنى

قالت والدته على الفور :

- طب اصبر لما نجيب لمُهرة عفش جديد ولا هتدخل على القديم

ظهرت سحابة حزن فى عينيى مُهرة وأمطرت حروف غيرتها الواضحة وهى تقول :

- الحكاية مش حكاية عفش قديم ..الموضوع ده ميفرقش معايا.. أنا بس مش عاوزه أوضة النوم دى .. مش بتاعتى.. فى واحدة غيرى نامت عليها

ثم نظرت إليه نظرات عتاب ولوم فقال :

- تانى يامُهرة ... مش انا فهمتك الحكاية كلها قبل كده.. وبعدين يا ستى انا نفسى مش هوافق تدخلى على عفش قديم وهغيرهولك بالقسط

قالت والدته متسائلة :

- أنت ليه يا فارس مرجعتلهاش عفشها.. مش ده فى القايمة بتاعتها

أخرج فارس ميدالية المفاتيح وقال :

- كويس انى لسه معايا نسخة من مفاتيح شقتها.. هروح بكره انقلها حاجتها فيها.. ده حقها

هتفت مُهرة على الفور بضيق :

- وانت بقى هتروح شقتها لوحدك لاء انا هاجى معاك

رفع كتفيه مقلداً لها وهو يقول مداعباً :

- هو انا مش قلتلك أنها محكوم عليها بسبع سنين .. خايفة من أيه بقى ..هتطلعلى من الصورة تاكلنى يعنى

أستندت برأسها على راحتها وقالت بعناد:

- برضة هاجى معاك

****

أنهت مُهرة أختباراتها وبدأت فى أتمام أمر الأثاث الجديد، أخذته إلى معرض الأثاث الخاص بوالد صديقتها وانتقيا غرفة نوم جديدة وغرفة أخرى للأستقبال ولقد كانت مُهرة فى غاية السعادة والفرحة وهى تتعلق بيده وهما يتنقلان بين الغرف المعروضة .. أشارت له على غرفة صغيرة الفراش وقالت :

- مش ملاحظ ان الأوضة دى الكومدينو فيها أكبر من السرير

مال على أذنها وقال :

- هو فين السرير اصلا

كتمت ضحكتها وأكملا رحلتهما فى البحث عن أسعار مناسبة وقسط مناسب لحالتهما المادية فى ذلك الوقت وتم تحديد ميعاد الزواج بعد أيام من أتمام تجهيز شقة الزوجية .

حزمت عزة حقيبتها وهى تقول :

- خلاص يا عمرو كل حاجة جاهزة

دلف إلى الغرفة وقال وهو ينظر للحقائب :

- ده أحنا هنشوف بهدلة يابنتى

قالت باعتراض :

- ليه بس ده انا بحب اسكندرية أوى وكان نفسى أعيش فيها من زمان ..كويس انك لقيت شغل هناك

بدل ملابسه وهو يقول :

- آه طبعا مصائب قوم عند قوم فوائدُ

لفت ذراعيها حول ساعده وهى تقول بابتسامة واسعة :

- على الأقل هنقضى شهر عسل جديد مع مُهرة وفارس وكمان بلال وعبير هيسافروا معانا أسبوع

وضع يده على بطنها وهو يقول بمرح :

- شهر عسل أيه بقى ما خلاص أدبست واللى كان كان

دفعته وهى تقول بتبرم:

- أمشى كده هو انت كنت تطول ابقى ام عيالك

دفعها من كتفها برفق وهو يقول :

- أمشى كده وانا متجوزك شفقة ورحمة اصلا

****

كالعادة كانت زفة بسيطة جميلة ، أحاطت النساء مُهرة وهن يحملن الدفوف والشعلات وأطواق الزهور وهى تمر بينهن، زهرة يافعة فى مقتبل العمر، فى عينيها ترى الأمل والسعادة والتفاؤل والحب .. تصفق وتنشد معهم كالأطفال .. أما فارس فى قاعة الرجال فكان يشعر للمرة الأولى أنه فى حفل زفافه، كانت السعادة بادية على وجهه وبين الحين والاخر يقترب من عمرو قائلا :

- ما تنهى بقى يا عم انت مسافر الفجر ولا ايه

أقترب بلال منهما وسمع عمرو وهو يقول لـ فارس مداعباً :

- أيه ده هو مش الفرح عندكوا بيبقى اسبوع متواصل ولا ايه

ضحك بلال ضحكات رنانة بينما دفعه فارس من كتفه وهو يقول :

- أسبوع مين يا عم.. أنا هروح أخد مراتى وامشى ..اقعد انت بقى الأسبوع ده براحتك

وضع بلال ذراعيه على كتفيهما وهو يقول مشاكساً :

- لا يا عمرو حرام أسبوع كتير مشيها تلات تيام بس

نظر له فارس بحنق بينما صفق عمرو وهو يقول بمرح :

- العريس هيقتلنا يا شيخ بلال .. وبعدين كلنا مسافرين مع بعض فمفيش داعى نقطع على بعض يعنى

دفع بعضهم البعض وهم يضحكون بشدة فى نشوة ومرح كبير والناس ينظرون إليهم ما بين سعيد ومندهش ..هل الملتحون يضحكون مثلنا !.. هل هم من كوكبنا أم هجموا علينا من كوكب آخر !

سافروا جميعاً إلى عروس البحر المتوسط .. فارس ومُهرة .. بلال وعبير .. عزة وعمرو

كل ثنائى فى شقته الخاصة المؤجرة خصيصا لهذه الأجازة باستثناء شقة عمرو التى كانت مؤجرة بشكل دائم نظراً لعمله الذى جعله ينتقل للأسكندرية للأقامة الكاملة فيها ... وضع فارس الطعام على المائدة ثم توجه إلى غرفة نومها وطرق الباب بخفة وقال :

- مُهرة العشا جاهز يا حبيبتى

هتفت من الداخل:

- أوعى تدخل لسه مخلصتش

تنهد بسعادة وهو يتجول فى أركان الشقة ينتظرها .. خرجت بعد قليل بعد أن بدلت ملابسها

تنهد بعمق ثم توجه إليها وجلس بجوارها وبدأ يطعمها فى فمها بعض اللقيمات الصغيرة وبعد أن انتهى أخذت يده فى يدها ولعقت أصابعه بمرح وهى مبتسمة له فنظر لها بحب وشوق كبيرين وقال بخفوت :

- أوعى تقولى عبير علمتك دى كمان

أومات برأسها وهى تقول :

- أه عبير هى علمتهالى

أمسك يدها وقبلها بحنان قائلا :

- خلصتى أكل ولا لسه ؟

شعر بها ارتجفت فجاة وأنتفض جسدها وتقلصت عضلات وجهها خوفاً ووجلاً فعقد جبينه وقال بقلق :

- مالك خايفة كده ليه

تلعثمت وهى تقول :

- لا ابدا مفيش

شعر بخوفها وسمع طرقات قلبها وكأنه رأى خفقانه وقفزاته بجنون .. شعر بالشفقة تجاهها ومسح على شعرها وهو يجذبها إلى صدره قائلا :

- من أمتى وانتِ بتخافى مني ؟ فاكره اليوم اللى قلتيلى فيه أحمينى منك يا فارس ؟

رفع رأسها إليه قائلا :

- محدش فى الدنيا دى يخاف عليكى أدى ..صح ولا لاء؟

أومات برأسها وقد شعرت ببعض الهدوء النفسى يغلفها على أثر كلماته الرقيقة ووضعت رأسها على صدره بهدوء فمسح على ذراعها وهو يقول :

- لازم تتأكدى من كده كويس أوى ..أنا هفضل طول عمرى حمايتك وأمانك حتى من نفسى أنتِ يا مُهرة مش حبيبتى وبس ومش مراتى وبس ..أنتِ بنتى واختى قبل أى حاجة تانية وزى ما كنت بخاف عليكى وانتِ لسه بيبى بين أيديا.. هفضل برضة اخاف عليكى وانتِ مراتى وحبيبتى وبين أيديا

اتسعت ابتسامتها ورفعت رأسها إليه وطبعت قبلة صغير ممتنة على وجنته ..فنظر إليها بشغف قائلا :

- أنتِ صدقتى ولا أيه ده انتِ عبيطة أوى !

لم تكن تلك الليلة هى ليلة عادية فى عمرهما ، كانت بداية جديدة لعمر آخر ... فارس آخر ومهرة أخرى ، يطوفان حدائق حبهما فى سكون وصمت ، يهدى كل منهما رحيقه طواعية وحب، أصبح الأخذ هو العطاء ، والعطاء هو الأخذ ، أختلفت المقاييس ، توحدت الأنفس أصبحت كياناً واحداً ، يتنفس برئة واحدة ، يبتسم بثغر واحد ، روحاً واحدة و جسداً واحداً ... وقلبان ينتفضان عشقاً .

****

لامست مياه البحر أقدامهما وهما يجلسان على شاطئه ويتأملان شروق الشمس فاسندت رأسها على صدره وقالت :

- أنا جسمى قشعر من جمال وروعة المنظر الخلاب ده .. شفت عظمة ربنا فى أبداعه ..

أجابها فارس بعد أن قبل كفها بحنان :

- أومال لو شفتى الأجمل والأروع من المنظر ده هتقولى أيه

رفعت رأسها تنظر إليه فى فضول كبير قائلة :

- فين ده

قال وهو ينظر إلى عينيها الواسعتين :

- عنيكى

أحمرت وجنتيها خجلاً وقالت بخجل :

- بتهزر ؟

قال بحب :

- انا بتكلم جد ..أنا لما بشوف عنيكى بنسى الدنيا كلها وبحس أنى فى الجنة ... أنا معرفتش طعم الحب الا وأنا معاكى .. عشت حياتى قبلك فى وهم وانا فاكر أنى بحب غيرك .. عشت أكبر كدبة فى حياتى .. لكن لما عرفت أنى بحبك دوقت ساعتها طعم الحب الحقيقى ...

أنتِ عارفه يا مُهرة.. أنا عشت حياتى كلها كل ما أدخل محكمة واسمع حكم وراه جملة مع وقف التنفيذ .. كنت بفتكر حياتى اللى عشتها .. الجملة دى هى تلخيص حياتى كلها .. من ساعة ما اتخرجت من الجامعة وانا بحلم ابقى وكيل نيابة ..وكنت بذاكر واطلع الأول وكنت عايش دور وكيل النيابة بس مع وقف التنفيذ .. لحد ما اتجوزت وكنت فاكر انى بحبها وهى بتحبنى وبعد ما عرفتها على حقيقتها والناس فاكرانا متجوزين ومتفاهمين وبنحب بعض ميعرفوش اننا متجوزين بس مع وقف التنفيذ ...حتى لما دخلت المعتقل كنت فاكر انى هموت ومحضر نفسى للموت لكن كنت بموت كل يوم من الانتظار.. لكن برضه مع وقف التنفيذ .. ولما اتجوزتك وابوكى كان هيفرق بينا ومكنتش عارف اشوفك ..كنتِ مراتى مع وقف التنفيذ .. و لما فكرت واتحمست انى أطهر البلد دى من الفساد والسرقة واللى بيحصل فيها عرفت ساعتها اننا كلنا شايفين السرقة والفساد لكن مش قادرين نعمل حاجة وفاكرين نفسنا أبطال ..بس كلنا أبطال مع وقف التنفيذ .

كانت تنظر إليه تسمعه بتركيز واهتمام فقالت :

- تفتكر يا فارس فى أمل بلدنا تتغير ؟

قال بشرود :

- أنا متاكد ان ده هيحصل ... بس عشان ده يحصل لازم نكون كلنا أيد واحدة لازم الشعب ده يفوق من الغفلة اللي عايش فيها من سنين طويلة... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم... ده مهما كان حجم الظلم والطغيان اللي موجود في البلد مش هايقدر يقف أدام ثورة الناس كلها ... بس الخوف كله إن لو الشعب عمل ثورة فعلا وما غيرش نفسه وفضل عايش فى الضلمة ... هاتبقى ثورة .. بس مع وقف التنفيذ .

****

تمت بحمد الله

يليها رواية " ولا فى الأحلام "